

2

دين كونتز

DEAN KOONTZ

مكتبة عالميات

غرفة الهمس

The Whispering Room

رواية

بيع من
رواياته أكثر من
خمسائة مليون
نسخة وترجمت
إلى 38 لغة
عالمية

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



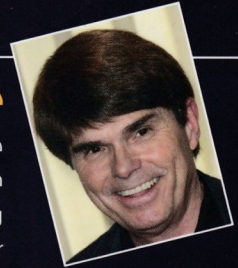
في سعيها المحموم لكشف المشروع الجهنمي الذي بدأت خيوطه تتكشف بعد زيارتها الميدانية لأسبانيا، وبعد أن رأت بأعينيها أمبولات شينيك، انضم لوثر تيلمن إلى جين هوك إثر عملية التفجير الانتحارية التي أقدمت عليها مواطنة صالحة في مينيسوتا. من اتفاق مسبق تلاقى درباهما في أيرون فرانس، وهنا تمكنا من الاطلاع على عالم جهنمي، حيث يضحي الأهل مسلوبو الإرادة بأطفالهم لصالح مشروع جهنمي، وهناك اكتشفت جين غرفة الهمس. منذ ذلك الحين أحاطت بها الشكوك: أهي داخل هذه الغرفة أم خارجها. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: كيف يعرف المرء أنه داخل غرفة الهمس؟

الجواب عندما يصبح الأب جلد ابنه بدلاً من أن يكون حضنه الدافئ، ويصبح أكثر الساعين وراء إزهاق روحه. وعندما تظن أنك بلغت قمة هرم الشر، وتعرفت إلى الشرير الأكبر، لتكتشف أنك لا تزال تسير عند سفح الهرم، وعندما تشك بأمر الطبيب، أهو يضم جرحك أم يعمقه بهدف قتلك؟

في هذه الرواية ستقرأ عن بطل يمكنك تدميره ولا يمكنك هزيمته، يمكنك قتله لأنه حي، بخلاف الآخرين الذين لا يمكنك قتلهم لأنهم في الأصل أموات ولكنهم لا يعلمون.

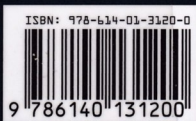
دين كونتز

هو كاتب أمريكي. توصف رواياته بأنها روايات مثيرة، ولكنها تتضمن في كثير من الأحيان عناصر من الرعب والخيال والخيال العلمي والغموض والهجاء. ظهرت العديد من كتبه في قائمة New York Times Best Seller، ووصلت إلى المراكز الأولى. نشر أكثر من 105 روايات، ومجموعات من القصص القصيرة، وبيع أكثر من 450 مليون نسخة من عمله.



t.me/yasmeenbook

مكتبة ياسمين



جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وهنرات كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com



دين كونتز

DEAN KOONTZ

غرفة الهمس

The Whispering Room

رواية

ترجمة

مصطفى ناصر و اسماعيل كاظم

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook



يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

THE WHISPERING ROOM

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونيًا من المؤلف عبر وكالة

c/o INKWELL MANAGEMENT LLC

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2017 by Dean Koontz

All rights reserved

No part of this book may be reproduced or transmitted in any form of by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage and retrieval system, without permission in writing from the Publisher.

Arabic Copyright © 2019 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: أيلول/سبتمبر 2020 م - 1442 هـ

ردمك 978-614-01-3120-0

جميع الحقوق محفوظة للناشر

 facebook.com/ASPArabic

 twitter.com/ASPArabic

 www.aspbooks.com

 asparabic

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل.
Arab Scientific Publishers, Inc. s.a.l



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (+961-1)

ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (+961-1) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

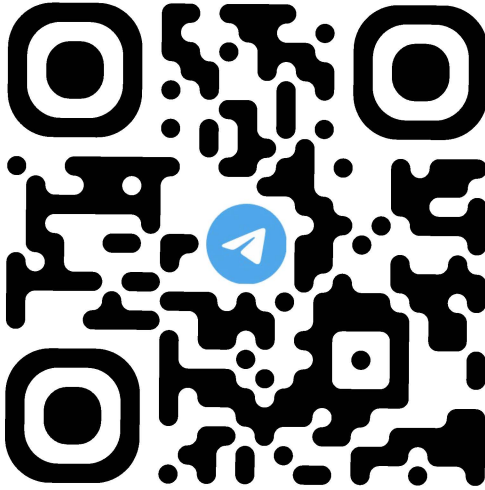
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

إهداء

أهدي هذا الكتاب إلى صديقي ريتشارد هيلر
الذي يبقى صخرة شامخة في وجه الأعاصير في زماننا المتقلب هذا؛
ولقد كان منذ قرابة ثلاثين سنة صديقًا وفيًّا..
ومحاميًا مخلصًا، ومستشارًا أمينًا،
فهو يعرف أن أعلى أنواع الذهب لم تزل تحت أقدامنا.



مكتبة ياسمين علي قلبي امر

يبدو أنه ليس عندهم أي قانون على وجه التحديد؛ على أقل تقدير، إذا كان هناك
من قوانين، فلا أحد يهتم بها..

لويس كارول، (اليس في بلاد العجائب)

القسم الأول

طريق هوك

داست كورا غندرسن على النار المتأججة ومشت عليها من دون أن تحترق، أو حتى يلتقط ثوبها الأبيض شعلة من اللهب. لم تكن خائفة، بالأحرى بدت منتشية، راقبها كثير من المعجبين بها، وفتحوا أفواههم اندهاشًا وصاحوا، اختلطت علامات الانبهار في وجوههم مع انعكاسات اللهب. صاحوا بوجهها، ليس تحذيرًا، بل اندهاشًا، وأوحت نبرات أصواتهم بالإعجاب، فأحست بالإنارة والإحراج لأنهم يرونها الآن امرأة لا تُقهر.

استيقظت على مداعبات دكسي، كلبها الألماني بشعره الذهبي المُرقط الطويل، والذي كان يلعب يدها. يبدو أن الكلب لا يحترم الأحلام، حتى هذا الحلم الذي كانت سيدته تستمتع برؤيته منذ ثلاث ليالٍ متتالية، وقد أخبرته بكل تفاصيله العجيبة. الفجر يُشرق الآن، حان الوقت لتناول الفطور وحمام الصباح.. كل هذا يبدو أكثر أهمية بالنسبة إلى دكسي من أي حلم.

كورا في الأربعين من عمرها، خفيفة الحركة ورشيقة كالطير. بينما كان الكلب يتأرجح على السلم الخشبي المحمول الذي تصعد عليه إلى السرير أو تنزل، وثبت كورا إلى الأسفل لتواجه النهار المُشرق. دسّت قدميها في حذاء بطول الكاحل مبطن بالفرو وتتعله في الشتاء، وبالبيجاما التي عليها تبعت الكلب المتمايل عبر المنزل. قبل أن تمضي إلى المطبخ، خيّل إليها أنها لمحت رجلًا غريبًا يجلس قرب طاولة الطعام، وتوجّست فورًا من وقوع شيءٍ خطير.

بطبيعة الحال ما من رجل ينتظرها، ولم تكن بالمرأة الرعيدة على أي حال. وبّخت نفسها على تلك الهواجس السخيفة، لا شيء هناك على الإطلاق.

وبينما كانت تُخرج من الثلاجة زجاجة ماءٍ نقي والطعام الخاص بالكلب، كان الذيل الذهبي الناعم كالريش يكتس الأرضية في توجس.

انشغلت كورا بتشغيل جهاز القهوة، حتى انتهى دكسي من الأكل، ثم وقف عند الباب الخلفي ينبج باحتشام، نبج مرة واحدة فقط.

انتزعت كورا معطفًا من مشبكٍ على الحائط وألقته عليه.

"لنَ إن كنت تستطيع أن تخلّص نفسك بالسرعة التي ملأت فيها بطنك. الجو هنا أبرد وأكثر قسوة من قبوٍ في الجحيم، يا رفيقي العزيز، أرجوك لا تتسكع هنا وهناك".

تركت دفا المنزل واتجهت إلى الشرفة، وكانت أنفاسها تطلق بخارًا كأنه سرب من الأشباح يخرج من فمها، تلك الأشباح التي استولت على كيائها منذ زمنٍ بعيد، وتريد الآن أن تتحرر منها. وقفت عند أعلى الدرجات تراقب دكسي بيلي، رفيقها العزيز، ربما كان هناك راكون لعين يتسكّع بعد ليلةٍ من الصيد.

لقد سقط أكثر من قدم من ثلجٍ أواخر الشتاء صباح اليوم السابق. في غياب الرياح، لا تزال أشجار الصنوبر تحمل شالات من الثلج تكلل أغصانها. كانت كورا قد أزاحت بعض الثلج لتصنع حفرة في حديقة الباحة الخلفية حتى لا يضطر دكسي لأن يحفر عميقًا في التراب.

كانت حاسة الشم عند هذا النوع من الكلاب حادة، ومع ذلك فالكلب يتجاهل نداءاتها بأن لا يتسكّع. كان دكسي بيلي يتجول جيئةً وذهابًا في الفسحة، وأنفه متجه إلى الأرض، محاولًا اكتشاف أي من الحيوانات زارت المكان ليلاً.

الأربعاء، يوم دراسة.

مع أن كورا كانت في إجازة لأسبوعين، لكنها لا تزال تشعر أن عليها أن تسرع استعدادًا للمدرسة. قبل سنتين، حصلت على لقب "المُدّرسة المثالية في مينيسوتا". كانت تحب الأطفال كثيرًا - وتشتاق إليهم - وخصوصًا طلاب الصف السادس.

كثيرًا ما تداهمها هذه الأيام نوبات داء الشقيقة بصورة مفاجئة، وتستمر خمس أو ست ساعات، وأحيانًا ترافقها روائح كريهة يمكنها وحدها الإحساس بها، بحيث تجعلها عاجزة عن فعل أي شيء. يبدو أن نوبات الصداع هذه تستجيب ببطء للعلاج؛ حبوب زولميتريتان، ومرهم للعضلات يسمّى سوما. لكنها على أي حال ليست

بالمراة التي تمرض دائماً، ويضايقها كثيراً البقاء في المنزل.

أخيراً تبوّأ دكسي بيلي وترك وراءه كتلتين صغيرتين من الفضلات، سوف تلتقطهما كورا لاحقاً في كيس بلاستيكي، بعد أن تتجمد الفضلات وتجف.

حين تبعت الكلب إلى داخل المنزل، وجدت رجلاً غريباً جالساً إلى طاولة المطبخ، يشرب القهوة التي صبّها لنفسه بلا حرج. كان يضع على رأسه قلنسوة قماش مخطّطة. وقد فتح أزرار سترته الصوفية. بدا وجهه طويلاً، وقسماته حادة، ونظراته باردة متجمدة على عينين زرقاوين.

قبل أن تتمكن كورا من الصياح أو تستدير لتهرب، قال الرجل المقتحم:
"تظاهرين بأنك مصابة بحمى منشوريا".

قالت: "أوه، حسناً".

لم يعد الرجل يشكل تهديداً. تعرّفت إليه على أي حال. كان في الواقع شخصاً لطيفاً زارها على الأقل مرتين خلال الأسبوع الماضي. بدا لها أنه رجل خفيف الظل.
"اخلعي معطفك.. علقه هناك".

فعلت ما طلبه منها فوراً.

"تعالى هنا، كورا. اجلسي".

سحبت كرسيّاً وجلست قرب الطاولة.

رغم كونه صديقاً للجميع، لكن دكسي تفهقر إلى ركنٍ بعيد، وجثم هناك، يراقب بحذر بعين زرقاء لامعة وأخرى بنية.

سألها الرجل: "هل رأيت حلماً في الليلة الماضية؟".

"نعم".

"ذلك الحلم نفسه عن النيران؟".

"نعم".

"هل كان الحلم جميلاً، كورا؟".

ابتسمت وهزّت رأسها: "كم كان جميلاً أن أمشي على النار المتأججة! لم أشعر بالخوف من أي شيء".

قال: "سوف ترين الحلم نفسه مرة أخرى هذه الليلة".

ابتسمت وصفقت مرتين.

"أوه، هذا رائع. إنه حلم جميل. يشبه الأحلام التي تراودني أحيانًا وأنا فتاة؛ حلم الطيران مثل الطيور، دون خوف من السقوط".

"غداً يومٌ حافل، كورا".

"صحيح؟ ماذا سيحدث؟".

"سوف تعرفين عندما تهضين صباحًا. لن أرجع إليك مرة أخرى. حتى في مناسبة مهمة كهذه، لست بحاجة إلى من يرشدك".

أنهى قهوته، ودفع الكوب أمامها ونهض مُزيحًا كرسيه تحت الطاولة وهو يقول: "auf wiedersehen" (باننظار أن نلتقي مجددًا)، أيتها البلهاء".

قالت: "وداعًا".

في طرفة عين، طافت أمامها سحابة أضواء متموجة واهنة، تلك الهالة التي تسبق نوبات داء الشقيقة عادة. أغمضت عينيها خوفًا من أن يعاودها الألم، لكن الهالة سرعان ما اختفت، ولم تحسّ بالصداع.

عندما فتحت عينيها وجدت كوبها الفارغ في مكانه على الطاولة أمامها، ورواسب القهوة تستقر في القاع. نهضت لتصبّ لنفسها كوبًا آخر.

2

عصر يوم الأحد الماضي من آذار، في دفاع عن النفس وحنقٍ شديد، قتلت جين هوك صديقًا عزيزًا ورفيقًا طالما كان ناصحًا لها.

بعد ثلاثة أيام، أي يوم الأربعاء، حين كانت السماء مرصعة بالنجوم مساءً، حتى أن تيار الأضواء الهائل الصاعد من وادي سان غابريل، إلى الشمال الشرقي من لوس أنجلوس، لم يكن قادرًا على تبديدها من السماء، جاءت تمشي بحذر إلى المنزل الذي سبق أن استكشفته بالسيارة. كانت تحمل حقيبة كبيرة فيها أدوات الجريمة. وتضع على كتفها شالًا سميكًا فوق معطفٍ عريض يتدلى تحته مسدس كولت عيار 45.

كان الحي المجاور هادئًا في ذلك الوقت على غير العادة إذ يتسم دائمًا بالصخب. وأشجار الفلفل في شوارع كاليفورنيا تهمس، في حين تخشخش سعف النخيل متمائلة

بحركات رقيقة وهي تداعب النسيم الذي يعبق بالياسمين. ومع ذلك تتخلل النسيم روائح كريهة لأشياء متفسخة تنبعث من بالوعاتٍ تخرخر فيها المياه، ربما من جردان مسمومة فرت من ضوء الشمس لتموت في الظلام.

رأت لوحة كُتِب عليها "معروض للبيع" قرب الباحة الأمامية للمنزل المستهدف، وسط العشب الطويل الذي يحتاج إلى الجز، ويوحى القفل على رتاج الباب الأمامي، والستائر المغلقة، بأن المكان فارغ. في الغالب لم تكن أجهزة الإنذار تعمل، لم يبقَ في المنزل، على ما يبدو، شيءٌ يستحق أن يُسرق، ولا بد أن جهاز الإنذار كان سيعقد مهمة عرض الملكية على مشتريين محتملين.

خلف المنزل كانت الباحة خالية من أي شيء. تفوح منها رائحة كلور خافتة، وقطرات ماءٍ غير نقي تتساقط على حوض السباحة، كأنها مرآة تعكس ضوء القمر الذي كان في طريقه للاختفاء.

كان جدار المنزل مطلياً بالجص، وشجيرات غارٍ هندية تحجب الباحة الخلفية عن أنظار الجيران. حتى في ضوء النهار، لم ترَ شيئاً مميزاً.

باستعمال ملقط فتح الأقفال لوك آيدز الذي حصلت عليه عندما اشترت الفوردي إسكيب، والذي لا يُباع إلا لجهات تطبيق القانون، حطمت جين مزلاج الباب الخلفي. ثم أعادت الملقط إلى مكانه من الحقيقية، وفتحت الباب ووقفت تصغي إلى أي صوت ربما يأتي من المطبخ المظلم، أو من الغرف التي وراء ذلك.

بعد أن اقتنعت بتخميناتها السابقة عن خلو المنزل، اجتازت العتبة، وأغلقت الباب وراءها، وعادت إلى حقيبتها لتخرج مصباحاً كاشفاً متعدد درجات الضوء، شغلته إلى أقل شعاع، وراحت تنقّب على الضوء الخافت في المطبخ الراقي وخزاناته الزجاجية البيضاء، ورفوف الغرانيت السوداء، والأدوات والأجهزة المصنوعة من فولاذ غير قابل للصدأ. لم ترَ أي أدوات للطبخ ولا أطباق خزفٍ صيني مصفوفة بانتظار الإطراء على الرفوف والخزانات العالية التي تُستخدم كواجهات للعرض.

اجتازت غرفاً واسعة مظلمة كأنها خزانات مغلقة خالية من الأثاث. بالرغم من أن الستائر كانت مسحوبة على النوافذ، لكنها أبقت ضوء المصباح على أقل درجة، ووجهته فقط إلى الأرضية.

بقيت قريبة من الجدار قدر الإمكان وهي تصعد، فإذا داست على درجات السلم من المحتمل أن تُصدر أقل صوتٍ، ومع ذلك سمعت بعض الأصوات الخافتة التي تعلن عن وجودها.

أرادت استكشاف غرف الطابق الأرضي، لكنها اتجهت إلى الطابق الثاني لتتأكد من أنها وحدها هنا. إنه منزل لبعض الناس من الطبقة الوسطى، وربما في حيٍّ للأغنياء، كل غرفة فيها حمام مستقل، مع أن البرد في حجراته الفارغة أثار لديها هاجسًا بمدى بؤس حياة سكان المدن.

ربما لم تكن الغرف المظلمة الباردة هي التي أثارت لديها هذا الإحساس. في الحقيقة، لازمها هذا التوجس باستمرار منذ أسبوع تقريبًا، بعد أن علمت بما يخطط له بعض الناس الأقوياء في هذا العالم.

وضعت حقيبتها قرب نافذة إحدى الغرف الأمامية، وأطفأت المصباح الكاشف وسحبت الستائر. لم تتفحص المنزل المقابل عبر الشارع مباشرة بل المنزل الآخر المجاور له، وهو كما اتضح لها نموذج رائع للإبداع المعماري.

هناك يسكن لورنس هانافن، أرمل منذ شهر آذار الماضي. لم يرزق وزوجته الراحلة بأي أطفال. رغم أنه في الثامنة والأربعين من العمر - أكبر بإحدى وعشرين سنة من جين - لكن من المرجح أن هانافن يعيش وحده الآن.

لم تعرف هل سيكون حليفًا لها، من المحتمل أنه مجرد رجل جبان بلا التزامات، وسرعان ما يتضاءل إزاء التحدي الذي تنوي مواجهته به. يبدو أن الشجاعة في هذه الأيام عملة نادرة.

مع ذلك كانت تطمح إلى أن لا يتصرف هانافن بطريقة عدوانية. طوال سبع سنوات، عملت في مكتب التحقيقات الفدرالي في فريق التدخل السريع، وفي أكثر الأحيان عملت مع الوجدتين الثالثة والرابعة المختصتين بتحليل السلوك الإجرامي، وهما من الوحدات التي تتعامل مع الجرائم التي تترك كثيرًا من الضحايا أو يرتكبها مجرمون ينتمون إلى عصابات منظمة، من بين أنواع أخرى من الجرائم. خلال سبع سنوات من عملها في المكتب قتلت مرتين وذلك عندما وجدت نفسها في مزرعة مهجورة وبائسة. ولكن مع أنها في إجازة من العمل في المكتب قتلت

خلال الأسبوع الماضي، ثلاثة رجال دفاعًا عن النفس، وهكذا أصبحوا يسمونها الآن العميلة الحمراء، ويبدو الآن أنها لا تريد أن تقتل المزيد من الأشخاص.

ربما كان لورنس هانافن لا يملك ما يكفي من الشجاعة ورباطة الجأش كما توحى سمعته، كانت تأمل أن يتجنب التصادم معها أو على الأقل لا يسعى إلى تقديمها للعدالة. فلا وجود للعدالة في نظرها، ولا محامٍ للدفاع، ولا محاكمة بهيئة محلفين. نظرًا لما تعرفه من بعض الناس المهمين، إن أفضل ما تطمح إليه ربما يكون رصاصة في الرأس. لدى هؤلاء الكثير من الوسائل التي تمكنهم من فعل أشياء أسوأ معها. إنهم يملكون القدرة على تحطيمها، ومسح دماغها وتجريده من الذكريات، وسلبها حرية الإرادة، وتحويلها إلى شخصية خائفة سهلة الانقياد.

3

خلعت جين سترتها الرياضية وحزام كتفها الذي تضع فيه المسدس تحت إبطها، ونامت دون ارتياح على الأرضية، ووضعت المسدس في متناول يدها. استخدمت وسادة أخذتها من كرسي قرب نافذة في صالة الطابق الثاني، لكنها لم تجد شيئًا لتندثر به. كانت أحلامها مملكة ظلالٍ تتبدل من شكلٍ إلى آخر، والأضواء الشاحبة هنا وهناك تتقلب بين الفضفي والأزرق وتأتي من مصدر مجهول، كم حاولت ذات يوم الفرار من أحلامها التي تشاهد فيها أحيانًا عارضات أزياء بشعات لا يختلفن عنها في شيء، لكنهن الآن لا يشعرن بالتعب كأنهن روبوتات مبرمجة للإيقاع بالضحايا، عيونهن جوفاء تخلو من الإحساس.

قبل الفجر، أيقظها منبه الساعة التي تطوق معصمها.

كانت بعض المستلزمات البسيطة التي في حقيبتها تتضمن معجون الأسنان والفرشاة. في الحمام، على الضوء الخافت في إحدى الزوايا، والذي ينعكس على الأرضية الصقيلة، طاردها وجهٌ غائر العينين على المرأة الضبابية، أجفلت من هول المنظر وعلى الفور مسحت بيديها أي أثرٍ للخوف سببته أحلامها.

اتجهت إلى نافذة غرفة النوم، أبعدت الستائر قليلًا وراحت تراقب منزل هانافن بمنظار مقرّب صغير قوي العدستين، كانت أنفاسها التي تحمل نكهة النعناع تترك

سحابة من البخار الخفيف على الزجاج.

من صفحته الخاصة على الفيسبوك، عرفت أنه اعتاد الركض ساعة تقريباً كل يوم عند الفجر. رأت أضواء إحدى الغرف في الطابق الثاني تتوهج، وبعد دقائق لاح شعاع ضوء خفيف في صالة الطابق السفلي. رآته يبتعد عن الباب الأمامي وقد غطى رأسه بقبعة، وارتدى بنطالاً قصيراً، وانتعل حذاء رياضياً، بينما السماء من جهة الشرق تحمّر خجلاً مع أول ضوء وردي للنهار.

راقبته وهو يقفل الباب، ويدسّ المفتاح في جيب بنطاله القصير.

في اليوم السابق، راقبته من سيارتها وهو يركض. قطع مسافة ثلاثة مجمعات سكنية جنوباً، ثم استدار شرقاً باتجاه أحد الأحياء التي فيها اسطبلات للخيل، متتبّعاً آثار حوافر الخيل نحو تلال متعرجة تحيط بها شجيرات برية ومساحات تغطيها الأعشاب. استغرقت جولته سبعاً وستين دقيقة. لم تكن جين بحاجة إلا لجزء بسيط من هذا الوقت لإنجاز مهمتها.

4

صباح يوم آخر في مينيسوتا، كانت السماء رقعة رمادية ملبدة كأنها جليد ملوث بالوحل. وتناثر ندف الثلج مخترقة الهواء الساكن، كأنها تحاول الهرب حتى لا تطبق عليها أسنان عاصفة تتلكأ في الوصول.

بالبيجاما والحذاء الشتوي الطويل، انشغلت كورا غندرسن بإعداد طعام الفطور حيث دهنت الخبز الأبيض بالزبدة، ورشّت عليه بعض قطع البارميزان، كما أعدت البيض المخفوق، ولحم البقر من نوع نوسكي، أفضل أنواع اللحم في العالم، بعدها قلت اللحم، وأضافت إليه المنكهات المناسبة.

عند الطاولة، كانت تقرأ الصحيفة وتأكل. وبين فترة وأخرى ألقت قطعة من اللحم إلى دكسي بيلي، الذي وقف منتظراً بصبر بجانب كرسيها، وكان يتلقى كل قطعة بتشجعات شاكية وامتنان واضح.

بقيت كورا تحلم مرة بعد أخرى بأنها تمشي على النار المستعرة من دون أن تُحرق قدميها بينما الناس الذين وقفوا يراقبونها يعبرون عن انبهارهم من عدم تعرضها للحروق.

ذلك الحلم رفع معنوياتها إلى أقصى الدرجات، وأحست بالنقاء والتحرر من الآثام والخطايا وهي تتخيل أن شعلات اللهب تلك علامات على المحبة من العلي القدير.

لم تشعر بالآلام داء الشقيقة منذ ثمانٍ وأربعين ساعة، وتلك أطول فترة تتحرر فيها من الألم منذ أن بدأت تعاني من نوبات الصداع. تجرّأت على أن تأمل بأن معاناتها العصية على العلاج ربما وصلت إلى نهايتها.

خلال الساعات التالية، عليها القيام ببعض الأمور قبل أن تستحم وترتدي ثيابها وتستقل السيارة إلى البلدة لتنفذ ما خطت له. جلست إلى طاولة المطبخ، وفتحت المفكرة التي أبقتهنا هناك منذ أسابيع. كتابة يدها تكاد تكون مثل كتابة الآلة، والسطور المائلة تتدفق بسلاسة دون انقطاع.

بعد ساعة تقريباً ألقت القلم، وأغلقت المفكرة، وأعدت مزيداً من الطعام، وتوقعت أن تكون هذه المرة الأخيرة التي تتناول فيها الطعام. يا لها من فكرة غريبة! هذه الشركة تنتج اللحم الممتاز منذ عقود، ولم تفكر كورا بسبب يدعوها لافتراض أنهم ربما يخسرون في تجارتهم. نعم، الاقتصاد في حالة تدهور، والكثير من مجالات الأعمال خاسرة الآن، لكن هذا النوع من اللحوم يبقى مرغوباً دائماً. تناولت اللحم مع شرائح الطماطم والمزيد من الخبز المحمص المدهون بالزبدة، ومرة أخرى كانت تشارك وجبتها تلك مع دكسي بيلي.

5

لم تعبر جين الشارع من أمام المنزل الفارغ مباشرة إلى منزل هانافن. بل مشت حاملة حقيبتها حتى وصلت إلى نهاية صف من البنيات، قبل أن تعبر الشارع وتقرب من المسكن من جهة الشمال، كانت تريد أن تقلص قدر الإمكان احتمال أن يلحقها شخصٌ من النوافذ فيعرف من أين جاءت أو إلى أين تتجه.

اقتربت من المنزل ذي الطراز المعماري الراقى، صعدت درجاً رخامياً مغطى بخيمة من القرميد، حتى وصلت إلى شرفة فسيحة، أزهرت قبالة الشرفة شجيرات ويتساريا قرمزية، وتدلت أزهارها من الأغصان في ما يشبه عناقيد طويلة، حيث وفرت خلوة مناسبة من أعين المتلصقين.

دقت الجرس ثلاثًا. ولم تتلق أي رد.

أدخلت الملقط في فتحة القفل، وحركت التتوءات الداخلية عدة مرات قبل أن تنزحج الكلابات من أماكنها وتصطف مع بعضها في نسقٍ واحد وتنفصل ثم يفتح الباب.

في الداخل، قبل أن تغلق الباب خلفها، صاحت بصوت مرتفع وسط السكون المطبق على المكان:

"مرحبا؟ هل من أحد هنا؟".

لم يرد عليها سوى الصمت، فانصرفت فورًا إلى هدفها.

كان الأثاث والطراز المعماري للمنزل متناسقين وأنيقين بشكل مثير؛ قوائم الموقد وبلاطات السيراميك الداخلية متناسقة، وقد نُجِد الأثاث بنسيج قطني ملون بدا متناغمًا مع تدرج ألوان الأرضية، وأضفت الأضواء غير المباشرة المخفية في الزوايا وعلى الجدران، ألقًا على السجاد الفارسي وسائر الأثاث.

إن الحي وبناء المنزل وأثاثه عززت فرضية جين بأن هانافن لم يكن صحفيًا نزيهًا، فالرجل يعمل في الصحافة منذ زمن طويل، وفي هذه الأيام، أصبحت معظم الصحف بمثل نحافة المراهقين الفاقدين للشهية وكانت الصفحات تقل يومًا بعد يوم، ولم يعد المراسلون الصحفيون، حتى أولئك الذين يعملون في صحيفة يومية تصدر في لوس أنجلوس، يتلقون أجرًا عالية. الأجور العالية الآن من نصيب مقدمي البرامج الإخبارية والحوارية على التلفاز، وأغلبهم لم يعودوا صحفيين بقدر ما أصبحوا شبيهين برواد الفضاء.

مع ذلك فقد أنجز هانافن عددًا لا بأس به من الأعمال الأدبية غير القصصية، ثلاثة منها بقيت عدة أسابيع على قائمة أفضل الكتب مبيعًا. وكانت حقًا من الأعمال الجادة، المتقنة في صنعها. ربما اختار هانافن أن ينفق ما يتلقاه من عائدات أعماله في تجميل منزله أكثر من أي شيء آخر.

في اليوم السابق، بالاستعانة بحواسيب المكتبة العامة في باسادينا، تمكنت جين بسهولة من تتبع واختراق اتصالات هانافن الأخيرة، واكتشفت أنه لا يعتمد على هاتفٍ خلوي فقط بل لديه خط أرضي أيضًا، وهذا ما جعل مهمتها أسهل. لقد تمكنت من

اختراق نظام شركة الهواتف لأنها كانت تعرف شيئاً من أسرار الأبواب الخلفية التي كانت من ابتكار أحد الخبراء المهوسين بالحواسيب يشتغل في مكتب التحقيقات يدعي فيكرام رانغنكار.

وكان فيكرام شخصاً محبوباً ويتمتع بروح الدعابة، ويقوم عادة ببعض الاختراقات غير القانونية حين يتلقى الأوامر إما من مديره أو من سلطة عليا في وزارة العدل. قبل أن تغادر جين المكتب في إجازة، كان فيكرام يحاول التقرب منها بشكل مستغرب و"يتحرش" بها ببراءة، مع أنها في ذلك الوقت كانت امرأة متزوجة وبعيدة كل البعد عن محاولات العبث الصياني والمغازلات الرومانسية تحت ضوء القمر. ولأنها تسعى دائماً لأن تلتزم بالتعليمات الصارمة، لم تلجأ يوماً إلى مثل هذه الأساليب الملتوية، ومع ذلك كانت تتلهف للتعرف عن كثب إلى النشاطات السرية لبعض الدوائر الفاسدة في وزارة العدل، ولذلك سمحت لفيكرام لأن يستعرض قدراته المذهلة كلما أراد أن يُبهرها بمواهبه.

لدى استرجاع هذه الأمور في وقتٍ لاحق، بدا لها أنها كانت تعرف بالفطرة أن نمط حياتها الهادئة لا بد أن يتغير، وأنها يمكن أن تتحول باتجاه اليأس والفوضوية، وستحتاج إلى كل الخدع والألاعيب التي بإمكان فيكرام توفيرها.

وكما جاء في سجلات شركة الهاتف، إضافة إلى جهاز الاتصال المثبت إلى جدار المطبخ، هناك ثلاثة أجهزة أخرى على طاولات متفرقة في منزل هانافن: واحد في الحمام الرئيسي، وآخر في غرفة الجلوس، وثالث في غرفة المكتب. بدأت من المطبخ وانتهت إلى الحمام، رفعت الغطاء السفلي لكل هاتف بمفكٍ صغير نوع فيلبس. وربطت شريحة ذات وظيفتين يمكن التحكم بها عن بُعد تستخدم للتصت على المكالمات أو كتوصيلة لتوزيع الطاقة، ثم ركبت مفتاح التحكم بالمكالمات، وأعدت الغطاء إلى مكانه. واستغرق ذلك العمل منها تسع عشرة دقيقة.

تفحصت خزانة صغيرة على الممشى قرب الحمام الرئيسي، ربما كانت مناسبة للغرض. فيها بابٌ واحد بمفاصل، ليس منزلقاً. بالرغم من أن الباب الآن غير مقفل، لكنه يحمل قفلاً مركباً بمفتاح، ربما هناك خزانة حديدية مخبأة داخل الجدار هناك لأن الراحلة هانافن كانت تملك مجموعة قيمة من المجوهرات. هناك أيضاً قفل مخفي

داخل الخزانة، لكن لا توجد صامولة إبهامية يمكن تحريكها على هذا الجانب أو ذاك. ثم رأيت كرسياً مرتفعاً يتيح لها الوصول إلى الرفوف العالية بكل سهولة. كان لدى هانا فن في الخزانة الكثير من الملابس التي تحمل ماركات راقية: بدلات برونييللو كوشينيللي، ربطات عنق شارفيت، أدرج مليئة ببلوزات وقمصان سانت كروا. أخفت جين المطرقة وسط بعض الثياب وكذلك المفك في جيب سترة زرقاء ذات أزرار نحاسية.

ثم أمضت عشر دقائق أخرى تفتح الأدرج في غرفٍ مختلفة، لم تكن تبحث عن شيء محدد بل كانت تتفحص المكان الذي يعيش فيه الرجل. لو غادرت المنزل من الباب الأمامي، لكان الترابس المنزلق يرجع إلى مكانه، أما القفل المركب فلن يرجع. إذا عاد هانا فن فوجد القفل غير مثبت، لا بد أن يعرف أن شخصاً كان هنا أثناء غيابه.

خرجت من باب غرفة الغسيل التي تصل بين المنزل والمرآب، تاركة القفل مفتوحاً، ربما تصور الرجل أنه نسي أن يغلقه. كان الباب الجانبي للمرآب خالياً من القفل المركب. المزلاج الصغير سوف يبقيه مغلقاً، حين اتجهت إلى الخارج وسحبته انغلق وراءها.

6

عادت مجدداً إلى المنزل المهجور المعروض للبيع، الآن كانت شمس الصباح توفر لها الغطاء المناسب للتسلل، فتحت جين الضوء في الحمام الرئيسي. مثلما يحصل في كثير من الأحيان خلال هذه الأيام، لم تتوقع رؤية الوجه الذي تراه الآن على المرأة. بعد ما واجهته في الأشهر الأربعة الماضية، أحست بالخمول والإنهاك من الخوف، والحزن، والقلق. بالرغم من أن شعرها كان أقصر من المعتاد ومصبوغاً باللون الكستنائي، لكنها بدت إلى حدٍ كبير مثلما كانت عليه قبل مواجهة هذه المواقف: امرأة في السابعة والعشرين، تتمتع بحيوية استثنائية، صافية العينين بشكل مميز. بدا لها أن خطأ ما أودى بحياة زوجها، وأجبرها على إخفاء طفلها بعد أن هددت بخطفه واغتصابه قبل قتله، ومع ذلك لا يمكن أن تلمح على وجهها أو عينيها أي إشارة على الخسارة.

من جملة أشياء أخرى، احتوت الحقيبة الكبيرة على شعر مستعار؛ شعر طويل أشقر ثبتته على رأسها، وربطته جيدًا، ومسدته، واستعملت رباطًا أزرق لربطه على شكل ذيل حصان، واعتمرت قبعة البيسبول التي لا تحمل شعارًا أو علامة بارزة، وارتدت بنطال جينز، وبلوزة، وحزام الكتف الذي تحمل فيه مسدسها قبل أن ترتدي سترتها الرياضية، وبذلك بدت على خلاف الصور التي عممتها لها وسائل الإعلام خلال الأيام القليلة الماضية.

كان في وسعها اتخاذ خطوات أخرى لإخفاء شخصيتها بشكل أفضل، لكنها لم تشأ أن تساور لورنس هانافن الشكوك أكثر هويتها.

انتظرت قرب نافذة الحمام الرئيسي. بحسب ما أشارت إليه ساعتها، سوف يعود الرجل من جولته الرياضية بعد اثنتين وخمسين دقيقة.

كانت تعرف بعض المعلومات عنه من الصحافة التي تتناقل أخبار مبيعات أعماله ومن الجمهور الذي يتابع ذلك، الرجل غير مرتبط بأي عمل آخر ويقضي معظم أوقاته في المنزل. ولكن ربما أحس بالحرارة، وأراد التخلص من رائحة العرق، لذلك سيدخل الحمام بعد ذلك. انتظرت جين عشر دقائق أخرى قبل أن تنطلق إلى منزله.

7

هانافن أرمل منذ سنة تقريبًا، لكنه لم يتعود بعد على البقاء وحده. في كثيرٍ من الأحيان حين يرجع إلى المنزل، كما يحصل الآن، وبدافع العادة يتصل بزوجه الراحلة ساكورا، وأثناء الصمت الذي يسمعه على الهاتف، يقف ساكنًا تمامًا، يصعقه غيابها. من الغريب أنه في بعض الأحيان يتساءل عما إذا كانت حقًا ميتة. كان خارج الولاية في مهمة رسمية حين حدثت أزمته التي أودت بحياتها. كان عاجزًا عن تحمل رؤيتها أثناء فترة الاحتضار والوفاة، وسمح لهم بالتالي بإحراق جثتها. ونتيجة هذا، كان بين الحين والآخر يلتفت خلفه بإحساس مفاجئ بالافتناع بأنها تمشي وراءه، متخيلًا أنها ما زالت حية وتبتسم له.

"ساكورا" باليابانية تعني "زهرة الكرز المتفتحة". هذا الاسم يناسب جمالها وإحساسها المرهف، إن لم يناسب بالذات شخصيتها وروحها...

كان رجلاً مختلفاً قبل أن تقتحم حياته. وهي امرأة حادة الذكاء، رقيقة المشاعر. تشجيعها المستمر له منحه الثقة ليؤلف الكتب التي سبق له أن أعلن عن نيته بكتابتها لكنه لم يفعل. بالنسبة إلى صحفي مثله، كان متردداً بشكل مستغرب، لكنها انتزعت مما تسميه "قوقعة السلحفاة التعيسة" وفتحت له الطريق واسعاً إلى عالمٍ من التجارب الجديدة. قبلها لم يكن يبالي بمظهره ولا بملابسه كما لا يبالي الآن بالنيذ الفاجر؛ لكنها علمته الأسلوب وهذبت شخصيته وذوقه، حتى أصبح يحرص على أن يبدو سيمًا ومتحضرًا، كي يجعلها تفتخر به حين يراه الناس معها.

بعد وفاتها، أخفى كل الصور الفوتوغرافية التي تجمعهما والتي كانت قد وضعتها في أطر فضية ورتبتها هنا وهناك في أركان المنزل. تلك الصور بقيت تطارده أينما ذهب، مثلما تطارده روحها الآن في أحلامه في أغلب الليالي.

"ساكورا، ساكورا، ساكورا" ..

كان يهمس وحده في المنزل الهادئ، قبل أن يذهب إلى الطابق الأعلى للاستحمام. كانت ساكورا عداءة مثله، وتحرص دائماً على أن يركضا معاً لكي يبقى بحالة جيدة ويتمتع باللياقة مثلها، فربما يبقيان أصحاء ويكبران حتى يصلا إلى مرحلة الشيخوخة. في البداية، بدا الركض من دون ساكورا مستحيلًا، فالذكريات مثل الأشباح تنتظره عند كل منعطف أو درب سبق لهما أن سلكاه. لكن التوقف عن ممارسة الركض يبدو مثل الخيانة. كأنها كانت موجودة هناك على كل المسارات، عاجزة عن الرجوع إلى المنزل الذي عاشا فيه.. كم من مرة تصوّر أنها تنتظره، ربما كانت تراقبه لتتأكد من صحته وحيويته وتمسكه بالنظام الذي وضعت له.

لو كان هانافن يجرؤ يوماً على التعبير عن هذه الأفكار أمام الناس في الصحافة، ربما كانوا ليطلقوا عليه مباشرة صفة المختل عقلياً - أو يقولون أشياء أسوأ من هذا من وراء ظهره - فلا مجال في قلوب معظم صحفيي اليوم لمثل هذه المشاعر ما لم تكن مرتبطة بالسياسة.

في الحمام فتح رشاش الماء الحار بقدر ما يستطيع التحمل. بسبب ساكورا، لم يعد يستعمل الصابون الاعتيادي الذي يجعل جسمه ملتهبًا، بل يستعمل غسول الجسم الذي اعتادت عليه.

"كم أنت مذهلة!..".

والشامبو "بيض وكونياك" من شركة هير ريسايبس، ومكيف الشعر من الزيوت العضوية. كل هذا يبدو تشبهاً بالنساء بحيث كان يسبب له الإحراج حين كانت ساكورا على قيد الحياة. ولكنه الآن أصبح روتين حياته اليومية، وهو يتذكر تلك الأوقات حين كانا يستحمان معاً، وفي ذهنه يسمعهما تقهقه مثل فتاة تمر بلحظات شبة.

عندما خرج من تحت رشاش الماء، وبينما كان يجفف نفسه بالمنشفة، غطت طبقة من الضباب مرآة الحمام. كان انعكاس صورته على المرآة مشوشاً ولسبب ما مُقلَقاً، كأنما الغموض يرافق كل حركة من حركاته، إذا تكشّف الضباب بالكامل، ربما لا يكتشف أنه هو نفسه موجود هنا، بل هي صورة كائنٍ أقل درجة من البشر ينتمي إلى عالمٍ من زجاج. إذا مسح المرآة ستُصدر صريراً. ترك تيار البخار يتبدد ومشى عارياً إلى غرفة النوم.

وجد امرأة ذات ملامح غريبة تجلس على أحد الكرسيين الموجودين هناك. بالرغم من أنها ترتدي سترة سميكة وبنطلون الجينز وبلوزة خفيفة بحيث أوحى ثيابها أنها لا تناسب الموضة الرائجة، لكنها بدت إليه كما لو أنها خرجت للتو من إحدى صفحات مجلة فوغ. منظرها جذاب مثل ممثلة دعاية عطر الأفيون الأسود، غير أن بشرتها شقراء وليست سمراء.

صعقته الصدمة فوق مذهولاً للحظة، يكاد يكون على ثقة من حدوث خلل في دماغه، وأنه يرى كابوساً.

أشارت المرأة إلى ثوبٍ فضفاض كانت قد أخرجته من خزانة ملابسه ووضعتة على السرير.

قالت: "البس هذا واجلس. يجب أن نتكلم".

8

انتهت كورا غنדרسن من تناول آخر شريحة من اللحم، أحست بالذهول لأنها أكلت قرابة رطل من اللحم، باستثناء بعض الشرائح التي أعطتها للكلب. لا بد أن تشعر بالإحراج من هذه الشراهة، التي ربما تسبب لها الألم والمرض، ولكنها لم تشعر بشيء من هذا. في الواقع، بدا ذلك الإفراط بالأكل مبرراً في نظرها، مع أنها تجهل السبب.

في العادة، حين تنتهي من الأكل، تغسل الأطباق والأدوات فورًا وتجففها وتوزعها في أماكنها. لكنها الآن أحست بأن التنظيف سوف يكون هدرًا للوقت. تركت طبقها والأدوات الملوثة على الطاولة، وتجاهلت المقلاة المغطاة بالدهون على الموقد.

بينما كانت تلعق أصابعها، انتهت إلى مفكرة كانت في وقت سابق تكتب فيها كثيرًا. لكنها طوال حياتها لا تتذكر ماذا كان آخر مدخل كتبه فيها. أحست بالارتباك فدفعت الطبق جانبًا ووضعت المفكرة أمامها، لكنها ترددت في فتحها.

حين تخرجت من الكلية، منذ عشرين سنة تقريبًا، كانت تأمل أن تصبح كاتبة ناجحة، أو ربما روائية جادة لها أهميتها. ولكن في المقابل، اتضح أن تلك الطموحات العظيمة مجرد عبث صياني. في بعض الأحيان تبدو الحياة ماكينة مصممة لسحق الأحلام بقسوة مثلما تفعل الآلات الهيدروليكية الجبارة في باحات تجميع الخرقة فتسحق كتل السيارات وتحولها إلى مكعبات مضغوطة. أيًا يكن الأمر كانت بحاجة إلى سبيل لكسب الرزق، وما إن عملت بالتدريس حتى أخذت رغبته بالنشر تخبو سنة بعد أخرى.

الآن، مع أنها لا تتذكر ما كتبه مؤخرًا في مفكرتها، لم يعد انحسارُ ذاكرتها يسبب لها القلق، لم يثر مخاوفها ظهور الأعراض الأولى للزهايمر. بدل ذلك، كانت تميل للإصغاء إلى صوتٍ خافت يوحى لها بأنها ستُحبط بنوعية ما تكتبه من الأشياء. لقد أصبحت البقعة الفارغة في ذاكرتها أكثر من عرضٍ زائل في حياة كاتبة متوقدة الذهن تدعى كورا غندرسن تسعى لأن تتخلص من الحزن والاعتراف الذي تضطر إليه أحيانًا فتقول لنفسها إن كتاباتها ربما تفتقر إلى روح الأصالة والإتقان.

أخيرًا دفعت المفكرة جانبًا في ضجر دون أن تقلب صفحاتها.

نظرت إلى دكسي بيلي الجالس إلى جوار طاولة الطعام، بينما كان الكلب الألماني ينظر إلى سيدته بعينين متباينتي اللون بين الأزرق الفاتح والبني الغامق اللتين تزينان وجهه الناعم الأشقر.

الكلاب عمومًا، وليس فقط دكسي الطيب، تنظر إلى الأشخاص الذين يربونها باهتمام وشغف محبب ملون بالإشفاق الرقيق، كأنها تعرف مخاوف البشر الشخصية وطموحاتهم وحقيقة الأمور التي تشغلهم، أو كأنها تتنمى لو تتمكن من الكلام من أجل توفير شيءٍ من الراحة لهم بمشاركتهم همومهم.

هذا ما بدا في عيني دكسي وهو ينظر إلى كورا، وقد أثر ذلك تأثيرًا عميقًا فيها. الحزن من دون سبب يدهمها، مثلما يفعل الإحساس بالذعر من حالتها الذهنية الراهنة التي تعرف أبعادها حق المعرفة. مدت يدها لتربت على رأس الكلب، وحين لعق يدها، تشوشت الرؤية في عينيها واختلطت بالدموع.

خاطبت نفسها قائلة: "ماذا دهاك، أيتها الجميلة؟ لا بد من وجود خلل ما". أخبرها الصوت الخافت في داخلها بضرورة أن تتحلى بالهدوء، أن لا تقلق، أن تهيم نفسها لليوم الحافل الذي ينتظرها.

جففت دموعها.

أشارت الساعة الرقمية بضوئها الأخضر إلى 10:31 صباحًا.

أي أن لديها ساعة ونصف الساعة قبل أن تستقل سيارتها وتذهب إلى البلدة. هذا الانتظار للوقت المحدد جعلها عصبية بشكل غير مبرر، كان عليها أن تشغل نفسها على نحو ما من أجل تفادي التفكير في... ماذا؟

ارتعشت يدها وهي تفتح المفكرة على صفحة جديدة وتلتقط القلم، غير أن الارتعاش سرعان ما انحسر ما إن بدأت بالكتابة، وكأنها في غيبوبة، بدأت كورا تكتب سطرًا تلو الآخر من الكلمات المرتبة بأناقة، ولم تنظر إلى الكلمات التي كتبتها آخر مرة، ولم تهتم بما ستكتبه لاحقًا، بل كانت تملأ الفراغ فقط لتتماسك أعصابها.

وقف دكسي على قائمته الخلفيتين، وتشبث بمخالب قائمته الأماميتين على مقعد الكرسي الذي تجلس عليه كورا، وأصدر أنينًا خافتًا ليلفت انتباهها.

قالت كورا مخاطبة الكلب:

"اهدأ... اهدأ، لا تقلق. يجب أن تهيم نفسك لليوم الحافل المنتظر".

9

تحولت صدمة لورنس هانافن إلى إحساس بالخجل والإحراج بسبب عريه، وحاول التقاط المنشفة من الحمام. لف نفسه بالمنشفة، ثم استرد ما يكفي من رباطة الجأش ليستوعب ما يجري حوله. وقال: "من أنت بحق الجحيم؟" هنا جاءه صوت جين قويًا لكنه خالٍ من التهديد: "اهدأ رجاءً، واجلس".

إنه رجل يجيد ضبط أعصابه، وسرعان ما استجمع ثقته بالنفس: "كيف دخلت إلى هنا؟ هذا تجاوز على حقوق الملكية وعملية اقتحام".
قالت مصححة كلامه: "اقتحام إجرامي".
أبعدت سترتها قليلاً، كاشفة عن حزام المسدس أسفل إبطها: "اجلس، سيد هانافن".

بعد تردد لبعض الوقت، خطا خطوة نحو الكرسي الآخر في الغرفة.
طلبت منه أن يجلس على السرير لأنها لم ترده أن يجلس قريباً منها: "على السرير".
لمحت نظرات باردة خبيثة في عينيه الخضراوين، ربما فكر في مهاجمتها، لكن بدا أنه فضل ألا يتهوّر. أخيراً جلس على حافة السرير..

"ما من نقود في المنزل".

"هل أبدو لك سارقة؟".

"لا أعرف من تكونين".

"لكنك تعرفني بالفعل".

عبس قبل أن يقول: "لم يسبق لنا أن التقينا".

خلعت قبعة البيسبول وانتظرت..

بعد لحظات، أصبحت عيناه أكثر اتساعاً وهو يقول: "أنت من مكتب التحقيقات الفدرالي، أو كنت كذلك. العميلة الحمراء التي يطاردها الجميع. جين هوك".
سألته: "ما رأيك بهذا؟".
"بماذا؟".

"كل هذا الهراء الذي يُقال عني في التلفزيون والصحافة".

حتى في ظل الظرف الراهن الصعب الذي وجد نفسه فيه تصرف مثل صحفي معتاد على طرح الأسئلة: "كيف تريد أن يكون رأيي؟".
"هل تصدق ما يُقال؟".

"إذا كنتُ لا أصدق ما أراه في الأخبار، لن أكون صحفياً، بل غيبياً".

"أعتقد حقاً أنني قتلت رجلين في الأسبوع الماضي؟ رجل الأعمال الحقير الذي يعمل في الإنترنت المظلم وذلك المحامي البارع من بيفرلي هيلز؟".

"بما أنك تنفين قتلك لهما، فعليّ أن أُصدقك إن أفنعتني".
قالت: "أنا لا أنفي قتلي لهما، حتى أنني قتلت شخصًا ثالثًا لأخلصه من معاناته، القتل الثالث يدعى ناان سيلفرمان، رئيس القسم الذي أعمل فيه في مكتب التحقيقات، كان صديقًا طيبًا وناصحًا أمينًا، لكنك لم تسمع بهذا. إنهم لا يريدون نشر الخبر".

"من هم الذين لا يريدون؟".
"بعض الناس في مكتب التحقيقات. أو في وزارة العدل. لديّ فكرة مقال، مقال سيكون مهمًا".

بدت عيناه وكأنهما صفحتان لا يمكن قراءتهما، ويمكن تشبيههما أيضًا بعيني راهب بوذي منهك. بعد فترة صمت وتأمل، قال: "سوف آتي بقلم وورقة، وتخبريني بما لديك".

"ابق مكانك. ستتكلم عن هذا لاحقًا، وعندها ربما تُحضر قلمًا وورقة".
لم يكن قد جفف جسمه أو شعره تمامًا. كانت قطرات الماء تنسال نحو حاجبيه وجذعه. فكرت أهي قطرات ماء أم عرق؟

واجه نظراتها الحادة وبعد فترة صمتٍ أخرى قال: "لماذا اخترتني أنا؟".
"لا أثق بالكثير من صحفيي اليوم. ربما منحتُ ثقتي للقليلين منهم وخاصة أولئك الذين ينتمون إلى الجيل الجديد. الصحفيون الكبار الذين أثق بهم أغلبهم موتى الآن. لكنك لم تمت بعد".

"المؤهلات الوحيدة التي لدي أنني بقيتُ على قيد الحياة؟".
"أنت كتبت شيئًا عن ديفيد جيمس مايكل".
"ملياردير السيليكون فالي".

لقد ورث ديفيد جيمس مايكل المليارات، ولم يحصل على ثروته بالأساس من السيليكون فالي. وفي وقتٍ لاحق كسب مليارات أخرى في مجال المعلومات، والتقنيات الإحيائية، كان يستثمر في كل شيء تقريبًا.
قالت: "كان المقال الذي كتبه عنه منصفًا".
"أحاول دائمًا أن أكون منصفًا".

"لكنه تضمّن بعض الانتقادات اللاذعة".

هزّ كتفيه استهجاناً.

"إنه رجلٌ مُحسن، تقدمي، واقعي، ذكي وجذاب، لكنني لم أحبه يوماً. لم أتمكن من الحصول على شيء ضده، ولا يوجد سبب يدعوني لأن أشك في أنه ليس الشخصية التي يظهر بها. لكن المراسل الصحفي الحاذق لديه... حسّ البديهة".

قالت: "ديفيد جيمس مايكل استثمر أيضاً في مؤسسة مينلو بارك للبحوث، وشينيك للتكنولوجيا. ثم أصبح هو وبريتولد شينيك شريكين في مشروع تقنيات إحيائية يسمونه فار هورايزونز".

انتظر هانافن أن تتابع كلامها، ولما بقيت صامتة، قال: "شينيك وزوجته إنغا ماتا في حريقٍ نشب في منزل مزرعتهما في وادي نابا يوم الأحد".

"لا. بل ماتا بعد أن أطلق عليهما الرصاص، الحريق مجرد تمويه للقصة الحقيقية".

بصرف النظر عن مدى إعجابه بنفسه، فكل إنسان لا بد أن تكون لديه بعض المخاوف، مثل الأشياء التي يخاف أن يقولها لآعب البوكر، لأنها ربما تكشف حقيقة تلهفه إلى ورقة رابحة: غمزة بإحدى العينين، نبضة مفاجئة غير مرئية في الجذع، مصّ الشفتين بصورة متكررة، هذا الشيء أو ذاك. هانافن ليس عنده مثل هذه العلامات التي بالإمكان تعقبها.

قال: "هل قتلتها أيضاً؟".

"لا. لكنهما كانا يستحقان الموت".

"إذن فأنت القاضي والجلاد؟".

"لا يمكن أن أبيع نفسي مثلما يفعل بعض القضاة أو أن أخدع هيئة المحلفين. على أي حال، بريتولد شينيك وزوجته قُتلا بسبب مشروع فار هورايزونز، وهذا يعني أن ذلك الرجل الجذاب الساحر ديفيد جيمس مايكل لم يعد بحاجة إليهما".

بقي لحظة يبحث في عينيها، كأنما كان بوسعه قراءة الحقيقة ضمن إطار حدقتها الزرقاوين. وفجأة نهض واقفاً على قدميه.

"اللعنة، أحتاج إلى قلم وورقة".

سحبت جين المسدس من تحت سترتها: "قلتُ لك اجلس".
لكنه بقي واقفاً.

"لا يمكنني ترك كل هذا للذاكرة".

قالت: "أنا لا أثق بك، ليس بعد. اجلس".

جلس بتردد. لم يبدو عليه الخوف من المسدس، ولكن قطرات العرق كانت تقطر
من وجهه، ربما لم تكن قطرات عرق بل ماء من شعره المبلل.

قالت: "أنت تعرف ما الذي جرى لزوجي؟".

"كل شيء نُشر في الأخبار والصحف. كان من المارينز الذين حصلوا على أوسمة
رفيعة. انتحر منذ أربعة أشهر تقريباً".

"لا. بل قتلوه".

"من قتله؟".

"بريتولد شينيك، ديفيد جيمس مايكل، كل الأوغاد المرتبطين بمشروع فار
هورايزونز. هل تعرف آليات النانو؟".

هذا التغيير في الموضوع أربك هانافن.

"تكنولوجيا النانو؟ آلات ميكروسكوبية مصنوعة فقط من القليل من الجزيئات.

بعض التطبيقات مستمدة من العالم الواقعي، ومعظمها من الخيال العلمي".

قالت مصححة له: "بل هي حقائق علمية. بريتولد شينيك طوّر بعض تطبيقات

آليات النانو التي تحقن عبر مجرى الدم على شكل مصل؛ مئات الآلاف من المركبات

الصغيرة بشكل لا يمكن أن يُصدّق تتخذ مساراً في الدماغ. تتجمع من تلقاء ذاتها في

شبكة أكبر حين تعبر الجدران الشعرية مخترقة نسيج الدماغ".

"شبكة أكبر؟!".

تجعّد حاجباه من الشكوك التي ساورتها، وتغصّنت زوايا عينيه..

"أي شبكة؟".

"إنها آلية للتحكّم".

اعتقد لورنس هانافن أن جين مذعورة من فكرة استعمال قبة رقائق الألمنيوم بأنواعها المختلفة لحماية دماغها من تهديد الإشعاعات الكهرومغناطيسية، لكنه لم يُفصح عن ذلك. جلس على حافة السرير، محاولاً أن يبدو رابط الجأش في ثوب الحمام المصنوع من القטיפه، حافي القدمين، ويده تسترخيان على فخذه. كان يصغي باهتمام.

قالت: "المعدل التاريخي لحالات الانتحار في الولايات المتحدة اثنتا عشرة حالة لكل مئة ألف. في السنة الماضية ارتفع المعدل إلى خمس عشرة حالة لكل مئة ألف".
 "على افتراض أنك محقة وأن المعدلات ترتفع.. ماذا يعني هذا؟ إنها أوقات صعبة يعيشها الكثير من الناس. تدهور اقتصادي وفوضى اجتماعية".

"باستثناء أن الزيادة تتضمن رجالاً ونساء ناجحين في حياتهم، أغلبهم يعيشون حياة زوجية سعيدة، ولا يوجد تاريخ للمعاناة من الاكتئاب. عسكريون... مثل نك، زوجي. صحفيون، علماء، أطباء، محامون، ضباط شرطة، مدرسون، رجال اقتصاد. هؤلاء المعتلون الاجتماعيون يزرعون في أدمغة الناس نموذجهم الحاسوبي الذي يدفع الحضارة في الاتجاه الخاطيء".

"نموذج حاسوبي خاص بمن؟"

"نموذج شينيك وديفيد جيمس مايكل. نموذج مشروع فار هورايزونز. بعض الأوغاد في الحكومة في تحالف قوي معهم، مع نموذجهم الحاسوبي".
 "يزرعون.. كيف؟".

"ألا تصغي لي الآن؟". سألته، وكان هدوؤها المستمد من خبرتها الطويلة في مكتب التحقيقات يدوي تدريجيًا.

"آليات التحكم في تطبيقات النانو التي تُزرع في الدماغ وتتجمع ذاتيًا. إنهم يحققونهم...".

قاطعها قائلاً: "لماذا يمكن لأي إنسان الخضوع لمثل هذه الحقن؟".

بدا عليها الغضب نوعاً ما، نهضت من كرسيها، ابتعدت عن هانافن، وقفت تنظر إليه عميقاً، والمسدس مصوب نحو الأرضية باتجاه قدميه. قالت: "بطبيعة الحال، هم

لا يعرفون أنهم يتعرضون للحقن. بطريقة أو أخرى، يُخدّرون أولاً. ثم يُحقنون أثناء النوم. في المؤتمرات التي يحضرونها. حين يسافرون بعيداً عن الوطن، يكونون وحدهم ومعرضين للخطر. آلية التحكّم تتجمع في الدماغ خلال بضع ساعات بعد الحقن، وبعد ذلك، ينسون كل شيء عما حدث".

كان هانافن مشوش الذهن بسبب الارتباك والغموض، بدت له عرافة تنظر إلى جدار كُتب عليه بأحرف هيروغليفية في قبر أحد الفراعنة، حدق إليها وكأنها عرافة تنبأ بمصير البشرية الذي طالما كانت تتوقعه، أو أنها معتوهة تخطئ في تفسير أحلام الحمى فتراها حقيقة؛ لم يكن في وسعه معرفة أي الأمرين صحيح. ربما كان يحلل ما تقوله، أو ما يدور في ذهنه حولها. أو ربما كان يفكر في أخذ المسدس الذي في درج طاولة قرب السرير، والذي رآته خلال زيارتها الأولى إلى المنزل.

أخيراً قال: "حسناً هؤلاء الأشخاص الذين يُحقنون... يجري التحكّم بهم عن بعد؟ تقصدين أنهم مثل الروبوتات أو الزومبي؟".

لم يتمكن من إخفاء نبرة الشك في صوته.

قالت بضجر: "الأمر ليس بهذا الوضوح، لأنهم لا يعرفون أنه يجري التحكّم بهم. ولكن بعد أسابيع، أو ربما شهور، يتلقون الأوامر بالانتحار، ولا يمكنهم المقاومة. بإمكانني تقديم آلاف الأدلة التي تدعم هذا الافتراض؛ رسائل انتحار تكتب بلغة غريبة، أدلة على أن المدعين العامين في ولايتين على الأقل يتآمرون للتغطية على ما يجري. لقد تكلمت مع طبيبة شرعية سبق لها أن شاهدت شبكة من آلية النانو تخترق أربعة فصوص في دماغ إحداهن أثناء التشريح".

كانت لديها معلومات غزيرة لتقلها، لكنها أرادت أن تكسب ثقة هانافن أولاً. عندما كانت تتكلم بسرعة، بدت أقل قدرة على الإقناع. بدت له وكأنها على حافة الهذيان. ثم أرادت أن تبعد المسدس عنه، لكنها رفضت الفكرة. إنه رجل ضخّم ويتمتع باللياقة البدنية العالية. بإمكانها التعامل معه عند الضرورة، لكن لا يوجد سبب لمنحه فرصة الآن إذا كان هناك احتمال واحد بالألف بأن يستغلها.

استنشقت الهواء بعمق، وتكلمت بهدوء: "نموذجهم الحاسوبي يحدد رقمًا حاسمًا للأميركيين في كل جيل ممن يفترض أنهم يقودون الحضارة في الطريق الخاطيء،

ويدفعونها إلى حافة الهاوية وفقاً لأفكارهم الخطرة".

"هذا النموذج يمكن أن يصمم لإعطاء أي نتيجة يريدونها".

"لا. لكنه يعطيهم تبريرات ذاتية. هذا الرقم الحاسم الذي يقدم هو عشرة آلاف ومئتان. يقولون إن الجيل خمس وعشرون سنة، إذن الحاسوب يقول بوجود التخلص من ثمانية آلاف وأربعمئة شخصية كل سنة وسوف نحصل على عالم مثالي، كله سلام وانسجام".

"هذا غير منطقي".

"ألم تلاحظ؟ غير المنطقي هو المعيار الجديد".

"يسعون إلى القضاء على الأفكار الخاطئة؟ وما هي الأفكار الخاطئة في نظرهم؟".

"إنهم غير محددين بشأن ذلك. فقط يعرفونها إذا وجدوها".

"يقتلون الناس لإنقاذ العالم؟".

"لقد قتلوا الكثير من الناس بالفعل، الكثير منهم. إنهم يمارسون القتل - كما يقولون - لإنقاذ العالم، لماذا يصعب تصديق هذا؟ الأمر قديمٌ في التاريخ".

ربما كان يحتاج للتحرك من مكانه لاستيعاب تلك الفكرة الغربية، أن يتعامل مع الصدمة التي تلقاها. نهض على قدميه مرة أخرى، ليس بقصدٍ عدواني واضح، لم يتجه مباشرة إلى الدرج الذي فيه المسدس. تحركت جين ببطء إلى مكانٍ قريب من باب الغرفة بينما كان يتعد عنها باتجاه نافذة قريبة. وقف ينظر إلى الأسفل باتجاه الشارع المجاور، وكان يمسك ذقنه بإحدى يديه، كما لو أنه استيقظ تَوًّا ويشعر بأثار النعاس عالقة على وجهه كالقناع.

قال: "يبدو أن اسمك أصبح متداولاً جداً على موقع المركز الوطني لمعلومات الجريمة. هناك صور كثيرة لك، ومذكرة اعتقال فدرالية بحقك. يقولون إنك تشكيلين تهديداً للأمن القومي، تسرقين الأسرار المتعلقة بالدفاع".

"إنهم يكذبون. تريد مقال القرن أم لا؟".

"كل مركز للشرطة في البلاد يستعين ببيانات المركز الوطني لمعلومات الجريمة".

"لست بحاجة لأن تخبرني بأني في موقف حرج".

"لا أحد يمكنه الفرار من مكتب التحقيقات الفدرالي طويلاً، أو من الأمن الداخلي. ليس في هذه الأيام، وليس مع وجود الكاميرات في كل مكان والطائرات المسيرة، فهم يعرفون موقع كل سيارة من خلال تتبع جهاز تحديد الموقع عبر الأقمار الاصطناعية".

"أعرف كل هذه الأشياء وأكثر".

تحوّل من النافذة لينظر إليها: "إنك تقفين بمواجهة العالم، كل هذا من أجل الأخذ بثأر زوجك؟".

"هذا ليس ثأراً. الأمر يتعلق بتنظيف سمعته".

"هل تعرفين الفارق بين هذا وذاك؟ هناك طفل مرتبط بالقضية؛ ابنك ترافيس، ليس هذا اسمه؟ كم عمره؟ خمسة أعوام؟ لن أتورط في أي قضية تعرّض ذلك الطفل للمخاطرة".

"إنه يتعرض للمخاطر الآن، هانا فن. يريدون مني التوقف عن التحقيق بموت نك وعمليات الانتحار هذه. الأوغاد هددوا بخطف ترافيس واغتصابه قبل قتله، لذلك هربنا معاً".

"هل هو في أمان الآن؟".

"إنه في أمان مؤقتاً، إنه بين أيادي أمينة. لكن لكي أجعله بأمان إلى الأبد، يجب أن أفكك خيوط هذه المؤامرة وأفضحها. إنني أملك الدليل من ملفات شينيك، التي تتكرر فيها خطط عمليات زرع الدماغ، وآليات التحكم. هناك تسجيلات لتجاربه، وكبسولات تحتوي على آليات، وتطبيقات جاهزة للحقن. لكنني لا أعرف شخصاً يمكنني الوثوق به في مكتب التحقيقات، أو في الشرطة، أو في أي مكان. أحتاج إلى تفكيك المؤامرة، ولديّ الدليل. لكنني لا أجرؤ على إعلانه للناس الذين ربما يسرقونه مني ويدمرونه".

"أنت الآن فارة من العدالة، إن تعاونت معك بدلاً من أن أسلمك، سأعد شريكاً معك في الجريمة".

"أنت تتمتع بحصانة صحافية".

"لن أتمتع بهذا الحصانة، إن تبين أن ما تقولينه مجرد أو هام وكذب".

لقد جعل التعب وجهها متغضناً وصوتها خشناً: "إنهم لا يستخدمون فقط حقن النانو لتصفية الأشخاص الذين لا يريدونهم. لديهم استخدامات أخرى يمكن أن تجعلك تمتعض إذا عرضتها عليك. إنها من الوسائل المرعبة التي تثير الاشمئزاز. الأمر يتعلق بالحرية، هانافن، حريتك بقدر ما هي حريتي. الأمر يتعلق بالمستقبل، بالأمل أو العبودية". تحول اهتمامه من النظر إلى وجهها وأخذ ينظر إلى الشارع من النافذة ووقف متأملاً بصمت.

قالت: "أعتقد أنني رأيت علامة الذكورة عليك حين خرجت من الحمام. ربما هي مجرد ديكور".

كانت يدها منقبضتين عند خصره، ربما كان يحاول كبح جماح غضبه أو توجيه لكمة إليها... أو أنه محبط من العجز عن أن يكون ذلك الصحفي الجسور الذي كان عليه في شبابه.

أخرجت كاتم الصوت من حزام كتفها وركبته على المسدس. "ابتعد عن النافذة". وعندما لم يتحرك قالت: "الآن". هددته بالمسدس الذي كانت تمسكه بيديها معاً. أقنعه صوتها وكاتم الصوت على التحرك أخيراً. قالت: "ادخل الخزانة".

تحول لون وجهه المتورد إلى شاحب: "ماذا تقصدين؟". "اهدأ. سأمنحك فقط وقتاً للتفكير". "بل تريدني قتلي".

"لا تكن غيباً. سأغلق عليك الخزانة، وأتركك تفكر بما قلته لك". قبل أن يستحم، كان قد ترك محفظته ومفاتيح المنزل على طاولة قرب السرير. الآن المفتاح، بميدالية بلاستيكية حمراء، كان في قفل الخزانة.

تردد هانافن في تنفيذ ما طلبته منه، فقالت: "ليس لديك خيار آخر. اذهب إلى مؤخرة الخزانة واجلس".

"إلى متى سوف أبقى هناك؟". "سوف تجد مطرقة ومفكاً أخفيتهما هناك. يمكنك استخدامهما في معالجة البراغي من مفاصلها، ثم تفتح الباب. ربما سوف تتمكن من الخروج خلال خمس عشرة أو عشرين

دقيقة. لن أسمح لك بمشاهدتي وأنا أخرج من المنزل فترى السيارة التي أتيت فيها".
بعد أن أحسّ بالارتياح لأن الخزانة لن تكون تابوتًا له، دخلها وجلس فيها وهو
يقول: "هل توجد حقًا مطرقة ومفك هنا؟".

"نعم. أنا آسفة لأنني مضطرة للتعامل معك بهذه الطريقة، لكنني أعاني من التوتر في
هذه الأيام. اللعنة على أي شخص يريد أن يتصدى لي. الساعة الآن التاسعة إلا ربع.
سأتصل بك ظهرًا، وآمل أن تقرر مساعدتي. لكن إذا كنت غير مستعد لتفكيك قصة من
شأنها أن تأتي بجحافل الشياطين ضدك، أخبرني بهذا وابتعد عن القضية كلها. لا أريد أن
أربط نفسي بشخص لا يستطيع قطع هذا المشوار معي".

لم تمنحه فرصة للإجابة، أغلقت الباب، أقفلته، وتركت المفتاح في الثقب.
سمعته وهو ينقب في الخزانة بحثًا عن المطرقة والمفك.

أخفت المسدس وكاتم الصوت واحدًا بعد الآخر، وأخذت حقيبتها، وأسرعت
في نزول السلالم. في طريقها إلى الخارج، أغلقت الباب الأمامي بقوة حتى يتمكن من
سماع ذلك.

بعد ليلة كانت تضيئها النجوم الساطعة وسماء الفجر الرقراقة، كانت القبة الزرقاء
فوق وادي سان غابرييل تستسلم لجحافل غيوم ركامية شاهقة الارتفاع تأتي من الشمال
الغربي، في طريقها إلى لوس أنجلوس. وسط الأغصان والأوراق المتشابكة لأشجار
الغار الهندية القريبة، كانت العصافير تأوي إلى أعشاشها، تصدر عنها ارتعاشات
وأصوات وتغريدات، يُحدّر بعضها بعضًا، بأن الغربان ما زالت تحوم في السماء، مبشرة
بأصواتها الخشنة بقدوم العاصفة.

11

على بعد أكثر من ستمئة ميل جوي عن لوس أنجلوس، في مينيسوتا، كانت الساعة
الرقمية على موقد كورا غندرسن تشير إلى الحادية عشرة ودقيقتين حين أغلقت
مفكرتها. لم تكن أقل حيرة بعد جولتها الأخيرة هذه في الكتابة مما كانت عليه خلال
الجلسة التي سبقتها. لم تكن تعرف ما الكلمات التي سطرته على تلك الصفحات، أو
لماذا تشعر بأنها مجبرة على كتابتها، أو لماذا لا تجرؤ على قراءتها.

مع ذلك، كان هناك صوت خافت في داخلها يدعوها إلى التروي والهدوء. سيكون كل شيء على ما يُرام، فقد مرّ يومان من دون أن تشعر بصداع الشقيقة. في مثل هذا الوقت من الأسبوع القادم، ربما تعود إلى تلاميذ الصف السادس الذين تعلمهم والذين أحببتهم وكأنهم أولادها.

حان الوقت الآن لدكسي ببلي أن يقوم بجولته الصباحية، ومرة أخرى يتبرّز خلال النهار. في ما يتعلق بشرائح اللحم التي أعطيت إليه في وقت سابق، فقد تلقى الكلب قطعتين صغيرتين بحجم العملة المعدنية بدلاً من أربع قطع كالمعتاد. بدا أنه صار يفهم هذا النمط من تقنين الحصص الغذائية. لم يتوسل من أجل المزيد أو يتذمر، وإنما كان يذرع أرض المطبخ باتجاه الباب الخلفي، ومخالفة تنقر مشمع الأرضية.

بينما كانت ترتجف في معطفها، قالت كورا: "بحق السماء، دكسي، انظر إليّ، ما زلت بالبيجاما والصباح أوشك أن ينتهي. إذا لم أرجع إلى التدريس سريعاً، سأصبح مشردة بلا أمل."

لم يكن الطقس دافئاً منذ الفجر. السماء الملبدة بالغيوم الثلجية التي تتدلى على ارتفاع منخفض بسكون، لا تقدم أي دليل على العاصفة المتوقعة باستثناء الحد الأدنى من الندف البيضاء التي تتناثر ببطء في الهواء البارد.

بعد أن تبوّأ دكسي، عاد بسرعة إلى المنزل، ولكنه وقف ينظر باهتمام إلى كورا التي تطل من الشرفة. هذا النوع من الكلاب لا يحتاج إلى الكثير من التدريب، ودكسي على وجه التحديد لا يجذب الزهات الطويلة بل الجولات القصيرة بين فترات متباعدة ليس بعيداً عن المنزل. باستثناء جولته الأولى في الباحة صباحاً، كان الكلب دائماً يسرع إلى الداخل بعد انتهاء سيدته من العمل. في هذه المناسبة، الكلب يحتاج إلى الملاحظة، فيرجع على وجل، كأنه غير واثق من أن سيدته هي نفسها، أو كأنما سيدته والمنزل يدوان غريبين عليه. بعد دقائق، بعد أن استحمّت كورا، ولفت شعرها بالمنشفة، لم تكن ثمة حاجة لاستعمال مجفف الشعر والفرشاة. كانت خصلات شعرها تقاوم التصفيف. لم تكن تخدعها الأوهام بشأن مظهرها، ومنذ مدة طويلة تقبلت حقيقة أنها لن تجعل المعجبين يلتفتون إليها. كانت تتقبل شكلها البسيط الذي يثير من الإعجاب أكثر مما يعتبر ضرورياً إليها كامرأة ليست تعيسة الحظ تماماً.

بالرغم من أن ذلك لا يتلاءم مع الموضة السائدة، لكنها لبست ثوبًا أبيض من الحرير الصناعي بكُمّين قصيرين، وصدريّة لا تبدو مناسبة لقياسها، ذات فتحة عنق مستديرة عريضة، وتنورة بطيّات حادة إلى مستوى الردفين. من بين كل الأثواب التي لديها، كان هذا الثوب أكثر ما يشعرها بالرضى عندما ترتديه، وتعتقد أنها جميلة. ولأن الحذاء العالي الكعب لم يكن يروق لها، انتعلت حذاءً رياضيًا.

بعد انتعال الحذاء، أدركت أنه غير مناسب لها لأنها رأت نفسها تنتعله في الحلم الذي كانت تمشي فيه على النار، ذلك الحلم الذي عاودها الليلة الماضية ولليلة الخامسة على التوالي. إضافة إلى الإحساس بأنها تبدو جميلة إلى حدٍ ما، شعرت بالقوة والاقترار وهذا ما جعل الحلم يبدو باعثًا للبهجة.

في العادة، يستلقي دكسي يبلي على السرير لمراقبة سيدته وهي ترتدي ملابسها، لكنه هذه المرة اختفى تحت السرير، ولم يظهر منه شيء من تحت المفروش المبطن سوى رأسه وأذنيه الطويلتين.

قالت كورا مخاطبة كلبها: "يا لك من حيوانٍ مثير للضحك، دكسي! إنك تتصرف في بعض الأحيان بشكل سخيف".

12

عند الساعة التاسعة، هناك شيء من الخطورة بقيام سمسار عقارات بمرافقة الزبائن المحتملين في جولة لاستكشاف المنزل الفارغ. لكن في يوم دوام عادي من الأسبوع مثل هذا اليوم، يخطط أغلب المشترين الذين يعملون في الدوائر الرسمية لموعد بعد الخامسة.

على أي حال، إذا ظهر أي سمسار عقارات برفقة أي زبون محتمل، فلن تحتاج جين لأن تسحب المسدس عليهما. هناك ممر يؤدي إلى غرفة علوية في سقف المنزل بالقرب من غرفة النوم الرئيسية، وسلم قابل للطّي، سحبتة الآن تحسبًا لأي طارئ أو دخيل. لدى سماع أي صوت يأتي من الأسفل، يمكنها التراجع إلى المملكة العليا التي تسكنها العناكب وأحواض الأسماك الفضية، وتسحب السلم القابل للطّي إلى الأعلى خلفها.

في غرفة النوم مرة أخرى، أخذت جهاز الاستقبال من الحقيبة وربطته بمقبس كهرباء تحت النافذة التي سبق لها أن راقبت منها منزل هانافن. هذا الجهاز الخاص يحتوي مضخماً ومسجلاً، ويعمل خارج نطاق الموجة التجارية التي تستخدمها محطات الإذاعة في عملها، وهو مضبوط مسبقاً على نطاق غير مستخدم على القرص المدمج يتناسب مع الموجة الحاملة التي تصدرها المرسلات التي أخفتها داخل هواتف هانافن.

لن تستعمل جين هذا الجهاز إلا عندما يستعمل الصحفي أحد هواتفه الأرضية للاتصال بجهةٍ ما. إذا أراد الاتصال بأي شخص آخر قبل أن تتكلم معه ظهرًا، فمن المحتمل جدًا أن يلجأ إلى هاتفه الذكي. معظم الناس يعتقدون أن اتصالات الهواتف الخلوية صعبة التعقب. هناك شيء من الحقيقة في اعتقادهم هذا، لكن ليس في كل الظروف وخصوصًا إذا قام الشخص المراقب بالتحضيرات المناسبة.

أخرجت جين من حقيبتها أيضًا هاتفًا خلويًا رخيصًا مؤقت الاستعمال، وهو واحد من ثلاثة هواتف تملكها حاليًا، اشترتها قبل أسابيع من أحد المتاجر الكبيرة. هناك صفارة إلكترونية مبرمجة بحجم خرطوشة البندقية تقزيبًا قادرة على إعادة إصدار أي شيفرة صوتية، مربوطة بجانب ميكرفون الهاتف.

بعد إزاحة الستارة بمقدار ست بوصات، أصبح لديها مجال لرؤية منزل هانافن، أدخلت رقم الهاتف الأرضي للصحفي في هاتفها الخلوي. ضغطت زر الإرسال وبعد لحظات تعقبت صوت الصفارة الإلكترونية.

يمكن للشريحة التي ربطتها في هواتف هانافن الأربعة أن تؤدي وظيفتين: أولاً، وسيلة جيدة للاستماع للمكالمات؛ ثانيًا، جهاز إرسال غير محدود النطاق. أما شيفرة الصوت التي تصدرها الصفارة الإلكترونية فهي تتعقب جهاز الإرسال اللامحدود، مما يوقف عمل هواتف الصحفي عن الرنين. وفي الوقت نفسه تشغل ميكروفوناتا وتبث الأصوات من خطوط هاتف المنزل إلى جين.

الهواتف الأخرى التي في مطبخ هانافن، وغرفة الجلوس، والمكتب لا ترسل شيئًا غير الصمت، وهذا يعني أن بإمكانها أن تسمع ما يحدث في غرفة النوم الرئيسية. خبطات المطرقة على المفك والاحتكاك الخفيف لمسمار لولبي يخرج من مكانه في

المفصل يؤكد أنه وجد أخيراً الأدوات التي سبق لها أن دستها بين ملابسه. بعد فترة قصيرة توقفت ضربات المطرقة، يبدو أن البراغي أزيلت من ثلاثة مفاصل، سمعت جين الباب يخشخش في إطاره بينما كان يحاول فتحه. أعقب ذلك سكونٌ مفاجئ ثم سيل من الشتائم المكتومة وهذا يعني أنه أدرك الحقيقة القاسية: على الرغم من إزالة البراغي عن مفاصلها - ثلاثة على لوح الباب، واثنان على الإطار - لكن الباب لن يفتح لأكثر من بوصة واحدة لأنه بقي مغلقاً بواسطة القفل المخفي. ولهذا السبب فقد وضعت هناك مفكاً قوياً مع مطرقة فولاذية أخرى بدل الأدوات الخفيفة. لكي يفتح باب الخزانة عليه الآن أن يحفر الخشب، وبذلك يفكك لوح الباب عن المفصل أو يكسر القفل المخفي، ولا بد أن يكون ذلك عملاً منهكاً. سبق لها أن أخبرته أنه سيتمكن من تخليص نفسه خلال خمس عشرة وربما عشرين دقيقة، لكنها في الواقع كذبت عليه. لا بد أن يحتاج إلى ساعة للخروج من الخزانة. لقد أرادت له أن يبقى وقتاً أطول للتفكير في مقترحها قبل أن يتمكن من الوصول إلى الهاتف. وكانت تأمل أن يدرك، وهو يواجه حالة الإنهاك، أنها خلال أي لحظة من لحظات مواجهتهما القصيرة، ستبقى متقدمة عليه بخطوات.

13

قبل خمس سنوات، أكملت كورا دورة تدريب مع دكسي بيلي تؤهله لأن يسهم في علاج الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة. منذ ذلك الوقت، اصطحبت كل يوم معها إلى المدرسة أفضل صديق لديها. كل تلاميذها من ذوي الاحتياجات الخاصة ويعانون من أنواع من الإعاقات والمشاكل النفسية. بذيله الذي زينتته بالأشرطة المزركشة، وعينيه الغامقتين، وشخصيته المرححة، أدى دكسي عملاً جباراً، من خلال إتاحة الفرصة للأطفال كي يرتبوا عليه ويحضنوه ويشاكسوه وبذلك ينسون إعاقاتهم ومخاوفهم ويساعدتهم على التركيز على الدروس أكثر.

في الواقع، كان دكسي يرافق كورا إلى أي مكان تذهب إليه.

في غرفة الغسيل الصغيرة قرب المطبخ، وقف الكلب تحت شبكة مخرمة تتدلى منها بضع ياقات وأطواق. كان الكلب يهز ذيله ويرفع رأسه لينظر بترقب إلى سيده. إذا

كان الكلب يهتم بشيء مما يجري في الخارج، فهو يهتم بالذهاب إلى صف الأولاد، والتنزه بسيارة الفورد.

أخذت كورا طوقاً أحمر وياقة مناسبة له. انحنيت لكي تلبس الكلب... وأحست بيديها ترتعشان بعنف أكثر من المعتاد وهي تربط الطوق حول عنقه.

أرادت أن تصطحب الكلب الجميل معها، فلطالما أرادت أن يكون كلبها جزءاً من الصورة التي أرادت أن ترسمها لنفسها في هذا اليوم الحافل، لكن يديها لم تطيعانها، فلم تتمكن من إطباق زر الطوق.

أطلق الكلب أنيباً واهناً وتراجع عبر باب المطبخ، حيث وقف هناك ولم يهز ذيله. "لا أعرف". سمعت كورا نفسها تقول بصوت خافت: "لا أعرف... لست متأكدة. لست متأكدة تماماً مما ينبغي أن أفعل".

لهذا لم يكن الصوت الخافت الذي ظنت أنه يعبر عن بديتها وضميرها مسموعاً. كان الصوت يشبه رسالة نصية، كلمات، همسات خفيفة، تُجبر الجمل على الخروج من شاشة افتراضية في مكتب مظلم في ذهنها. لكن الرسالة الآن تترجم من ضوء إلى صوت، صوت ذكوري مغرٍ يهمس في جمجمتها.

"لا وقت للتأخير. تحركي.. تحركي.. افعلي ما وُلدتِ لتفعليه. لقد فات الأوان لتكوني كاتبة شهيرة، ولكن الشهرة لن تفوتك إن فعلتِ ما وُلدتِ من أجله، وستبهرين، وسيحتفي بك".

كان بوسعها مقاومة الحافز لأخذ الكلب، لكنها لم تتمكن من مقاومة ذلك الصوت. في حقيقة الأمر، شعرت برغبة للامثال لفطرتها ونداء ضميرها، أيًا يكن ذلك الصوت الذي يتكلم إليها، ويحفز نبضات قلبها واعدًا إياها بشيء لطالما تاقت إليه، وحرمت منه.

حين عادت إلى الطوق وجدت أن يديها توقفتا عن الارتعاش. قالت مخاطبة دكسي: "ماما لن تغيب طويلاً، يا حبيبي. كن مهذبًا. ستعود ماما قريباً". فتحت الباب الفاصل بين غرفة الغسيل والمرآب، فهبت في وجهها نسيم بارد. نسيت أن تأخذ معطفها، وفتت مترددة، لم ترد أن تتأخر، عليها أن تتحرك، تحركي.. تحركي همس الصوت بداخلها.

قالت كورا للكلب: "أحبك، دكسي، أحبك جدًا".

همهم الكلب مشتكيًا، فأغلقت الباب ومضت إلى المرأب.

لم تكثرث لإشعال أضواء الفلورسينت الخارجية، لكنها اتجهت مباشرة إلى باب سيارة الفوردي البيضاء، والتي بدت وامضة في المكان الذي رُكنت فيه تحت المظلة.

جلست خلف المقود، وشغلت المحرك، واستعملت جهاز التحكم لتحريك سقف السيارة.

كان ضوء النهار الشتوي يتدفق نحو المرأب بينما يقطع الغطاء المتحرك على سكتيه، وبدا لها أن هذا يشبه سيل الأضواء في الأفلام عندما يعلن عن وصول شخصٍ خارق، سواء كان ذلك نوعًا من الشياطين أو الجن أو شخصية أسطورية.

في سياق حياتها اليومية الهادئة هذه، كانت تتوقع حدوث بعض الأشياء المصيرية التي توشك أن تحصل في أي لحظة، وترتجف وهي تترقب لحظة غير محددة تتحقق فيها طموحاتها.

حشت روائح البنزين كورا غندرسن لأن تلتفت إلى الورا وتنظر إلى الحيز المخصص للحمولة، هناك خمس عشرة علبة حمراء كل واحدة منها بسعة غالونين مرتبة في ثلاثة صفوف. بالأمس فتحت الغطاء العلوي لكل علبة واستبدلته بقطع سميكة من اللفافات البلاستيكية ربطتها بأشرطة مطاطية.

نسيت أنها قد قامت بذلك، ولكنها تذكرت الآن، ولكن ذلك لم يذهلها، تفحصت العلب، وأدركت أنه يجدر بها الشعور بالفخر على ما أنجزته، لاسيما وأنها امتثلت في النهاية إلى ذلك النداء المغربي الذي لا يكف عن الشاء عليها، ويُذكرها بما وُلدت لتفعله.

على المقعد بجانبها في السيارة، هناك قدر معدني صغير كانت تطبخ فيه الحساء والمأكولات خلال سنوات. في أسفل القدر هناك مادة رغوية خضراء يستخدمها باعة الزهور كأساس لترتيب معروضاتهم، اشترتها من محل لبيع الأزهار، غرست في وسط المادة الرغوية حزمتين من أعواد ثقاب خشبية طويلة، عشرة في كل حزمة، وقد ربطت كل حزمة برباطين مطاطيين، أحدهما أسفل ذؤابة الأعواد والآخر بالقرب من المادة الرغوية، ووضعت إلى جانب القدر ولاعة صغيرة.

تخيلت أعواد الثقباب كأنها ثلاث حزم من الأزهار الذابلة، أزهار سحرية ما إن تلقي عليها كلمة سحرية، حتى تزهر وتتحول إلى باقات يانعة. بين علب البنزين تناثرت رؤوس أعواد الثقباب المقطوعة من أساساتها.

قادت السيارة إلى خارج المرأب، واتجهت نحو الشرق تحت الغيوم الرمادية، لم تكثرث لأن تأخذ جهاز التحكّم عن بعد لتُنزل باب المرأب خلفها. كان الصوت الرخيم يناديها ويقول لها إن الوقت جوهر الأشياء، وكانت متلهفة.

عندما وصلت إلى نهاية الطريق، كانت الحرارة التي تأتي من فتحات التهوية تزيل البرودة عن بشرتها العارية، لم تكن تحتاج إلى معطف.

في نهاية الطريق، انعطفت يميناً نحو ممر فرعي معبد ذي مسارين، واستمرت في طريقها إلى البلدة.

14

بينما كانت تنتظر في المنزل الفارغ الذي يقع عبر الشارع، وتصغي إلى هاتفها العادي الرخيص، أحست جين بالفرح لأن لورنس هانافن، خلال الدقائق السبع والأربعين التي احتاج إليها للخروج من الخزانة، لم يصرخ طالباً النجدة.

فالخزانة الخالية من الفتحات تقع في وسط المنزل، ربما أدرك الصحفي جيداً أن أحداً وراء جدران المنزل لن يسمع صوته مهما صرخ، وربما أدرك مقدار التشويق في ما أخبرته إياه، فلم يرغب بفقدان ما أرادت أن تضعه بين يديه، مهما تكن المخاطر، وفي هذه الحال لا داعي لطلب المساعدة وتقديم تفسير عن هوية الشخص الذي احتجزه داخل الخزانة. وجدت نفسها تجرؤ على الأمل.

بضربة أخيرة طار باب الخزانة إلى مكانٍ بعيد، واستقر على أرضية غرفة النوم، بعد ذلك كان هناك صوت أنفاس هانافن المنهكة، والتي بدت متسارعة وهو يجتاز الغرفة، دنا من الهاتف الموضوع على المنضدة بجوار السرير، بسرعة تباطأت سرعة أنفاسه، بينما كان يتجه نحو الحمام، الذي دخله تاركاً بابه موارباً.

ثم سمعت صوتاً آخر، تأملت للحظة قبل أن تدرك أنه صوت ماء يتدفق في مغسلة الحمام، ربما كان عطشاً بسبب المجهود الذي بذله، وربما أراد أن يغسل وجه المتعرق.

بعد لحظات، ابتعد قليلاً عن تيار الماء، وسمعت فقط سلسلة أصوات من ضوضاء خفيفة غير مميزة، ثم صوت تبوّل، وبعدها صوت غطاء المرحاض وهو يُغلق.

بدا جلياً، أنه لم يكثرث لغسل يديه كما يُفترض به أن يفعل دائماً. أخيراً، خرج من الحمام. استنتجت ذلك من اقتراب أنفاسه المنهكة وصوت النوابض، يبدو أنه جلس على حافة السرير، على بعد ذراع من الهاتف، وسماعته التي تبث كل ما يجري في الغرفة.

عندما يلتقط السماعه لإجراء مكالمه، عليها أن تغلق الخط فوراً، تغلق جهاز الإرسال وتصغي إلى صوته، بحيث لا يتلقى نغمة الاتصال في تلك اللحظة. فالشريحة التي زرعتها في هاتفه ستنتقل إلى وضع التنصت، وستردها الاتصالات التي يجريها معه أي شخص عن طريق جهاز الاستقبال المدمج العالي التردد، ومضخم الصوت، والمسجل الذي وضعت على حافة النافذة.

تنفس عدة مرات بعمق وبطء، وكأنه يسعى لتهدئة نفسه، ولكن بدا أن محاولته تلك لم تجد نفعاً، لأنه لم يتمكن من احتواء حالته العصبية حين صدرت منه حركات تشنج غريبة.

ربما كان يُمسك هاتفه الخلوي، لأن صوت نغمات موسيقى خفيفة جاء عبر الخط المفتوح من مؤمن الاتصال. من الواضح أنه يظن الاتصال اللاسلكي يؤمن السرية وأنه أقل عرضة للاختراق من الاتصال عبر الخط الأرضي التقليدي.

كانت تأمل أن لا يتصل بأي شخص، وأن ينتظرها حتى تتصل به ظهرًا، كما وعدته. ربما يحاول إجراء مكالمه عادية، أو يلغي موعداً لم يعد يرغب في الوفاء به، أو أي شيء من هذا القبيل. لكن من الغريب أنها سوف تحبط في توقعاتها منه.

لم تسمع أي صوت مميز يوحي بأنه أدخل رقم هاتفٍ ما ليجري مكالمه. بدل ذلك، كان يتمم بمرارة بينه وبين نفسه: "أيتها الوضيعة القذرة. نعم، لدي زوج من الهواتف، وهي ليست للزينة، تَبّاً لك أيتها الوضيعة".

كانت تظن أنها تعرف الشخص الذي يتكلم عنه. ثم سمعت صوت درج يُفتح: "اختبريني مرة أخرى، أيتها الوضيعة، سوف أضع شيئاً آخر بين نهديك".

ربما أخرج المسدس من درج طاولة السرير. خلال دقيقة تقريبًا، بدا منشغلًا بشيء لم تتمكن من تمييزه، كانت هناك فقط أصوات خشخشة خفيفة. ثم جاءتها سلسلة أصوات كأنها نقرات على الهاتف وهو يجري مكالمة.

يبدو أنه وضع هاتفه على وضع الاستماع إلى صوت الجهة التي يتصل بها، لأن امرأة أجابت بعد الرنة الثانية:

"شركة وودباين، كرافتز، لاركين، بنديتو".

عرفت أنها شركة للخدمات القانونية.

قال هانافن: "أريد راندال لاركين، رجاء".

"لحظة، من فضلك".

ثم جاء صوت امرأة أخرى: "مكتب راندال لاركين".

"أنا لورنس هانافن حوّليني رجاء إلى راندي".

"إنه يجري مكالمة أخرى، سيد هانافن".

"سأبقى أنتظر".

"ربما يتأخر قليلًا".

"استخدمي الخط الآخر، دعيه يعلم أن الأمر عاجل، إنها مسألة حياة أو موت".

وقفت قرب نافذة المنزل الفارغ، والهاتف على أذنها، بانتظار أن يتلقى راندال

لاركين مكالمة الصحفي، راقبت جين هوك العاصفة وهي تتجمع من كل صوب،

جحافل داكنة كالحديد، تدهم السماء وتزعزع السكون المخيم المهدّد من غلندورا

إلى باسادينا وما بينهما.

15

عاشت كورا غندرسن في الأرياف، بين حقول شاسعة ممتدة إلى ما لا نهاية،

تخترقها غابات - صنوبر راتينج النرويج، وصنوبر جاك، والصملاخ الأزرق - الآن

غمر الثلج كل الحقول، وكلل الأشجار لتبدو وكأنها صور لبطاقات عيد الميلاد.

الطريق في تلك المنطقة كان خيطًا واضحًا يمثل سواد بذلة رسمية مفروشة على فستان

زفاف أبيض.

بدا اللون الأبيض مهيمناً على كل شيء في ذلك النهار: الأرض التي مرت عليها سيارتها، ثوبها الذي ترتديه، الضباب الذي يشوش ذاكرتها ويربك نواياها، ولكن الغيمة التي في ذهنها لم تزعجها، بل أراحتها. إنها تعلم الآن أن كلبها بأمان في المنزل، وتشعر بالدفاء بينما تنزلق عبر أرض العجائب هذه في الشتاء. التحرر من التفكير نعمة.

طوال حياتها، كان ذهنها يعدو وهي تكتب رزماً من القصص التي لم تجرؤ على إرسالها إلى أي وكيل أو دار نشر، لأنها ابتكرت تقنيات جديدة في التعامل المدرسي لتلبية متطلبات الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة الذين وُضِعوا أمانة بين يديها، ولأنها حثت باستمرار إدارة المدرسة لتقديم خدمة أفضل للفتيات والفتيان الذين أسرع كثير من الناس إلى نبذهم واعتبارهم غير صالحين، وعبئاً على المجتمع. في الوقت الراهن، لم تكن تفكر إلا في جمال الطبيعة وفي حالة السلام التي تعيشها، تفكر في الصوت الداخلي الذي يرهاها ويعدّها بتحقيق طموحاتها.

ستستغرق الرحلة بالسيارة إلى البلدة نصف ساعة إن لم تسرع، ولكنها لا تريد أن تسرع، لم يسبق لها أن تلقت غرامة سرعة، فهي تشعر بالفخر لأنها تعيش في بلد تسوده سلطة القانون، ولكنها لم تكن على علم بأن هذا القانون يُنتهك في كل مكان من قبل الفاسدين الذين ينشرون فسادهم في كل مكان. لسبب ما لم تفهم - وربما لم تكن بحاجة إلى أن تفهم - حقيقة أنها في هذا اليوم من بين كل الأيام، عليها أن تقود سيارتها وتحترم قانون السير، حتى لا يوقفها أحد رجال شرطة المرور.

مضت خمس وعشرون دقيقة على رحلتها، وفجأة تحررت العاصفة المكبلة في السماء الجامدة من قيودها. وانهمرت كميات كبيرة من الثلج رافقها وميض خلاّب. في سيارتها الرياضية ذات النوافذ المفتوحة على كل الجهات، بدت كورا وكأنها تطفو عبر هذا المنظر الأسر، أو كما لو أن آليات تساقط كرات الثلج انعكست، فغمر كل شيء حولها بالأبيض، وبدا المشهد كما لو أنه خارج من حلم جميل، بينما تجلس منبهرة في كرة بلورية بلا ثلج.

شجّعها الصوت المنبعث من داخلها على النظر إلى تساقط الثلج بهذا الشكل المحجب على أنه نذير شؤم. لا يمكن للعاصفة أن تجعل شعرها المعجّد يتجمّد أو تُشعرها بالقشعريرة، تماماً كما لم يكن بقدرة النار التي رأتها في الحلم أن تلحق بها الأذى.

هذا الصوت أكد لها أن الثلج لن يكون خطرًا عليها، وأنه قادر على حمايتها من كل الأشياء سواء كانت حارة أو باردة، حادة أو مدببة، سيحميها من كل الأمور المهلكة. عبرت ضواحي البلدة. انحرفت إلى الرصيف عند بداية جادة فترجيرالد، وهو منحدر طويل ممهد يشكل تقاطع طرق على شكل حرف T مع الشارع الرئيسي. التقطت الولاة وفحصتها للتأكد من أنها تعمل. إذا خذلتها لأي سبب، هناك ولاة أخرى في صندوق السيارة. لكن الولاة لم تخذلها.

16

أظلمت السماء شيئًا فشيئًا، وبدت كالجسد المتقرح، وأصبح منزل لورنس هانافن بكل جمالياته المعمارية أشبه بمنزل ملعون في إحدى الروايات الخرافية. أما في المنزل الفارغ حيث تقف جين خلف النافذة، فقد انعكس شعاع خافت بدا كالسراب، ظهرت في وسطه صورة جين وهي تضع هاتفها الخليوي على أذنها. تلقى راندال لاركين من شركة وودباين، كرافتز، لاركين، وبنديتو المكالمة من لورنس هانافن: "إنها مسألة حياة أو موت؟ يجب أن لا تكون أقل من ذلك، لورنس، إذا أخذنا بعين الاعتبار أنني قطعت الاتصال مع عميلٍ لم يسبق لي أن عاملته بهذه الطريقة". "خطك مؤمن، أليس كذلك؟".

"نعم، نعم. نحن نفحصه مرتين في اليوم. صوتك مسموع الآن؟".
"لا تتعب نفسك. أنا وحدي، وارتديت ملابس، لقد اقتحمت تلك الوضيعة منزلي، لتحل عليها اللعنة إن رأيتي مجددًا وأنا عارٍ".
"من هي؟".

"زارتني تلك المومس التي هاجمت مزرعة غ ز".
كانت جين تتصور أن فشل لاركين في الرد ربما يعني أنه لم يتمكن فورًا من فهم كلام الصحفي. لكن في الحقيقة كان صمته مذهلاً.
ثم اختلط الغضب والشكوك في صوته: "تَبَّا لك! توقف عن هذا الكلام السخيف. هل جاءت ودقت باب منزلك؟".

"لا، عندما خرجت من الحمام وجدتها هناك تُشهر مسدسًا في وجهي".

"لكنها لا يمكن أن تكون قد عرفت بالأمر".

قال هانافن موافقاً: "ليس بإمكانها ذلك، إنها لا تعرف".

"كيف يمكنها بحق الجحيم أن تعرف بأمرك؟".

قال هانافن مرة ثانية: "إنها لا تعرف شيئاً، أرادت أن تأتمنني على شيء، أن أتابع

قصة، بسطتها بكل تفاصيلها أمامي".

"أين هي الآن؟".

"لا أعرف. لقد طلبت مني أن أفكر بالأمر، وقالت إنها ستتصل بعد أن أنتهي من

التفكير، ثم حبستني في خزانة حتى لا أتعبها، ولا أرى السيارة التي تقودها. لقد تركت

لي مطرقة ومفكاً حتى أتمكن من الخروج من الخزانة. كم أود أن أطرحتها أرضاً وأريها

ماذا يمكن أن أفعل بالمفك اللعين".

"لا تبالغ وتهول الأمر".

"إنني لا أبالغ".

"كأنك تفعل هذا".

"قلت إنني لا أبالغ بالأمر. لكنها فرصة".

وافقه لاركين: "نعم، إنها فرصة مذهلة".

"لم تكن سمراء عندما رأيتها، بل وضعت شعراً أشقر مستعاراً، فبدت كما كانت قبل

أن تبدأ بالقتل، لم تشبه الصور الموجودة على موقع المركز الوطني لمعلومات الجريمة".

سأله لاركين: "ولماذا نبالي بشعرها؟".

"لقد لاحظت ذلك لأنني صحفي أهتم بالتفاصيل. أياً يكن الأمر ستتصل بي

ظهِراً، هل يمكن العثور عليها في غضون ذلك؟".

"ستستخدم هاتفاً رخيصاً ثم تحرق الشريحة، لكن ربما هناك طريقة لنتمكن من

ذلك".

"بلغ خبير التسجيلات لدينا بتبعتها، إنها تعتقد أنني أتكلم عن شيء مزيف".

تصورت جين أنه يعني بخبير التسجيلات ديفيد جيمس مايكل، الملياردير

الساحر الذي لديه اسم يتألف من ثلاثة أسماء يصلح كل واحد منها بمفرده أن يكون

اسماً لشخص.

قال لاركين: "أولاً، يجب أن أجعل رجلنا في وكالة الأمن القومي يتحرك سريعاً. موعد الظهر لا يمنحنا كثيراً من الوقت. لا أعرف إن كنا نستطيع القيام بشيء".
قال الصحفي: "لفرض أننا أزعجناها عن دربنا، هل سأصبح رئيس تحرير مباشرة؟".

"كل شيء في وقته".

"تدبر هذا، أريد شيئاً من ردّ الجميل".

"لا وقت لديّ لهذا الآن".

"أريد شيئاً من رد الجميل، راندي".

"لم يمضِ أكثر من سنة، أنسيت ما قمنا به لأجلك؟".

"الوعد وعد، لقد وعدتم بهذا".

"أنا على ثقة من أنك ستحتل المكتب الكبير، والآن تماسك قليلاً".

"أعوّل على هذا".

قال هانافن هذا، وأنهى المكالمة.

من الهاتف الأرضي المفتوح في منزل الصحفي قرع الهاتف الذكي وهو يوضع على المنضدة بجانب السرير. سمعته جين وهو يتحرك في الغرفة، لا بد أنه انتهى من ارتداء ثيابه. لماذا سيجعلونه رئيس تحرير الصحيفة التي يكتب فيها؟ لم يتبين لها السبب الذي قد يجعل ديفيد جيمس مايكل يمتلك جزءاً من دار النشر أو الشركة الأم. لقد بدا هانافن فضولياً وهو يدس أنفه في شؤون ديفيد جيمس مايكل، لم تعلق جين آمالاً كبيرة عليه، ولكن إن أرادت الاستعانة بالصحافة، فلم يكن لديها سواه.

لو كان خيار الشعور بالإحباط خياراً صائباً، ربما كانت لتشتري زجاجة فودكا، وتقصد فندقاً، وتقيم فيه تحت اسم مزيف، وتستريح من هذه الحرب لعدة أيام. ولكن لا مجال للراحة، فولدها مهدد بالاغتصاب والقتل، وسمعة زوجها يجب أن تُنظف، وتُثبت أنه قتل ولم يتحر، ووالدها عازف البيانو الشهير الذي يبقى بعيداً في جولات حفلاته الموسيقية الناجحة يتمنى أن يُقبض على ابنته وتُسجن أو تُقتل قبل أن تجعله يدفع ثمن ما فعله بوالدها قبل تسع عشرة سنة. لم يكن لديها وقت لتشعر بالإحباط، لم يكن لديها حتى دقيقة واحدة.

الإحباط لا بد أن يكون من نصيب أولئك اليائسين الذين يقررون فجأة أن الحياة لا معنى لها، لكن حين تعرف أن الحياة لها معانٍ كثيرة وهي تسعى لأن تفهمها، فكل دقيقة من الحياة غنية بالمعنى، بل هي مفعمة بالمعنى. بعض معانيها تبدو واضحة ومحزنة مثل إبرة تُغرس في الرقبة، وبعض معانيها الأخرى مبهجة في طبيعتها بحيث تجعل قلبك المفعم بالحبور قادرًا على رفعك عاليًا حتى تحلق إلى جانب الطيور. إن الحياة بمعانيها الكثيرة، تبقى خارج قدرتنا على فهمها، وبالتالي تبقى غامضة عصية على الفهم.

وقفت عند النافذة، تراقب المنزل بكل جمالياته المعمارية في الجهة المقابلة من الشارع، وكانت تتساءل كيف يمكنها أن تستنتج ما يمكنها من المعاني في حياة لورنس هانافن، فالصحفي بإمكانه الاستفادة من موهبته، والنظر بعينين صافيتين إلى المعنى البائس لحياته التي عاشها حتى الآن، على أمل أن يسعى لتحسين وضعه في هذا الكون الذي لا يبدو فيه أفضل من صرصار أعمى يتجول داخل بالوعة مظلمة.

17

السماء تحتفي بتيجان الثلج وتضعها على رؤوس الأزهار، تنشر غطاءً من الأوراق التويجية على النهار كأنها ملايين حفلات الزفاف المزينة بالقرنفل. لبست كورا غندرسن كل شيء أبيض، بينما البياض البهي يسكن ذهنها، وغابة من أعواد ثقاب بيضاء طويلة تتكوم في حُزم أنيقة...

أشعل لهب الولاة أول رزمة من الرؤوس الزرقاء، فطقطقت وهي تتوهج كأنها مشعل مُصغّر. أسقطت الولاة، وأبعدت السيارة عن الرصيف، نحو شارع فتزجيرالد مرة أخرى، متجهة نزولاً إلى التقاطع مع شارع ماين.

في نهاية شارع فتزجيرالد، مباشرة عند التقاطع مع شارع ماين، هناك فندق تاريخي يطلق عليه اسم فندق فيلن، بني عام 1886 وأعيد تجديده ثلاث مرات منذ ذلك الحين، ورسم مؤخرًا في السنة الماضية. يحتل المطعم تقريبًا نصف مساحة الطابق الأرضي للفندق، وفيه الكثير من النوافذ العريضة التي تطل على منظر مثير لوسط البلدة المزدهم، وبانوراما الثلج المتساقط.

عندما اقتربت من التقاطع الذي تحيط به بنايات طويلة صعودًا من شارع ماين، أمسكت كورا بالمقود بيدها اليسرى وباليد اليمنى التقطت حزمة أعواد الثقاب المحترقة المغروسة بالمادة الرغوية الرطبة. استخدمتها في إشعال حزمة أخرى، ثم ألقت الشعلة الأولى على مؤخرة السيارة، وفورًا اشتعلت بعض رؤوس أعواد الثقاب المبعثرة بين علب البنزين.

لم تكن رائحة الكبريت المنتشرة في السيارة جزءًا من حلمها الذي مشت فيه على النار؛ لكن كورا لم تجدها مؤذية. أخبرها الصوت الناعم أن تتنفس بعمق كي تحصّن نفسها من مخاطر الاحتراق، لتكون مجددًا شخصية تثير الاستغراب والحسرة في نفوس الناظرين.

في الحيز المخصص للحمولة خلفها، كانت السجادة أول ما التقط النار، خيط الدخان الرفيع كان أقل إثارة من رائحة الكبريت في الأعواد المحترقة، لكن النار بطبيعة الحال لا يمكن أن تلحق بها الأذى.

عندما عادت بالسيارة إلى البلدة، كان البنزين في الخمس عشرة علبة يتأرجح، ويرتطم بالجدران المعدنية مطرطشًا، مولدًا حرارة أدت إلى تمدده بعض الشيء، صعدت منه ألسنة لهب اجتاحت الأغشية البلاستيكية التي استخدمت بمثابة سدادات ذات ثقوب. احترقت تلك القطع الرقيقة من البلاستيك مثل البالونات الصغيرة، وبعضها انفصل جزئيًا عن الأربطة المطاطية التي تثبتها في مكانها، وذلك بعد أن تكثفت الأبخرة المتطايرة على السطح الداخلي، وتقطرت وانزلقت في العلب.

في الوقت الذي وصلت فيه كورا إلى صف البنايات الأخير في شارع فتزجيرالد، قادت السيارة بسرعة باتجاه شارع ماين، نحو فندق فيبلن التاريخي، وكانت ألسنة النيران تتمدد بضراوة فوق العلب، وتذيب الغلاف البلاستيكي وتلتهمه، وعندما كانت تلقي الحزمة الثانية من أعواد الثقاب في الفراغ خلفها، سمعت انفجار إحدى علب البنزين التي تستعر فيها النيران، وتلى ذلك انفجار آخر، ولأن العلب كانت مفتوحة في مكانين ولأن درجة الحرارة المرتفعة لم تبلغ الحد الكافي لإحداث انفجار كارثي للوقود، لم يحصل انفجار فوري، وإنما اندفاع فوضوي للهب من فتحات التصريف.

عكست المرأة الجانية ألسنة اللهب التي تتحرك في ألق متعدد الألوان، ورأت كورا العابرين على الممر الجاني يتوقفون ويرفعون أيديهم وينظرون بانبهار، بدوا مذهولين من انتقالها من مرحلة السير فوق النار إلى القيادة فوق النار، أفرحتها دهشتهم، فضحكت، لم تعر اهتمامًا للهواء الذي أصبح فجأة شديد الحرارة، لأنها الآن، كما كانت دائمًا منيعة ضد النار. إنها الكاتبة والبطلة لهذه القصة المثيرة التي تحبس الأنفاس، ومع أن الهواء أصبح جافًا وحارًا إلى درجة أنه أحرق شفيتها، لكنها لم تشعر بالخوف، لأنه كان هناك صوت داخلي يشجعها، لا بد أنه صوت الرب الذي كان يواسي ويحمي شادراش في أتون النيران. لقد نجا شادراش، وميشاش، وأبيدنيغو من العقاب العظيم في فرن الملك دون أن تحترق شعرة فيهم، وبالمثل ستنجو من هذا الاختبار من دون أن تحترق، في الوقت الذي ينظر إليها المعجبون ويهتفون ويصيحون. بينما كانت النيران تلتهم مؤخرة مقعد السائق، وتزحف عبر الفسحة بين المقعدين الأماميين، ويعبر الدخان إلى الأمام، عاشت كورا غندرسن لحظة فريدة في هذا الموكب الذي يحتفي بانتصارها. لمحت كلبًا مقيدًا، يقف مع سيده على الرصيف، وبالرغم من أنه كان كلبًا هجينًا ذهبي اللون، وليس ألمانيًا طويل الشعر، إلا أنها تذكرت كلبها دكسي بيلي الذي بقي وحده في المنزل، وشعرت بشوق شديد لدكسي الجميل، شوق صفى ذهنها للحظة، وعندها أدركت خطورة ما تقوم به، لكن الصوت الهامس المطمئن في داخلها، أزال كل أثر للذعر، وشعرت مجددًا بالمرح، وصاحت في نشوة بينما كانت ألسنة اللهب تتراقص في المسافة الفاصلة بين تنورتها ولوحة التحكم بالسيارة.

عندما دخل الهواء عبر نافذة الباب الخلفي، امتص كثيرًا من الدخان، وتقهقرت ألسنة اللهب نحو لوحة التحكم، ولفحت شعر كورا المجعد كأنها رفيف أجنحة براق، فداست على دواصة البنزين إلى أقصى حدّ بحيوية شخصية لا تقهر كما سبق لها أن وصفت في إحدى القصص التي كتبتها، وأطلقت صرخة انتصار وتقدمت باتجاه التقاطع. تحت سماء ملبّدة بالغيوم، ووسط الثلج المتساقط بقوة مثل شلالات نياغارا كريستالية، شقت سيارة الأكسبدشن البيضاء طريقها حاملة المرأة المسرّبة بالبياض، كما في الحلم، ذلك الثوب الأبيض الوحيد الذي كانت تحس فيه بأنها جميلة إلى حدّ

ما، تقدمت واخترقت الواجهة الأمامية لمطعم الفندق، محطة ألواحًا كبيرة من الزجاج، الذي تناثر على الحاضرين الذين يتناولون الغداء، وعلى الطاولة والكراسي والأطباق، فتفرق الناس عندما رأوا دخولها الملتهب.

أخيرًا دوى انفجار رهيب حرر كورا من هذا العالم. بينما كانت السيارة تنطلق ثم تتوقف، كانت رشقات البنزين المحترق تطرطش في القاعة الفسيحة، لقد عجز فريق الأمن المؤلف من ستة رجال من التعامل مع اقتحامها، لأنها أطاحتهم وأطاحت الحاكم الذي أتى إلى البلدة للمشاركة في الاحتفال بإعادة افتتاح هذا الفندق التاريخي.

18

أبقت جين هاتفها الرخيص قريبًا منها، وكانت أجهزة الإرسال في هواتف لورنس هانافن الأرضية ستقل لها أي شيء قد يقوله في الغرف الأربع التي تحتوي على هواتف أرضية في منزله.

في الحمام الرئيسي للمنزل الفارغ، خلعت الشعر الأشقر المستعار، ووضعت في كيس بلاستيكي، وأعادته إلى حقيبتها. كان هانافن محققًا حين شك في أنها لم تعد شقراء ولا سمراء، فلم يكن شعرها الكستنائي ناعمًا أو أشعث، بل كان مجعدًا بما يكفي ليخدع العين فيجعل المرء يقرأ وجهها بطريقة يبدو معها أن له شكلاً مختلفًا عن الوجه الذي يظهر في أكثر الصور مشاهدة على الإنترنت.

في الأيام الغابرة، قبل أن تهرب، نادرًا ما كانت تضع الماكياج، إذ لم تكن بحاجة إليه، لكن في هذه الأوقات أصبح طلاء الأساس، وظل العيون، وأحمر الشفاه نوعًا من القناع الذي يخفيها أكثر مما توقعت. لكنها قررت اليوم أن لا تضع الماكياج، وقررت الاكتفاء بالتمويه الذي تمنحها إياه قبعة البيسبول والنظارة ذات الإطار العاجي والعدستان الفاتحتان.

إنها تقف مجددًا أمام نافذة غرفة النوم، تنتظر أن تسمع ما يكشفه راندال لاركين إذا اتصل بهانافن. استذكرت الحوار الذي سبق أن دار بينهما؛ شيان قالهما المحامي أثارا اهتمامها. يجب أن أجعل رجلنا في وكالة الأمن القومي يتحرك بسرعة. موعد الظهر لا يمنحنا ما يكفي من الوقت.

وكالة الأمن القومي.. إن عمليات زرع الدماغ بألية النانو التي قام بها الراحل بريتولد شينيك كانت بمثابة الكأس المقدسة لشبكة واسعة من الأوغاد بحيث كان قادرًا مع ديفيد جيمس مايكل على حيك مؤامرة تضم لاعبين آخرين من القطاع الخاص والمسؤولين الحكوميين الذين أفسدوا معًا شخصيات مهمة في مكتب التحقيقات الفدرالي، ووكالة الأمن القومي، ووزارة العدل. لذا افترضت بشكل بديهي أن ينضوي تحت لواء هذا التحالف الجنوني للسلطات الاستبدادية الطوباوية أفراد من الاستخبارات المركزية، ووزارة الداخلية، وربما كل دائرة من دوائر الحكومة، وصولاً إلى أعلى المناصب في الجهاز التنفيذي والسلطات التشريعية.

من بين كل دوائر ووكالات الحكومة الفدرالية المعنية بتطبيق القانون والدفاع الوطني، كانت وكالة الأمن القومي، كما يُقال، الأكثر اقتدارًا وسرية. إن مركز بياناتها الذي تصل مساحته إلى مليون قدم مربع في يوتا يمكن أن يغربل كل مكالمات هاتفية ورسالة نصية تمر عبر الأثير بالإضافة إلى الاتصالات الرقمية، ويخزنها، ويحللها بحثًا عن أي أدلة على النشاطات الإرهابية وغير ذلك من التهديدات للأمن القومي.

لا تقرأ وكالة الأمن القومي جميع الرسائل النصية أو تستمع إلى المكالمات الهاتفية مباشرة، أو في وقت لاحق، بل تراجع فقط تلك الأجزاء الضئيلة من نسبة يشير إليها برنامج المسح التحليلي. لو كان لدى لاركين وجماعته شخصٌ مؤتمن في وكالة الأمن القومي في منصب رفيع للمساعدة في الجهود التي تهدف إلى تحديد إشارة هاتف جين وموقعها، عندما تجري محادثة مع لورنس هانافن ظهرًا، فذلك يعني أن البرنامج المزعوم الذي تنتشر عنه الشائعات حقيقي.

حتى قبل أربع سنوات، كان بعض الناس في مكتب التحقيقات يشكون بأن لدى وكالة الأمن القومي في المدن الكبرى طائرة مراقبة خاصة مجهزة بالكوادر وعلى استعداد للتخليق خلال بضع دقائق من تلقي الأوامر. تحلق تلك الطائرة على ارتفاعات متوسطة تتيح لها مجال المراقبة في مساحة يبلغ شعاعها على الأقل خمسين ميلًا، ويفترض أن تكون هذه الطائرة مجهزة بمعدات تتيح لها أن تلتقط ضمن نطاق شاسع إشارات التليكوم من حوامل الموجات المخصصة للهواتف الخلوية. علاوة على ذلك، يشاع أن المشغل على متن الطائرة يستطيع التعامل مع برنامج المسح

التحليلي للبحث عن كلمات تشير إلى احتمال حصول كارثة وشيكة، مثل أسماء أولئك الإرهابيين الذين يجري البحث عنهم أو الهدف الذي يُعتقد أن خلية إرهابية تخطط لشن هجوم وشيك عليه.

في هذه الحالة، يمكن لفريق البحث المحمول جواً والذي تشمل نشاطاته أرقام الهاتف الذكي لهانافن وهاتفه الأرضي، مراقبة تلك الأرقام، وانتظار ورود مكالمة من جين، ومن خلال تكنولوجيا التعقب يمكنهم تحديد موقع هاتفها، سواء كانت جالسة على مصطبة في متنزه أو تقود سيارتها.

كل هذا لم يعد مهمًا الآن، لأنها أصبحت على علم بأن هانافن ليس صحفيًا نزيهاً، ولهذا لن تتصل به عند الظهر.

لكن من خلال هانافن علمت أن المحامي لاركين هو أحد شركاء ديفيد جيمس مايكل، ولعله أيضًا أحد الأشخاص المقربين جدًا من الملياردير. إنه دليل جديد، ومصدر معلومات مهم.

إن لم تتمكن من العثور على مراسل صحفي جيد ليعرض الأمر على الرأي العام، فعليها ملاحقة ديفيد جيمس مايكل. لكن سيكون من الصعب ملاحقة رجل بثرائه، فلا بد أن لديه أفضل فريق للحماية. وإن كان مؤسس فيسبوك، مارك زوكربيرغ، يحيط نفسه بستة عشر من رجال الحماية المدججين بالسلاح في جميع الأوقات، مثلما تنقل بعض المصادر المؤكدة، فمن المحتمل جدًا أن ديفيد جيمس مايكل لديه أكثر من هذا العدد.

ثروات مثل هؤلاء الرجال متعادلة تقريبًا، لكن مايكل لديه أشياء أكثر ليخفيها، وهو يعرف أنها وصلت إلى بريتولد شينيك والى أحد المحامين، وليام أوفرتون، وهما من أصدقائه المقربين، وقد ماتا. بالرغم من أن كل دائرة لتطبيق القانون في البلاد تبحث عنها، إلا أنها لا تزال حرة طليقة وتطارد.

الشيء الثاني المثير للاهتمام أن راندال لاركين قال في مكالمته الهاتفية مع هانافن شيئاً يحتاج إلى تفسير، لكنها أحست أنها واثقة من أنها قد توصلت إلى معناه. حين ركز الصحفي على أن يُرقى إلى رئيس تحرير للصحيفة التي يعمل فيها، وحين أعلن أنه يستحق الشكر على توجيه تلك الضربة لجين، استجاب له لاركين بشكل غير واضح.

"لم تَمْضِ أكثر من سنة، حتى نسيت ما فعلناه لك؟".

زوجة لورنس هانافن البالغة من العمر سبعة عشر عامًا، ساكورا، ماتت قبل سنة. بالرغم من أن جين لا تعرف كل التفاصيل، لكن يبدو أن المرأة كانت تعاني من أزمة طبية من نوع ما. هانافن لم يكن في أي مكان قريبًا من زوجته حين حصل الأمر. كان خارج البلدة في مهمة رسمية. بوجود أصدقاء مثل راندال لاركين وديفيد جيمس مايكل، لم يكن يحتاج لأن يعرّض نفسه للخطر فيلطّخ يديه بالدم.

19

خلال بضع دقائق، لم ينقل الهاتف إلى جين شيئًا غير الصمت من منزل هانافن. حين بدأ بإثارة الضوضاء من جديد، سمعت طقطقة الأطباق ورنين بعض الأدوات المعدنية في الشقة، وصوت ما يمكن أن يكون صينية توضع في الفرن، وافترضت أنه ذهب إلى المطبخ لتناول وجبة الفطور. خشخش جهاز إعداد القهوة الموضوع بالقرب من الجدار، والصوت المميز له ينبئ عن مكانه.

في الشارع، كانت حركة المرور خفيفة إلى حد ما. فالأطفال يتجهون إلى المدارس، والآباء والأمهات يتوجهون إلى العمل.

نادرًا ما تشهد لوس أنجلوس وضواحيها سماء ملبدة بالغيوم كما اليوم؛ غيوم رمادية تتراكم فوق بعضها البعض تتخللها بعض المساحات السوداء. في فرجينيا، حيث عاشت مع نيك وولد ترافيس، تأتي العواصف بشكل دراماتيكي، أما هنا فيتراجع الطقس السيئ في أكثر الأحيان، والرعد والبرق ظاهرة نادرة الحدوث.

بعد خمس دقائق من دخول الصحفي إلى المطبخ وبعد عشرين دقيقة من قطع لاركين محادثتهما السابقة، عاد المحامي للاتصال. كان الهاتف الذكي لهانافن يصدر بضع نغمات من أغنية إيلتون جون "دع الشمس تغطّني".
رد على الاتصال: "نعم".

قال راندال لاركين: "إنهم في الجو، ما إن تتصل سيعرفون الترددات ويستعدون لها."
"ماذا يحصل إذا وجدتم موقعها؟".

"نعتقد بأنها ستبقى في المنطقة حتى تنتهي من التحدث إليك، ولكن في غضون عشرين دقيقة من بدء المحادثة ستكون لدينا ست وحدات أرضية متمركزة ضمن نطاق عشرين ميلاً بعيداً عنك، بالانتظار".

"وماذا عن الطقس؟".

"هل الصوت مسموع مرة أخرى؟ هذا يثير أعصابي".

"لا تلتطخ يدك بها فأنا أحتاج إليها. أنا الآن أعد الطعام، وأنا أضع قطعة على المنضدة تحسباً لأي طارئ".

"قطعة؟ عن أي قطعة تتكلم؟".

"قطعة من قضيب.. مسدس. هي تتصور أنها يمكن أن تفاجئني مرة أخرى، سأضع رصاصة في صدرها".

"ستتصل بك كما قالت، لن تجازف بالعودة قبل أن تقتنع أنك ستساعدها".

"أنت لا تعرف ما الذي يمكن أن تفعله هذه المرأة، لا يمكن توقع تصرفاتها، فهي مثل الزلزال. على أي حال، ماذا عن الطقس؟"
تساءل لاركين: "ماذا عنه؟".

"إذا هبت العاصفة، لن يتمكن الرجال في الطائرة من معرفة مكانها؟".

"لا، لا. فقط إذا هبت رياح شديدة، لكن ليس من المتوقع أن تهب. إذا اتصلت، اجعلها تبقى على الخط لأطول فترة ممكنة، تظاهر بمناقشتها، وإن أردت استغل الفرصة لتملقها ومغازلتها".

"إنها تعرف أنني لست مفتوناً بها، ستدرك ما أفعله، وتنتهي المكالمة، لن ينجح الأمر في حالتها".

"أنت صحفي، لذلك فأنت فنان، كل ما هو مطلوب منك هو استخدام مواهبك. ما هذه الضوضاء؟".

"إنني أخفق البيض لأعد أومليت".

"تبدو بارعاً في الطبخ، هل لأنك أرملة؟".

"هذا أفضل من البديل. هذه الوضعية يمكنها أن تجعل الرجل يكره النساء طوال العمر".

"تأكد من الأمور جيداً قبل اتصالها بك. بصرف النظر عن تفكيرك بأنك داهية، سوف تسمع ذلك في صوتك".

"لا تقلق عليّ. إذا عثرت عليها تلك الوحدات الأرضية، فمن الأفضل لهم التخلص منها سريعاً والى الأبد".

قال لاركين: "اجعلها تبقى طويلاً على الخط قدر الإمكان، ولا تحرق البيض".
أنهى المحامي الاتصال، وقال هانافن وهو يظن أن أحداً لا يسمعه: "تريد أن تأتي لتأكل معي، أيها الفتى الذي يركض وراء سيارات الإسعاف".

20

حملت حقيبتها، ووضعت نظارتها ذات الإطار العاجي على عينيها، بينما كان شعرها الكستنائي المجعد يتدلى من تحت قبعة البيسبول. سارت نحو الجنوب مبتعدة عن المنزل الفارغ وعن هانافن، نحو الصباح المتجهم الذي بانتظارها.
استمرت العاصفة في إمساك المطر، لكنها الآن تخلصت من سكونها المطبق. الجوانب الحادة المرتعشة لسعف النخيل كانت تهمس مع بعضها البعض؛ وتخشخش كلما تحوّل النسيم إلى رياح.

حين مرت ببالوعة لتصريف مياه المطر، أسقطت هاتفها المحمول الرخيص بين القضبان، وترددت بما يكفي لتسمعه يستقر في فجوة مظلمة ذات روائح عفنة مليئة بالجرذان الميتة.

مشت بجوار بعض البنيات، واستدارت شرقاً عند أحد المنعطفات. كانت سيارة الفورد إسكيب مركونة تحت شجرة بدت وكأنها تنتحب.

السيارة كانت مسروقة من الولايات المتحدة؛ عُدلت كلياً في نوغاليس، المكسيك؛ واستبدل رقم محركها؛ ونُقلت إلى وكالة لبيع السيارات غير المرخصة عبر الحدود في نوغاليس، أريزونا. وقد أجرى تاجر السيارات سلسلة تغييرات عليها في مزرعة للخيل، لم يكن الرجل يقبل الشيكات أو بطاقات الاعتماد، أو يقبل البيع بالدين. لذلك دفعت الثمن نقداً بعد أن تعرفت إليه عن طريق أصدقاء في نيومكسيكو.

لقد أزيل جهاز تحديد المواقع من السيارة وكذلك جهاز الإرسال والاستقبال، وبالتالي لم يعد بالإمكان تعقب السيارة عبر القمر الصناعي.

الآن انتهت من عملها في وادي سان غابريل، مع أنها لم تنته من لورنس هانافن. لن يحصل على جزءٍ مهم من انتباهها، خصوصاً وأن لديها كثيراً من الأسماك الكبيرة لتصطادها. لكنه على أي حال واحد منهم، عضو في ائتلاف المُعتلين اجتماعياً الذي جمعه ديفيد جيمس مايكل والراحل بريتولد شينيك، وستجعلهم يدفعون ثمن ما اقترفوه عاجلاً أم آجلاً.

مضت سيارتها غرباً نحو وادي سان فرانسيسكو، وظهر عليها المزيد من علامات الإرهاق أكثر مما كانت الحال عليه في سان غابريل. لم تكن تحس بأن حالة التدهور واضحة في كل بلدة تمر بها، غالباً ما يكون التدهور الذي تتوقعه ذا سمة ضعيفة غير مميزة. وفي بعض الأماكن ربما أحست بالفساد الذي ينخر جسد البلاد.

في منطقة نجت من مظاهر الدمار على ما يبدو، توقفت في مطعم صغير وطلبت شيئاً للغداء، معتمدة قبعتها والنظارة لتفادي التعرف إليها، وكانت تتصرف بطريقة تمنع أي شخص من الشك بأنها تصرفات متهمه هاربة. لم تبقِ رأسها منحنيّاً للأسفل، ولم تسحب حافة القبعة صوب عينيها، لم تتجنب أن تلتقي عيناها بعيون الناس، وبدلاً من ذلك كانت تبسم بعفوية لكل من تلتقي به، وثرثرت مع الشخص الذي أخذ منها الطلب، وكانت على استعداد لإجراء محادثة ممتعة مع الفتاة اللطيفة التي وقفت تنتظر مع أمها لإحضار طلباتهما. لم تكن جين من مواطني تكساس، لكن نك وُلد ونشأ هناك، وهي كانت تزور والديه في كثير من الأحيان حيث تعلمت محاكاة لهجتهما.

بينما كانت تجلس في سيارتها لتأكل، ومض البرق ثلاث مرات في تتابع سريع، فارتجفت المارة والأشجار والبنائيات كما خيّل إليها، ثم سمعت فرقعة كأنما عباءة الأرض تنفصل بسبب الاندفاع المفاجئ العنيف لقوة كارثية. هطل المطر الكثيف الإستوائي، وبدت الرؤية غير واضحة من نوافذ الفورد، لكن جين شعرت بالراحة نظراً لما يوفره لها هذا الطقس من خصوصية.

كانت التماثيل المنتصبة بشموخ تتحمل المعاناة تحت المطر. إلا أن المنزل المؤلف من طابق واحد والذي بدا كقصر مزرعة بدا بحالة جيدة، على الطريق إلى البوابة هناك سياج من الأوتاد البيضاء، ولوحة خضراء كتب عليها بحروف بيضاء واضحة أنه منزل الجد والجددة. انتصبت ستة تماثيل في الباحة، أوحى ثلاثة منها أنها في حالة تأمل وأوحى الثلاثة الأخرى وكأن الزمن توقف عندها وهي ترقص. هناك حوض تشرب منه الطيور فضلاً عن طاحونة هوائية بارتفاع أربع أقدام. وثمة علامة فوق الباب الأمامي كتبت عليها كلمات تبارك هذا المنزل.

تشير سجلات دائرة العقارات إلى أن المالكين هما جون وجودي آيت، وبالرغم من أنهما يعيشان هنا، إلا أنهما يسميان نفسيهما بيتي ولويز جونز. والله وحده يعلم اسميهما الحقيقيين.

كانا من اللاجئين السوريين، كما يُقال، الذين تم قبولهم إلى الولايات المتحدة مع أوراق مزورة احرقوها لاحقاً. كانا على ما يفترض يعيشان في بوسطن مع أقاربهما الذين يرونهما، لكن الأقارب لا وجود لهم، رغم أن بوسطن حقيقية.

دخلت قوس السقيفة المظلل، أغلقت جين مظلتها، وانحنت على حوض الأزهار، ودقت الجرس.

فتحت لويز الباب، وهي امرأة في قرابة الخمسين سوداء الشعر تلبس بلوزة قرمزية ضيقة. طلت أظافرها بطلاء أخضر، وفي أصابعها خواتم مرصعة بالألماس بحجم العنب. عيناها معتمتان ونظراتها حادة قاطعة.

كانت تتكلم بينما تتدلى سيجارة من شفتها السفلى. لهجتها بدت شرق أوروبية أكثر منها شرق أوسطية، قالت: "أتيت باكراً".

"لدي الكثير من الأعمال لأقوم بها، أمل أن يكون طلبتي جاهزاً".

"تبدين مبلة جداً".

"إنها تمطر. أنا أسفة".

"لا بأس يا عزيزتي. ادخلي".

كان المنزل يعبق برائحة السجائر.

قالت لويز: "اجلسي، اجلسي.. سأخبر بيتي".

على الأريكة الزرقاء كانت هناك قطة سمينة رقطاء تنظر شزرًا إلى جين بعينين شديدي الصفرار.

ما من شيء غير عادي في المنزل، حتى تدخل الغرفة الكبيرة في المؤخرة، حيث يستمر بيتي في التدخين وهو يعمل على طابعات قديمة وماكينات تجليد وكل الوسائل الأخرى لإنتاج وثائق مزورة من أنواع متعددة.

لقد أرشدها إليهما، إنريك دو سوتو، الذي باعها سيارتها الفورد إسكيب. كانت تعرف عن إنريك من خلال عملها في مكتب التحقيقات، خلال البحث عن مجرم ارتكب سلسلة جرائم يُدعى بول هيدزمان والذي سرق إحدى سيارات إنريك في لحظة من إقامة عدالة الشوارع في مجتمع يفتقر إلى العدالة الحقيقية. وبعد أن اعتقل، كان يأمل في كسب تعاطف البعض من خلال الكشف عن تاجر السيارات المسروقة.

هناك عدد من المجرمين أكثر من الأشخاص النظيفين يجب مطاردتهم الآن. من الضروري لرجال الشرطة من كل الرتب ممارسة الفرز والانتقاء كما يفعل أطباء في غرف الطوارئ في المستشفيات عندما يتعاملون مع عدد كبير من الجرحى. كما يحدث في كثير من الأحيان، أكثر مما يتصور الناس، فإن السلطات التي أحيل إليها إنريك كانت مسلوبة الإرادة وعاجزة، وتتابع قضايا كبيرة أكثر أهمية. وُضع ملفه في أحد الأدراج مع المهملات، حيث سيبقى هناك حتى تصفر أوراقه وتهترئ وربما يمضي عقد من الزمن أو عقدين فيرمى في مكانٍ ما حتى يفسح المجال لغيره من ملفات القضايا الجديدة التي ربما لن يجد أحد الوقت الكافي للتحقيق فيها هي الأخرى.

سبق لجين أن زارت لويز وبيتى قبل يومين. كجزء من عملهما، كانا يوفران شعرًا مستعارًا عالي الجودة بتشكيلة واسعة من الألوان، بالإضافة إلى عدسات لاصقة جيدة المواصفات من شأنها أن تبديل لون عينيها، ومجموعة من لوحات أرقام السيارات المزيفة الجديدة، وصور فوتوغرافية يمكن أن تُستعمل على مجموعة جديدة من إجازات القيادة.

ظهرت قطة بيضاء أخرى وأصدرت صوتًا خشنًا بوجه جين، ثم عادت إلى تقويس ظهرها. كانت عيناها مسححة من الاخضرار كأنها عصيدة تغلي في قدر الساحرات.

عندما نهضت عن الأريكة المريحة، وثبت القطة لتأخذ مكانها، فانتقلت جين إلى كرسي جلدي مبطن.

بالرغم من أنها امتلكت في السابق رخص قيادة مزورة، إلا أنها أصبحت الآن عديمة الجدوى - كانت تحمل أسماء مختلفة وصادرة من ولايات مختلفة - وذلك بعدما انتشرت صورها في شتى أنحاء البلاد.

حين عادت لويز، كانت تحمل مغلف مانيتا صغيراً وكيس تغليف بلاستيكيًا يحتوي على خمس باروكات ينبغي أن توضع بما يتلاءم مع كل رخصة مزورة. تناولت جين التراخيص من المغلف، وراحت تبحث فيها. إنها ست بطاقات صدرت بأسماء مختلفة. إحداها تحمل صورتها كما هي الآن، وخمس تضع فيها شعراً مستعاراً.

لا بد أن بيتي كان يدرك أن الصور التي التقطت بكاميرات قديمة رخيصة نادراً ما تكون صورها دقيقة عن قرب، ولا يمكن أن تعتبر لقطات مبهرة. كان يضبط سطوع الضوء في الصور المخصصة لرخص القيادة، وهي تبتكر تعبيرات جادة تجعلها تبدو مختلفة عن هويتها الحقيقية قليلاً. لو عُرضت تلك الصور على أي شخص، فلا يمكن أن يتصور أنها للعميلة الحمراء في مكتب التحقيقات؛ كان غموض تلك اللقطات الفريدة يتيح لها أن تطري على نفسها أو ربما تزديها، مثلما يتطلب الموقف، ومع ذلك فهي لا تزال تشبه صورة المرأة التي على رخصة القيادة.

من حسن الحظ أن بيتي يعمل مع أحد خبراء الحاسوب الذين يتمتعون بمهارة إجرامية فائقة بحيث يستطيع اختراق أي حاسوب وأي نظام لأقسام المرور في البلاد، ويدخل ملفاً مزوراً، فيجعله يبدو شرعياً في نظر أي رجل شرطة ربما يوقفها على الطريق لأنها تقود متجاوزة حدود السرعة، أو لأي سبب آخر.

دفعت لهما النقود وبينما كانت تعيد رخص القيادة إلى المغلف، قالت: "هذه تستحق كل بنس دفعته فيها، لكن أسعار الشعر المستعار مرتفعة".

نفخت لويز حلقة من الدخان في الهواء وهي تقول: "إنها تجارة رائجة في هذه الأيام ومن النادر أن تجدي بضاعة بهذا المستوى من الإتقان، نحن لا نقدم حسماً لأي شيء يا حبيبتى".

ربما كانت جين ستجد متعة في اعتقالهما لو كانت تعمل في وظيفتها السابقة، ولم تكن بحاجة للمساعدة للبقاء حرة وعلى قيد الحياة.
قالت: "إنها رحلة طويلة من سوريا، أليس كذلك؟".
"سوريا في حالة يُرثى لها. أتمنى لك يوماً سعيداً".

22

عند الساعة 6:30 من مساء الخميس، بعد خمس ساعات من الهجوم، بدأ الثلج يتراكم على أضواء الشوارع. وبفعل أضواء سيارات الطوارئ أمكن رؤية الدخان المتصاعد من واجهات فندق فيلن الذي يحترق؛ دخان أسود كثيف، وسحب بيضاء خفيفة توشي بحضور أثيري للأرواح التي غادرت هذا المكان. ندف الثلج، تكبر وتزداد ضخامة في نهاية العاصفة، تتكوم فوق بعضها في ظل رائحة الأزهار التي يلقيها المنتحبون على القبر المفتوح.

وقف المأمور لوثر تيلمن عند تقاطع شارعي فتزجيرالد وماين، ينظر إلى مشهد الخراب، واضعاً يديه في جيبي بذلته الرسمية. بين فترة وأخرى، كان إيقاع الدخان المتصاعد كالتنين يتغير بوضوح، ومعه يتبدل مزاجه بين الغضب والحزن، ورجوعاً مرة أخرى إلى الغضب. شعر لوثر بالامتنان لأن البنايات المحيطة بالفندق لم يلحق بها دمار بالقدر الذي يفترض بمثل هذا الانفجار أن يلحقه، لكن هذا الامتنان لم يكن سوى ومضة أمل في ظل بحر الدمار المحيط. لقد قبض ملك الموت حياة اثنتين وأربعين ضحية، بمن فيهم حاكم وعضو كونغرس المقاطعة، ولكن ما من شك أن عدد الضحايا سيرتفع مع استمرار أعمال البحث.

وقف هناك محبطاً، بعد أن أبعدته في البدء مدير الشرطة، ثم عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي الذين جاءوا من مكتبهم الميداني في مينابولس، ومؤخراً أتى مختصون من المكتب جواً من كوانتيكو، وهم يعملون من الوحدة الأولى لتحليل السلوك الإجرامي، التي تتعامل مع العمليات الإرهابية، والتخريب، والمتفجرات. بالرغم من ذلك لم يشعر أن في الأمر إهانة، فهم يمتلكون من المعلومات الخاصة والمصادر اللازمة لمثل هذا النوع من الأعمال التخريبية أكثر مما يُتاح لأي قسم شرطة

في المقاطعة، وبما أن أحد الضحايا هو عضو في الكونغرس فهذا يعني أن الاعتداء أصبح جريمة فدرالية، ولكن التحقيق في الأساس من اختصاص دائرته القضائية، وإذا استبعدت كل الأمور القانونية فالكثير من الضحايا هم من أصدقائه وجيرانه، وهذا ما جعل من حزنه يتحول إيجاباً لأنه يشعر أنه عديم الجدوى الآن.

بالرغم من برودة الجو والروائح الخانقة للدخان التي تأتي وتذهب مع تقلبات الجو، تجمع سكان البلدة في الجوار لمشاهدة الضحايا وندبهم. عمد مساعدو لوثر إلى إبعاد الناس عندما يرون أنهم تقدموا أكثر مما يجب وواسوا بصبر وتفانٍ أولئك الذي يقفون متلهفين لسماع أخبار أحببتهم. لم يكن هناك كثير من الأمور يمكن لرجال الشرطة المحلية تقديمها في ظل الوجود الطاعي للسلطات الفدرالية.

كان لوثر من الشخصيات التي تحظى بالاهتمام وسط ذلك الحشد، لأنه وقف شامخاً بقامته الطويلة المميزة، وبقي صلباً رغم أنه يناهز الحادية والخمسين من العمر، كان في السابق نجمًا محلياً لكرة القدم في المدرسة الثانوية، بلونه الأسود مثل أي شخص آخر في مينيسوتا، حيث غالبية السكان من الأميركيين ذوي الأصول الأفريقية. كان يشعر بالفخر لأنه انتُخب مأموراً للمقاطعة لأربع مرات، لكن لم يكن ذلك الفخر من النوع الذي يمكن أن يؤدي إلى التهور؛ كان شعوره بالفخر مخلوطاً بالتواضع والإحساس بالمسؤولية إزاء أرواح الناس الذين ائتمنوه ووثقوا به وكلفوه بأداء هذا الواجب.

إلى جانب ذلك، كانت زوجته ذات الست وعشرين سنة، ربيكا، قادرة على تعقب أي نوع من الغطرسة ووأدها في مهدها، وكان في وسعها تأنيبه من خلال نظرة أو بضع كلمات لطيفة. لم يحاول على الإطلاق نسيان أن أفعاله تنعكس عليها وعلى ابنتيهما أيضاً، وهذا سبب آخر جعله يشعر بالإحباط لأن السلطات العليا في البلد تركت له مجالاً ضئيلاً في الوقت الذي يتوقع فيه الناس هنا، وهم محقون، أن يفعل أشياء أكثر.

شعر بالقلق لأن التحقيق يمكن أن ينحصر في مسار واحد: كورا غندرسن. فقد كان يعرف كورا منذ عشرين سنة، وهو على يقين أنها غير قادرة على اقتراف مثل هذا الفعل الهمجي المروع.

نعم، ولكن... كل إنسان يمكن أن يكون لغزاً محيراً، كل عقل بشري هو متاهة من المسارات والحجرات السرية. ما من شخص يعرف الأشخاص الآخرين حق

المعرفة ويستطيع التوقع بما يمكن أن يقدموا عليه، باستثناء، الزوج والزوجة، وهذا لا يصح دائماً.

صنعت كورا العجائب مع الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، وما من أحد يمكن أن يقول شيئاً سيئاً عنها. ومع ذلك، ربما لا يريد لوثر الاعتراف بأن دودة الشر أو الجنون التفت على كيانها، فمن واجبه كشرطي أن يحسم الأمر.

لقد بقيت أشياء قليلة من سيارتها الرياضية في المكان، مجرد كتلة ملتوية من الفولاذ والألياف الزجاجية المنصهرة، وبقي القليل من كورا أيضاً، القليل الذي يصلح للتعرف إليها من دون إجراء فحص للحمض النووي. هناك شهود كثيرون يعرفونها جيداً على استعداد للإدلاء بشهاداتهم بأنها كانت تقود سيارتها الإكسبديشن المحترقة، وأنها كانت تضحك وهي تسرع بالسيارة، وأن لا أحد غيرها كان في السيارة.

لقد تعرض منزلها، الذي يقع في منطقة ريفية، إلى التفتيش أيضاً من قبل مكتب التحقيقات الفدرالي. في الوقت الحالي، لا يستطيع لوثر أن يفعل شيئاً غير المراقبة وتقبل الإقصاء.

عند الساعة 6:42 بعد أن عبر الشارع ليتكلم مع مدير شعبة الإطفاء في المقاطعة، أحس بأن لديه شيئاً ليفعله أكثر من مجرد جمع أي معلومات مفيدة، لكن هاتفه كان يرن. كان المتصل به روب ستاسن المساعد الذي كلفه لوثر بمراقبة منزل كورا، وأن يبقى تحت تصرف عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي.

"سيدي، إن لم تكن مشغولاً، ربما من الضروري أن تأتي إلي هنا".

قال لوثر: "سأتي حالاً، ربما كان الاختلاف الوحيد بيني وبين الدب الذي في حالة سبات أنني لا أملك كهفًا. ما الذي يحدث؟".

"لا شيء. لقد رحلوا".

"من الذي رحل؟".

"عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي".

كان عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي قد أقاموا مركز عمليات لهم للرد على الاستفسارات في المكتبة عند شارع ماين، على بعد بضع بنايات من فندق فيبلن. من هناك، توجه فريق من أربعة رجال إلى منزل كورا غنדרسن عند الساعة 3:30. ووصل

رجلان آخران من ضمن العملاء في وقتٍ لاحقٍ من كوانتيكو، محمّلين بحقائب المعدات، عند الساعة 4:30.

لم يكن المنزل بطبيعة الحال مسرحًا للجريمة؛ لكن يفترض أنه المكان الذي حُطّطت فيه الجريمة وأُجريت فيه التحضيرات. في البداية مشطت المناطق القريبة، مثلما تتطلب حالة مهمة كهذه، وانشغل فريق الأدلة الجنائية بالعمل الدقيق بالبحث والتقصي على الأقل حتى منتصف الليل.

بينما كان لوثر ينظر إلى حذائه الذي يحمل آثار الثلج ويحرك أطراف أصابعه المتجمدة من البرد للتأكد من الإحساس بها، ابتعد عن مدير الإطفاء، وخفض صوته وهو يتكلم بالهاتف: "هل قالوا متى يعودون؟". قال روب ستاسن: "لا أظن أنهم سيعودون".

عرف لوثر بالفطرة، بوجود شيء غريب بشأن تصرف عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي. البعض منهم كانوا يبدوون غير متعاونين إلى درجة مزعجة، منعزلين تمامًا عن مظاهر الدمار التي تحيط بهم. بطبيعة الحال، يحتاج المحققون، باعتبارهم أول المستجيبين للوضع، للبقاء متماسكين ومحافظين على رباطة جأشهم. لكن حتى أكثرهم تمسكًا بالمهنية في العمل، والذين شحذتهم التجارب الطويلة، لا بد أن يتأثروا بمشهد مثل هذا؛ ومع أنهم ربما لا يعبرون عن حزنهم وتعاطفهم بالكلمات أو يتيحون لدموعهم أن تسقط من عيونهم، لكن مشاعرهم لا بد أن تُقرأ بسهولة على وجوههم. على الأقل أربعة من تلك الوجوه، من الرجال والنساء بدت غير مبالية، كأنما العقول التي وراء عيونهم عاجزة عن إدراك العمق الإنساني بينهم وبين الذين تعرضوا للانفجار، والذين احترقوا، والضحايا المهشمين الذين دفنوا تحت الأنقاض.

قال روب ستاسن: "إنني وحدي هنا الآن.. هناك ما يثير الريبة في المكان، أيها المأمور. من الأفضل أن تأتي لتلقي نظرة".

23

في نهاية فترة ما بعد الظهر، عمّ الهدوء مبنى المكتبة، والمصابيح الجانبية والتي فوق الرؤوس ألقّت الضوء فقط على صفوف متعاقبة من الخزائن والرفوف. ربما كان

الغرض من ذلك التوفير من مصروف الكهرباء. ومن خلال النوافذ الكبيرة عبر قليل من الضوء لأن المطر خفف من قدرتها على تمرير الضوء.

هناك ممرات بين الخزائن والرفوف محملة بالكتب، مع أنها أقل مما كانت عليه منذ عقود سابقة، وأُخليت مساحة أكبر للأشرطة المدمجة، وكانت هناك زاوية مخصصة للأطفال. وباتجاه مؤخرة غرفة فسيحة، كان هناك شبكة من الحواسيب متوفرة لمن يريد استعمالها.

هواتف ذكية وأجهزة إلكترونية متعددة الأغراض وحواسيب صغيرة محمولة كلها كانت مراقبة وقابلة للتحديد من قبل السلطات في الوقت المناسب. لذلك لجأت جين هوك إلى حواسيب المكتبة، وبحث على غير هدى، لأنها كانت على عجلة من أمرها. وحتى هنا، إذا كانت روابط البحث الذي تقوم به تتضمن بعض الأسماء والأشياء التي يعرف ملاحقوها أنها مهمة بها - ديفيد جيمس مايكل، شركة فار هورايزونز، آليات النانو، زرع الدماغ، وغيرها من المواضيع - ربما تكون من المواقع التي يتعقبها الأعداء، ويقومون بعملياتهم الأمنية في اكتشاف المصدر. وبالتالي، بقيت زيارتها للمكتبة قصيرة.

كانت وحدها هناك وسط الرفوف والخزائن، وتمنت أن تبقى وحدها حتى تنتهي من عملها.

بعض المواضيع كانت تثير اهتمامها. بالدرجة الأساس راندال لاركين، المحامي. حين لم تتصل بلورنس هانافن ظهرًا، ربما استنتجوا أنها تراجع الأمور بشأن مواجهتها مع الصحفي فقررت أن لا توليه ثقته. لم يعرفوا أنها كانت تستمع إلى محادثاته الهاتفية مع لاركين.

وبما أنه لم يسبق لها أن وضعت نظارة، بدأت دعامات العدسات تزعجها، والحواف تضايق جسر أنفها. خلال وقت قصير ستذهب إلى مكانٍ تقضي فيه الليل وتزعجها.

كانت شركة الخدمات القانونية - وودباين، كرافتر، لاركين، بنديتو - تعمل من عنوان في ليلت سانتا مونيكا بوليفار في بيفرلي هيلز، وكان اسم راندال لاركين يقود إلى الكثير من الروابط. سجلت بعض التفاصيل المهمة في دفتر صغير وسرعان ما عثرت على ما تريد.

قبل الانتقال إلى موضوعها الثاني، بعد تفحص الغرفة للتأكد من خلوها من أي شخص، رفعت النظارة ومسحت الأثار التي تركتها على أنفها.

حين فتحت جين عينيها ووضعت النظارة مجددًا، رأت امرأة تقف على بعد أقل من خمس عشرة قدمًا منها، في نهاية ممر الرفوف، تراقب بتعابير تشي بشيء من الإرباك. كانت في منتصف الثلاثينات تتعل حذاء مطاطيًا، وترتدي تنورة جلدية، وبلوزة بيضاء. كانت المرأة تدفع عربة محملة بالكتب وتعيدها إلى أماكنها على الرفوف.

ابتسمت لها جين، فبادلتها المرأة الابتسامة، وعادت جين لتتابع التحديق إلى الحاسوب، متظاهرة بعدم الاهتمام. بقيت تراقب جانبيًا موظفة المكتبة وهي تبحث على عجل عن أي أخبار بشأن موت ساكورا هانافن قبل سنة فوجدت ما تريد. قالت موظفة المكتبة وهي تقرب منها، وعربة الكتب تكاد تكون فارغة: "اعذريني، ربما سبق لنا أن تقابلنا، لكني لا أتذكر أين".

هنا تكلمت جين بلهجة تكساس، قالت: "شعرت بالأمر نفسه عندما لمحتك، هل سبق لك أن عشت في دالاس؟".

"لا، لم يسبق لي أن بارحت كاليفورنيا".

"إنني أقيم مع صديقة لي هنا في شارع أوكاديل، على بعد بعض البنايات من ساتيكوي، إلى أن أعر على مكان خاص بي. أتعرفين أوكاديل؟".

"هل هي في وينيتكا؟".

"بالتأكيد".

هزت موظفة المكتبة رأسها: "إنني أسكن في كانوغا بارك".

"إنه مكان قريب. ربما التقينا في محل بقالة في بافليونز".

"لا، أنا لا أذهب إلى هناك".

عبست جين، وهزت رأسها استهجانًا: "هاه، ربما عرفت إحدانا الأخرى في الحياة الأولى؟".

"حسنًا، لطالما شعرت بالانجذاب إلى المعتقدات المصرية القديمة، الفراعنة والعنقاء وكل هذا الكلام، كأنما عشت هناك ذات مرة".

"ربما كان هذا هو التفسير المنطقي، يا عزيزتي، أنا وأنت وتوت عنخ آمون".
تبادلنا الابتسامات، وعادت جين إلى اهتمامها السابق بالحاسوب، كانت تريد أن
تنهي عملها بسرعة.

ابتعدت الموظفة عنها، وكانت تدفع عربة الكتب الفارغة. ربما أدارت رأسها
لتنظر إلى جين مرة أخرى. راقبتها جين من دون أن تلتفت إليها مباشرة.
حالما اختفت المرأة بين رفوف الكتب، واتجهت إلى طاولة في الواجهة، أغلقت
جين الحاسوب، وحملت محفظتها الكبيرة، ومظلتها، ونهضت من مكانها. لم تشأ أن
تغادر من المدخل الرئيسي. مشت بسرعة إلى الباب الذي يحمل علامة تشير إلى صالة
الانتظار.

بعد اجتياز الصالة كان هناك رواق، وفوق الرأس تركيبات إنارة تنعكس على
بلاطات الأرضية الزرقاء الشاحبة. في الطرف الآخر من الرواق علامة حمراء براقعة فوق
باب يفضي إلى الخارج.

خرجت إلى الشارع تحت المطر، ووجدت موقف سيارات صغيراً، ربما لم يكن
مخصصاً لموظفي المكتبة.

كانت سيارتها الفورد إسكيب على بعد بنايات من هناك، في شارع تنتظم فيه
البنائات السكنية في صفوف. لهذا السبب تحديداً، لم تتركها قريبة جداً من المكتبة. فإن
حصلوا على مواصفات سيارتها، عندها يجب أن تتركها، وتسرق سيارة، وتتجه إلى
نوغاليس، أريزونا، لإجراء صفقة مع إنريك دو سوتو. فكل شياطين الجحيم - أو على
الأقل من يعمل معهم - كانوا يبحثون عنها، لكن لا وقت لديها للذهاب إلى نوغاليس.
دون أن تتوقف لتفتح المظلة، أسرعت فدخلت بين سيارتين مركوتين. وبينما
كانت تخوض في برك المياه الضحلة في الممر، نادى رجل عليها: "هيه، أنت".

التفتت إلى الوراء، فرأت شخصاً ببذلة رسمية. لم يكن شرطياً؛ بذلة خضراء
وسوداء، والمسدس على خصره. ربما كان حارس أمن. هل يوجد في المكتبات حراس
مسلحون في هذه الأيام؟ سحقا، نعم، حتى الكنائس قد يكون فيها حراس مسلحون.
رأت صفًا من المحلات والمطاعم على الجانب الآخر من الشارع. أسرعت
الخطى متجهة إلى أبوابها الخلفية ومكبات النفايات، فصاح عليها الحارس، ولاحقها.

زخات من المطر تغطي طبقات قديمة من البراعم التي تغفو عميقاً، أكوام نباتات منحنية كأنما تحمل شكل نائمين يحلمون. جذوع الأشجار الشاحبة كهياكل عظمية صبغها الشتاء، شوك بري وأشجار حور رمادية، وأغصان عبثت بها العاصفة لأشجار دائمة الاخضرار.

قاد المأمور لوثر تيلمن سيارته الجيب وحيداً متجهًا إلى خارج البلدة، وبعد أن قطع بعض الأميال اقتنع بأن الجريمة الفظيعة التي وقعت في فندق فيبلن ليست عملاً جنونياً منفصلاً، بل هي بداية شيء ما. إن حياة الناس ورفاهيتهم تستقران على صفيح ساخن.

مع عدم وجود ضوء في النوافذ، كان منزل كورا غندرسن ذو الطابق الواحد والواجهة البيضاء يستقر هاجعاً في أواخر الشتاء. في البدء لم يظهر كل المنزل، بل ظهر بشكل تدريجي مع اقتراب السيارة وتسليط ضوء مصابيحها عليه، انعطف لوثر إلى ممر جانبي غير ممهد، وقاد سيارته نحو مؤخرة المنزل، وركنها خلف سيارة روب ستاسن الجيب. أوقف عمل المحرك وأطفأ المصابيح.

تصاعد خيط من البخار من أنبوب العادم الخلفي وازداد الجو وضوحاً مع خروج بوب من سيارته وإغلاق الباب.

بينما كان لوثر يقترب من مساعده، قفز كلب كورا الألماني طويل الشعر إلى مقعد السائق في سيارة الجيب وراح ينظر من النافذة الجانبية باهتمام ووقار. قال المأمور: "يبدو أن دكسي لم يتناول عشاءه".

كان روب في السادسة والثلاثين من العمر، خدم عشر سنوات في شرطة البحرية قبل أن يضجر من الموائئ الأجنبية ويأتي إلى الوطن للمساعدة في الحفاظ على السلام. "لقد فكرت في هذا. وجدت طعامه، وكان عليّ مداعبته كي يأكل، ومع ذلك، لم يأكل كثيراً. إنه يرتعش ويهمهم، المسكين يبدو وكأنه يعرف ما حل بكورا". قال لوثر موافقاً: "الكلاب تعرف ما يحصل".

"كورا من بين جميع الناس، المُدرّسة المثالية في مينيسوتا لهذه السنة. الأمر يصعقك إذا فكرت به".

كان يتجه نحو السقيفة الخلفية القريبة، والثلج يتكسر ويُسحق تحت قدميه، قال لوثر: "بشكل أو بآخر، نحن لا نعرف كورا الآن كما كنا نعرفها".

"تقصد إصابتها بخلل في الدماغ مثلاً؟".

"لا يمكن أن نعرف. لم يبقَ منها ما يكفي للتشريح".

كانت درجات سلم السقيفة قد مُسحت وأزيع الثلج عنها. صعد لوثر وقال: "لا إشعار بالمنع من الشرطة على الباب، ولا ختم؟".

"كانوا نوعًا ما يتبعون التعليمات بصرامة أولاً، حتى ظهر ذلك الشخص الذي يُدعى هندركسون. ثم خرجوا من هنا بأدواتهم".

"ومن هو هندركسون هذا؟".

"بوث هندركسون من وزارة العدل. كأنما كان يحمل سوطًا يدفعهم به، لا أعرف السبب".

كان مكتب التحقيقات الفدرالي من الدوائر شبه المستقلة، يعمل تحت سلطة وزارة العدل.

سأله لوثر: "كيف حصلت على هذا الانطباع؟".

"ادّعى أنه يعمل بمعزل عنهم، وربما كان هذا صحيحًا. يبدو لي أنه من خريجي هارفارد أو ييل، إذا سألتني. ولكن هويته من وزارة العدل تبدو حقيقية بما يكفي، والمختصون من كوانتيكو يعرفونه".

"ماذا كان يقول لهم؟ لماذا أخرجهم من المكان؟".

"الأمر ليس شخصيًا.. حضرة المأمور. بالنسبة إلى هندركسون، أنا مجرد شرطي صغير. المنزل مقفل، وهو أخذ المفتاح. إذا كنت تعتقد أننا نحتاج لنفعل هذا، علينا أن نكسر الباب، أو ربما نجد نافذة غير مغلقة".

قال لوثر: "كورا كانت تخفي مفتاحًا في مكان ما تحسبًا لانغلاق الباب وهي في الخارج".

أخذ ممسحة طويلة كانت موضوعة على الحائط، وأزاح الثلج عن جزمته.

"سبق أن عبثوا بالمكان على نحو سيء، سيدي".

"لسنا بحاجة للعبث أكثر، روبي".

استعمل روب ستاسن الماسحة بينما كان لوثر يبحث عن المفتاح على حافة فوق الباب. وأخيرًا وجد المفتاح وفتح الباب، وأشعل الأضواء. كان الخراب في كل مكان من المطبخ. والثلج الذائب يلطخ أرضية المشمع. خطوات أقدام موحلة انتشرت جزئيًا كأنها قطعة فنية قديمة من الفن التجريدي. كانت أبواب الخزانة مفتوحة ومحتويات منفضة السجائر منقلبة على الأرض، وسللة النفايات نُبشت ثم تُركت من دون أن تُجمع. ومسحوق بصمات أصابع أسود يلطخ الطاولة، وباب الثلاجة، والخزانات مفتوحة. كانوا يبحثون عن بصمات أصابع لا تعود إلى كورا، في حال وجود مساعدين لها في المؤامرة. قفازات يستعملها المحققون لتفادي تشويش المشهد ببصماتهم، خُلعت وأُلقيت على الأرضية أو تُركت على المنضدة هنا وهناك.

تساءل لوثر: "يبدو هذا شبيهًا بعمل مكتب التحقيقات الفدرالي كما تعلم؟".
"المشهد مشوش، أيها المأمور. لا يبدو هذا من عمل مكتب التحقيقات".
"ربما لم يمض وقتٌ طويل. على انشغالهم بجمع الأدلة أو إزالتها".
"يا إلهي، هل يفعلون ذلك حقًا؟".

وقف لوثر قرب طاولة الطعام، يتأمل دفتر ملاحظات سميكاً يخترق غلافه سلك حلزوني وقد تُرك مفتوحًا.
"هذا الدفتر يعود إلى كورا. لا أحد ممن أعرفهم يكتب بهذا الخط الأنيق مثلها".
قال المساعد: "كأنها كتابة آلة طباعة".

كانت قد استعملت صفحة واحدة فقط من كل ورقة. الجانب الأيسر المكشوف بقي فارغًا.
على الجانب الأيمن، ابتداءً من القمة، كتبت: "أحيانًا في الليل... أحيانًا في الليل...".

كأنما كانت تجلس هنا في حالة شبه غيبوبة، وذهنها ملتصق كإبرة فونوغراف في شقوق أسطوانة تسجيل، تلك الكلمات تملأ سطرًا بعد آخر.
قلب لوثر الورقة، ثم ورقة أخرى، ورابعة وخامسة، كلها متشابهة في محتواها، حتى وصل إلى مكانٍ تابعت فيه الفكرة التي يبدو أنها كانت بحاجة ماسة للتعبير عنها:

"أحيانًا في الليل، أكون مستيقظة تمامًا، أكون مستيقظة تمامًا، أكون مستيقظة تمامًا.."

على ست صفحات، كانت كورا تكرر فقط تلك الكلمات، مرة بعد مرة في تتابع ممل.

وحين وجد لوثر مادة جديدة بعد ثمانى صفحات، وبينما كان روب ستاسن واقفًا بجانبه، قال: "لقد تجمّدت عروقي".

25

كان آخر شعاع لضوء النهار يضمحل، والسحب الداكنة انتهت من إطلاق ألعابها النارية، والعاصفة المتجهمة ترسل ضوءًا حادًا على وادي سان فرناندو. بعد أن طاردها حارس الأمن، خاضت جين وسط المياه المتدفقة التي تحمل الفضلات على طول المنخفض الضحل للطريق. مرت ببراميل القمامة، عند بوابة فولاذية عليها علامة مطعم فالنتينو/ خدمة التوصيل، بحثت عن المدخل حتى وجدته.

وراء ذلك رأته ردهة الاستقبال، ربما كانت بعرض عشرين قدمًا وعمق عشر أقدام. كانت الأرضية والجدران من الإسمنت وهناك رفوف معدنية فارغة إلى اليسار واليمين، وباب داخلي يقود إلى المطبخ، وروائح الثوم والبصل تنتشر في الهواء. كان العمال يستعدون قبل فتح الباب للعشاء.

مشت إلى اليسار وألقت حقيبتها اليدوية على الأرض ووقفت تسند ظهرها إلى الجدار. سمعت الباب ينغلق ورائها ببطء.

الشخص الذي جاء يعدو ورائها لم يكن من رجال الشرطة بل كان حارسًا ليليًا في شركة خدمات أمنية، وإن لم يكن عسكريًا سابقًا، ربما كان شخصًا اعتياديًا تأهل ليحمل رخصة سلاح، ولا بد أنه متلهف جدًا لإثبات جدارته. مع وفرة الحماس وقلة الخبرة، سيهاجم هذا المكان مفترضًا أنها تلجأ إلى الهرب عبر الباب الأمامي للمطعم. إذا كانت محظوظة، فهي تأمل أن لا يندفع نحو ردهة الاستقبال شاهراً مسدسه.

بعض هؤلاء الحراس ذوي الرتب البسيطة يعيشون اعتمادًا على فطرتهم، وبعضهم تقريبًا يخافون من استعمال أسلحتهم.

سمعت صوت الباب يفتح، وارتطمت حافة الحذاء بالعتبة مصدرة صوت امتصاص، واندفع بعيداً عن جين تناثر رشاش من قطرات المطر بفعل الريح على ردهة الاستقبال وهناك كان يجلس، قريباً منها. أجفله ظهورها المباغت حين ضغطت زر النابض، وخلال جزء من الثانية انفتحت المظلة في وجهه.

صرخ من الدهشة، ربما لم يدرك فوراً ما الذي تفجر في وجهه. كان وجهه أسود مثل المظلة، ربما فكر أنه يرى ملاك الموت يرفرف أمامه ليضمه بين جناحيه. تعثر على جنبه، وسقط أرضاً.

رمت جين المظلة جانباً، وتقدمت لتقف فوق الرجل الساقط، وتضغط على خصيته بما يكفي لتجعله يتمنى أن يلفظ أنفاسه. قالت: "لا تجعلني أؤذيك أكثر من هذا".

أبقت إحدى قدميها على خصره، ولم تكن بحاجة للقلق، لأن السقطة أفقدته كل قواه. انحنت صوبه وانتزعت المسدس من قراب على خصره، وتراجعت، ثم وجهت السلاح إليه بينما كان الباب الخارجي ينغلق.

"ابق في مكانك على الأرض. اخلع ملابسك".

صُعق من هول المفاجأة، وشحب لونه، وكان يتلوى من الألم، ويحتاج لأن يسمعها تأمره بذلك مرة أخرى، قبل أن يفهم، لكنه لم يخطط للتأخر والمراوغة.

بينما كان حارس الأمن يخلع ملابسه التحتية، انفتح الباب الداخلي وظهر رجل في مقتبل العمر بسمات رومانية مهيبية، يلبس بذلة بيضاء وقبعة الطهارة، من الواضح أنه جاء ليعرف سبب تلك الضجة. دلت تعابير وجهه أنه شبيه بمحارب مؤتمن على عمود ديناميت بصمام تفجير جاهز.

ولكن حين بدأ الطاهي بالتقهقر، وجهت جين المسدس باتجاهه: "ابق مكانك أنت أيضاً وإلا تلقيت رصاصة".

قال متوسلاً وهو يرفع يديه، ويمسك الباب الداخلي المفتوح بجسمه: "أرجوك لا تفعلني ذلك، لدي أم تعتمد علي في حياتها".

بقي الحارس ممدداً على ظهره على الأرضية، يكافح لنزع ملابسه المشبعة بماء المطر فيخرجه من حذائه، وأحست جين بالذهول من ذلك المشهد الكوميدي.

قالت مخاطبة الطاهي: "خذ المظلة وأغلقها".

امثل لها فورًا، في الوقت الذي كان الحارس يخلص نفسه من بنطاله.
"أيها الطاهي، ألقِ المظلة هناك قرب تلك الحقيبة اليدوية على الأرض. لا تفكر
أبدًا في رميها عليّ".

كان يتصرف مثل بطل في سباق الخيل. أخيرًا استقرت المظلة مرتطمة بالحقيبة.
قالت للحارس: "اخلع لباسك التحتي".

"تبًا، لا تمزحي معي".

قالت بلهجة آمرة: "أنت تعلم أنني لا أمزح؟".

"نعم، نعم، أعرف".

"لذلك فأنا أمرك بهذا، ستبقى عاريًا أو تموت. الاختيار لك. هيا، بسرعة".
سرعان ما خلع اللباس القصير.

"انهض".

تأفف وهو يمتص الهواء ما بين أسنانه المطبقة، كان يحتاج إلى شيء يمسك به
ليسحب نفسه فيقف على قدميه. ولم يتمكن من الوقوف مستقيمًا.

قالت: "خذ لباسك الداخلي والبنطال، افتح الباب وألقهما في منتصف الممر".

فعل ما طلبته منه، ولما أخبرته بأن يذهب باتجاه الطاهي، امثل على الفور، مع أنه
أعرب بشكل لا لبس فيه عن كرهه لها.

وقفت جين عند الباب الخارجي وكادت تغلقه، قالت: "يكاد قلبي يتفطر".

والتقطت الحقيبة اليدوية والمظلة بيدها اليسرى.

"أيها الطاهي، إنني أشم رائحة البروكلي في مطبخك؟".

"إنه طبق الليلة".

"أتمنى لو استطعت البقاء لتناوله".

انسلت إلى خارج ردهة الاستقبال، دفعت مسدس الحارس إلى ناحية برميل
القمامة، وركضت تحت المطر الذي بدا أكثر غزارة مما كان عليه قبل دقائق. هبت
الرياح بضراوة أكثر مما كانت بعد أن انفتحت بوابة الليل على مصراعها، وعصفت
بالطريق، تهفهب كأنها قطع سرامي يتسلل مخيفًا مفرغًا عبر هذه المنطقة قبل قرون من
استيطان البشر لها.

مطبخ المرأة المتوفية بارد، دهون لحم بقر لزجة ثقيلة في المقلاة على الموقد، ففاضات شاحبة تركها عملاء مكتب التحقيقات، ملقاة على ظهور الكراسي ومعلقة على حواف المنضدة ومتناثرة على الأرضية، كأنها بقايا كائنات بحرية أزيحت من محيط شاسع بعيد بطريقة مجهولة. طبق ملطخ ببقايا الطعام وأدوات أخرى على الطاولة، تركتها امرأة معروف عنها أنها أنيقة بشكل غير اعتيادي. والمفكرة التي تحوي آلاف العبارات المتكررة التي شكلت بها رسالة عصية على الفهم، هي دليل على حاجة ملحة لنقل حالة أو تجربة تشكل مصدر خوف لها.

"أحياناً في الليل، أستيقظ وافتح عيني على وسعهما..."

قلب المأمور لوثر تيلمن خمس صفحات قبل أن يعثر على تركيبة جمل أخرى، وكان ذلك عندما قال روب ستاسن: "لقد تجمّدت الدماء في عروقي".

كان يقرأ الصفحة التي كتبت عليها: "أحياناً في الليل، أستيقظ وافتح عيني على وسعهما، وأشعر بعنكبوت يزحف داخل جمجمتي..."

قال لوثر: "لا بد أن عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي هم من فعلوا هذا. هل من المعقول أنهم مهملون بحيث تركوا الأمر هكذا".

قال روب: "كانوا سيأخذون هذه الأدلة معهم. يا إلهي، إنها أدلة حاسمة".

لم يستطع تفسير سلوك عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي. لكن لوثر كان يركز أكثر على فظاعة ما وجدته هنا، وشعر بالحزن لأن يقرأ هذا الدليل الذي يدل في الواقع على معاناة كورا غندرسن من حالة نفسية.

قلب ثلاث صفحات أخرى قبل أن يعثر على النقطة التي استطاعت فيها أن تنتزع من نفسها الجزء اللاحق من الجملة.

"أحياناً في الليل، أستيقظ وافتح عيني على وسعهما، وأشعر بعنكبوت يزحف داخل جمجمتي، ويتكلم معي..."

وبعد صفحتين، هناك المزيد، وبعد ثلاث صفحات، وأربع صفحات، إلى أن تنتهي كتابة اليد وكل ما يتبقى من صفحات المفكرة فارغ.

قرأ لوثر بصوت عالٍ الرسالة كاملة:

"أحيانًا في الليل، أستيقظ وأفتح عينيّ على وسعهما، وأشعر بعنكبوت يزحف داخل جمجمتي، ويتكلم معي، يتكلم بهمس شرير. أتصور أنه يضع بيوضه بين ثنايا دماغي. يخبرني بأن أنام، وكذلك أفعل. يحصل أن أنسى العنكبوت لأيام حتى أستيقظ مرة أخرى ليلاً وأفتح عيني على اتساعهما، وأشعر به يزحف، وأشعر به يضع بيوضه في دماغي، ويهمس العنكبوت لي، عليك نسياني. العنكبوت هو الموت الذي ينتظري".

اشتغلت الضاغطة في الثلاثرة فجأة، ونظر لوثر إلى الأعلى مذهولاً.

قال روب ستاسن: "كورا المسكينة، يبدو غريبًا أن تقول ذلك، على اعتبار ما فعلته اليوم. لكن، يا إلهي، كانت حتمًا مريضة. ماذا نعمل الآن، أيها المأمور؟" أغلق لوثر المفكرة، ودسها تحت ذراعه وقال: "الآن سنفتش المكان من البداية إلى النهاية لنرى أي شيء آخر، لم يفكر به عملاء مكتب التحقيقات، ربما يكون مهمًا".

27

كانت جين بحاجة إلى نزل صغير يتيح لها الاختباء ويخلو من المتلصقين الفضوليين، حيث يمكنها القول إنها لا تحمل بطاقة ائتمان وأنها تريد أن تدفع نقدًا من دون أن تثير الشكوك.

بدا وادي سان فرناندو مثيرًا للشكوك بنظرها بعد الانتهاء من التعامل مع حارس الأمن. تفادت الطرق التي تعج بحركة السيارات والمارة والتي ربما تكثر فيها الحوادث بسبب هطول الأمطار. قادت سيارتها باتجاه الغرب إلى وودلاند هيلز واختارت الطريق السريع 27 المتجه جنوبًا عبر جبال سانتا مونيكا وصولًا إلى الطريق الساحلي.

كان ويل روجرز ستيت بيتش مغلقًا. رأت سلسلة حديدية تفصل بين دعامات تغلق المسار بالقرب من ساحة للوقوف. وبدت الأرض غير ملائمة للسير على الجانبين، لكنها ناورت بسيارة إسكيب حول الحاجز. أطفأت أضواء السيارة الأمامية، وقادت ببطء نحو منطقة وقوف منزوية.

أخيرًا، استطاعت تمييز المنظر المبهم، رأت مجموعة غرف لاستراحة المسافرين. مضت بسيارتها رجوعًا إلى واجهة المبنى، عند البوابة الأمامية أنزلت

حقيبتها من السيارة تحت وابل المطر وعادت لتجلب حقيبتين صغيرتين وكيس الشعر المستعار.

كانت تسمع أصوات المحيط الشاسع من خلال تتابع ارتطام الأمواج بالشاطئ، لكنها لم تشاهد الجرف الذي تنكسر عليه الأمواج بسبب الضباب الكثيف. لا بد من وجود كاميرات عند مدخل أو خارج محطة الاستراحة هذه، أو في المكانين معاً. لكن من غير المحتمل الحصول على صورة واضحة في هذا الجو العاصف. على أي حال، لن تثير الصخب، لذلك لا سبب يدعوهم في وقت لاحق لمراجعة شريط الفيديو لهذه الساعة تحديداً.

استعملت ملقط فتح الأقفال لفتح قفل باب حمام النساء. في الداخل، أشعلت فقط الأنوار الجانبية فوق صف من المغاسل. كانت رائحة الهواء تعبق بالمطهر الذي يحاول أن يغطي على رائحة البول.

فتحت حقيبتها على الفراغ الذي يفصل بين مغسلتين، وأخرجت منها كيس نفايات سعة ثلاثة عشر غالوناً كانت تستعمله حين تستدعي الضرورة ذلك على الطريق. وضعت جانباً قبعة البيسبول، وخلعت سترتها وحزام الكتف الذي تضع فيه المسدس تحت إبطها. نزعت بلوزتها وبنطلون الجينز وأدخلتهما في الكيس مع السترة المبللة. لكنها لم تُبدل جوربها الرطب. بعد ارتداء بنطلون جينز جاف، وبلوزة أخرى جافة، ووضعتها للشعر المستعار، ربطت شريط حذائها الرطب.

الشعر الكستنائي لا بد أن يكون معروفًا للشرطة الآن. فالمطر أزال تجعداته، لكن عليها أن تعيد صبغه خلال وقت قريب.

من كيس الشعر المستعار الذي صنعه اللاجئان السوريان غير الشرعيين في ريسيدا، اختارت جين باروكة مميزة قصيرة سوداء اللون، نسخة راقية رأتها في مجلة فوغ. بالرغم من أنها جلبتها من ذلك المنزل الذي تحرسه التماثيل ويعبق بروائح السجائر الخانقة، كان الشعر زكي الرائحة، لأن لويز، ذات الرداء الوردية، تحتفظ بالباروكات في مكان بارد حتى يحين موعد استعمالها.

ربطت جين شعرها، ووضعت الشعر المستعار على رأسها، ونظرت إلى نفسها في المرآة على عجل، وصدقت نفسها بأنها أصبحت شخصية مختلفة. الآن استعملت ظل

العيون بمسحة زرقاء وأحمر الشفاه الذي يتناسب معه، أما قبعة البيسبول والنظارة ذات الإطار العاجي فيجب الاحتفاظ بهما لاستعمال لاحق. ثبتت خاتم أنف اصطناعياً على منخرها الأيمن، على شكل أفعى فضية بعين ياقوتة صغيرة.

من بين رخص القيادة الست، اختارت الرخصة التي تحمل صورة تناسب تسريحة شعرها- أصبح اسمها الآن إليزابيث بينيت من ديل مار، كاليفورنيا - ووضعتها في حقيبتها.

من بين الأشياء التي أخرجتها من جيبها ووضعتها على الفسحة بين المغاسل، كان نصف القلادة التي عثر عليها ابنها ترافيس، والذي اعتقد أن صورة المرأة المنقوشة عليها تشبهها، ولا بد أن الحظ السعيد دفعه للعثور على ذلك الشيء وسط أحجار النهر. منذ أن أعطها نصف القلادة وعدته أن تحتفظ بها دائماً، فهي ربما تحميها وتضمن أن ترجع إليه سالمة. قبّلت القلادة، مثلما يقبل المرء أيقونه أو صليباً يتدلى من مسبحة. قبلتها مرة أخرى، وأمسكتها بقبضتها بقوة للحظة قبل أن تدسها في جيبها.

لأن سيارتها كانت تحت الباب الخلفي لإحدى البنيات العالية، وضعت كل شيء في الصندوق الخلفي من دون أن تتبلل بالمطر، واندفعت مسرعة إلى مقعد السائق. لم يستغرق الأمر بين وصولها ومغادرتها أكثر من عشر دقائق. بعد يوم صعب، أحست أنها ستنام الليلة بأمان. ولكن بما أنها على رأس قائمة المطلوبين في أميركا، رأت في يوم الغد تحدياً، خاصة إذا أخذت بعين الاعتبار ما خططت له بخصوص راندال لاركين.

28

إذا كانت محتويات منزل كورا غندرسن وحالته تخبران شيئاً عن شخصيتها فهما تخبران أن حياتها لم تكن مفعمة بالمتع الدنيوية الزائلة. كانت تستمتع برفقة كلبها دكسي بيلي الذي اشترت له دمي متعددة وثياباً ملونة صغيرة، ووثقت حياتها معاً في عشرات الصور التي حفظتها في الألبومات. كانت تستمتع بتعليق تلك الصور على الجدران، واشتركت في غيدبوستس، وغطت أحد الجدران بصور ذات أطر لعشرات

التلاميذ المتميزين الذين أحببهم وعلمتهم خلال سنوات حياتها.

مع أن المرأة ماتت الآن ولم يعد لها حق بالخصوصية، خاصة بعد ما أقدمت عليه في فندق فيبلن، لكن المأمور لوثر تيلمن شعر بتأنيب الضمير لأنه خرق خصوصيتها هو وروب ستاسن بفتح الأدراج وتفتيش الخزائن والتنقل في أرجاء المنزل الصغير. كانت لديها أشياء قليلة ويبدو أنها لم تسع إلى اقتناء الكثير، وبدا كل ركن من أركان منزلها وكأنه يشير إلى مدى تواضعها

لم يصادف أي شيء أكثر غرابة من تلك المفكرة التي عثر عليها على طاولة المطبخ، بالرغم من وجود ثلاثين دفترًا في غرفة النوم من أنواع مختلفة. غطت رفوف الكتب أحد الجدران من الأرضية إلى السقف. كتب ذات أغلفة سميكة وكتب جيب تحتل الرفوف العالية، لكن الرف الأسفل يحمل دفاتر بمئات الصفحات المليئة بكتابات كورا بخط يدها الأنيق. تفحص لوثر بعضها، بينما قلب روب بعضها الآخر، وكلاهما توصل إلى الاستنتاج نفسه: في غضون العقود الماضية، كانت المدرسة تكتب القصص القصيرة وكذلك بعض الروايات الكاملة بمثابرة عجيبة.

قال روب مستغربًا: "ألا يجب أن تطبع هذه المخطوطات؟".

"لعلها طبعتها باسم مستعار".

"ألم تنشر شيئًا منها باسمها؟".

قال لوثر وهو يقلب الصفحات: "لم أسمع بهذا".

"لا بد أن رفض الناشرين لها كان محبطًا".

"ربما لم تواجه الرفض كما تقول".

"ماذا؟ تعتقد أنها نشرت تحت اسم مستعار؟".

"ربما لم تحاول أن تنشر شيئًا من كتاباتها".

قرأ روب بعض السطور وقال بلا اهتمام: "حتمًا هذا لا يشبه كتابات لويس

لامور".

بدا لوثر معجبًا بالفقرات الافتتاحية لإحدى القصص القصيرة، ووجد نفسه راغبًا

في قراءة المزيد منها: "ربما ليست مثل كتابات لويس لامور، لكنها جيدة".

فندق صغير في مانهاتن بيتش، ليس بالقرب من الساحل الرملي، غرفة قاتمة وسرير بحجم كبير وظهر مائل، لكن الغرفة نظيفة وخالية من البعوض، على الأقل إلى أن تُطفأ الأضواء. بدا صوت المطر في الليل وكأنه أصوات كائنات متقلبة بأشكال لا تُعد ولا تُحصى، وبدا صوت الرياح العاصفة كما لو أنها خطيب متجهم يحثهم على الرحيل، دمدمت العاصفة بين فترة وأخرى واقتلعت مظلات معدنية وضربت نوافذ مفتوحة لبنايات مهجورة في الشارع.

بينما كانت تأكل، راجعت جين ما كتبه في ملاحظاتها عن موت ساكورا هانافن وعن الحياة بصورة عامة، أو عن راندال لاركين، صديق لورنس هانافن. كل شخص مرتبط بالملياردير ديفيد جيمس مايكل يعيش في متاهة من المرايا الخادعة، انعكاسات صور مضاعفة، لا توجد صورتان متشابهتان، أشخاص من النخب الاجتماعية والسياسية يمارسون حياتهم السرية - وحياتهم الحقيقية - في الأركان القذرة. كان امتعاضها مثل السم الزعاف وهي تتخيلهم جميعاً من الموتى.

بعد ثاني كأس تناولتها من خليط الكوكا والفودكا، شغلت التلفاز لتشاهد الأخبار التي تبث على الهواء مباشرة وتتعرف إلى القصص الأخرى عنها. وللمرة الأولى علمت عن الحادثة التي وقعت في مينيسوتا، حيث استدعت أجراس الموت ستة وأربعين من القتلى.

مُدْرسة محبوبة خطّطت لارتكاب جرائم متسلسلة، إحدى تلك الجرائم لم ترتكب باسم الرب، تحمل علامات هجوم انتحاري مبرمج من خلال عملية زرع أليات النانو. كورا غندرسن المُدرّسة المثالية في مينيسوتا لهذه السنة. ربما جعلها نموذج الحاسوب للمتأمرين على الأقل واحدة من الذين يدفعون المجتمع بالاتجاه الذي لا يوافقون عليه. ومن بين أولئك الذين أحرقتهم في الانفجار الحاكم وعضو في الكونغرس وهما يتمتعان بسمعة لا بأس بها كإصلاحيين.

أولئك الذين تم اختيارهم للتصفية وضعهم المتأمرين على قائمة هاملت، وتلك حقيقة حصلت عليها جين من أحد الرجلين اللذين قتلتهما دفاعاً عن النفس خلال الأسبوع الماضي. مع ما يرافق ذلك من التبرير الذاتي لسياسي يبرر الفساد ويعتبره

شكلاً من العدالة الاجتماعية، لقد قال لو قتل أحدهم هاملت منذ البداية، لعاش كثير من الناس. يبدو أنهم حقاً يصدقون هذا التفسير الأدبي الجاهل الذي يبرر قتل 8,400 شخص في السنة.

كان بعض هؤلاء من المفكرين، تشيرهم أفكار أكثر أهمية من أرواح الناس. المثقفون البارزون من بين أكثر الناس خطورة على الكوكب. لكن المشكلة أن كل المثقفين أوردوا على القائمة قبل أن يقبل الآخرون وضعهم ويفهموا أفكارهم ويسعوا إلى أخذ كلمات الحكمة منهم. إنهم ليسوا بحاجة إلى اجتياز اختبار لتوكيد نبوغهم، ولا يظهرون أمام مجلس تقييم الكفاءات لتوكيد كفاءتهم.

أطفأت جين التلفاز، كانت تشعر بالامتعاض. شيء ما في سلوك مذيعي الأخبار يوحي بأن تعبيراتهم النادرة، وأصواتهم، وتوقفاتهم العاطفية كانت محسوبة، وأن كل واحد منهم، حيث تتداخل نوازع الطفولة والوعي الزائف، يشعر بالإثارة لأن يكون على الهواء حيث التراجيديا تثير التقديرات غير المتوقعة، وحيث يمكنهم تخيل أنهم جزء من التاريخ.

خلعت جين الشعر المستعار، وجلست على السرير لتنتهي شراها، تصغي إلى هطول المطر والرياح المتصارعة وحركة المرور في الشارع. أغمضت عينيها، ورأت ابنها نائمًا في المنزل الآمن مع صديقها ولم يكن أي منهما يستطيع الاتصال بها، وتخيلت أحد الكلبين نائمًا على السرير مع الصبي، كما في أوروبا القديمة ذئبة تنام مع طفل منبوذ في العراء اسمه رومولوس وتبقيه آمنًا حتى يكبر ويؤسس مدينة روما.

30

بعد الساعة الحادية عشرة من ذلك المساء، بينما كانت ربيكا وجولي ينامان في الطابق الأعلى، جلس المأمور لوثر تيلمن وقد خلع حذاءه بهدوء قرب طاولة المطبخ. كان منغمسًا بقراءة قصة قصيرة أخرى كتبها كورا غندرسن. كانت القصتان الأوليان مكتوبتين بأسلوب شيق وقد استوعبهما بصعوبة، وتبين له أن هذه القصة أسهل من سابقتها. في بعض الأحيان، كان النثر يرن عميقًا في ذهنه، وحين قرأها بصوت مسموع، بدت كلماتها ترن في أرجاء الغرفة بلحنٍ أخاذ.

تساءل عن هذا السر العجيب في حياة هذه المُدرّسة المثابرة، وهي التي ملأت صفحات ثلاثين مفكرة بقصص ذات نوعية يمكن لأي ناشر أن يرحب بنشرها، من الواضح أنها لم تخبر أحدًا بأمر كتاباتها هذه. كامرأة مثابرة مهتمة بمجتمعها، كانت تعيش أيضًا حياة أخرى من الإبداع المحموم، وحدها هي وكلبها هذا أو الذي قبله، وهذا ما خلق عالمًا من الشخصيات الحيوية التي تؤنس عزلتها.

كان لوثر ينطق اسمها بصوت مسموع، بينما دكسي يئن وينظر إلى مهده، الذي أتى به من منزل كورا ووضع في زاوية من المطبخ. قال مخاطبًا الكلب: "اذهب للنوم، يا صغييري". تنهد الكلب، وأخفض رأسه.

لقد أحضر عشرًا من المفكرات معه، فضلًا عن مفكرة كانت كورا تكتب فيها بهوس عن حالتها النفسية والذعر الذي تواجهه، وتتخيل أنها ترى عنكبوتًا يضع بيوضه عميقًا في دماغها. في الصباح لا بد أن يرجع إلى منزلها ويجمع ما تبقى من مفكراتها. لم يستطع أن يفهم كيف يتسنى لامرأة تكتب بهذا الحرص والحساسية والإبداع أن تقود تلك السيارة المفخخة إلى فندق فيلن. بصفته شخصًا مقتنعًا أن الجريمة عبارة عن نمو شائك بجذور لا يمكن اقتلاعها، أحس بأنه واثق من أن تلك المفكرات تشكل الدليل على عدم استقرار حالتها الذهنية، وعلى الذعر الذي بدأ ينخر كيائها؛ لكن السؤال ليس متى، بل لماذا. في وقت لاحق عندما كان جالسًا في منزله، رن هاتفه الخليوي عند الساعة 11:48. استدار في كرسيه وحملق إلى شاشة الهاتف ورد على المكالمة. كان ذلك المساعد لوني بورك، الذي يقوم بواجب دورية خارج المنطقة، قال له إن منزل كورا غنדרسن قد احترق وإنها حتمًا عملية إرهابية.

31

بدا الأمر للوثر كأنه عمل انتقامي ارتكبه بعض أقارب الناس الذين ماتوا في الفندق. كانت الألواح الخشبية، والعوارض، والروابط، وألواح الجدران، والأبواب، والأثاث قد تحولت كلها إلى رماد تعصف به الرياح نحو المناطق المجاورة ليلاً، وكانت ألواح الزجاج الملقاة على الأرض تعكس وهجًا، كأنما يأتي من ضوء القمر،

لكن القمر بقي غاطسًا بين الغيوم. لا يزال الوهج يحتفظ بالحرارة بحيث إن زجاج النوافذ الملقى في أكوام وامضة الآن يتخذ شكل دوامات وموجات، وكانت كل أدوات المنزل وتجهيزاته - وحتى الطباخات التي صنعت لتتحمل الحرارة - ملقاة في كتل شبه ذائبة، تشع إشعاعًا غريبًا.

على مسافة شعاعها خمس عشرة قدمًا حول المنزل، كان الثلج قد تحول إلى بخار وماء، والأرض المتجمدة تحولت إلى وحل. هناك في مكانٍ بعيد، عباءة من الرماد والسخام تزيد من عتمة الشتاء. بالقرب من واجهة المنزل، زوج من أشجار صنوبر مجردة من اخضرارها، مكسرة الأغصان، سوداء يتصاعد منها الدخان، كأنها أعمدة طوطمية من العصور الغابرة، والأرض حولها مرقطة بأغصان مقطعة تحولت أشلاء محترقة.

رجال الإطفاء دُحروا قبل أن يصلوا، لم يتمكنوا من عمل شيء سوى مراقبة آخر فصول الجحيم يللمم أذياله. ومع ذلك فقد حضروا، وحاولوا عمل شيء كأنما كانوا يتوقعون حدوث معجزة وأن هذه النيران العجيبة ربما تنبث من الركام رغم أنها التهمت نفسها والتهمت كل شيء.

هناك حيث يلتقي الممشى بطريق البلدة، وعلى صندوق البريد رسالة من الفاعلين، حروف سوداء صُبغت على لوح خشبي: "احترقي في الجحيم، أيتها المجرمة الوضيعة". قالت فانس سوندرز، التي كانت قبل سنوات مسؤولة عن السيطرة على الحرائق على متن إحدى حاملات الطائرات، إنه لا توجد مادة عادية سريعة الاشتعال يمكن أن تصنع حريقًا مثل هذا.

وقال لوثر: "لورشوا كل الغرف بالبنزين، فالنار لا يمكن أن ترتفع هكذا. لا بد من وجود شيء مثل النابالم هنا".

بعد أن غادر رجال الإطفاء، مشى لوني بورك مع لوثر إلى مرأب السيارات.. "إذا أردنا إجراء بعض التخمينات، فإن كل شخص يرتبط بأحد الذين ماتوا في الفندق، لا بد أن يكون موضع شك في هذا العمل التخريبي".

قال لوثر: "أيًا كان الشخص الذي فعل هذا، فهو ليس من السكان المحليين".

قال لوني حائرًا: "حسنًا، من سيكون الفاعل؟".

تذكر كيف أن عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي انسحبوا من المنزل بأمر من الرجل المسؤول من وزارة العدل الأميركية، وتوقفت تحقيقاتهم قبل الأوان فقال لوثر: "ربما لن نعرف أبداً... وربما يجب أن لا نعرف".

بعد أن عاد لوني إلى دوريته، عاد لوثر بسيارته إلى المنزل تحت سماء الليل الملبدة بالغيوم. كان يعرف أن تلك التيارات المضيفة للألوان تشحنها جزيئات شمسية تعصف بالغلاف الجوي العلوي وتتدفق نحو خطوط الطاقة الأرضية ضمن حقل مغناطيسي، لكن المنظر لم يخفق في إثارة دهشته. بإمكان المرء أن يعرف الجوانب العلمية التي تتعلق بهذا الشيء، ومع ذلك يجد الظاهرة غامضة وسحرية، ويشعر بمدى ضآلته وضعفه إزاء ذلك.

وصل إلى منتصف الطريق الذي يفصله عن منزله حين اتصل بروب ستاسن، الذي راقب منزل كورا غندرسن في وقت سابق. حين رد روب، ولم يكن بعد قد ذهب إلى فراشه، قال لوثر: "هذا أنا".

كان يتكلم وكأن لقمة في فمه. قال روبي: "نعم، سيدي، كنت فقط أشاهد شيئاً مملاً على التلفاز".

"هل تجتر شيئاً؟"

"دورتوس وغواماغول".

"اسمع، هل أخبرت أحداً عما وجدناه في منزل كورا؟"

"كنت في الدورية، ورجعت منهكاً. لم أتكلم مع أحد".

"لا أحد على الإطلاق؟ هل أنت واثق، الأمر مهم".

"لا أحد".

"وماذا عن ميلاني؟"

"إنها في إيدهو، تزور أمها.. ألا تتذكر؟"

"تذكرت الآن، نعم. منزل كورا احترق وسوّي بالأرض".

"لا استغرب ذلك، الناس أغبياء. هل تحتاجني؟"

"لا، ما أحتاج إليه أن لا تخبر أحداً بأننا كنا في ذلك المنزل. لا أحد. لا تقل كلمة

عن المفكرات التي وجدناها".

"لن أخبر أحدًا".

"إنني جاد في هذا، روبي".

"يمكنني استنتاج هذا من صوتك، أيها المأمور. أنت تفزعني بعض الشيء".

"هذا جيد. نحن لم نتبادل هذا الحديث بيننا".

"أي حديث؟".

أنهى لوثر المكالمة.

كلما اقترب من المنزل، أسرع في قيادة السيارة، مع أنه لم يدرك أنه كان يتوقع اكتشاف شيء خطير وقع في المنزل لعائلته، حتى وصل ووجد أن كل شيء على ما يرام.

32

حلمت جين بزوجها نك، حب حياتها، كان حلمًا جميلًا، شهوانيًا إلى حد ما مثل الأحلام التي كثيرًا ما تراها، يدها على رقبتها، وصدرها، يطبع قبلة على كتفها العاري، ووجهه يشع على ضوء الكهرمان الخافت، وظلال تتدفق من أماكن مجهولة، بينما هي مبتهجة ليس بالرغبة، ولكن بالإحساس بالأمان بين ذراعيه.

لكنها في ذلك الوقت، وهو يتكلم، كانت تتوقع أن تكون كلماته عن حبهما الذي لم يستمر طويلًا، وكان صوته كريهًا كصوت الرجل الذي اتصل بها قبل شهرين بخصوص ترافيس وهددها بالهاتف: "من أجل المتعة البحتة، يمكننا أن نضع البغيض الصغير في حفرة ثعبان في دولة ما من دول العالم الثالث، ونحيله إلى مجموعة مثل داعش أو بوكو حرام، حيث لا يوجد لديهم أي مانع بشأن اقتناء عبيد الجنس...".
اللمسة الرقيقة التي عهدتها في صوت نك أصبحت قاسية، ولما حاولت الإفلات منه، أمسك يدها بقوة. "بعض الحمقى هناك مولعون بشكل رهيب بالأولاد الصغار بقدر ما هم مولعون بالفتيات الصغيرات...". لم تعد عيناه عيني نك، لكنهما عينان شرستان باردتان. "قد يتناقضونه حتى يبلغ العاشرة أو الحادية عشرة من عمره قبل أن يسأم بربري ما منه ويقطع رأسه الصغير في النهاية".

كان العرق يتصبب منها، بعد أن استيقظت من الحلم -الكابوس جلست، لم تستطع أن تنير المصابيح بالسرعة الكافية، كانت يدها تتلمس للعثور على المصباح

قرب السرير. رغم أنها كانت وحدها، لكنها سحبت المسدس من تحت الوسادة التي كان نك ليضع رأسه عليها وينام، إن كان حياً ويرافقها.

كانت الساعة الرقمية تشير إلى 4:08 بعد منتصف الليل.

كانت الرياح ترافق المطر إلى جزء آخر من العالم. لم تسمع ضوضاء حركة المرور من الشارع أو أي صوت من غرف الفندق المجاورة، يبدو أن قفير النحل في جنوبي كاليفورنيا لا يزال ينتظر انبلاج الفجر.

لم يدفعها للنهوض حقيقة أن الحلم تحول إلى كابوس، بل ذلك الإدراك الذي لم تفهمه سابقاً حين كانت يقظة، ومع ذلك فهو يأتيها في المنام. نك كان ذكياً بما يكفي ومتقد الذهن، مع إحساس عميق بالمسؤولية تجاه عائلته.. وقد تعرف إليه نموذج الحاسوب كمرشح لقائمة هاملت، فقد سبق أن حُقن في مرحلة ما بألية النانو، وتم توجيهه إلى تدمير الذات، وقد فعلها. ولهذا، ما الذي كان يحصل لو تم توجيهه بدل ذلك لارتكاب عمل انتحاري، كما فعلت هذه المرأة في مينيسوتا؟

ما كان ليحصل لو طُلب من نك أن يذبح زوجته وولده قبل أن ينتحر؟
تلك الأسئلة رفضت التفكير بها طويلاً.

كانت تمسك بالمسدس، نزلت من السرير الذي أصدر صريراً، وتجولت في الغرفة بحذر كأنما تخشى ألغاماً مخبأة في كل مكان ويمكن أن تنفجر بها. في الحمام، أنارت المصباح وأبعدت الستارة، كانت متأكدة من أن أحداً لا ينتظرها هناك، ومع ذلك أحست بدافع يدعوها للنظر. وضعت المسدس على حافة المغسلة وفتحت صنبور الماء البارد ومدت يديها لتغرف من الماء وترشه على وجهها، كأنما أرادت أن تغسل تلك التساؤلات المعذبة وتزيحها.

راقبت قطرات الماء الصافي تتساقط من وجهها على حوض المغسلة البورسلين، كان بوسعها أن تتخيل بسهولة أن تلك قطرات هي دماء.

المشكلة مع لعبة التساؤلات عما كان سيحصل لو.. أنك إذا بدأت بها، فلن تتمكن من التخلي عنها كلما أردت ذلك. فالسؤال يولد سؤالاً آخر إلى ما لا نهاية.

وفي مواجهة أخرى ربما تأتي في المستقبل، ماذا لو أمسكوها وحقنوها بألية النانو؟ ماذا لو أخبروها أن ترجع إلى ولدها الصغير وتقتله ثم تنتحر؟ ماذا لو أخبروها

بأن تقتله ولا تنتحر، أن تبقى تعيش بعد ذلك وهي مدركة لما فعلته به عندما جاء ليعانقها؟

كانت تتصور أنها تفهم كل الأمور التي تشكل خطرًا عليها. لكن الشعراء والحكماء يتفوقون على أن الجحيم متباين المستويات، وقد لمحت مجرد طيف سبق أن رأته من قبل.

33

لم يكن المأمور لوثر تيلمن يحتاج، أو يتحمل، ما يعتبره الآخرون ليلة كاملة من النوم. فهو يستطيع الاكتفاء بأربع أو خمس ساعات في اليوم، أو ست ساعات أحيانًا، ويشعر أن كل شيء على ما يرام. النوم بالنسبة إليه مجرد أخذ قسط من الراحة، نعم. مع أن النوم أحيانًا يحمل مذاق الموت، حين يستيقظ المرء ليكتشف أنه اختفى عن العالم لساعات وأن العالم كان يسير جيدًا من دونه، وأن العالم سوف يستمر من دونه إذا رحل إلى الأبد. في طرفة عين يمكن أن يستغني عن نوم ليلة كاملة دون أن تكون لذلك تأثيرات سلبية. هذه الليلة تبدو واحدة من تلك الليالي.

عند الساعة 1:10 بعد منتصف الليل وفي الساعة الأولى من يوم الجمعة، بعد أن عاد من موقع الحريق، أعد القهوة ووضع علبه الزبدة وبعض المعجنات على طاولة المطبخ. وجلس يقرأ المزيد من كتابات المدرّسة. صفحة بعد أخرى. لم تكن القصص ممتعة فحسب، بل أكسبته مزيدًا من المعرفة والثقافة بشأن مدى تعقيد ذهنها وطيبة قلبها. كان يتصور أنه يعرفها جيدًا، ولكن تبين له الآن أنه بالكاد يعرفها. كان الأمر كما لو أنه يخوض في بركة من الوحل الذي بلغ ركبتيه، فقط ليكتشف الأعماق التي لا تُسبر في وصفها للحياة.

مع ذلك لا شيء مما قرأه كان يساعد على تفسير الشيء الذي أقدمت عليه. في حقيقة الأمر، كان جمال أسلوبها القصصي يحول قبح أفعالها إلى مزيد من التعقيد وعدم الفهم، إلى درجة أنه بعد الساعة 4:30، وضع القصص جانبًا وعاد إلى المفكرة التي كانت تكافح فيها منذ فترة طويلة للتعبير عن نفسها من خلال الجمل الأربع عن العنكبوت الذي يزحف في جمجمتها.

حين كان وروبي ستاسن يتأملان هذه الكلمات عندما وقفا في مطبخها، كانا ينقبان في ما وراء تلك الكلمات المتكررة المملة، والتي بسبب خطها المائل الأنيق شكّلت نمطاً من الأشكال التي تجعل العين تُصاب بالنعاس مع أنها تتغير دراماتيكيًا حين تبدأ عبارة جديدة. الآن راح يتابع الصفحات بعناية أكبر، سطرًا بعد آخر، باحثًا عن شيء لا يعرف ماهيته.

في الوقت الذي حصل فيه على مكافأة مع اكتشاف كلمة جديدة "حديد" مكان كلمة كان ينبغي أن تكون "داخل": "عنكبوت يزحف حديد جمجمتي...".
كان يتصور أنها لا تعني شيئًا، مجرد خطأ، لو لم تظهر الكلمة بعد عشرين سطرًا، في المكان نفسه، ولاحقًا في عبارة أخرى مختلفة تمامًا - "يتكلم في همس حديدي" حيث حلت محل كلمة "شرير".

في أي محاولة للتحقيق، يبحث الشرطي الناجح عن الأنماط أو اختفاء الأنماط عندما ينبغي أن تكون موجودة، وغالبًا ما يصادف، كما يحصل الآن، بعض المفاتيح المهمة.

بعد أن وجد كلمة "حديد" تتكرر عشرين مرة في مكان لا تنتمي إليه، واجه كلمة "فرن" حيث كان ينبغي أن تأتي كلمة "همس"، ومرة أخرى مكان كلمة "دماغي".
كان هناك تسعة عشر مثالًا لكلمة "فرن" قبل أن يكتشف كلمة ثالثة مقحمة كالشيفرة وسط آلاف التكرارات.

"منذ أيام في كل مرة" تأتي بدلًا من "منذ أيام في بحيرة". ذلك التبديل نفسه يظهر في اثنين وعشرين مكانًا ضمن إحدى عشرة صفحة.
بالرغم من أن لوثر كان يقرأ سطرًا بعد آخر من الصفحات الباقية للمفكرة، لكنه لم يجد شيئًا آخر يثير اهتمامه.

"بحيرة أيرن فرنس".

كانت محاولات كورا للتعبير عن خوفها الفوضوي من أن عنكبوتًا يسكن دماغها تبدو من عمل امرأة مرتبكة نتيجة ذعرها الذي يتطور بسرعة، ربما كانت تحس بالإحراج منه، مذعورة ليس من تخيل العنكبوت بل أيضًا من الاعتقاد بوجوده، والذي يعرف جزء من كيانه أنه شيء غير عقلائي.

إقحام اسم مكان ضمن صفحات من كتابة متكررة يبدو مسألة مختلفة، بينما هي تحاول عن وعي أن تترك وراءها تصريحًا بوجود العنكبوت، غير أن لا وعيها يكافح لأن ينقل من امتداداته المظلمة اسم مكان إما أن تكون قد نسيتته أو أنها تقاوم كي لا تتذكره.

بعد أن وجد كل هذا، لم يعرف لوثر شيئًا عن معناه، إن كان يعني أي شيء على الإطلاق، أو كيف يتوجب عليه المضي في إقامة صلة منطقية بين خوفها المرضي والهجوم الذي قامت به على الفندق.

على أي حال، لا يوجد مغزى من هذا الاستقصاء. الشخص الذي قام بالعملية ميت الآن. ولا يمكنها أن تدافع عن نفسها قائلة إنها لم تكن في حالة عقلية سوية، فهي ليست بحاجة للاستعداد لمواجهة المحكمة.

ما كان يستطيع أن يترك الأمر، بسبب تحقيق عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي غير الجدي في منزل كورا، أو بسبب موظف في وزارة العدل أمر رجال المكتب بالتوقف والانسحاب، على وجه التحديد لأن شخصًا أحرق المنزل انتقامًا، ودمر كل شيء فيه، محاولًا جعل الأمر يبدو كأنما الناس المحليون فعلوا ذلك.

لوثر يعمل في الشرطة لأنه يؤمن بحكم القانون. المجتمع المدني لا يمكن أن يتحمل حياة بلا قانون. حين يتقلص حكم القانون، فسيأكل القوي الضعيف. إذا تدهور وضع القانون في البلد، ينتج عن ذلك انتشار أشكال البربرية، وستفيض الشوارع بالدماء إلى درجة أن كل المآسي التاريخية وأشكال الرعب في الأفلام التي تصور الكوارث سوف تبدو مثل أفلام الأطفال الساذجة. منذ فترة طويلة وهو مهتم بمراقبة هؤلاء الفاسدين الذين يصبحون أكثر جرأة في السرقة والشهوة من أجل السلطة، مع انتشار الفساد إلى المؤسسات التي كانت ذات يوم حصينة ضده.

كان لديه ابتتان، وزوجة. لا يمكنه التخلي عن هذه القضية لمجرد أن السلطات العليا أبعدها عن دائرة اختصاصه، ولأن العثور على حقيقة الهجوم على الفندق يبدو مستحيل الاكتشاف.

في غرفة مكتبه، فتح خزانة الأسلحة الأنيقة. من بين ثلاثة رفوف لخزن الذخيرة وجد أحدها فارغًا. وضع مفكرات كورا غندرسن هناك، وأغلق الخزانة ووضع المفتاح في جيبه.

عندما الساعة 5:50: بينما كان لوثر جالسًا إلى الحاسوب، يقرأ عن بلدة أيرون
فرنس، كنتاكي، دخلت ريبيكا وهي بالبيجاما والروب. من الخلف، وضعت ذراعيها
حوله وقبلته على رأسه.

هَيْكَنِيْتِي يَا سَمِين

"أنت تسهر الليل كله؟".

"لا مجال لأن أنام".

t.me/yasmeenbook "ليس بإمكانك أن تفعل شيئًا".

"أي زوجة يمكن أن تقول هذا لزوجها".

"وخاصة إذا كان هذا صحيحًا. أنت الآن بحاجة للاستعداد لهذا اليوم العصيب".

"عملاء مكتب التحقيقات لا يتركونني أقوم بواجبي".

"لا بد أنهم يريدون منك أن تكون في مسرح الأحداث اليوم".

"لا أرى سببًا يدعوهم لذلك".

"بالأمس أدى الثلج إلى إلغاء الرحلات الجوية. الليلة الماضية لم نسمع غير
الأخبار المحلية وأخبار الولاية. لكنهم سيأتون اليوم أفواجًا إلى البلدة، سيأتي أشخاص
من واشنطن ويريدون منك المواجهة في حال احتاجوا إلى شخص يلقون اللوم عليه".

أغلق الحاسوب، ونهض عن الكرسي، ووضع ذراعيه حول خصرها، ثم قال: "ما
حدث لي شبيه بما حصل في مسلسل بوليانا، فجأة انقلبت الأمور ضدي، وأصبح كل
شيء تهكميًا؟".

قالت: "لم يحصل ذلك فجأة".

"لا، أعتقد أن ذلك لم يحصل فجأة".

"لا تجعلهم يستغلونك، لوثر".

قبّلها على جبينها وقال: "لن يفعلوا ذلك".

"سيحاولون إذا سمحت لهم. إذا ألقوا بعض القذارة عليك، في سبيل إخراج
أنفسهم من المأزق... حسنًا، يجب أن تبقى نعيش هنا".

"سكان هذه البلدة يعرفونني، سواء ألقى عليّ هؤلاء القذارة أم لا".

"الناس كانوا يعرفون يسوع أيضًا، لكن انظر كيف جرت الأمور؟".

"أيتها المرأة، أنا لست يسوع".

"هذا ما أعنيه تمامًا".

"أغمضي عينيك، أيتها الجميلة".

قبلها على حاجبها الأيسر ثم على الأيمن.

وضعت رأسها على صدره: "على أي حال، ما زلت قلقة عليك".

احتضن أحدهما الآخر، ووراء النوافذ كانت الأضواء تخترق السماء الكئيبة

استعدادًا ليوم آخر.

34

بينما كانت في السيارة، رأتهما جين في شارع تحيط به البنايات السكنية وشقق

بيفرلي هيلز، جنوب ويلشاير. إنهما صبيان، ربما في السادسة عشرة من العمر. يلبس

كل منهما بنطال جينز مهترئًا مرقطًا في حالة يرثى لها. أحدهما يربط على كتفيه سترة

باهتة، والآخر لا يبالي ببرد الصباح بل يعتمر قبعة رياضية رمادية ويحمل لوح تزلج.

كلاهما يدخلان السجائر، مع أن كاليفورنيا رفعت السن القانونية لتعاطي التبغ إلى

إحدى وعشرين سنة. لم يكن أي منهما يحمل حقيبة ظهر أو الكتب، كان من الجيد أن

ينطلقا في هذا الوقت المبكر ليس استعدادًا ليوم دراسة بل لتجنبه.

تابعت مسيرها، وانعطفت وركنت السيارة، وعادت إلى الشارع الذي كانا فيه، ووقفت

هناك بثبات أمامهما، منحنية على سيارة متوقفة على الرصيف، تحت شجرة غار هندية.

كانت تضع الشعر المستعار الذي رأته في مجلة فوغ وظلال العيون وطلاء الشفاه الأزرق

الغامق وخاتم الأنف. أيا كان ما ترتديه، كان سيجعلهما يتبهان إليها وسيجذبهما مثل

المغناطيس لأن الصبيان الذين تجاوزوا سن البلوغ والرجال عمومًا ينظرون إليها بتمعن،

بصورة غير مباشرة أو وجهًا لوجه. لم تمتعض من اهتمامهم، مع أنها تشعر أحيانًا بنفاد

الصبر من فضولهم وغالبًا ما تحتقرهم، إلى أن أقنعتها مدربة الفنون القتالية في كوانتيكو، بأن

ذلك يمنحها ميزة على الرجال الآخرين في المكتب، وأن كونها امرأة جذابة ومصدرًا لتركيز

الانتباه، كما اختارت أن تكون، يمكن أن يكون أداة ذات قيمة فعالة عظيمة.

مع اقتراب الصبيين منها، رأت أن كل واحد منهما يلبس بلوزة عليها علامة إحدى

الفرق الموسيقية. كانت بلوزتاها نظيفتين ومكويتين جيدًا، بدتا من النوع الكلاسيكي

الراقي، لكنها كانت تشك في أن الصبيين كانا يسمعان موسيقى الفرقتين، بالتأكيد ليس إلى الأغاني المميزة التي في الألبوم.

سألتهما: "تبدوان في حالة جيدة أيها الشابان؟".

توقفا ونظرا إليها مطولاً. ابتسم زيزي بتكلف، بينما بدا غونز متجهماً. لم يرد أي منهما عليها، لأن من قوانين اللعبة أن الصمت مصدر قوة.

كانت تعرف اللعبة أفضل منهما. قابلت نظراتهما الحادة بتحدٍ، وأبقت وجهها جاداً مثل وجه إلهة قاسية الملامح تتوقع أن تكرم بتضحية دموية.

كانت أشعة الشمس تنسكب من بين فروع الأشجار التي تحيط بهم فتلقي عليهم ضوءاً ذهبياً وظلالاً أرجوانية.

بعد أن سحب نفساً من سيجارته، ونفخ الدخان من منخريه، كأنما يطلق تيناً من الجن، كان زيزي أول من تكلم. ربّت على طرف قبعته وقال مخاطباً صديقه وهو يبتسم مرة أخرى: "إننا نتسكع هنا منذ فترة؟".

قالت جين مخاطبة غونز: "أنتما تتسكعان معاً دائماً، لماذا؟... لا بد أنه يوفر لك بعض الصفقات المفيدة؟".

هنا تحولت ابتسامة زيزي إلى تكشيرة: "ماذا تقصدين بهذا السؤال الخبيث؟". تابعت موجهة كلامها إلى غونز: "إنه فتى مفرط الإحساس. أحب الفتیان أمثاله". أراد زيزي الرد لكن غونز قال: "تحمل هذا يا أخي. سوف تلهبك بلسانها السليط".

بدا أن غونز هو المسيطر على الآخر، سألتها: "ماذا تريدين منا؟". أجابته: "أنتما أفضل من يهرب من المدرسة ويتسلل ليدخن السجائر... أم أن لديكما عملاً آخر؟".

قرر غونز أن السجائر توقفت عن أن تكون علامة تمرد وأصبحت عدوى. أسقط السيجارة من فمه على الرصيف وداسها بقدمه.

"لديك شيء للبيع، قولي ما هو".

كانت محفظتها تتدلى من يدها. أخرجت جين أربع أوراق من فئة مئة دولار لكنها لم تعطها لهما.

"لكل واحد منكما ألف دولار. مئتان الآن، ومئتان أخريان حين تظهران في موقع العمل، وستمائة حين ينتهي العمل".
"أي عمل؟".

لم يستطع زيزي المقاومة.
"إنها تدفع لنا لنساعدتها في عمل ما، يا رجل".
بينما كان غونز يبدو متألماً، قالت جين: "أنا لا اشتري المفرقات النارية التي تنفجر وهي لا تزال في حاويتها".

قال غونز مخاطباً رفيقه: "كن لطيفاً مع السيدة يا هذا".
ثم قال مخاطباً جين: "أي عمل؟".
قالت وهي تكذب عليهما: "إنني أعمل محللة بيانات، أنتم تعرفان ما طبيعة هذا العمل؟".

قال زيزي محاولاً استرداد شيء من كرامته: "نعرف أنك توجهين للناس مذكرات إحصار، لذلك لا بد من حضورهم في المحكمة".
واجهته بابتسامة عذبة، وقالت: "هناك مسافة بين الأمرين، على أي حال".

أخبرتهما بما تحتاج إليه منهما: "هذا الوغد الذي عليكم مراقبته بارع في التخفي. لا أدري متى يظهر، لذلك فالجزء الأصعب لما ينبغي عليكم القيام به هو التريث طوال الوقت. اعتقد أنكما بارعان في هذا على الأقل".

حملت في كل يد مئة دولار، فانتزع زيزي حصته.
قال غونز متردداً: "ألف دولار مقابل لا شيء تقريباً".
قالت جين وهي تكذب عليهما: "إنها قضية تساوي مئة مليون دولار. بضع مئات من الدولارات لا تعتبر نفقات تستحق التحدث بشأنها".

"هذا الشخص الذي تقدمين له الخدمات... هل هو خطير إلى هذه الدرجة؟".
قالت: "على أي حال، التعامل معي ليس سهلاً، يجب أن تدركا ذلك. لست تافهة إلى هذا الحد، ولن أجعلكما هدفاً سهلاً. الرجل محاسب، مدير مالي في مؤسسة كبيرة، هذا كل شيء".

قابل غونز نظراتها طوال الوقت بالتحدي، وانتزع منها النقود، كان متأكدًا من أنه يستطيع قراءة أفكارها ويعرف أنها تكذب.

فكرت، ربما لن يظهر الصبيان من جديد، سيأخذان النقود ويختفيان، لكن احتمال ذلك ضئيل. بإمكانها أن تخمن أن غونز والفتى الآخر كانا يتصوران أنهما يستطيعان قراءة أفكارها. مثل أغلب المراهقين في هذا الزمن وهذا المكان، غونز لديه تقدير للذات مبالغ به يحاول أن يخفيه، لكنه يحس بالحاجة لإثبات نفسه للعالم. وبطبيعة الحال، هو ضحية لهرمونات جسمه، التي تحوله إلى كلب صيد يلهث دون توقف. مع أنه لا فرصة لديه للنجاح معها، لكنه لا يستطيع تحمل العجز عن مجاراتها، لأن الهرب أمامها يعني الانهزام قبل الأوان.

أسقطا ألواح التزلج على الأرض وراحا يدفعان نفسيهما على الممشى بالقدم اليسرى، وبينما كان زيزي يتبع غونز، ويجري بعض المناورات وصلا إلى مكان من الرصيف مشقق ومنزوع البلاطات بين جذور الأشجار. كانا شبه محمولين على الهواء، واللوحان يبدوان ملتصقين بقدميهما، يتهجان بالطيران، ويرجعان إلى الإسفلت مع قرقعة، ولا يفقدان التوازن مهما حدث.

وقفت تراقبهما حتى استدارا عند أحد المنعطفات واختفيا عن النظر، بعدها مشت على مسار آخر متجهة إلى الموقع الذي ستلتقي فيه بهما.

35

بعد أن استحم لوثر تيلمن وحلق لحيته، وبينما كان يلبس بذلته الرسمية، دخلت ريبكا غرفة النوم لتخبره أن السيد بوث هندركسون، من وزارة العدل الأميركية، ينتظره في غرفة مكتبه في الطابق الأسفل. إنه الرجل، حسبما أخبره روب ستاسن، الذي سحب عملاء مكتب التحقيقات من منزل كورا قبل أن ينتهي عملهم هناك.

بصرف النظر عن ماهية المعلومات التي ربما كانت لدى لوثر، لم يحاول الحكم على الناس قبل أن يلتقي بهم وجهًا لوجه، وقبل أن يمنحهم الوقت الكافي للتعبير عن أنفسهم. لكنه عندما دخل غرفة المكتب، ونهض هندركسون من الكرسي الجلدي للترحيب به، راوده إحساس فوري أنه لن يستطيع الوثوق بهذا الرجل.

قال الزائر: "المأمور تيلمن".

صافحه بشدة أكثر من اللازم، ولوقت أطول مما يفترض، ثم تابع كلامه: "أرجوك تقبل تعازي لخسارتك الكثير من الجيران والأصدقاء، لقد كان هجومًا مرعبًا، إننا نعيش في عالم صعب".

مع أن هندركسون كان يرتدي سترة سوداء تليق بهذه الزيارة ربما يبلغ ثمنها ما يعادل راتب المأمور الشهري، إلا أنها فشلت في إخفاء حقيقة أن هذا الرجل طويل القامة يفتقر إلى التناسق في مظهره. كان يكافح من أجل أن يبدو مهذبًا، لكن موقفه وإيماءاته وتعبيرات وجهه بدت مصطنعة، كأنما كان يتعلم الكياسة أمام مرآة.

قال هندركسون: "المُدْرَسَة المثالية لهذه السنة، سجل من الأعمال الجيدة، لا أحد يمكنه أن يقول شيئًا سيئًا عنها، وبالرغم من ذلك أنظر إلى الرعب الذي خلفته، ربما يكون خطأ، لكنني أظن أن شكسبير هو الذي كتب هذه الكلمات: (أوه، ما الذي قد يخفيه الإنسان داخل نفسه، مع أنه يبدو ملاكًا من الخارج)".

ردّ لوثر: "أنا متأكد أنه شكسبير ما دمت تعتقد أنه هو، ولكن أيًا يكن المرض العقلي الذي عانت منه كورا غندرسن، فقد كانت طوال سنوات أقرب ما تكون إلى الملاك".

"نعم، بطبيعة الحال كانت ملاكًا، لا بد أنها كانت كذلك، إذا أخذنا بعين الاعتبار التقدير العالي الذي كان الجميع يكنونه لها، وسواء كان الأمر يتعلق بلوثة عقلية أو مرض نفسي، فالمسكينة أصبحت ضحية لهذا، بالتأكيد، ليس الخطأ خطأها، سوف أكون آخر من يرميها بحجر في هذه القضية".

بدا وجه هندركسون الطويل متشنجًا، وكان شعره الذي بلون الملح والفلفل طويلًا ومصفّفًا إلى الوراء كأنه عرف الأسد، ربما ليظهر مدى ارتفاع حاجبيه اللذين يظللان عينين مفترستين.

قال لوثر: "أرجوك اجلس".

وبدل أن يجلس إلى الكرسي الثاني القريب من الزائر، استدار حول المكتب مفضلاً الإبقاء على مسافة بينهما.

استقر هندركسون على الكرسي الجلدي مرة أخرى، وجلس متراخيًا وقد وضع ساقه اليسرى على ركبته، وعدّل سترته، ونظر إلى الأعلى وقد ارتسم على وجهه تعبير وقور، مفتعل إلى حدّ ما.

"لدينا يوم حزين، وصعب أيها المأمور".

بينما كان لوثر يسحب كرسي المكتب قريبًا إليه، رأى أمامه بضع صفحات مطبوعة مثبتة بمشبك.
"ما هذه؟".

قال هندركسون: "حاكم وعضو في الكونغرس ماتا بصورة مأساوية، الناس يحتاجون إلى إعادة الثقة بنا".

"هناك أيضًا أربعة وأربعون ضحية أخرى".

"نعم، وهذا يجعل الأمور أسوأ! كانوا يشعرون بالأمان بوجود الحاكم وعضو كونغرس، ومع ذلك لم يكونوا بأمان. مع انتشار الإرهاب على نطاق عالمي، يحتاج الناس للإحساس بأن قادتهم يهتمون بهم ويسعون بجد إلى حمايتهم".
قال لوثر: "لم تكن كورا غندرسن إرهابية".

"في الحقيقة، لم تكن إرهابية، لا يوجد إنسان مسؤول يمكن أن يجرؤ على القول إن السيدة غندرسن كانت تتصرف مثل الجهاديين. لا بد أن يكون ذلك استنتاجًا جاهلًا ومتسرعًا. لكن لا بد أيضًا من وجود شائعات. إن وسائل التواصل الاجتماعي مهووسة دائمًا بالشائعات. إلى جانب هذا، هناك بعض الناس في البلاد ينظرون إلى أي مأساة بمثابة فرصة للاستغلال السياسي".

بدأ أن الرجل الآتي من وزارة العدل يقدم نفسه كأرستقراطي من نيو إنغلند، ينحدر من عائلة عُرفت طوال أجيال وترسخت بالخدمة العامة. لكن، كان هناك في شخصيته مسحة من التواضع الذي يحاول جاهدًا أن يخفيه، مسحة من إنسان يسعى للحفاظ على وضعه الاجتماعي الذي يستمتع بتبني معايير الطبقة الراقية التي لا يستطيع أن يجيد عنها.

يكره لوثر هذا النوع من المشاعر المقيتة التي ترفضها النفس. ربت على صفحات الأوراق المطبوعة التي أمامه وقال مرة أخرى: "ما هذه؟".

"سيُعقد مؤتمر صحفي صباح اليوم تليه سلسلة من اللقاءات مع بعض الصحفيين، السياسة التي تتبعها وزارة العدل في مثل هذه الظروف المؤلمة، هي التأكيد من أن السلطات المحلية، وسلطات الولاية والفدرالية ستتحديث بلغة واحدة، حتى يكون للناس أكبر قدر من التفكير السليم".

لم يحب لوثر طريقة هندركسون بالكلام حين قال "الناس"، وقالها مرة بعد أخرى، كما لو أنه كان يشير إلى أطفال جاهلين أو إلى رعا. نظر إلى الصفحات التي أمامه، وقال لوثر: "لم أتوقع هذا. هل تعطيني بعض التصريحات التي يُتوقع مني قراءتها في المؤتمر الصحفي؟".

"الكلام مكتوب بأسلوب بليغ. الرجل الذي يكتب الخطابات للنائب العام، ولنائب الرئيس، أعطاك أفضل السطور التي يمكن أن تُكتب اليوم. ستترك انطباعًا على مستوى الوطن".

لا يستطيع لوثر الآن أن يتذكر الغضب الذي اجتاح كيانه، ومع ذلك فقد بقي هادئًا.

"إنني آسف، لا أستطيع أن أمسك الميكروفون وأقرأ، الدائرة التي أعمل فيها ليست معنية بهذا التحقيق".

ربما كان الكرسي هو الذي جعله يبدو أقصر ببوصتين من المأمور الذي جلس على كرسي المكتب، نهض بوث هندركسون واقترب من النافذة. وقف ولبرهة نظر إلى الخارج، منتظرًا أن يعيد المأمور التفكير بالأمر خلال فترة الصمت هذه، وعندما لم يحصل ذلك، استدار إلى مضيفه، مثلما يتحول مؤشر الضوء في احتقار مكتوم إلى المتهم في بعض الأفلام البريطانية التي يؤدي فيها دور القاضي الممثل تشارلس لوتون. "أيها المأمور، إذا لم تجد في نفسك القدرة على التعاون، أخشى أن لا يكون لك مكان في المؤتمر الصحفي".

"نعم، هذا صحيح. لن يكون لي مكان في المؤتمر".

"آمل بإخلاص ألا تجري لقاءً صحفيًا منفردًا".

"لا يوجد سبب يدعوني إلى هذا، سيد هندركسون. فليس لدي معلومات كافية، ولا رغبة لدي بالظهور بمظهر المغفل".

اقترب هندركسون من المكتب وأخذ الأوراق. كانت أصابعه شاحبة ونحيفة، وأظافره مقصوفة بعناية.

"أتمنى أن تغيّر رأيك، لكنني افترض أننا توصلنا إلى تسوية ترضينا معاً".
قال لوثر مصححاً وهو ينهض عن كرسي المكتب: "يبدو أننا توصلنا إلى تفاهم مشترك. دعني أرافقك إلى الخارج، سيد هندركسون".

عند الباب الأمامي، وبينما كان هندركسون يخرج استدار وواجه نظرات لوثر قائلاً: "أيها المأمور، أنا واثق أن دائرتكم تتلقى منحاً فدرالية تعتمد عليها".
قال لوثر: "ونحن نشعر بالامتنان لهذا كل يوم".

ابتسم كأنما كان يتحدى الرجل الذي جاء من وزارة العدل أن يرد عليه بابتسامة.
بدا متجهماً، مثل فزاعة غير تقليدية الشكل من العصي والقش مربوطة داخل بذلته. استدار هندركسون مبتعداً مجتازاً الشرفة ونازلاً الدرجات، لم يكثر إلى حقل الذرة وصرع يدور بين طيور تصرخ، لكنه كان يفكر في مؤتمر صحفي من نوع مختلف للسادجين من الناس.

قال لوثر: "سؤال أخير".

هنا توقف الرجل وأدار رأسه.

"هل حدد مدير الإطفاء نوع مسرّع الاحتراق المستخدم في إحراق منزل كورا غندرسن؟".

"البنزين. مجرد كمية كبيرة من البنزين".

"ذلك ما يقوله مدير الإطفاء؟".

"ذلك ما سيقوله في المؤتمر الصحفي".

قال لوثر: "كان الحريق هائلاً وشديداً جداً".

قال هندركسون: "نعم، كان حريقاً هائلاً حقاً".

36

المبنى المؤلف من أربعة طوابق يعود إلى شركة خدمات قانونية - وودباين، كرافترز، لاركين، بنديتو - كان في الواقع يتألف من ستة طوابق إذا أُضيف إليهما

الطابقان المخصصان لركن السيارات تحت الأرض. يمكن الدخول إلى المرأب فقط من ممر خلف المبنى. ولأن الممر يسمح فقط لممرور السيارات باتجاه واحد، كانت جين هوك تعرف الاتجاه الذي يمكن أن يأتي منه راندال.

كانت تفضل أن تلتقي به في منزله. لكن عن طريق الحاسوب في المكتبة علمت بالأمس أنه تزوج مرة ثانية من ديامانتا، وأنه حسب مقال نشر في مجلة لوس أنجلوس عما يسمى "زواج السلطة"، فهما يعيشان في منزل بني على مساحة اثني عشر ألف قدم مربعة ومعهم ثلاثة من الخدم، وكلبان دوبرمان؛ زوجة، وثلاثة خدم، وكلبان دوبرمان، كل هذا جعل من اقتحام المنزل مستحيلًا.

وفقًا للمقال نفسه في المجلة، كان لاركين معتادًا أن ينهض مبكرًا، ويشعر بالفخر من حقيقة أنه قبل الساعة السادسة من كل صباح، يكمل جولة ساعة من التمارين الرياضية في المنزل. وقبل السابعة، يكون في مكتبه في بيفرلي هيلز. كان كثيرًا ما يتبجح بتكرار الشعار الذي من ابتكار خياله الخلاق: "الطير الذي يأتي مبكرًا لن يحصل فقط على دودة، بل يحصل على عائلة كاملة من الدود".

كان غونز وزيزي ينتظرانها في المكان الذي يلتقي فيه الممر مع الشارع الرئيسي، على بعد بضع بنايات عن مكاتب وودباين. أعطت كل صبي منهما مئتي دولار أخرى، وكانت عازمة على أن تتركهما يؤديان واجبهما بينما تمضي إلى الشارع العريض.

لم تكن هناك براميل نفايات كما هو مألوف في دروب مدن أخرى، ولا أشخاص مشردون منحشرون بين الأكياس والصناديق وغيرها من النفايات. لا بنايات يلطخها سخام المداخن، ولا جدران نقشت عليها شعارات العصابات أو غير ذلك من رسوم الغرافيتي. بل مجرد حاويات مرتبة بتناسق، مغطاة، ولا تنبعث منها الروائح.

كان مدخل المرأب الذي تحت الأرض لبناية المحامين محاطًا بإطار من الفولاذ اللامع بحيث انعكست عليه صورة لها بلا ملامح واضحة، كأنها شبح مخيف ينهض من الموت، روحها تطاردها ولا تستطيع الفرار منها.

عبر الممشى من الباب ممر خدمة ضيق، لكنه يكفي ليمر منه رجال توصيل الطلبات وعرباتهم اليدوية. تقدمت جين تحت الظلال ونظرت إلى ساعتها اليدوية، كانت تأمل أن يأتي لاركين مبكرًا كما يدّعي.

مرت طائرة خطوط جوية مخترقة السماء على ارتفاع شاهق، اخترق صوت محركاتها النفاثة سكون الصباح. وحوّمت مروحية تابعة للشرطة على ارتفاع بضع مئات من الأقدام، ربما لا تبحث عن شخص محدد، مجرد دورية اعتيادية، متجهة غربًا وانحرفت بخفة فانعكست الأضواء على مقصورتها الزجاجية. في هذا الوقت المبكر، كانت حركة المرور في الشوارع خفيفة، ومن وراء الضوضاء الخانقة في ساعة الذروة، سمعت ثلاث سيارات تعبر الممر، تمر من اليمين إلى الشمال، لا تسبقها الإشارة التي سوف يرسلها الصبيان لتحذيرها بوصول السيارة التي تنطبق عليها المواصفات التي أعطتهما إياها.

بينما كانت تعمل على حاسوب المكتبة، وتدخل كلمة السر الخاصة بمكتب التحقيقات، وصلت إلى ملفات وكالة تسجيل المركبات في كاليفورنيا، وعلمت أن أربع سيارات كانت مسجلة باسم لاركين على عنوانه في بيفرلي هيلز. السيارة الأقل سعرًا، فورد إكسبلورر، ربما كانت مخصصة لاستعمال العاملين في خدمة المنزل. بينما كان الصبيان في مهمة للبحث عن السيارات الثلاث الأخرى، وقد حصلوا على المعلومات اللازمة عن المحامي.

حين بدا لها أن العملية ينبغي أن تبدأ فورًا، أخذت من حقيبتها اليدوية قنينة رشاش اشترتها من متجر مواد تجميل. كانت العلبة مليئة بالكلوروفورم الذي تحتاج إليه. أمسكت بالقنينة بيدها اليسرى وحقيبتها اليدوية باليد اليمنى.

تحت السترة الرمادية، ارتدت بلوزة زرقاء حريرية. فتحت الأزرار العليا لضمان أنها إذا انحنت إلى الأمام، فمن البديهي أن يعلق لاركين للحظة في فخ غوايتها. كانت قد شاهدت كثيرًا من الصور الفوتوغرافية له في مناسبات اجتماعية مختلفة مع زوجته الأولى ثم مع الثانية. إذا كان قد تزوجها لرجاحة عقلهما ولمزايهما الشخصية، فتلك هي المعايير المعتمدة، لأنه من المستغرب أن يكون مصادفة.

على الطرف البعيد من الممر، كان الصبيان يصرخان، أحدهما يشتم الآخر بطريقة صبيانية صاخبة. كانت القرقر الصاخبة كأنها اصطكاك الأسنان تأتي من محرك قوي تردد صداها جدران البنايات.

لما سمعت صوت المحرك يتباطأ قليلًا تصورت أنه يتجه إلى البوابة المنزلة، اندفعت من ممر الخدمات، فوجدت أن سيارة مرسيدس سوداء طراز أس 600، توقفت

هناك، لم تفكر في الهرب من المواجهة، فقد يعطيه هذا تحذيرًا، لكنها كانت على عجلة من أمرها لإنجاز المهمة.

بصرخة مدوية من الفرامل، توقفت السيارة فجأة، وأسقطت جين محفظتها وهي مذهولة لتتفادى الاصطدام بالحاجز الأمامي. اندفعت بعيدًا وترنحت، مررت قنينة البخاخ من اليد اليسرى إلى اليمنى، تحت مستوى نظره. انحنت إلى الأمام لتنظر إليه، مدعية أنها مستغربة، وقالت بصوت عالٍ بما يكفي لاختراق الزجاج وأي موسيقى ربما كان يصغي لها: "يا إلهي، راندي لاركين. هل هذا أنت، راندي؟".

بالطبع لم يعرفها بالنظر إلى تنكرها، ولم يعرف أن الهاربة جين هوك عرفت مكانه من التنصت على مكالماته الهاتفية مع لورنس هانافن. لم يكن هناك من سبب يدعو للافتراض أن هذه المواجهة العرضية ربما تكون في الواقع هجومًا جسوريًا. من وراء النافذة، كانت تنظر إليه بعمق، بينما كانت نظراته منصبة على صدرها من وراء الحريز، منظر من شأنه أن يشجعه. إنه يعرفها لكن لا بد أنه يعاني الآن من خلل طفيف في الذاكرة.

على الطرف البعيد من الممر، كان غونز وزيزي يمرران المساند الخشبية من تحت حاوية النفايات ويدحرجانها إلى جدار المطعم، ويقلبانها جانبيًا لإغلاق ممر العبور الآخر على أي شخص قد يحاول الدخول من الشارع.

انخفض زجاج نافذة السائق بينما كان لاركين يرفع نظره من صدرها إلى الشفتين الزرقاوين المكتنزتين، وإلى حلقة الأنف التي كالأفعى ذات العين الياقوتية، وإلى عينيها، اللتين كانتا مصبوغتين بظل فريد من الزرققة، وكان بعض الرجال يتصورون أنهما أفضل سمة لها. كان مظهرها الشهبواني يتجسد في خيالاته المراهقة المتشابكة، وهنا قال: "هل أنت على ما يُرام يا عزيزتي؟".

رفعت قنينة الكلوروفورم، وضغطت عليها بالإبهام ورشت بها فمه المفتوح، وأنفه. ترنحت عينا لاركين مترجعة بينما تمايل رأسه إلى اليمين، وانحنى جانبيًا على مقعده.

انزلقت قدمه عن دواسة الفرامل، وبدأت المرسيديس تتحرك. مدت جين يدها عبر النافذة، سحبت المقود بقوة إلى اليمين، وظلت السيارة تتقدم بضع أقدام قبل أن ترتطم ببوابة المرأب الفولاذية بشدة بحيث انفتحت وسادة الأمان الهوائية.

أدخلت قنينة البخاخ في جيب السترة وفتحت باب السائق. كانت قعقة لوح الترحلق على الرصيف المتعرج تؤكد أن غونز وزيزي ملتزمان باتفاقهما. مع اقترابهما، فتحت جين زراً آخر من أزرار البلوزة واستعدت إلى أدق جزء من العملية.

37

بشيء من الخفة في تحريك قدميهما، كان الصبيان يتحركان على مزيجتيهما على الرصيف، يناوران بهما، ينزلقان، يتوقفان عن الحركة، يندفعان قاطعين المسافة الأخيرة على الأقدام. وقد أشرق وجهاهما بالإثارة والمتعة والفخر في إنجاز دورهما بلا خلل. أخيراً، وصل غونز وزيزي منهكين وشاهدا السائق غارقاً في مقعده، ما أثار اهتمامهما فجأة.

تساءل غونز: "ما الذي يفعله هنا، ماذا حدث؟".

وقفت أمامهما ليشاهدا بلوزتها، وصدرها العاري، تركتهما يتخيلان أن لاركين ربما هاجمها بأصابعه من النافذة، وكان من غير المنطقي افتراض ذلك، تركتهما يتخيلان أي شيء يريدانه، ما دام ذلك يضيف مزيداً من الإرباك على تلك اللحظة. قالت متظاهرة بأنها منهكة أكثر منهما: "ساعداني في تمريره إلى المقعد بجانب السائق".

قال غونز: "لكن ما به؟".

قالت وهي تكذب عليهما: "أتوقع أنه أغمي عليه، سرعان ما سيستفيق. اذهبا إلى الباب الآخر، ساعداني في تحريكه، حتى أتمكن من إبعاد السيارة عن وسط الطريق". كان زيزي مندفعاً وراء غرائزه، دفعه إلحاح صوتها إلى التخلي عن لوح الترحلق والإسراع إلى باب الراكب بجانب السائق.

بينما وقف غونز في مكانه.

"ربما يحتاج إلى سيارة إسعاف".

"لا، إنه مجرد إغماء".

كان يتوجب الإسراع في العمل، فأى ثانية من التأخير تزيد فرص أن يأتي شخص ما، ويحصل ما قد يُعقد الموقف.

فتح زيزي الباب، وانحنت جين داخل السيارة، وأزاحت جسد المحامي بينما سحبه الصبي إلى المقعد بجانب السائق، وتدلت ساقاه المترخيتان في قعر السيارة. كان الكلوروفورم يتبخر لكنه لم يتبخر تمامًا من وجه المحامي. تساءل زيزي: "ما هذا الذي يغطي فمه وأنفه؟".

دون أن ترد على السؤال، تركت جين باب السائق مفتوحًا، ودارت حول السيارة، ودفعت زيزي جانبًا، وخلصت لاركين من هاتفه الخليوي وربطت حزام الأمان على خصره. من أحد جيوب معطفها، أخرجت منديلًا وبسطته على وجه المحامي لتقلل تبخر الكلوروفورم وتحجز الأبخرة.

قال غونز بعد أن انضم إليهما عند جانب السيارة: "يبدو ميتًا".
"إنه ليس ميتًا، لقد أُغمي عليه فقط".

صفقت جين الباب، واستدارت لتواجههما، وسحبت المسدس من حزام الكتف الجلدي الذي تعلق فيه قراب المسدس تحت إبطها.

تجمّد الصبيان في مكانيهما، واختفت بهجة الترحلق، وتحولت إلى نظرات بليدة خرقاء من الذعر المفاجئ، رفعاً أيديهما في دفاع يائس، ثم أمسكا البطن والصدر كأنهما، بإيماءات سحرية، يريدان صد الرصاصات المتوقعة. قالت: "اهدأ وإلا تعرضتما للخطر".

ويدها اليسرى، أطاحت القبعة عن رأس زيزي، حتى كاد يسقط على ركبتيه..
"أنظر إليك وأنت في بنطلون الجينز الممزق وشكلك المخزي، وكل هذه الأشياء التي لا تساوي شيئًا، أنت بالكاد تستطيع منع نفسك من التبول في بنطالك. إذا لم تتعلم من هذا، إذا لم تكن ذكيًا بما يكفي، سوف ينتهي بك الأمر إلى الخزي والمهانة عندما تبلغ الثلاثين. أعد إليّ نقودي حالًا".

قال زيزي: "لكنك... ما زلت مدينة لنا بستمئة دولار".

"أعطيانى النقود، وإلا سوف آخذها منكما عنوة وأترككما تنزفان على الأرض".

قال غونز: "أنت لن تقتلينا الآن".

قالت وهي تكذب عليهما: "سأجعلكما معوقين فقط، ربما هذا ما تحتاجان إليه لتنظيف عقليكما من القدرة".

مدت يدها اليسرى وهي تصرخ بهما: "أعطياني النقود حالاً!"

كانا يرتعشان حين استسلما، وتنازلا لها عن الأربعمئة دولار.

"إنهم يبيعون لكما الكحول لجعلكما معتوهين، لتدميركما. أنتما أغبى شخصين قابلتهما في حياتي. خذا لوحتي تزلجكما، واغربا عن وجهي فوراً، وأرجوكما، بحق الله، أن تكونا أكثر ذكاءً".

تراجعا على الفور مبتعدين عنها، والتقطا لوحتي تزلجهما على عجل، وأسرعاً بالركض باتجاه حاويات النفايات التي أغلقا بها الممر، لم يعتقد أي منهما أنه أكثر فطنة من الآخر.

أسقطت جين هاتف لاركين في بالوعة، وتناولت حقيبتها اليدوية عن الرصيف، وأخفت المسدس. جلست خلف مقود سيارة المرسيدس الأس 600، وسحبت الباب حتى أغلقته.

أمسكت يد المحامي المتراخية، وفحصت نبضات قلبه. إنها جيدة بما يكفي. أخرجت زجاجة الكلوروفورم من جيب المعطف ورشت بلطف على المنديل الذي وضعتة على وجهه.

كان محرك السيارة مشتغلاً الآن. حولت بمبدل السرعة إلى وضع الرجوع وابتعدت عن بوابة المرأب.

في نهاية الممر، توقفت لكي تربط أزرار بلوزتها وتضع النظارة الشمسية. ثم انعطفت يساراً نحو الشارع العريض.

في نظر جموع الناس الذين كانوا حولها في السيارات التي تلفحها الشمس في صباح يوم الجمعة هذا، كانت مجرد امرأة غنية تجوب الشوارع في سيارة مرسيدس راقية، وزوجها يأخذ قيلولة إلى جانبها، ويحمي وجهه من الشمس، ربما ينطلقان إلى مكانٍ ما يقضيان فيه العطلة. حياتهما كحياة المشاهير في المجالات الفنية، تطفو على نهر من النقود، دون أي اهتمام لما يجري في العالم.

القسم الثاني

فيروس متعدد الأشكال

كانت طيور أبي الحناء تعيش مستقلة في الغالب خلال أشهر الصيف، لكنها تعود لتتجمع معاً في الشتاء. في صباح يوم الجمعة، بينما كان بوث هندركسون يقود سيارته بعيداً، وبينما كان لوثر واقفاً عند باب المنزل، كان أربعون أو خمسون من طيور أبي الحناء تحلق مجتمعة، تقطع مسارها خارج حماية الغابة الكثيفة - ترفرف بأجنحتها، تنزل قليلاً، تنزل في شكل أقواس - مستغلة تبدل حالة الطقس لتبحث عن مساحات من العشب تكون فيها الريح قد أزاحت الثلج فيمكن أن ترى البذور عليها.

تأتي طيور أبي الحناء مغردة، صيحاتها وهي تحلق عذبة في الأذان. راقبها وهي تستقر في الأماكن التي ربما وجدت فيها ما تقتات عليه؛ تيجان تميل إلى السواد، وأجنحة رمادية، وصدور حمراء زاهية على المحيط الثلجي. بعث منظرها للحظة البهجة في نفسه، ثم ومن دون سبب، سرت قشعريرة مرعبة في صدره، أحس بالخوف على هذه الطيور، على الطيور كلها، بل على الطبيعة كلها، وخاف أيضاً على نفسه وعلى زوجته وابنتيه.

بعد أن عاد إلى مكتبه في المنزل، اتصل بغونار تروفال، نائب المأمور، الذي استلم مسؤولية المركز منه لمدة أسبوع..

"بالرغم مما حصل يوم أمس، نحن نمضي جيداً، غونار. لن أتركك في دوامة. رجال مكتب التحقيقات الفدرالي لن يسمحوا لنا بالتدخل في هذه القضية. لقد عرفت بعض الأشياء عما يقومون به؛ إنهم يخلقون التحقيق أسرع مما تظن كأنما المسألة كلها كانت سوء تفاهم، ولم تحصل جريمة ولم يقتل ضحايا بمن فيهم الحاكم".

تساءل غونار: "ما الذي يرمون إليه؟".

قال لوثر، ولم يعد واثقًا من مدى سرية مكالماته: "لا أعرف، إنها مجرد قضية تفتح وسرعان ما تغلق روتينيًا في نظرهم، لا يريدون إثارة أعصاب الناس بمثل هذه الأمور، بالنظر إلى كل شيء يحصل خلال هذه الأيام".

"لا أعرف أشياء تفصيلية عن هذه المسائل. لا يمكنني تصور أن كورا يمكن أن تفعل هذا. لا أتصور هذا".

قال لوثر مؤكدًا: "بل فعلتها، لكنها لم تكن في حالة سوية، هذا كل ما يمكننا فهمه الآن عن الأمر".

"ما الذي حدث لمنزلها؟"

"احترق وأصبح رمادًا".

"بل أكثر من هذا".

قال لوثر: "لقد احترق وسُوي بالأرض، ورجال مكتب التحقيقات الفدرالي يتكتمون على هذا أيضًا. كل ما يمكننا القيام به خلال هذا الأسبوع تسجيل غرامات المرور ومحاضرات عن عبور الشارع من المكان الخطأ".

بعد أن أغلق الهاتف، ذهب إلى الطابق الأعلى وغير ملبسه الرسمية، وارتدى ثيابًا عادية. سيزور أحد أصدقاء كورا ليستفسر عن بعض الأمور، ولم يكن يريد لفضوله أن يظهر رسميًا.

حين نزل إلى الطابق الأسفل، كانت الرائحة في المطبخ تدل على وجود القرفة والمحلب.

كانت ريكا تلف العجينة وتعمل فطائر الجوز وغيرها من المعجنات.

"عليّ أن ابقى نفسي مشغولة أكثر من المعتاد وإلا سأفكر في تفجير الفندق".

"يبدو أننا سوف نتناول معجنات البندق طوال حياتنا".

"إنني أصنع منها الكثير حتى آخذها أينما ذهبنا. إعداد الطعام للجنّازة يجعل الأمور أسوأ".

كان دكسي بيلي، الكلب الألماني لكورا، يجثم قرب ريكا هادئًا، ينظر باهتمام وكأنما المعجنات تعد من أجله هو فحسب.

قالت ريكا: "إنه مصدوم، لن يأكل إلا إذا أعطيته شيئًا، ويهمهم بلا سبب".

"سيعتاد عليك مع الوقت".

"نعم، أعرف هذا، لكنه مرتبك ومصدوم وحزين".
قال: "سوف آخذ إجازة لمدة أسبوع، يمكنني مساعدتك لاحقاً إذا ذهبت لزيارة ما".

"اليوم مخصص للمعجنات، وغداً للزيارة. أنا ممتنة لأي مساعدة".

"أين جولي؟ كنت أتصور أنهم سوف يعطلون الدراسة بعد ما حدث".
كانت ابنتهما الصغرى في المدرسة الثانوية.

"إدارة المدرسة جاءت بمعالجين نفسيين لمساعدة الأولاد على تجاوز الأزمة".

قال: "يبدو أن جولي تتحمل الصدمة، كانت بحالة جيدة بالأمس".

"إنها على ما يرام، هي قلقة فقط. أتساءل عما سيقوله المعالجون النفسيون".

"أشياء عديمة الأهمية، ربما ما ستقوله لهم جولي هو الأهم".

ثم فتح الباب الخارجي وقال: "سوف أخرج لفترة قصيرة. هل تحتاجين لأي شيء من السوق؟".

"سأفكر بما احتاج إليه وأتصل بك".

بعد دقائق، ارتدى معطفه الثقيل، وانتعل جزمته وأدخل قفازيه في يديه وسمعته

يقول: "قد لا تكون فكرة جيدة أن تكون تويلا هناك في بوسطن".

تحولت من أكواب المعجنات التي تعدها، وقالت عابسة: "إنها ستتها الثانية في

الكلية، وأقامت صداقات جديدة كثيرة. ما الذي تعنيه؟".

"المدن الكبرى ليست بالمكان المناسب للفتيات الآن. فيلادلفيا كافية لتقنع أي

شخص بهذا".

قبل اثني عشر يوماً، كان الجهاديون المرتبطون بداعش قد هبطوا بطائرة على

الطريق السريع في فيلادلفيا، وحولوا ميلاً من الطريق إلى بحر من النيران، والسيارات

والشاحنات كانت تتفجر، والجسور تنهار... ومئات الناس هناك تعرضوا للحوادث

واحترقوا في سياراتهم، والمئات الآخرين أصيبوا بالجروح والحروق الدائمة.

قال لوثر: "هناك كليات في سانت بول، سانت كلود، وهي بمستوى جيد مثل تلك

التي في بوسطن".

"هل سانت بول أكثر أمانًا من بوسطن؟ كيف؟".

"كلما كانت المدينة كبيرة ومزدحمة، تزداد نسبة الخطورة فيها. فيغاس مثال جيد على هذا، هكذا يسمونها".

"توايلا تسميها مدينة الفرص الضائعة".

"اعتقد أنها محقة".

"لو رجعت إلى المنزل بالأمس، وذهبت للغداء في فندق فييلن، لكنك تعتقد أنها بأمان كأنها بين ذراعيك".

قال مؤيدًا رأيها: "صحيح، لكن بوسطن بعيدة جدًا عنا".

2

جلست ديامانتا لاركين تتناول الفطور في المطبخ المطل على حوض السباحة في الحديقة حيث يوجد نافورة تجسد أفرو ديت وهي تسكب المياه من كأس الرغبات. كانت تشرب كوكتيل العصير بالشمبانيا قبل الطعام، ليس لأنها تحتاج إلى فيتامين س الذي في عصير البرتقال أو إلى الكحول الذي في الشمبانيا. التجربة علمتها أنها طريقة فعالة لإزالة الأثر الذي تركه زوجها على فمها.

لقد تزوجت راندال منذ خمس سنوات. وهي لا تشك في أن الزواج سوف يستمر ما دامت راغبة باستمراره، أي حتى يصبح عديم الفائدة لديفيد جيمس مايكل. إنها في السادسة والعشرين من عمرها الآن، أصغر بثماني عشرة سنة من راندال، حزمة مثالية من الجمال والمواهب والطموحات القوية. إنها تعرف تمامًا كيف يمكن أن يكون الزواج ناجحًا: من الناحية الجنسية، هي بالنسبة إلى راندال ما يعني الإعصار للأرض التي تقع في مساره؛ إنها امرأة ذكية و متمكنة من الكلام، وهو لم يشعر بالانزعاج منها بخصوص هذا الجانب في أي وقت؛ فهي تطري عليه بلا خجل، لأنه يستمتع بهذا ويعجز عن التمييز بين التملق والمدح الصادق؛ وهي تتمتع بالقدرة على إثارة غرائزه أكثر مما يتصور في الواقع.

قبل أن يرتب ديفيد جيمس مايكل لقاء ديامانتا مع زوج المستقبل - ولم يكن راندي واعيًا لدور ديفيد جيمس في هذا الشأن - كان الملياردير يختبر العشرات من

الفتيات لأداء دور جديد للسيدة لاركين. لقد اختار ديامانتا حين وجد الحاسوب أن الخصائص السيكلوجية لها ولراندال تتناسب في 103 من 112 نقطة.

والشيء الآخر الذي لا يعرفه زوجها أن أحد الخبراء الفنين العاملين لدى ديفيد جيمس مايكل، كان قد أدخل في هاتفه الذكي برنامجًا لا يكتشف راندي وجوده ويتيح لديامانتا أن تتعقب مكانه أينما ذهب، سواء كان الهاتف يعمل أم لا. كان بإمكانها التأكد من الأماكن التي يوجد فيها من خلال هاتفها أو من أي حاسوب.

توقعت أن يكون في مكتبه عند الساعة 7:15، لأن تلك عادته المألوفة. وحين تحققت من ذلك عند الساعة 7:41 اكتشفت أنه، حسبما يشير هاتفه، موجود على الطريق خلف مبنى مكتبه في بيفرلي هيلز. جهاز التعقب وتحديد الموقع ضمن هذه المنظومة تحديدًا يتميز بدقة النتائج؛ الشاشة في الوقت الحالي تظهر مخططًا لوصف الشارع مع نقطة حمراء تومض بين فترة وأخرى، كأنها ندبة متقرّحة، تشير إلى وجود راندي.

كانت تتوقع أن تتحرك النقطة بشكل تدريجي من الشارع ثم تندمج مع البناية التي تضم مكتب المحاماة بينما هو يقود سيارته ليدخل البوابة باتجاه المرأب تحت الأرض. لكن مرت دقيقة ثم أخرى، والندبة لا تتحرك.

3

كانت جين هوك متأكدة من أنها ستحتاج إلى هذه الخلوة قريبًا. قبل يومين استكشفت المكان للتحقق من مدى نجاح الأمر، والحصول على معلومات مؤكدة من شخص متورط في هذه اللعبة الحقيرة. كانت بحاجة إلى الخصوصية لمنع التدخل في عملها، وحجرة لن تتسلل منها الأصوات المزعجة لثبير انتباه الآخرين.

هنا يتحرك الماضي الذهبي لكاليفورنيا والمستقبل المظلم، يتشابكان معًا ضمن فوضى ودمار الحاضر. على بعد صفوف من المجمعات السكنية هناك منشآت كانت ذات يوم مشغولة أما الآن فهي في الغالب مهجورة. سياجات مربوطة بسلاسل تنتصب متماسكة أو مفككة بين أنقاض من أشكال شتى؛ بقايا هياكل معدنية وأشرطة بلاستيكية ملونة؛ صحف مصفرة ممزقة تتعلق كأنها شبك الزنابير؛ حرق بالية تلطخها

القدارة كأنها كانت ذات مرة تلتف حول أشكال عفنة لمومياء؛ واقيات ذكرية مستعملة وإبر مكسرة. ساحات ركن سيارات، كانت ذات يوم مزدحمة يرتادها العمال بثلاث نوبات، أما الآن فهي مجدبة مهجورة، أعشاب ونباتات برية ذات منظر غريب تبعث على الكآبة تنمو بين شقوق الأرصفة كأنها شعر جنية تظهر من الأرض أو وحش أسطوري ينام تحت الإسفلت حتى يأتي يوم انبعائه من الرماد.

بدا المبنى الذي اختارته مظلمًا إزاء إشراقة الصباح. بناء إسمنتي يغطي فدانين من الأرض يغطيه سقف من الصفيح المموج ملطخ بفضلات الطيور، يبلع ارتفاع المبنى أربعين قدمًا. على بعد ثلاثين قدمًا هناك صف من النوافذ الزجاجية المغبرة تتيح لأشعة الشمس بالدخول.

ظهرت بوابة المبنى مربوطة إلى العمود بسلسلة وقفل متين. لكن قبل يومين كانت قد قطعت السلسلة وحررت القفل باستعمال أداة قوية.

تركت راندال لاركين هادئًا في مكانه، أنفاسه تحرك المنديل الذي يغطي وجهه، أزال جين السلسلة وألقته على الحاجز. قادت السيارة إلى الداخل، نزلت من المرسيديس، وأغلقت الباب.

استدارت إلى مؤخرة المصنع، حيث السيارة لا يمكن أن تُرى من الشارع. لأن خدمات شركة الطاقة لم تكن مؤمنة، فقد عجزت عن السياقة إلى الداخل من خلال ممر بحجم شاحنة.

على بعد عشرين ياردة، وراء حاجز حديدي مشبك، يقع ما يسميه السكان نهر جنوب كاليفورنيا: وهو قناة اسمنية عريضة مصممة للسيطرة على الطوفان. في معظم أيام السنة، تكون القناة جافة، لكنها الآن تتدفق بفعل الأمطار التي هطلت مؤخرًا بغزارة؛ تدفقًا سريعًا، دافقًا، ومخادعًا.

حين نزلت من السيارة، سمعت خرير مياه تندفع إلى الأسفل، أخذت مصباحًا كاشفًا من حقيبتها اليدوية وراحت تستكشف المبنى بنفسها عبر بوابة صغيرة قرب السياج.

هناك غرفة رئيسية جرداء، مجرد جدران خالية وصولًا إلى السقف. بفضل النوافذ العالية القذرة كان المزيد من الضوء يصل إلى العوارض الخشبية أكثر مما يتسلل إلى

الأرضية، وبالرغم من عدم وجود زاوية عالية أو منخفضة، كانت الغرفة تظهر بشكل أكثر كآبة مما هي عليه.

أي مشروع كان في السابق قائمًا هنا لا بد أنه تعرض للإفلاس أو اختفى بطريقة أخرى، لقد تشتت شمل مالكيه وانفصلوا عن بعضهم وربما لن يشغلوا المكان مرة أخرى، كما اتضح لاحقًا، فلا أحد يأتي إلى هنا الآن. كل أنواع الفضلات تركت هنا: كثير من البراميل الفارغة، بعضها مرمي على جانبه، وبعضها الآخر مستقيم؛ صناديق خشبية مكسرة؛ أشكال غريبة من الألواح والكراتين؛ كتل من الأسلاك كأنها تماثيل تجريدية أو شجيرات برية؛ علب فارغة بأشكال شتى وقناني جعة مبعثرة وقصاصات أوراق وصحف. عندما زارت المكان في المرة السابقة، نقلت جين برميلين إلى ركن من الغرفة. كانا يفيدان كمنضدة توضع عليها حزمة ملفوفة من الأوراق. هناك فانوس كولمان وعلبة وقود على الطاولة، جلبتتهما جين من أحد المتاجر.

وضعت المصباح الكاشف قرب الفانوس، وأخرجت من حقيبتها القفاز الأسود المطرز بخيوط فضية، الذي اشتريته كجزء من عملية التمويه التي أجرتها خلال الأسبوع الفائت، وأدخلت يديها فيهما.

حين أشعلت فتيل الفانوس، اندفع وهج مثل شبح أبيض يتأرجح في كل الجوانب لمسافة خمس عشرة قدمًا تقريبًا، وحامت كرة صغيرة من الضوء في الفضاء المظلم الشاسع للمصنع.

على الطاولة هناك أربع قناني مياه وأربعة أحواض بلاستيكية لخدمة الكلاب. نظفت المساحة القريبة من الفضلات، ولم يبقَ فيها سوى الطاولة، وكرسيين من الألمنيوم يُطويان مع وسائل ومساند للظهر للجلوس عليها، كانت قد أتت بها من محل لبيع الأدوات والأثاث القديم.

بجانب الباب الذي دخلت منه عربة ذات عجلات، طولها خمس أقدام وعرضها ثلاث، كانت قد أتت بها أيضًا من نفس المحل. دفعت العربة إلى الخارج قرب السيارة. حين فتحت باب السيارة الأمامي، سمعت راندال لاركين يتمتم بكلمات غير مفهومة من تحت المنديل، وباستعمال شريط لاصق سميكة أخذته من محفظتها، قيدت يديه ثم كاحليه.

وضعت يديها تحت ذراعيه وسحبته إلى خارج المرسيديس ودفعته نحو العربة، بينما كانت قدماه تتدليان من الحافة.

هنا سقط المنديل عن وجهه، فأعادته ورشّت عليه المزيد من الكلوروفورم مرة أخرى.

دفعت العربة إلى باب المصنع، وأخرجت القلادة التي أعطهاها إياها ترافيس من جيب بنظلون الجينز. وعلى ضوء الصباح المشرق، نظرت إلى السمات الرقيقة للصورة المنحوتة على القلادة. وراء السياج، كان النهر يتكلم بألف لسان، يتدفق، ويزمجر، ولكن بعد لحظات لم تعد تسمع شيئاً. نظرت إلى التميمة، عندما استعادت بمخيلتها وجه ترافيس الجميل بدا لها أنه صورة مصغرة عن أبيه، إنه الوعاء الذي سكبت فيه كل آمالها.

بعد قليل، دست القلادة في جيبها. دفعت العربة التي تحمل عليها المحامي إلى داخل المصنع، وأغلقت الباب خلفه.

4

بعد خمس دقائق حين لم تتحرك الإشارة التي تدل على مكان راندال على الشاشة من مكانه على الشارع، استعملت ديامانتا هاتف المطبخ لتتصل بهاتف زوجها الآي فون. بعد خمس رنات، سمعت رنة الرسائل الصوتية.

بعد ذلك، اتصلت بمكتب راندال، وبقي الهاتف يرن على المكتب، لم تكن السكرتيرة قد وصلت. لم يكن أكثر من خمسة أو ستة أشخاص يعرفون هذا الرقم، وRANDAL كان دائماً يرد على الاتصال إذا كان موجوداً. ثم أرسلت ديامانتا رسالة صوتية أخرى.

لم تكن ديامانتا المرأة التي تجزع بسهولة، فليس هناك من شيء تخشاه في هذا العالم منه، لأن لديها ثقة تامة في قدرتها على التعامل مع أي كارثة والتكيف مع مصيرها.

عندما جاء هولمز، وقدم لها طبق البيض المقلي بالسلمون والكرنب، أعدته لها إيزابيث زوجته وغيرها من أفراد طاقم الخدمة، جلست وتناولت وجبتها الأولى لهذا

اليوم. قالت لنفسها إن راندال إما أن يكون قد نسي هاتفه في مكانٍ ما دون أن يدرك ذلك أو أنه منشغل في محادثة مع رئيس قسم الصيانة، الذي كان يحاول تصليح باب المرأب، الذي تعطل مرة أو مرتين من قبل.

خلال وجبة الفطور، راقبت ديامانتا المؤشر الواضخ يتغير رويداً، لا بد من وجود خطأ ما.

5

بعد عشر دقائق من نقل المحامي إلى المصنع، عادت جين هوك إلى سيارته المرسيديس، ووضعت فيها كتلة إسمنتية.

كان في السيارة جهاز تعقب للمواقع يمكن من خلاله العثور عليه. إذا جاء الآخرون متأخرين إلى العمل في وودباين، كرافتز، لاركين، بنديتو، فسيعرفون أن شريكهم الثالث قد فوت مواعده الأول. على افتراض أن وودباين أو كرافتز أو بنديتو، أو جميعهم، يعتبرون ممن هم على تماس بالملياردير ديفيد جيمس مايكل، الملتزم بمهمة خلق عالم أفضل بتقليص عدد أولئك الذين على قائمة هاملت مثلما كان راندال لاركين، وعلى افتراض أنهم يعرفون عن زيارتها إلى لورنس هانافن في اليوم السابق وفشلها في الاتصال به ظهرًا كما وعدت، وعلى افتراض أنهم ليسوا كلهم من الأغبياء كما هم أشرار، فواحد منهم على الأقل سيتوصل إلى الاستنتاج الصحيح بأنها بطريقة ما كانت تنصت على مكالمة هانافن - لاركين وأنها اختطفت، في هذا اليوم الجديد المشرق، شريكهم وهو في طريقه للحصول كالطير المبكر على الدودة وعائلتها كلها. لن يتصلوا بالشرطة، فهم لا يحتاجون إليها، فنفوذهم وصلاتهم تمتد وتتسع وصولاً إلى مكتب التحقيقات ودائرة الأمن القومي. سوف تكون هناك عملية بحث عاجلة للعثور على سيارة المرسيديس بواسطة جهاز تحديد المواقع.

قبل يومين، حين كسرت جين قفل البوابة الأمامية بأداة قاطعة، قطعت أيضًا عمودين في محور السلسلة خلف المصنع، أحدهما بموازاة الآخر وعلى بعد ثماني أقدام. وفصلت السلسلة من القاع، وهكذا بقيت قطعة طولها ثماني أقدام تتعلق فقط من السكة العلوية للسياح، وسبع أقدام منها فوق الأرض.

جلست خلف مقود المرسيديس، وشغلت المحرك. دارت بالسيارة لتوجهها نحو السياج وضغطت الفرامل من مسافة عشرين قدمًا. كان جهاز التحكم بالفرامل عبارة عن زر في نهاية جهاز تحويل السرعة، يمتد من الجانب الأيمن لعمود التوجيه، وفرامل الطوارئ لا تعمل عن طريق دواسة القدم بل بألية ضغط وسحب إلكترونية تقع مباشرة إلى يسار المقود تحت زر تشغيل الأضواء الأمامية. تركت السيارة في المرأب، ورفعت فرامل الطوارئ، وأطفأت المحرك، وفتحت الباب.

أحضرت الكتلة الإسمنتية من المكان الذي تركتها فيه قرب البناية. أدخلتها إلى السيارة ووضعتها على دواسة البنزين. وهنا دمدم المحرك، تحفة الصناعة الألمانية، لكن السيارة كانت مستقرة في الموقف تمنعها من الحركة فرامل الطوارئ.

انحنيت على الباب المفتوح، ومدت يدها إلى المقود وحولت مبدل السرعة إلى وضع الحركة إلى الأمام. هدرت المرسيديس، وتوثبت للتحرك، لكن الفرامل كبحت حركتها.

حثت نفسها على الإسراع وإلا سوف تكسر ذراعها، وضعت أصابعها تحت جهاز التحكم بالضغط والسحب على الجانب القريب وفصلت فرامل الطوارئ، وتراجعت مسرعة في الوقت نفسه.

هدر محرك السيارة، التي انطلقت مبتعدة عنها، وأدى الاندفاع الصاروخي إلى إغلاق الباب الأمامي. ارتطمت الدعامة الأمامية بالسياج المعدني بسرعة أكثر من اللازم فحطمته لتندفع إلى الخارج. أصدر حاجز السياج خشخشة بينما كانت السيارة ترتطم به، بلا شك أحدث ذلك خدوشًا في السيارة الجميلة، لكن الأثر لم يكن جسيمًا ليكسر الزجاج الأمامي. على بعد ست أقدام، كان جزء من السياج وسلسلة القفل يخشخش على زجاجها الخلفي وعلى بدنها، ووجدت السيارة منفذًا فتدحرجت حتى اختفت عن الأنظار.

تقدمت جين إلى السياج بينما كان يتأرجح ويتراجع إلى وضعه الطبيعي في الوقت المناسب تمامًا، لترى المرسيديس تسرع على المنحدر الطويل المؤدي إلى القناة الإسمنتية التي يبلغ عرضها مئة قدم. لا بد أن كتلة الإسمنت الثقيلة ما زالت على دواسة البنزين، لأن السيارة استمرت في التسارع، وانحرفت عن حافة النهر، وطارت في

الهواء لثانية أو ثانيتين، وهبطت على المياه المندفعة.

كانت كل النوافذ مغلقة، وبقيت السيارة تطفو على وجه المياه - يا لها من ماكينة رائعة متينة الصناعة، ما كانت لتسمح بتسرب الماء حتى من فتحات التهوية والتكييف ولفتره من الوقت ستبقى طافية - ولكن ببطء شديد بحيث تنجرف أميالاً مع التيار قبل أن تختفي، وحتى في ذلك الوقت فإن قوة التيار وحدها تجعلها تغرق.

راقبت السيارة ترتفع وتهبط ثم تختفي بين الأمواج، شيء ما ربما كان يعيق تقدمها، كأنها تنطلق مع أصحابها في رحلة. فكرت في أنها لو شغلت الراديو لربما وجدت أغنية من أغاني جيمي بوفيت أو ما شابه ذلك بحيث تتناسب مع تلك الرحلة السعيدة.

عبر حاجز المياه المتدفقة ولمسافة طويلة في أعلى التيار، تمتد تلال من السكراب في أكوام عالية وسط اخضرار الربيع. فكرت بأن من المحتمل أن يوجد متصلص ينظر إلى هذه الجهة حين كانت المرسيدس تندفع عبر السياج وتستقر في التيار. لكن إذا كان هناك شخص ورأى مكان انطلاق السيارة، فمن المحتمل أن يبلغ الشرطة عن مكان استقرارها، وقد يظن أنها تحمل بعض الركاب العاجزين عن الخروج منها.

بقي السياج يتمايل بخفة حتى عاد إلى وضع الاستقرار، ثم بدت أجزاء منه معلقة كأنها ملحومة بألواح غير مرئية.

أخيراً، عادت جين إلى المصنع المهجور.

6

جيسن ألن دركلو، محقق خاص حاصل على ترخيص لممارسة مهنته في تسع وثلاثين ولاية، كان قد أمضى معظم حياته في إجراء بحوث خاصة عن المعارضة لصالح مدراء حملات انتخابية للحزبين الرئيسيين. كان متوقفاً من الرجل العثور على أكثر النقاط سلبية بخصوص حكام الولايات، وأعضاء الكونغرس، ومجلس الشيوخ، أي شيء عن شؤونهم الشخصية والعائلية ووسائل الترفيه التي يلجؤون إليها، ولو كان الأمر يتعلق بتصرفاتهم حين كانوا أطفالاً مثل تعذيب الحيوانات الأليفة، أو بتصرفات دنيئة عندما كبروا والتي تصلح لأن تستخدم في السمعة.

في فترة شبابه والسنوات الأولى لنضجه، كان هذا العمل يشكل تحديًا وتلاعبًا بالحقائق. لقد أصبح خبيرًا لا يُنازع في تدمير السمعة، سواء من خلال الكشف عن الأسرار الخفية أو تفتيق بعض الشائعات الزائفة والأدلة التي تدعمها.

لكن عندما بلغ الأربعين من العمر، أصبح أكثر قلقًا. لم يعد يقتنع في إثبات أن السياسي يأخذ الرشوة من أمير أو بتزوير الوثائق التاريخية التي يبدو أنها تدين والد أحد المرشحين بتهمة الخدمة في عصابة كوكلوس كلان أو غير ذلك من النشاطات المشبوهة. كان ضجره يتوسع ويتحول إلى حالة مرضية إلى درجة أنه لا يتمكن من الخروج من السرير في بعض الأيام، وبدا أن مهنته وصلت إلى طريق مسدود. لكن بالنسبة إلى الرجال الذين يتمتعون بمواهبه وإمكاناته، فالفرص غير المتوقعة لا بد أن تظهر عاجلاً أم آجلاً.

إنه يكسب الآن مبالغ هائلة من النقود في العمل لصالح رجل يدعو نفسه مارشال أكيرمان، وقد يكون هذا اسمه الحقيقي أو لا. أكيرمان يعمل لحساب منظمة غير ربحية تسمى "متطوعون لغد أفضل". استنادًا إلى البحث المتأن الذي قام به جيسن دركلو، فتلك المنظمة ربما كان يديرها وكلاء تابعون لديفيد جيمس مايكل. ذلك الاكتشاف أكد لجيسن أنه دائمًا سوف يحصل على من يدفع له، وكذلك أحبط آماله في المزيد من التقصي ضمن سلسلة القيادة التي من خلالها يتلقى توجيهاته، خشية أن ينتهي به الأمر إلى ما لا يُحمد عقباه، إذا تكلمنا مجازيًا.

في صباح هذا اليوم، الجمعة، تلقى رسالة إلكترونية مشفرة من أكيرمان، الذي أراد منه أن يحدد وضع ومكان وجود راندال لاركين الذي عجزت زوجته في العثور عليه.

يعيش جيسن في شقة مترفة تقع في بناية راقية في ضاحية ويلشاير بوليفارد، في بيفرلي هيلز، غير بعيد عن مكاتب وودباين، كرافتز، لاركين، بنديتو. إنه لا يدفع الإيجار، ولا يضطر لإنفاق أمواله على اقتناء الحواسيب، والطابعات، وأجهزة التصوير، أو غيرها من الأجهزة التقنية الضرورية للعمل في المكتب.

أول ما قام به جيسن ألن دركلو هو توجيهه إلى وكالة الأمن القومي وهي إمبراطورية بيانات شاسعة ودخل من الباب الخلفي حيث كان متأكدًا من أنهم

سيسمحون له بالدخول ضمن الموظفين ذوي الدرجات العالية في تلك الدائرة، حيث يعتبر أعضاء منظمة متطوعين لغد أفضل من المتعاونين السريين.

في مختلف مدن أميركا تساعد كاميرات المرور وغيرها على تقييم المعلومات وتقديمها إلى جهات الأمن لحماية الناس وتوفير سجلات تاريخية لمختلف النشاطات. كان جيسن يقوم هنا بتقييم برنامج يدمج منظومات فيديو تأتي تقريباً من كل الدوائر القضائية وجهات تطبيق القانون في البلاد، ما يجعل من الممكن الانتقال إلى أي موقع من الساحل إلى الساحل للحصول على نظرة شاملة تتضمن الوقت الحقيقي لما يحصل هناك.

خلال دقيقة ونصف الدقيقة، اكتشف أن بيفرلي هيلز لا تملك أي كاميرات مراقبة لحركة المرور في الشارع خلف مكاتب الشركة التي يعمل بها لاركين. لكن لحسن الحظ هناك كاميرات على الشارع الرئيسي الموازي، وربما يظهر أرشيف أشرطة الفيديو وصول المحامي إلى العمل في وقت مبكر من الصباح.

7

جلس راندال لاركين، المغمى عليه في أحد الكراسي، لم تعد يده ولا كاحلاه مكبلين. رُبط كل ساعد من ساعديه بإحدى ذراعي الكرسي، وكل كاحل من كاحليه إلى واحدة من قائمتي الكرسي الأماميتين، حتى لا يستطيع الوقوف.

جلست جين في الكرسي الثاني بمواجهة أسيرها على بعد ثماني أقدام تقريباً. هسهس فانوس كولمان بهدوء، في الوقت الذي تصاعد فيه بخار الوقود من الصمام إلى الوشاح المتوهج.

ببطء استعاد لاركين وعيه، تنفس بعمق ونظر إلى الأمام، وتمتم كلمات لا معنى لها. تحرك خط من اللعاب من إحدى زوايا فمه، وسال على فكه وسقط على إحدى ساقي بنطال بذلته الرمادية. دندن عدة مرات مقاطع من نغمة مشوشة للحن لم تتعرف إليه، ضربت أصابعه ذراعي الكرسي الألمنيوم كما لو أن الملمس الناعم جذبه.

بعد فترة، رفع رأسه، وفتح عينيه، وغمز بغباء. حدق إلى الفانوس الأبيض الساخن ثم لاحظ جين. عبس وعض شفتيه وقال: "إنه حلم"، قبل أن يغمض عينيه مجدداً.

بعد دقائق، عندما رفع رأسه، ونظر مرة أخرى، أدرك أنه ليس في حلم. "أنتِ. من أنتِ؟".

قالت له: "احزر".

عندما حاول رفع يده ليمسح اللعاب عن وجهه، أدرك للمرة الأولى أنه مقيد. شد الرباط الذي يقيده، وحاول أن يركل بقدميه، فاهتز الكرسي على الأرضية الإسمنتية.

ازدادت حدة التحديق: "الزقاق. فتاة الزقاق. ماذا تفعلين هنا؟".

تحدثت إليه بهدوء مصطنعة الاهتمام: "ربما يجدر بك أن تُفكر بما تفعله هنا".
"هل أعرفك؟ أنا لا أعرفك".

"لم يسبق لك أن قابلتني، لكنك تعرفني".

"ما هذا؟ أحجية؟ لا تحيريني. لماذا تحيريني؟".

وضّحت بصبر: "إن ما يجعلك لا تعرفني هو الشعر المستعار، وظلال العيون وأحمر الشفاه ذو اللون الأزرق، وحلقة الأنف".

لوهلة شعر بالحيرة، ثم اتسعت عيناه عندما فهم. عيناها بنيتان فاتحتان على نحو غير طبيعي، مع خطوط داكنة.

فقال: "جين هوك".

"أجل. أنت الآن على وشك الاستيقاظ".

اختبر قيوده مرة أخرى: "ما الذي أتى بي إلى هنا؟ ما الذي فعلتموه بي؟ أشعر بمذاق حلو غريب في فمي".

"إنه الكلوروفورم".

مرر لسانه على أسنانه، وفكّر في ما سيقوله: "أنت مجنونة. أنت مجنونة بكل ما للكلمة من معنى".

ابتسمت وهزت رأسها: "لا أرى أنني مجنونة".

"هذه عملية خطف".

"ذلك جزء مما تكون".

"تعيشين من أجل الخطف".

"لا تقلق عليّ، راندي. أنا بالفعل مطلوبة بتهمة القتل".

عاد بالكامل إلى شخصية راندال لاركين. أظهرت عيناه أن عقله الحاد، بدأ يستوعب حقيقة وضعه. نظر إلى قاعدة الطاولة المصنوعة من برميل، وقناني المياه على الطاولة، وأطباق الكلاب، والфанوس، وعلبة الوقود. حدّق إلى النوافذ العالية التي تعبرها أشعة الشمس. حرّك رأسه، ومسح الظلام الدامس حول إطار الضوء الطيفي فبداله كرسيهما المتقابلان وكأنهما خارج المكان والزمان.

قالت جين مكررة الكلمات الأخيرة التي سمعته يقولها وهو يتحدث إلى لورنس هانافن: "لا تحرق الخبز وأنت تحمّسه".

لم يكن مدرّكًا للوقت، ولكنه عرف أنها سمعت محادثتهما: "تبا".
قالت متعاطفة: "عميقة جدًا أيضًا".

غيّر ملامحه إلى ملامح المحامي في المحكمة، رمقها المحامي الشجاع بنظرة لا بد أنها أخافت عددًا لا يُحصى من الشهود خلال إدلائهم بشهاداتهم: "أنا لست خائفًا منك".

قالت: "أعرف ذلك، لكنك ستخاف".

"أنت تعرفين كل ما أنت بحاجة إليه".
"ليس كل شيء".

"حتى وإن سحقتني مثل البيضة - ولا يمكنك ذلك - لن أخبرك بما لا تعرفينه".
راقبته لكنها لم ترد.

هسهس فانوس كولمان.

بعد قرابة الدقيقة، قال: "آسف، ولكن الصمت لا يناسبني".

"أنا لا أستخدم الصمت معك، بل أنتظر لتصل إلى شيء واضح تقوله لنفسك لتستعيد رباطة جأشك".

تظاهر باهتمامه بالمصنع أكثر منها. حدق إلى الظلام المحيط. "أين نحن؟".
"في مكان ما".

"سبعثرون علينا".

"رमित هاتفك المحمول، وسيارتك المرسيديس على بعد أميال من هنا، تطفو في النهر".

"تطفو؟ ماذا يعني ذلك؟".

استهجت.

بعد صمت متبادل آخر، قال: "لم تقتلي أحدًا. سمعت أن الشخصين اللذين قتلتهما رفعا عليك السلاح أولاً. إنه دفاع عن النفس".

قالت: "ها هو، الشيء التالي الأكثر وضوحًا الذي ستقوله لنفسك للحفاظ على أمورك".

"أنت وضيعة، وقلبك كالجليد، لكنك لا تقتلين بدم بارد".

"أنظن ذلك؟".

ابتسم ابتسامة ما كان دافينشي ليطلب من أحد أن يبتسمها ليرسمه.

بعدها صممت بتيقظ وصمت بتعجرف.

أخيرًا، قال: "الكلوروفورم اللعين سبب لي صداعًا".

"جيد".

هسهس الفانوس، كما لو كان الضوء سينكمش والظلمة الأبدية ستغمرهما عندما

توقف الهسهسة.

قالت: "حتى إن فجّرت دماغك الآن؛ لن تكون جريمة قتل، بل دفاع عن النفس

أتعرف لماذا؟".

في البدء لم يجب بل اكتفى بالتحديق إليها وانتظر.

"شركاؤك هددوا ولدي الصغير. أتعلم هذا؟ لقد هددوا بقتله. قتله بعد اغتصابه،

هددوا بأخذه إلى داعش أو بوكو حرام واستعباده جنسيًا. في الواقع، هددوا بأخذي

معه".

لاحظت أنه لم يكن يعرف، وعندما عرف أدركت أنه بدأ يعيد حساباته بشأن

إمكانياتها.

سألته: "من صمم هذه البذلة؟".

احتراب بسبب تغيير الموضوع فجأة: "البذلة؟".

"هل هي من تصميم برونيللو كوشينلي، مثل بعض البذلات في خزانة لورنس

هانافن؟".

"ماذا؟ لا".

"لمن هذه البذلة؟".

"ما الذي يهم، إنها بذلة؟".

"لمن هذه البذلة؟".

"لماذا تفعلين هذا؟".

"أنا مهتمة بكل شيء عنك، راندي. لمن هذه البذلة؟".

"إنها مجرد بذلة".

نهضت عن كرسيها، وتوجهت نحوه، ارتد صدى صرختها المزمجرة عن الجدران ومن السقف الخشبي: "أيها الأحمق من صمم البذلة التي ترتديها؟".

ارتجف قليلاً، وشعر بالارتباك والانزعاج لأنها تصب جام غضبها على شيء تافه مثل بذلته: "زينغا. إرمينغيلدو زينغا. إنه ليس أمراً مهماً".

"كم كلفت؟".

"البذلة؟ لا أعلم. ربما أربعة آلاف".

"من صنع ربطة العنق؟".

"ربطة العنق؟".

التفتت إليه وانحنت، وصفعته مرتين بكل ما أوتيت من قوة، فشعرت بتشنج يدها: "نعم، ربطة العنق اللعينة".

لقد اعتاد منذ فترة طويلة أن تكون اليد الطولى له، وفهم الآن أن الأمور مختلفة هنا، ولا وجود لقواعد قاعة المحكمة وسلوكياتها، ولا يمكنه التحكم في السرد من خلال أسئلة مكتوبة بشكل مخادع. فهي من يطرح الأسئلة، وهو الشاهد هذه المرة، وهي المحامي، والمدعي العام أيضاً.

"ما سعر ربطة العنق اللعينة، راندي؟".

هز رأسه، وأظهر لا مبالاة بهوسها بخزانة ملابسه. "ربما بضع مئات".

"أخبرني عن القميص. من الأفضل أن تعرف شيئاً عنه".

تلعشمه بحرف الباء كان قد كذب هدوءه ورباطة جأشه. "ب - ب - بول سميث".

بول سميث - لندن".

"ما قصة الحذاء؟"

"أرماندو كابرال".

"أنت متأنق جدًا، أليس كذلك؟"

"أنا ألبس بشكل جيّد، هذا كل ما في الأمر".

"هل تُسمي هذه بذلة السلطة؟"

"لا".

قالت: "بالنظر إلى ظرُوفك الحالية، ما كنت لأسميها كذلك أيضًا".

عادت إلى كرسيها، وجلست تراقبه.

بقي بلا تعابير، ولكنه نظر إلى الكتلة العجبة التي تتوهج غضبًا. في ضوء الغاز،

افتقر وجهه لاركين إلى احمرار الغضب، فشحِب وأصبح مثل المسطحات الملحية في

ضوء القمر، ظهرت بقع رمادية خافتة تحت جفنيه، وأصبحت شفثاه ورديتي اللون كما

لو أنه مصاب بفقر الدم. كان غاضبًا، وخائفًا للغاية.

"اسم زوجتك الحالية هو ديامانتا".

"دعيها خارج الموضوع".

رفعت جين حاجبيها: "لماذا أَدعها خارج الموضوع؟ أنت لم تترك زوجي

خارجه".

"إنها لا تعرف شيئًا".

"حسنًا، على الأغلب أن تكون تلك كذبة". أدارت رأسها، ونظرت إليه بتساؤل،

وتركت نصف ابتسامة تأتي وتذهب، كما لو أنها وجدته مسليًا بقدر ما كان مثيرًا

للاشمئزاز. سألته: "هل تعرف زوجتك ديامانتا عن أسباسيا؟".

صمت لحظة، وهذا ما كشف صدمته قبل أن يقول: "أهذا مخدر أو شيء ما؟ أنا

لا أتعاطي المُخدرات".

لقد أدرك هو والآخرون في هذه المؤامرة أنها علمت بشأن الأمور التي يزرعونها في

الأدمغة وقائمة هاملت، يوم مقتل بريتولد شينيك، حصلت على قرص يحتوي على

أبحاث العالم، وحصلت على أمبولات من آليات التحكم النانوية الموضوعة في وسط

محايد والجاهزة للحقن. لكن لم يكن لديهم أي طريقة لمعرفة أنها اكتشفت

الاستخدام الآخر الضار والقاسي الذي وضعوا عليه هذه التكنولوجيا المخيفة: أساسيا.

"راندي، راندي، راندي. أصبحت الآن تعرفني على نحو أفضل بعض الشيء. أنت تعلم أنني مستعدة على أكمل وجه لمثل هذا اللقاء".
لم يقل شيئاً.
"راندي كم مرة تذهب فيها إلى أساسيا؟ مرة في الشهر؟ مرة في الأسبوع؟ ما هو مقدار رغبتك بها؟".

إنها تستطيع قراءة ته. فجلده باهت، وعيناه مبللتان بفعل الحمى، وتركيزه مفقود بسبب بعض الذكريات التي تصرف انتباهه، وفتحتا أنفه مفتوحتان كما لو أنه شم الآن الرائحة الحقيقية لروحه الفاسدة، فلم تعد يدها مسترخيتين على ذراعي الكرسي بل تمسكان ذراعيها المصنوعين من الألمنيوم كما لو كان على متن أفعوانية تصعد إلى حافة هبوط محفوف بالمخاطر: بكل تلك الروايات، كتب قلقه وشعوره بالذنب بوضوح كما لو كان قد كتب اعترافه على سبورة بإصبع من الطباشير.

8

قبل الانتقال إلى الخطوة التي تستغرق وقتاً طويلاً لمراجعة الفيديو المؤرشف للشوارع التي تحيط بالأزقة، طلب جيسن دركلو من صديقتها ومساعدته كامي نيوتن أن تسرع إلى الموقع للعثور على الهاتف الذي يشير إلى موقع راندي لاركين.
قالت كامي: "رائع، إنني على الطريق".

في هذه الوظيفة، العلاقة بين دركلو ونيوتن غير عادية. إنها أصغر منه بسنتين، وتكن له احتراماً شديداً، وهو يبادلها الاحترام ومغرم بها، ويشعر بالشوق والعاطفة والرومانسية كما لو أنه في الثالثة عشرة من عمره.

عندما بدأت علاقتهما قبل ثلاث سنوات، كانت تعمل مزينة أظافر، تُقلم وتطلي الأظافر وتتعامل مع أمور مثل الأنسجة والفطريات غير الجميلة. وهي الآن تشعر أنها سندريلا لو أن سندريلا وقعت في حب جيمس بوند بدلاً من الأمير.
قالت له وهي تخرج من الباب: "سأفتقدك!" بالرغم من أنها لن تغيب أكثر من ساعة.

عاشت هيزل سيفيرتسين في طرف البلدة، في منزل فيكتور بني الطلاء، له نافذتان إيطاليتان بارزتان. كان المنزل عشوائياً بقدر ما كانت صاحبه منظمة.

صعد المأمور لوثر تيلمن الدرجات إلى رواق مزخرف للغاية، وفكّ احذاء الثلج، وأخرج قدميه منه، ورنّ الجرس.

رنّ مرة أخرى قبل أن تظهر هيزل وهي تتعلّحذاء وودمان، وترتدي بنطال متسلقي الصخور رمادي اللون، وقميصاً خفيفاً أزرق ملفوف الكمين. بالرغم من ملابسها، كانت تضج أنوثه، وسيحلم بها أي رجل في رواية تدور أحداثها في الفترة الزمنية نفسها التي يعود منزلها إليها.

قالت: "لقد خلعت حذاءك، أنت هنا لتستجوبني لوقت طويل. عليك أن تفعل ذلك من دون قهوة، وفي مشغلي، فأنا أعشقّ الزجاج، ولن آخذ استراحة أبداً".
"أقبل بشر وطك يا سيدتي".

"لا تنادني بسيدتي. فهذه الكلمة تُشعري أنني أكبر مما أنا عليه".

تبلغ هيزل السادسة والستين من العمر، متقاعدة منذ عام، بعد تخرجها من الجامعة، خدمت في الجيش عشرين عاماً، وتقاعدت برتبة رقيب، وعادت إلى المنزل، وشغلت وظيفة مديرة مدرسة ابتدائية طيلة أربعة وعشرين عاماً. تزوجت ثلاث مرات، مرتين من جنديين؛ توفي الأول في القتال، والثاني في تحطم مروحية، أما الثالث فكان وغداً، طلقته بعد أن طردته من المنزل وهي تصوب نحوه بنديقية عيار 12 اعتقد أنها تحتوي على الرصاص، واستعادت كنيته قبل الزواج.

كان مشغلها عبارة عن غرفة إضافية خلف المنزل. بُتت فيها فوق منضدة إطار نافذة بطول ست أقدام وعرض ثلاث وكانت تعمل على تعشيقه. تعمل هيزل بصناعة النوافذ منذ أن تركت الجيش وعادت إلى المنزل، يمكن إيجاد نوافذها في المنازل، والشركات، ودور العبادة في شتى أنحاء الولاية.

عُلّق رسم كامل الحجم للعمل على الحائط، وبدا للوثر أنها أنهت ثلث النافذة: مزيج نابض بالحياة من الأحمر والأزرق والأصفر والأرجواني.
"إنه فن تجريدي. إنها جميلة، لكنك تكرهين التجريد".

"بدأتها بالأمس، ظللت مستيقظة طوال الليل تقريبًا. إنها مستوحاة مما حصل، قررت بالأمس أن العالم يفتقد إلى الشكل، والتماسك، ويصبح مجردًا بشكل مجنون. هذا هو الواقع الجديد."
"حسنًا، للأمر علاقة بكورا".

"صحيح، إنه يتعلق بها، ستكون جميلة ومليئة بالحياة. سأسميها كورا، وإذا اعترض أي شخص على تعليقها في المدرسة الابتدائية، فليذهب إلى الجحيم".
في الوقت الذي بدأت فيه هيزل باختيار الأشكال الزجاجية المقطوعة لتناسب مع المقدمة، قال لوثر: "أنا هنا بصفة غير رسمية".
"لاحظت ذلك فأنت لا ترتدي الزي الرسمي".

"أخرج الفدراليون قسمي من الموضوع. أنا هنا بصفتي صديقًا، وأنت تعرفين كورا أكثر من أي شخص. هل سبق لها أن تحدثت عن مكان يدعى أيرون فرنس؟"
أبعدت هيزل عينيها عما تعمل عليه، وبدت مشمئزة كما لو أن لوثر سألها إن تحدثت كورا عن أوشفيتز. "ذلك المكان. حدث شيء لها في ذلك المكان".

10

في الهواء البارد للمصنع الفارغ، فاحت رائحة غامضة مثل العفن، بالإضافة إلى رائحة أكثر حدة تشبه رائحة البول. في الظلام الذي لا يصله ضوء الفانوس، هناك حركة خفيفة كما لو أن نسمة هواء حركت شيئًا مثنورًا على الأرض، ولكن الهواء ساكن تمامًا. أدار راندال لاركين - المقيد إلى كرسيه - رأسه نحو الصوت، وبالرغم من أنه أثار اهتمامه، إلا أنه لم يسأل عنه.

عرفت جين أنه من بين أكوام كبيرة من الأوراق المهجورة والملفات المهملة والكتيبات المتعفنة، أصبح التاريخ غير المرغوب فيه لمشروع فاشل موطناً للجردان التي تمسكت به ومضغته وأتلفته. لم تكن مستعدة بعد لمشاركة تلك المعلومات مع لاركين. سألتها: "ماذا تريد مني؟ ما الذي تعتقد أنك تستطيعين الحصول عليه مني؟". تجاهلت سؤاله، انحنت إلى الأمام على كرسيها: "هل سبق لك أن زرت الإنترنت المظلم يا راندي؟ أنا لا أقصد الإنترنت العميق. لا يوجد شيء مخيف في

الأساس هناك. هل سبق لك أن زرت الإنترنت المظلم؟".

"أنا لا أعرف شيئاً عن الإنترنت العميق أو المظلم".

ابتسمت لكذوبته المفصوحه: "لا يمكنك الدخول إلى الإنترنت المظلم باستخدام محرك بحث قياسي، وعناوين مواقع الإنترنت، فهناك سلاسل طويلة من الهراء والحروف والأرقام والرموز التي لا يمكن لأحد كتابتها صدفة، لا يمكنك حتى تذكرها، فهي معقدة للغاية. هناك عنوان واحد مؤلف من أربعة وأربعين حرفاً ورقماً. للحصول عليه، يجب أن تكون عضواً في نادٍ حصري جداً، أو أن تتلقى دعوة. راندي، إذا كتبت تلك الأحرف الأربعة والأربعين، فستحصل على صفحة رئيسية ذات شاشة سوداء تحتوي على كلمة واحدة بأحرف بيضاء. الكلمة هي أسباسيا".

أغمض عينيه، وأخفض رأسه كما لو أنه وجدها مضجرة، وربما لأنه خشي أن ينظر إليها.

"ثم الكلمات التالية فتيات جميلات. منقادات تماماً. لا يعتبرن أي رغبة متطرفة. هل تذكر؟".

التزم الصمت بمثابة دفاع عن نفسه.

تابعت: "ثم تظهر كلمات جديدة الفتيات راضحات، والصمت الدائم مضمون. أمر رائع أليس كذلك؟ يكلف الأمر ثلاثمائة ألف للانضمام، راندي هذا ليس مكلفاً إن كانت رغباتك شديدة، فبذلاتك تكلف أربعة آلاف وما فوق. الطريقة الوحيدة التي يمكنك الانضمام بها هي من خلال تلقى دعوة من عضو حالي، وبما أنك كنت قريباً من ديفيد جيمس مايكل، أفترض أنك كنت أحد الأعضاء المؤسسين".

سيثت قريباً أن استراتيجيته في عدم التعاون غير كافية.

قالت جين: "هناك أسباسيا في لوس أنجلوس، وسان فرانسيسكو، ونيويورك، وواشنطن. لقد زرت التي في لوس أنجلوس".

فتح عينيه: "ذلك غير..".

سألته: "غير ممكن؟ لن آخذ الوقت لشرح كيف دخلت. إنها ملكية بمساحة ثلاثة فدادين، أليس كذلك؟ نعم، هذا صحيح. يا إلهي، راندي، إنه قصر حقيقي. يبدو أن عشرات الملايين أنفقت على ذلك المكان. جميل جداً، أيضاً. أنت تعلم؟ لا يبدو منزل

دعارة أبداً، فهو يحتوي على كثير من التحف الفخمة، والسجاد الفارسي الرائع، مساحات شاسعة من الرخام في كل مكان. مثلاً، انظر، يمكن للفتى أن يذهب إلى هناك برغبات جنسية عالية وشديدة، أنت تعلم، ويشعر في الوقت نفسه بالرقي والرضى عن الذات".

وقفت جين. وبينما كانت تتحرك خلف كرسي لاركين، قالت: "والفتيات، راندي، إنهن مذهلات جداً. أعني أنهن يجعلن كتالوج فيكتوريا سيكرت يبدو بمثابة مجموعة من الفتيات العاديات عديمات الأهمية".

أدار رأسه بقدر ما يستطيع لينظر إليها. أمسكت بخصلة من شعره، ولفتها بقوة، وسحبت رأسه نحو صدره. "انظر إلى كرسيي الفارغ. لا تنظر إلى أي مكان سواه".

وجد قدرًا من التظاهر بالشجاعة، هذا إن لم تكن شجاعة حقيقية. "حسنًا، هذا ينطبق على الجميع، أليس كذلك؟ لا أحد منا يخرج من هذا العالم على قيد الحياة. بالرغم من أن البعض يخرجون قبل الآخرين".

تركت شعره، وربتت على رأسه بيدها ذات القفاز. "أولئك الفتيات المثيرات راضحات وصمتهن مضمون لأنه تم حقنهن بجهاز النانو، آلية تحكّم في الدماغ. أليس هذا خيالًا علميًا مذهلاً، يا راندي؟".

قال: "هذا يكفي. ليس..".

لفت أذنه اليسرى حتى صرخ بوهن.

قالت: "من الأفضل أن تكون لين العريكة، ولا تعصيني".

منحته بعض الوقت ليستجمع نفسه، قبل أن تقول: "صحيح، إنه خيال علمي مذهل حقًا. إليك ما هو أروع. أولئك الفتيات الساحرات يمثلن السعادة ويسعين وراء إرضاء الزبائن، ولا يغادرن أسباسيا أبداً، يعيشن هناك طوال الوقت، لأنه غرست في أدمغتهن غرسات مختلفة عن تلك التي تجعل الناس ينتحرون، هذه الغرسات لا تغسل دماغ الفتيات فقط، بل تتلف النسيج الدماغي، وتمحي الذكريات، وتزيل الشخصية، وتثبت شخصية جديدة. ليس هناك أمل في إعادة الفتيات إلى سابق عهدهن، إنها عملية أحادية الاتجاه. مثلاً، أنت تعلم، يمكن تحويل ابنة أي شخص إلى لعبة للجميع، وهو أروع شيء على الإطلاق، ألا تعتقد ذلك؟".

ظنت أنه يرتعش، لم تستطع الجزم بالأمر لأن يديه كانتا ممسكتين بقوة الكرسي. وضعت إصبعًا على مؤخرة عنقه، فصرخ متنبهًا، ظنًا منه أنه نصل سكين. قربت شفيتها من الأذن التي لم تلوها، وهمست: "لا علاقة للأمر بالجنس بقدر علاقته بالسلطة والتحكم. هذا صحيح أليس كذلك يا راندي، تحكّم كامل بأولئك الفتيات".

قال بيأس: "أنا لا أعلم".

"أنت لا تعلم؟ لم تفكر بالأمر مليًا، أليس كذلك؟". وضعت يديها على كتفيه، وأخذت تدلكهما كما لو كان الأمر يخفف من ضغوطه. "هل تؤذي الفتيات، راندي؟ هل يثيرك إيذاؤهن؟".

"لا. بالطبع لا. الأمر ليس كما تظنين".

"أنت تستمتع بالقيام بأمر من شأنها إذلال أي فتاة غير مبرمجة مثلهن؟ راندي هل سبق لك أن تماديت وقتلت إحداهن؟".

"هذا جنون. غير معقول. ثمة خطب ما فيك".

دلكت عضلات كتفه: "لأنه في الليلة التي كنت فيها هناك، وُجدت فتاة خنقتها أحد الضيوف حتى ماتت؛ إنهن مطيعات تمامًا، أترى. ربما خنقتها في اللحظة التي بلغ فيها النشوة، أعرف أنك لم تكن هناك ليلتها، ولكن ألم تكن لتوقّ الأمر هكذا؟".

قال بصوت خافت وحزين: "يا إلهي، يا إلهي".

"هل تعتقد أنه سيستمع إليك يا راندي؟ لا أعتقد أنه سيستمع إليك بعد الآن. على أي حال، أعتقد أن ترفك لا يقتل الفتيات بشكل روتيني. لأنه لو كان كذلك لحصلت مشكلة كبيرة في التوظيف. لذلك يحدث ذلك مرة فقط بين الحين والآخر، عندما يشعر أحدهم أنه سيد الكون".

"أنا لست ملاكًا، لكنك لا تفهميني، أنا غير قادر على قتل أي شخص".

"لا، تستأجر شخصًا لفعل ذلك. عانت ساكورا هانافن من حساسية تجاه سم الدبور. حساسية قاتلة. بينما كان زوجها، في مهمة، من الذي كلفته بوضع تلك الدبابير في سيارة ساكورا هانافن؟".

"أنت تمزحين، ما حصل كان أمرًا طبيعيًا. دخلت بعض الدبابير إلى السيارة. لم يضعها أحد هناك، لا شأن لي بكل فساد العالم".

قالت جين: "أعتقد أنها ظنت امتلاكها لمضادات الحساسية في الصندوق الأمامي لسيارتها، حققتها الذاتية من الإبينفرين وبينادريل السائل. كان الصندوق مفتوحًا عندما وجدها أمن المركز التجاري ميتة من صدمة الحساسية، وكان هناك دبور على وجهها، واثنان آخران في السيارة. دائمًا كانت تأخذ مضادات الحساسية معها. أعتقد أنها نسيتها ذلك اليوم. كلنا ننسى أشياء، أليس كذلك، يا راندي؟".

11

بعد أقل من عشر دقائق من خروجها من شقتها، اتصلت كامبي نيوتن بجيسن دركلو من خلف مبنى مكتب المحاماة. أبعده رأسه عن الحاسوب الذي يحاول فيه مراجعة فيديو كاميرا المرور المؤرشفة، ويوجه انتباهه إلى محطة عمله الثانية. على الشاشة، في نسخة خرائط غوغل للزقاق، لا تزال النقطة الحمراء التي تمثل موقع راندال لاركين تومض. بالقرب منه هناك نقطة زرقاء الآن تشير إلى كامبي.

"ليس لدي شيء، يا عزيزي! لا يوجد أثر للركين أو سيارته المرسيديس. ولا أرى هاتفًا محمولًا في أي مكان".

"أنت تقريبًا فوقه تمامًا يا عزيزتي". تحركي عدة خطوات نحو الغرب. حسنًا. الآن ربما خطوة أو خطوتين إلى اليمين. لا، بعيد جدًا. تراجعني إلى اليسار". اصطدمت الإشارتان الواضحتان معًا. "هنا تمامًا".

"أنا أفق على شيء ما مثل بالوعة، أو ربما منفس أو شيء من هذا القبيل. عليه اسم". قال جيسن: "لقد أسقط الهاتف من خلال الشبكة". صححت كامبي كلامه: "أو فعل شخص ما ذلك".

12

عرف لوثر تيلمن بالفعل أن أيرون فرنس وهي بلدة صغيرة في كنتاكي، على ضفة بحيرة أيرون فرنس. يبلغ عدد سكانها ستمئة نسمة، وأكبر مكان للعمل فيها هو منتجع

مُكلف مؤلف من مئة غرفة من فئة الخمس نجوم وأكثر بحسب ما هو مدون على الإنترنت. لكنه لم يكن يعرف لماذا ضمنت كورا غندرسن هذه الكلمات الثلاث، دون وعي على ما يبدو، في التكرار المبهوس في مقالاتها اليومية الغربية.

بعد أن وضعت هيزل سيفيرتسين دائرة حمراء، وهلالاً أزرق، اختارت شكل القطرة من اللون الأصفر ووضعتها في المقدمة. "تمت دعوة كورا لحضور مؤتمر في منتجع بحيرة أيرون فرنس، لأربعة أيام وخمس ليال مدفوعة النفقات، لقد كانت متحمسة جدًا لذلك".

"مؤتمر عن ماذا؟".

"تعليم الأولاد ذوي الاحتياجات الخاصة. من المفترض أن يكون جزء منه مؤتمراً والجزء الآخر مكافأة للحاضرين، الذين انتخبوا بمثابة المُدرّس المثالي في مدينتهم أو ولايتهم".

"متى كان هذا؟".

"في آب الماضي. قبل أن تبدأ المدرسة".

"من دعا إلى هذا المؤتمر؟".

"مؤسسة خيرية. أعتقد كان اسمها مؤسسة البذور أو شيئاً من هذا القبيل. لا. شتلات. مؤسسة الشتلات".

"هل ذهبتُ إلى المؤتمر بمفردها؟".

قالت هيزل وهي تعمل على النافذة: "كان بإمكانها جلب ضيف، صديقة أو صديق، وهو ما كان سيؤثر على الأمور إذا تبين أن أحد الرجال في المؤتمر سيكون الرجل المناسب. فقبل كل شيء سيكون هناك قاسم مشترك مع الرجل المناسب المفترض ألا وهو المهنة، والمودة للأولاد التي يعتبرها معظم العالم قضايا ضائعة. ربما لا يمكنك تخيل هذا تمامًا، لكن كورا كانت رومانسية جدًا.

أمنت أن هناك شخصًا مميزًا لكل واحد، وكانت تحتاج فقط إلى القدر لإجراء التواصل. كان الذهاب إلى كتاكي وحده طريقة لركل القدر ركلة صغيرة على مؤخرته".

بعد قراءة العديد من قصص كورا القصيرة وجزء من رواية، عرف لوثر أنها كانت رومانسية؛ كتبت عن الأمل والخير وترافق ذلك مع تيار من الكآبة المؤثرة. بالرغم من

هذا لم ينو إخبار هيزل عن تلك الدفاتر، التي قصد شخص ما إحراقها مع كل شيء آخر في منزل كورا.

"هل قابلت رجلاً في هذا المؤتمر؟"

"لقد قابلت واحداً أو اثنين أعجباها، وكما سبق لي أن قلت إن أيًا منهما لم يجعلها مهتمة لإقامة علاقة".

"لكنك قلت إن شيئاً ما حدث لها في ذلك المكان".

توقفت هيزل عن العمل على النافذة، وبدا أنها تدرس تدفق الشكل واللون في الجزء المنتهي من عملها، بالرغم من أنها كانت تنظر فعلياً من خلال زجاج الذاكرة. "لا أستطيع الشرح بسهولة يا لوثر، لكن كورا كانت مختلفة بعد بحيرة أيرون فرنس؛ كانت أكثر هدوءاً، وأقل ضحكاً على الأشياء السخيفة. أعني، الأشياء السخيفة التي نختبرها جميعاً في الحياة. كانت متحمسة للمؤتمر عندما عادت منه... ولكنه كان حديثاً شفافاً، يفتقد إلى التفاصيل المحددة، وهذا لم يكن من طبع كورا. كان لديها عين حريصة على التفاصيل. عندما تخبرك عن شيء مثير للاهتمام تكون دائماً قصة مليئة بالتفاصيل، ولكن بعد يوم أو نحو ذلك، لم تقل أي كلمة عن كتاكي. في المرات القليلة التي فتحت فيها الموضوع، حاولت الابتعاد عنه، كما لو أنه مكان جميل، لكنه مخيب للأمل".

قال لوثر: "ربما قابلت رجلاً هناك، شخصاً اعتقدت أنه مميز، لكنه آذاها بطريقة أو بأخرى".

"نعم، فكّرت في الأمر، لكنني لا أظنه كذلك".

غادرت مكان العمل، وذهبت إلى النافذة، وحدثت إلى فنانها الخلفي المحجوب بيستان من أشجار التنوب، تجمعت إرهاب الخضراء في الثلج، وزُينت بمخاريط أسطوانية صغيرة.

بعد عقود من العمل مع الشرطة، يعرف لوثر عندما يريد الشاهد أن يقول شيئاً، لكنه يشعر بالقيود بسبب الولاء لصديق أو بسبب العار، أو أي من العواطف والشكوك التي تعقد اللسان. فشلت تقنيات الاستجواب في كثير من الأحيان في فتح القشرة من أجل رؤية هذه اللؤلؤة الأخيرة، وكان من الأفضل إتاحة الفرصة للشخص المضطرب بالرجوع إلى ذاته واتباع ما يمليه عليه ضميره.

قالت هيزل من دون أن تلتفت إليه: "بعد أن عادت من كنتاكي، زرت كورا عدة مرات، وكنت أجدّها شاردة، غارقة في التفكير. لا يمكنني أن أصف تعابيرها إلا... بالمسكونة. كان عليّ أن أتحدث إليها مرتين أو ثلاث مرات قبل أن تدرك أنني أتيت. شعرت أنها خائفة من شيء ما لا تريد التحدث عنه".

فكّر لوثر، عنكبوت يخيّط شبكته داخل جمجمتها، واضعاً البيوض في طبّات دماغها.

قالت هيزل بعد صمت آخر: "كان عليّ أن أضغط عليها، وأكون أكثر اهتماماً، وأكثر صداقة".

"لا وزر عليكِ بذرة عما حدث في فندق فيبلن."
التفت إليه: "أعرف أن لا وزر عليّ يا لوثر. أنا أعرف، ومع ذلك أشعر بالمسؤولية".

13

عادت جين إلى كرسيها وقربته من راندال لاركين، وحركت حقيبتها بجانب الكرسي، وجلست حتى كادت ركبها أن تتلامسا. ابتسمت، وانحنت، وربّنت على اليد اليسرى للمحامي بشكل مطمئن. "كيف حالك أيها الربان؟"
لم يعرف ما الذي تقصده، لقد وصل إلى تقاطع محير من الغضب، والخوف، والذنب، والارتباك وهو الذي يعرف أن أمله ضعيف بالانتقال من هنا إلى أي نوع من الأمان. جلس صامتاً، من دون استعطاف، وبدا له من المرجح أن تساعد جملة ما أو كذبة.

سألته مرة أخرى: "هل أنت بخير؟ لا تزال رحلتنا طويلة. أريدك أن تكون معي هنا. راندي ما نحتاج إليه الآن هو تفكير واضح، لا مزيد من الطريقة القديمة، لا مزيد من التظاهر بالجهل، ولا التهرب، ولا التلاعب".

بالرغم من أنه يمكن أن يتخيّل الطرق التي ربما علمت فيها عن أسباسيا، إلا أنه أصيب بالقشعريرة لأنها اهتمته بقتل ساكورا هانافن. من الواضح، أنه لم يتذكر أهم شيء قاله للورنس هانافن في أول محادثة هاتفية لهما استمعت إليها جين.

عندما ضغط الصحفي لكي يُرقى إلى رئيس تحرير الصحيفة، عندما أصر على أنه كان مدينًا له ببعض الامتنان، رد لاركين، لم يمضِ أكثر من سنة، أنسيت ما قمنا به لأجلك؟

ساكورا مينة منذ سنة.

بالنسبة إلى لاركين، كانت جين أكثر من مجرد معذب له، أكثر من مجرد عدو يخدعه بالكلمات أو يتخلص منه بالعنف الذي لم يكن ضميره ليؤنبه بشأنه. من خلال الارتباك والعجز اللذين يشعر بهما بدت له سحرية إلى حد ما، من خلال مصادرها وطرقها الغامضة. عندما تتعامل مع مخلوق سحري، لا يمكنك معرفة الحيلة التي قد يؤديها تاليًا، ولا السحر الذي قد يلقي به، ولا عمليات استحضار الأرواح التي سيقوم بها بهدف بث الرعب.

قالت: "رسميًا، الشركة التي تمثل ديفيد جيمس مايكل، في كل من أعماله القانونية وقضايا الشخصية، موجودة في نيويورك. أتعرف اسمها؟".

تردد متسائلًا عن الفخ الذي قد ينطوي عليه مثل هذا السؤال البريء، بشكل حذر، وعيناه مغطاتان بشدة مثل عين إله التمساح لدى بعض القبائل القديمة، أخيرًا قال: "فورسيث، هامرسميث، أياميس، وكاروي".

"جيد جدا. ممتاز". لم تكن واثقة إن كان ما ستقوله تاليًا صحيحًا، لكنها كانت قادرة على إضافة أرقام أكبر من اثنين زائد اثنين. "إذا كانت هذه المؤامرة الخاصة بك نظيفة وعقلانية مثل المافيا، فستعرف بمستشار ديفيد جيمس مايكل، الرجل الذي يلجأ إليه للحصول على المشورة القانونية في الأمور الأكثر أهمية".

قال لاركين الذي لم يكن يعجز عن الخداع في هذه الظروف: "نحن لا نناسب بعضنا كما لا تناسب المعكرونة مع كرات اللحم اللعينة".

"نعم، أعلم ذلك. فريقك هو تحالف بين وسطاء السلطة ذوي التفكير المدني والمفكرين المبهرين الذين لا مثل لهم في التاريخ".

"أنت تسخرين من فريقتي لأنك لا تستطيعين فهمي".

"سواء كنت أفهمه أو لا، أكدت لي للتو أنك بمثابة مستشار سري لديفيد جيمس

مايكل".

فتح فمه ليعترض، وتذكر تعليقه عن المعكرونة وكرات اللحم، فقرر التنازل عن هذه النقطة.

"أريدك أن تخبرني أين وكيف ستتاح لي أفضل فرصة للوصول إلى ديفيد جيمس مايكل وتجاوز أمنه".

"لن تستطيعي ذلك".

"أريد أن أعرف نقاط ضعف دفاعاته".

"لا نقاط ضعف فيها".

"دائمًا هناك نقاط ضعف".

"إلا معه ليس هناك من نقاط ضعف".

"عندما تفكر في الأمر، سترى أنه يوجد".

رفعت حقيبة يدها إلى حضنها وأزالت جهاز التيزر، ليس النموذج الذي يطلق سهمًا متصلًا بسلك، بل ذلك الذي يتطلب من مستخدمه أن يكون قريبًا من الهدف. "أتعلم ما هذا يا راندي؟"

"أجل؟".

أراد أن يظهر قوته وبروده، فلم يكلف نفسه عناء النظر إلى الجهاز، حاول أن يبدو غير متأثر بالتهديد.

"في البدء، فكرت بالحصول على معلومات منك باستخدام هذا، وجلبت لأجل ذلك مجموعتين من البطاريات الاحتياطية. أنت ترفع الأثقال في صالة الألعاب الرياضية في منزلك، ولديك مدرب شخصي، وأنت لائق بدنيًا، لكن جوهرك ناعم، لم تعرف الكثير من الألم في حياتك المدللة. مئة صعقة أو نحو ذلك، وأعتقد أنك ستخبرني عن أي شيء أريد معرفته بدلًا من أصعقك مئة مرة أخرى".

"إذاً اختبريني".

"ربما سأفعل ذلك". أعادت التيزر إلى حقيبتها. "لكن إن أمكن، أود إعفاء نفسي من دور المعذب".

قوّم جلسته على الكرسي بعض الشيء ورفع ذقنه، غير مدرك أنه عندما كبج ابتسامته الرضى، بدا وجهه لطيفًا في اللحظة غير المناسبة، اعتقد أنها اعترفت بوجود

أخلاقيات تحد من الإجراءات التي قد تتخذها.

قالت وكأنها استطاعت قراءة ما يفكر به: "لا، ليس ما تفكر به، فأنا أريد تجنب ملل التعذيب. سوف تقاوم، وستفقد وعيك، وسأعيد إيقاظك، وسوف تفقد وعيك مرة أخرى. ثم ستتقيأ وتتبول في بنطالك. أفضل تجنب الحميمية الفوضوية للتعذيب، مع الأخذ في الاعتبار أنك تثير اشمئزازي".

الآن حتى الابتسامة الخفيفة لم يعد لها وجود.

استخرجت من حقيبة يدها حقيبة صغيرة وأظهرت له أنها تحتوي على قطعة نقانق مقطعة إلى أربع قطع. فتحت الحقيبة، وألقت قطع اللحم بعيدًا في المصنع، في أماكن مختلفة في الظلمة حيث تم التخلص من تلال من الأوراق.

بعد صمت حذر، تحرك شيء ما في الظلام، صدر صوت أسنان وهي تقطع قطع النقانق، وانشغال متلهف للبعض الذي لم يسد جوعه أبدًا، مضطربًا من تدافع الأقدام والأعشاش والاحتفاظ الذي أطلق مجددًا روائح بول وعفن ورائحة الجرذان.

"المكان مليء بها، لم يزعجها أحد منذ سنوات. ربما لم تعد تعرف أن عليها الخوف من الناس".

حرّك رأسه ليجث في الظلام.

مع انخفاض النشاط، انحنت ونقرت على الرباط الذي يقيد معصم لاركين الأيسر. "الطريقة التي صمم بها هذا القيد، تتيح سحبه ليكون أكثر إحكامًا، ولا يعود بالإمكان فكّه. إنه بلاستيك شديد الصلابة ومقاوم للقطع. أنت تحتاج إلى قطعه، ولكنك لا تمتلك شيئًا لقطعه به".

تمكن من إبقاء وجهه من دون تعبير.

استخرجت لفافة شاش من حقيبة يدها، وقالت: "إنها سدادة لأضعها في فمك". وأخرجت لفة شريط لاصق، وقالت: "سألّفها حول رأسك عدة مرات لتثيت السدادة". أعادتهما إلى حقيبتها. "هل ترى أطباق الكلب على الطاولة؟"

نظر إلى الأطباق.

"سأضع قناني الماء الأربع على الأرض بالقرب من الأماكن التي تعشش فيها النفايات، للحصول على المياه، يجب على الحيوانات المسكينة أن تنزل إلى الطابق

السفلي، حيث تتجمع المياه بعد المطر. لكنها مياه راكدة وقذرة، ستحب طعم شيء جديد ومنعش. لكنها ليست مجرد مياه".

تحول انتباه لاركين إليها. كان الجمود يلف جسده ووجهه وعينه البنيتين كما لو أن الزمن قد توقف، كما لو أنه جزء من لوحة لم تعد قوانين الفيزياء تؤثر فيها في الكون الراكد.

"الماء ممزوج بمادة مركزة وفاتحة للشهية وهي متاحة من دون وصفة طبية. مرضى السرطان وغيرهم ممن لا يرغبون في تناول الطعام يجدونها فعالة للغاية.

عندما كانت شركة الأدوية تطور هذه الأشياء، اختبرتها على الفئران التي استجابت لها. يستغرق بدء مفعول الدواء ساعتين بالتركيز الذي قدمته، ستكون هاتان الساعتان مثيرتين بالنسبة إليك، لا يُفترض أن تكون هناك لحظة مملة فيهما".

لو كان اليوم حارًا، لكان هناك بعض الشك. لكن الطقس معتدل، والمصنع بارد، وظهور ألف قطرة صغيرة على جبين لاركين العريض الشاحب لا يمكن أن يكون له إلا تفسير واحد.

وصل إلى الاستنتاج الوحيد الذي يمكن أن يستخلصه. "لن تفعلني هذا أبدًا. لن تفعلني أبدًا. ليس هذا الأمر. إنه... إنه غير إنساني".

فوجئت جين بضحكها، كانت ضحكة صادقة لكنها خبيثة فأربكتها: "عزيزي، أنت كنز حقيقي. أنتم أيها الناس، تجردون عقول الفتيات البريات وذكرياتهن وآمالهن، وتبرمجونهن ليتقبلن الإساءة المتكررة البشعة. أنت تحول أولئك الذين لا تتوافق معهم إلى آلات انتحارية، بناءً على البرمجة الغيبية. أنت تهدد باغتصاب فتى عمره خمس سنوات وقتله، ولدي البالغ من العمر خمس سنوات. أعتقد أن لديك الحق بالحكم على إنسانيتي؟".

نهضت قليلاً عن كرسيها وانحنت صوبه. حاول الابتعاد، متأكدًا من أنها كانت تخطط لاستخدام العنف، لكنها اكتفت بالضغط على خده، ليس بقوة، ولكن بمودة مزيفة.

"راندي، لا أستطيع أبدًا مجاراتك في لعبة اللا إنسانية. لديك الكثير لتُدّرسه ولا شيء لتتعلمه".

جلستُ ومسحت عينيها، وكأن الدموع كانت بسبب الضحك.
هسهس فانوس كولمان بهدوء، وسمع أصواتًا مكتومة وكأنها تتحدث عن مآدبة
غير متوقعة.

مالت إلى لاركين وقالت: "أنا أهرب منذ أكثر من شهرين، واسمي موجود على
قائمة أكثر المطلوبين لدى كل وكالات تطبيق القانون في البلاد. لم أستطع البدء في
إحصاء عدد الأشخاص الذين سيطلقون النار عليّ ما إن يروني في الطريق. راندي أنا في
غاية اليأس، إذا لم تخبرني كيف أصل إلى ديفيد جيمس مايكل وأهزمه، سأتركك
للجردان، وأعلم أن الشخص الوحيد الذي قد لا يوافق على ذلك هو الشيطان نفسه،
لأنه يريدك على قيد الحياة لتقوم بعمله".

14

عبر جيسن دركلو من خلال باب خلفي إلى خزائن تكاد تكون لا نهائية لوكالة
الأمن القومي، بحر مليء بأرشفيف المكالمات الهاتفية، والرسائل النصية، ورسائل
البريد الإلكتروني والفيديو من مصادر لا تحصى. سبّح مثل الغواص عبر طبقات
غامضة، عبر شعاب مرجانية من الأسرار الكبيرة والصغيرة، وكنز من العجائب
المغمورة لم يُكتشف، ربما حقيقة الخلق تنتظر أدناه في هاوية مائة أو أخرى، في الوقت
الراهن لم يكن يبحث إلا عن فيديو عادي لكاميرا المرور...

يبدو أن أول كاميرتين في الشارع، خارج الطرف الشرقي للممر، اللتين كان من
المفترض أن تلتقطا وصول لاركين إلى مبنى مكتبه، تعانيان من خلل واضح، فهما لا
تعرضان حاليًا أي صورة في الوقت الفعلي لبيفرلي هيلز ذات الأناقة الأسطورية، بل
شاشة فارغة فقط.

عندما حصل جيسن على الفيديو المؤرشف، حدد أولاً 7:00 صباحًا من اليوم
نفسه. ثم 6:30. ثم الساعة 6:00. لكن الكاميرا لم تقدم شيئًا. عندما انتقل إلى الخامسة
صباحًا، ظهر له الشارع من الشمال إلى الجنوب.

لا يزال هناك ساعة تفصله عن مشاهد الفجر. أظهرت الصور شارعًا مضاء في
الهزيع الأخير من الليل، وظهرت شاحنة تنظيف تضح تيارًا مائيًا خفيفًا، مزيلة الأوراق

والنفايات من طريقها، وشاحنة توصيل تتجه من الجنوب إلى الشمال، وسيارة دورية للشرطة تتحرك من الشمال إلى الجنوب.

قدّم جيسن الشريط بشكل سريع فظهر بشكل مفاجئ شخص يمشي عند الساعة 5:11، تبع ذلك توهج ضوء ما وشاشة فارغة. أعاد الشريط إلى الوراء للحظة التي يخرج فيها الشخص من بداية الزقاق، عندها شغل الفيديو بالسرعة الطبيعية.

يوفر ضوء الشارع وضوحًا أقل بكثير من الشمس، لكن جيسن متأكد أن الشخص الذي يقرب هو امرأة. ترفع ذراعيها، وعندما تومض الفوهة، يدرك أنها تحمل سلاحًا ناريًا في كلتا يديها، بعد الومض تصبح الشاشة فارغة، إنها رامية محترفة، ومن خلال متابعته للشريط يدرك جيسن من تكون تلك المرأة.

شغل شريط كاميرا المرور في الشارع الذي يقع بعد الطرف الغربي من الزقاق، وسرعان ما اكتشف أنها أتلقت هذه الكاميرا - مرة أخرى برصاصة واحدة - قبل أقل من ثلاث دقائق من تحطيمها للكاميرا في الشارع الموازي إلى الشرق. الضوء هذه المرة أفضل بعض الشيء، ويبدو أن المسدس مزود بكاتم للصوت نظرًا لأنه طويل.

ليس هناك أي فيديو لراندا لاركين عندما يصل إلى الطرف الشرقي من الزقاق في سيارته المرسيديس أو يغادر من الطرف الغربي. يبدو أن جين اختطفته. شعر جيسن بالإثارة للمطاردة، المرأة الهاربة والصيد الساعي وراء الراحة التي توفرها له شقته. ليس لديه شك في أنه سيعثر على المرسيديس قريبًا، وبعدها سيعثر على الخاطف والمختطف.

15

كما لو كانت إكسبيرًا سحريًا، لمعت المياه تحت ضوء الفانوس، ولمعت القناني البلاستيكية كالكريستال. التقطت جين إحدى القناني الأربع عن الطاولة، وأخذتها إلى راندا لاركين الجالس في كرسيه. وقالت وهي تفتح غطاء الزجاج: "أريدك أن تشرب نصف هذا".

أثبتت عيناه المفعمتان بالخوف، وشحوب وجهه، ولمعان العرق أنه لم يعد يؤمن بقوته، لكنه لم يستطع التخلي عن التظاهر بأنه بقي من طبقة سيادية بالرغم من كل الأذى. قال بلا مبالاة: "لست عطشاناً".

"وما علاقة هذا بالعطش؟".

"لن أشربه وهو يحتوي تلك الأشياء".

"بل تلك الأشياء هي ما ستجعلك تشربه، راندي. أريدك أن تشعر بفعالية هذا المنشط للشهية عندما يكون بنسبة التركيز العالية هذه، فتعرف مقدار الجوع الذي ستشعر به الجردان".

"لا يمكنك أن ترغميني".

"لا تكن مثيراً للشفقة. إليك الخياران المتاحان، إما أن تشرب نصف القنينة برضاك، وأنا أحملها من أجلك. أو أصعقك، فتصرخ، فأقحم القنينة في فمك المفتوح، وأرغمك على الشرب، فإما أن تبتلع الماء بسرعة أو تختنق. وضعك لا يتيح لك الاختيار أيها المستشار. فلماذا تجعل الأمور أكثر سوءاً؟".

حملت له القنينة، وسكبت ببطء، فابتلع الماء على مهل. نصف محتوى القنينة نزل في حلقه، وبللت بعض القطرات ذقنه. بعدها أغلقت سدادة القنينة، ووضعتها مع الثلاث الأخرى.

عاودت جين الجلوس على كرسيها، ركبناها تلمسان تقريباً ركبتي لاركين، أثارت هذه الحميمية قلقه.

"ديفيد جيمس مايكل يمتلك عقاراً في بالو ألتو، وشقة في سان فرانسيسكو، وعقاراً مساحته ثلاثة فدادين على بحيرة تاهو في نيفادا، وشقة أخرى في نيويورك، وربما المزيد من المنازل التي لا أعرف عنها شيئاً. أريدك أن تخبرني عن تفاصيل كل مكان، وخريطته، وطريقة عمل الأمن. لديّ قائمة".

"ما من طريقة يمكنك الوصول فيها إليه".

"لا أتوقع منك أن تخبرني عن نقاط الضعف. لن تعرف، على أي حال. معرفة هذه الأشياء ليست من شأنك، بل من شأني. أخبرني بما تعرف، وسأكتشف بنفسني الثغرات في السياج".

بينما أخذت جين دفترًا وقلماً من حقيبة يدها، نزل لاركين أخيراً بسرعة من عرشه التخليفي في أولمبوس، ولبس عباءة المتسول المثير للشفقة، ترقرت عيناه بالدمع حزناً للحالة التي أصبح عليها: "إن قلت لك وإن لم أقل، أنا ميت".

"أنت محق بشأن الخيار الثاني. ولكن عندما ينتهي هذا، تعود وتكذب بشأن ما قلته لي. ستكون بطلاً، أليس كذلك؟ لن تعطيني شيئاً سوى التضليل، ثم تهرب".

شعر بالقشعريرة، بالرغم من أن المصنع أكثر دفئاً مما كان عليه في البداية: "أنت لا تعرفين أولئك الناس، إنهم يحاولون تغيير العالم، وهم في القمة أعلى من أي شخص. سوف يقتلونني، ويدفنونني، ويتبولون على قبوري". طار البصاق مع كل جملة. "سأكون قمامة بالنسبة إليهم الآن، أولئك الناس لا يعرفون الرحمة".

"راندي، استمع إلى ما قلته أولئك الناس أنت واحد منهم".

"لم أعد". بالكاد كبح دموعاً حارة جعلت عينيه تحمران، ولكن ربما كان عرقه بارداً كما هو حمضي. خرجت منه رائحة مثل رائحة اللحوم المملحة الفاسدة.

لم يكن ممثلاً بارعاً ليمثل انهيار ثقته بنفسه، بحزن كلب اصطدم بسيارة، حذق إلى النوافذ العالية القذرة كما لو أنه لن يرى لمحة عن الشمس مرة أخرى، أغمض عينيه، وأخفض رأسه، وشعر بقشعريرة داخلية.

لم يكن اليأس يناسبه، لقد دفعته بقوة أكثر مما يحتمل، والآن تحتاج إلى تزويده بأمل هش، هش لأنه لن يصدق أي وعد بالخروج الآمن من هنا.

"يمكنني أن أوفر لك مخرجاً، لكنك لن تعود ملك النانو بعد الآن، تفعل ما تريد للفتيات المستسلمات من أسباسيا. لن يكون عالم العبيد رهن بنانك، ولكن هناك طريقة للحصول على حياة".

بعد لحظة، نظر إلى الأعلى: "ما هو عرضك؟".

"إذا أخبرتك الآن بطريقة خروجك من هذا المكان، ستعاود خداعي، ولن أحصل على ما أحتاج إليه منك. الطريقة الوحيدة هي أن تخبرني عن ديفيد جيمس مايكل، وعندما تنتهي، إذا صدقت ما أخبرتني به، فستحصل على ما تريد".

فتحت دفتر ملاحظاتها، ونقرت على قلم حبر جاف.

عندما سألت عن منزل ديفيد جيمس في بالو ألتو، أجاب لاركين على أسئلتها، وما قاله بدا صحيحًا بما فيه الكفاية.

أما بالنسبة إلى شقة سان فرانسيسكو، التي شغلت الطابق التاسع بأكمله من مبنى مكون من عشرة طوابق يملكه ديفيد جيمس مايكل، قال لاركين: "إنها معقله، وأكثر مكان يشعر به بالأمان. لن يصل إليه أحد في ذلك المبنى، وإن حاولت الوصول إليه هناك، سيقضى عليك في وقت قصير".

عندما شرح ما ينتظر أي دخيل في ذلك المكان، أدركت أنه يقول الحقيقة، لأنه لم يكن رجلًا يتمتع بقدرة تخيلية كافية لابتكار مثل هذا الرعب.

16

لا يمكن لجين هوك أن تطلق النار على كل كاميرات المرور عند كل تقاطع مهم عبر المقاطعة. ما يجب على جيسن دركلو أن يفعله بطريقة صعبة، هو التحقق من أرشيفات الفيديو للتقاطعات الرئيسية للمنطقة مثل جادة ويلشاير وسانتا مونيكا، وكذلك تلك التي تصل إلى منحدرات مدخل الطريق السريع الأقرب، باحثًا عن سيارة راندال لاركين المرسيديس الأس 600، بالرغم من أن العملية قد تستغرق وقتًا طويلًا.

الأفضل من ذلك، من خلال الباب الخلفي لنظامهم الذي قدمه له بعض الأشخاص في وكالة الأمن القومي، يمكنه الوصول إلى بيانات التعرف إلى لوحة الترخيص التي تجمعها سيارات الشرطة والمركبات الحكومية الأخرى المجهزة بالأنظمة التي تقرأ اللوحات بزواوية قدرها 360 درجة؛ يتم إرسال القراءات الآلية على مدار الساعة إلى أرشيف مركزي. كل ما عليه فعله هو إدخال رقم اللوحة من سيارة لاركين المرسيديس الأس 600 وتحديد فترة زمنية، على سبيل المثال، من 7:00 صباحًا إلى 8:00 صباحًا إذا تصادف أن المرسيديس اجتازت قارئ لوحة - وعلى الأرجح أنه مرت أمام أكثر من واحدة - سيتم إخباره بالموقع الدقيق والوقت الذي حدث فيه التعرف، سواء تم إيقاف السيارة أو أثناء الحركة، وفي أي اتجاه كانت تسير، بالرغم من أن وجهتها النهائية ستظل لغزًا يجب حله.

الأفضل من ذلك كله، مع رقم لوحة الترخيص الذي يمتلكه بالفعل، يستطيع جيسن سحب رقم تسجيل السيارة من قسم المركبات المتحركة. وبهذا، يحصل على رمز مستجيب فريد من سجل مرجعي يسمح بتحديد المرسيديس من المدار من خلال شبكة الأقمار الصناعية التي تخدم نظام تحديد المواقع الخاص بها.

في ذلك الوقت، عادت كامى نيوتن، بعد أن توقفت في مخبز جيسن المفضل في الزقاق خلف مكتب المحامي، بعد إنهاؤها لمهمتها.

أعلنت وهي تفتح غطاء علبة المخبز: "جنون الكربوهيدرات". وعرضت معجنات الصباح السكرية والكعك المفضل له.

قال جيسن: "أنا على وشك العثور على المرسيديس"، وهو يركز على الحاسوب مثل العينين اللامعتين لأي جدة تحدق إلى آلة للقمار في فيغاس.

حملت كامى إحدى المعجنات بورقة جلبتها من المخبز، ووضعتها بهدوء على المكتب، في متناول اليد اليمنى لجيسن. لم تأخذ واحدة لنفسها على الفور، بل جلست ونظرت إليه بعشق طفولي وهو يعمل.

في بعض الأحيان، يشعر جيسن بالحرج بسبب التبجيل الذي تعطيه إياه كامى، وفي معظم الأحيان يدرك حقيقة أنه لا يستحق كل هذا التبجيل، ولكن في جميع الأوقات يسعده أنها تحبه.

أعلن: "لونغ بيتش. السيارة في لونغ بيتش، بالقرب من الميناء".

قالت كامى: "رائع".

"بعد دقيقة، سيكون لديّ موقعها الدقيق".

قالت كامى: "هذا جيد. أنت جيد جدًا".

"لست كذلك حقًا".

"لا، أنت كذلك. أنت جيد جدًا".

"حسنًا، ربما قليلًا".

أصرت كامى: "أنت جيد جدًا!".

فقال: "حسنًا!". ضحكت، وكان يعلم أنها ستضحك.

راندي في قبضة الاعتراف. في الوقت الذي كان فيه يخبر هذه الوضيعة المعتدة بنفسها ما يعرفه عن ديفيد جيمس مايكل، لمعت في رأسه فكرة، ودبت الحماسة فيه، حماسة كان قد أخفاها عنها. اعترافه هو أن كونفدرالية النخب وراء هذه المؤامرة ستفشل، وسيتم كشفها وإحالتها إلى العدالة أو ذبحها من قبل الحشود الغاضبة والمرعوبة التي ستثور غاضبة لدرجة أن الثورة الفرنسية بكل ما رافقها من وحشية ودموية ستبدو انتقالاً لطيفاً للسلطة.

حتى هذه اللحظة، كان راندي مؤمناً وفيّاً لخطط أولئك الأشخاص الذين يطلقون على أنفسهم تكنو أركاديان، والذين يريدون خلق عالم من الوفرة والسلام الكامل من خلال تطبيق السيطرة الكاملة. لكنه لم يعد واحداً منهم. ما يراه الآن جعله يعتقد أن تكنو أركاديان لن يُبنى أبداً، وأن كل شخص، من ديفيد جيمس مايكل إلى أدنى عميل مشارك في المخطط، سيحقيق به الموت والدمار؛ الجميع باستثناءه.

إنه لا يداني ثراء ديفيد جيمس مايكل باي شكل من الأشكال، لكنه أكثر ذكاءً منه ومن أي أركادي قابله، وأذكى من أولئك الأشخاص الأكثر ذكاءً. لذلك إن أرغم فسيرغمون هم أيضاً، لأن الذكاء لا يكفي، بل يجب أن يكون الحظ حليف الذكاء أيضاً، فالحظ لا يتبع الأذكى، ولا يتبع أي شخص. الحظ يمكنه أن يقلب أكثر الخطط ذكاءً. إذا كانت هذه المثيرة ذات الذكاء المتوسط، جين هوك، قادرة على إسقاط أمثال راندال واكر لاركين، فمن حماقة أن نفترض أن السلام التام من خلال السيطرة الكاملة سيتحقق في الواقع.

يملك عشرين مليوناً في حساب سري للغاية في كبرى جزر الكايمان الثلاث بالإضافة إلى الوسائل التي تتيح له استئجار طائرة خاصة تنقله إلى تلك الأجواء الدافئة غداً. في جزيرة كاريبية أخرى، لديه عقار يملكه صندوق ائتماني لا يمكن تتبعه للوصول إليه.

ولديه اثنا عشر جيلاً جديداً من آليات التحكم في الآلات النانوية في منشأة آمنة للتخزين البارد. عندما يُسقط ديفيد جيمس مايكل، وتنتهي المؤامرة، وعندما يكون الآخرون موتى أو نزلاء السجون، يمكن لراندا لاركين، تحت اسم أورموند هيمدال، أن يضمن لنفسه حياة محاطة بأكثر الخدم والحراس ولاءً وخضوعاً.

من اليأس الأسود، يرتفع الآن على أمل الانبعاث من جديد، ويفشي بأسرار ديفيد جيمس مايكل إلى أقصى مدى يستطيعه.

تدوّن الوضيعة ذات الذكاء المتوسط بقلمها وعلى دفتر الملاحظات ما يبدو مهمًا، وقبل أن ينتهي راندي، يكشف عن مكان آخر يلجأ إليه ديفيد جيمس مايكل بين الحين والآخر. يقول لها نصف حقيقة أيرون فرنس، ما يكفي لجذبها، مع استبعاد تفاصيل مهمة. الشيء الوحيد الذي لا تعرفه قد يكون موتها. بالرغم من أنها أنقذت راندي من خلال فتح عينيه على الدور الذي سيلعبه الحظ بالتأكيد في سقوط رجال تكنو أركاديان، إلا أنه يريد لها أن تعاني وأن تموت لأنها، بعد كل شيء، اختطفته من حلمه بعالم من السلام، وأحلام الرجل مقدسة عنده.

18

تحت ضوء شاشة حاسوبه الثاني وتوهج الحب المنبعث من كامبي نيوتن، حرك جيسن الخريطة إلى أسفل المقاطعة حيث مدينة لونغ بيتش، وكبر منطقة الميناء، وبحث باتجاه الشرق. هناك كشف نظام تحديد المواقع المرسيديس التي تعود ملكيتها إلى لاركين. بالرغم من أنه يثق تمامًا في التكنولوجيا، إلا أنه اعتقد بوجود خطب ما، لأن الخريطة تظهر أن السيارة في نهر جنوب لوس أنجلوس، جنوب شارع أنهايم.

للتحقق من هذا الموقع غير المحتمل، عاد جيسن إلى حاسوبه الأساسي، مرة أخرى باستخدام برنامج وكالة الأمن القومي الذي يسمح بدراسة كاميرات المرور والشوارع التي تم تثبيتها من قبل الوكالات المحلية والعائدة للولايات والفدرالية في الوقتين الحقيقي والمؤرشف. هناك كاميرا لمراقبة النهر مرتبطة بجسر شارع أنهايم، حيث يمكنه من خلالها الحصول على رؤية واضحة جنوبًا نحو الميناء.

صاحت كامبي: "يا للهول! انظر إلى هذا؟!"

سيارة مرسيديس سوداء نصف مغمورة، ظهرت عند هيكل الدعم للجسر الذي يمر عليه الطريق السريع رقم 7 فوق نهر لوس أنجلوس. تطفو وتغمر في المياه الجارية. على الجسر هناك فريق إنقاذ من قسم الإطفاء، وسيارتان أو ثلاث، ووميض أضواء الطوارئ.

في أزمته، لم يرتق لاركين إلى ذروة الشجاعة، كما أنه لم يظهر الشجاعة السلبية التي تسمى الثبات، ولم تكن لديه العزيمة على المقاومة. عندما قرر أن يتخلص من المتآمرين معه، لم يفعل ذلك بإفشاء بطيء وثابت للتفاصيل حول مساكن ديفيد جيمس مايكل، بل فتح مثل خرطوم حريق مدعوم بصنبور ضغط، فتدفقت المعلومات بسرعة وحجم كبيرين إلى حدّ أن جين هوك احتاجت إلى الاختصار في كتابة تفاصيل مفيدة في دفتر ملاحظاتها.

عاد اللون إلى وجهه الشاحب من التشويق الناجم عن تحوله إلى خائن، احمرت وجنتاه حتى في ضوء فانوس الغاز الأبيض، وجف عرق الخوف عن وجهه. إن كانت جين قادرة على فهمه في هذه الحالة من الاستسلام الهوسي، فقد تحولت حاله من اليأس إلى الراحة، وأشرفت عيناه بنوع من الفرح، كما لو أنه منذ فترة طويلة يريد الهروب من ضغط كونه مستشارًا لديفيد جيمس مايكل ووجد حريته في هذه الخيانة القسرية.

عندما حصلت على المعلومات التي كانت بحاجة إليها، أسرع مما كانت تتوقع، أعادت القلم والدفتر إلى حقيبتها، ونهضت من كرسيها، وحدقت إليه ليس باحتقار، لأنه كان أدنى من ذلك، وبالتأكيد ليس بشفقة. لقد افترضت أنه بموجب أكثر قواعد الشرف صرامة، فهي مدينة له... ليس بالرحمة، وإنما بالرأفة.

جلس هناك وقد اعتلت شفثيه ابتسامة تنم عن توتر، متأكد من أنه يمكن أن يثق بها للوفاء بوعدها. "أنا جائع جدًا. تلك الأشياء اللعينة التي جعلتني أشربها، جعلتني ارتجف من الجوع".

في الواقع، قد يكون قد تجاوز أسوأ مخاوفه. اعتقد أنها ستريه الطريق إلى المستقبل، كما قالت إنها ستفعل، لأنه كان يعلم أن الوعود تعني شيئًا لها، حتى لو كانت الوعود التي قطعها للآخرين لم تعن له شيئًا.

بعد أن أولته ظهرها، أخذت حقيبة يدها إلى الطاولة ووضعتها ووقفت تحديق إلى القناني الأربع التي هددت بتغذية الفئران بالماء المعالج فيها. بعد صمت سألها: "ماذا تفعلين؟".

صوت هسهسة الفانوس الناعمة، الضوء الأبيض البارد الشبيه بالبخار المتصاعد من الجليد الجاف، والإشعاع الرمادي للنوافذ العالية مثل ذكرى حزينه للضوء من

العالم الأول المفقود منذ فترة طويلة بسبب الإثم البشري، والظلمة المجمعة في كل مكان والتحدث إلى القلب باللغة الصامتة التي تحدث بها الظلام دائماً...

قال لاركين: "لقد وعدتني"، كما لو أنه يذكرها أن بين الناس الشرفاء، هناك خطوط لا يمكن تجاوزها. "قلت إنك سترينني طريقاً نحو المستقبل".

التقطت قنينة مليئة بالماء وقلبتها في يدها وقالت: "هذه هي العلامة التجارية التي اشتريتها عندما كنا نعيش في فرجينيا، عندما كان نك حياً وكنا نتحدث عن طفل ثانٍ على الأرجح".

ارتعد صوته: "قلت لك كل ما تحتاجين إليه. لست عدوك بعد الآن. لقد انتهيت. ليس لدي مكان أذهب إليه. كل ما لديّ أن تفي بوعدك".

قالت: "قطع نك حلقة، قطعه بعمق بسكين، قطع الشريان السباتي". أدارت القنينة مرة تلو الأخرى في يدها. "لقد وجدته يسبح بدمه".
قال راندال لاركين خلفها: "ليس الجرذان".

20

استمعت كامبي إلى مذياع الشرطة، لتعرف بعض المعلومات عن المرسيدس التي اصطدمت بدعامات الجسر التي في النهر.

ترك جيسن لقطعة الوقت الحقيقي للجسر على حاسوبه، وعاد إلى أرشيف وكالة الأمن القومي، انتقل إلى كاميرا فوق الجسر في الطريق السريع 405 وعكس اتجاه الفيديو، عائداً في الزمن، لاحظ ظهور المرسيدس الأس 600 بعيداً في رحلتها من الشمال إلى الجنوب.

قالت كامبي وهي تدير كرسيها إلى جانب جيسن: "مما أسمع، يقول أول الواصلين إنه ما من أحد في المرسيدس".

قال جيسن بتشكك: "ما لم يكن لاركين في صندوق السيارة".
علقت كامبي: "أنت دائماً متقدم بخطوة".

"إنه عملي. ولكن عندما أمعن التفكير في الأمر أشك في أنها ستختطفه وتقتله على الفور".

"لماذا؟"

"لو أرادت قتله لفعلت ذلك في الزقاق خلف مكتبه."

"ها هي". صرخت كامي، مشيرة إلى الشاشة، وشفقت بسرور عندما رأَت السيارة تنقلب بفعل تيار النهر.

عندما كان جيسن يشاهد الفيديو معكوسًا، رأى سيارة السيدان السوداء تتقدم نحو الجسر الذي يشكل جزءًا من الطريق السريع 405، والذي يبدو أنها مرّت من تحته في وقت سابق.

من خلال هذه الاستراتيجية، انتقل شمالًا وعاد بالزمن أكثر، إلى كل الكاميرات التي تمكن من العثور عليها والتي تعرض منظرًا للنهر، إلى جادة ديل آمو، إلى الطريق السريع 91، إلى شارع روزكرانس، جادة ألوندر، جادة أرتيسيا. مرارًا وتكرارًا، يجد المرسيدس الأس 600 في نقاط مختلفة أثناء بحثه.

قال جيسن، في إشارة إلى المنظمة غير الربحية التي توظفه والتي لديها صلة مهمة مع وكالة الأمن القومي: "اتصلي بمارشال أكيرمان في منظمة المتطوعين لغد أفضل، أخبريه أنه من الواضح أن جين هوك اختطف لاركين، ورمت سيارته في النهر، وسأكون قريبًا قادرًا على إخباره بمكانها عندما رمتها".

تساءل كامي: "بم سيهم ذلك؟".

"عزيتي، قد تكون هناك مع لاركين حتى الآن".

21

كرر لاركين: "ليس الجرذان، ليس الجرذان"، بدت كلماته تلك، وكأنها شعار يمكنه من تغيير نوايا جين وفقًا للطريقة التي تعمل بها آلية التحكم في الآلات النانوية التي تسيطر على دماغ أحدهم.

التفت جين حول الطاولة، وقنينة الماء في يدها، ونظرت إلى أسيرها. حاول أن يتحرر من قيوده بإصرار وعزيمة، محرّكًا ذراعيه وساقيه، لدرجة أنه بدا تقريبًا كما لو أنه قد يرتفع ويخرج من ضوء الفانوس إلى الظلمة العلوية.

قالت: "القنينة الوحيدة المليئة بفتاحات الشهية هي تلك التي شربتها. القناني

الأخرى لا تحتوي إلا على الماء".

في توهج الفانوس، تألقت عيناه باللون الأصفر تقريبًا، مثل عيون بعض القطط الوحشية. "إذا أنتِ لم تقصدي أبدًا أن..."
وضعت القنينة على الطاولة: "الجرذان؟ لا. ولكن كان عليك أن تصدق أنني سأفعل".

أخرجت مقصًا من حقيبة يدها، وتقدمت نحوه، مدركة أنه أصبح حذرًا عندما رأى شفرتي المقص.
كان المقص حادًا، لكنها اضطرت إلى قطع القيود البلاستيكية القاسية مرارًا وتكرارًا لتحرير يده اليسرى.

تنهد لاركين عندما رمت المقص في حضنه طالبة منه أن يحرر نفسه.
وقفت بجانب الطاولة، راقبته وهو يقطع القيود التي تربط ذراعه اليسرى ثم قطع القيود التي تثبت كاحليه إلى قائمتي الكرسي.
لم يفكر في مهاجمتها بالمقص، رماه على الأرض ونهض واقفًا. بدا متشنجًا ومرهقًا، أكثر مما يفترض أن يتشنج شخص قيد لفترة قصيرة كهذه.
أخرجت مسدسها وحملته إلى جانبها.
خاطبها: "لقد وعدتني بمخرج، بطريق إلى الحياة". بدا الآن وكأنه يتحدث بصوت ضميرها.

"أنت لست بحاجة إليّ لتخرج. لديك بالفعل مسار جاهز يا راندي".
"ما الذي تتحدثين عنه؟".

من الجيب الداخلي لسترتها الرياضية، سحبت جواز سفر: "يمكنك العيش بصفتك أرموند هيمدال".

مدّ يده إلى جيب بذلته، بدا غير مصدق أن الجواز الذي تحمله هو الجواز الذي كان بحوزته.

تساءلت: "هل تحتفظ به معك طوال الوقت؟ كل يوم، أينما ذهبت؟ هل تنام وهو في متناول يدك؟ منذ متى وأنت قلق من انهيار كل شيء؟".
مدّ يده بحثًا عن محفظته، فلم يجدها.

"بالطبع ففتشتك قبل أن أفيدك بالكرسي، عثرتُ في محفظتك على عشر أوراق من فئة المئة دولار، بالإضافة إلى أوراق من فئات أصغر، وبطاقة ائتمان باسمك بالإضافة إلى أخرى من أميركان إكسبرس باسم أورموند هيمدال، والتي أفترض أن سقف السحوبات منها مرتفع جداً".

22

بعد أن شرحت كامبي الموقف لمارشال أكيرمان من منظمة المتطوعين لغد أفضل، قال إنه سيجهاز فريقاً لينقذ راندال لاركين من خاطفه، وأنه ينتظر مكالمته تخبره بمكان المحامي وخاطفه.

مرت الدقائق، ولم يتمكن جيسن من تحديد الموقع الذي أُلقيت فيه المرسيدس إلى النهر في أرشيف الفيديو. انتقل إلى الكاميرات حتى شمال طريق سلاوسون، بالقرب من حديقة بيل، قبل أن يدرك خطأه. لقد بقي مع قناة نهر لوس أنجلوس، لكن قناة ريو هوندو، التي تمضي في اتجاه الشمال الشرقي من إل مونتني، اندمجت مع نهر لوس أنجلوس شرق داووني وشمال هوليديل.

انتقل إلى مكان التقاء النهرين، وأعاد الوقت في الفيديو. وسرعان ما وجد سيارة السيدان تجوب ريو هوندو.

قالت كامبي: "أنت رائع!".

ضحك وردد: "رائع!". وبدأ في تعقب المرسيدس نحو النقطة التي انطلقت منها نحو المياه.

23

قال راندال لاركين: "أعطيني جواز السفر، والمحفظة، إنهما لي، لا أريد شيئاً سواهما. ألم تعذبيني بما يكفي؟ لماذا تحتفظين بهما؟".

في مكان بعيد عن هذا الكائن الذي يطلق على نفسه اسم رجل، في عمق الظلام، تلقت النوافذ الغربية ضوءاً أقل من النوافذ الشرقية التي تقف أمامها جين، فبدت مثل عيون هيئة محلفين تشهد نظراتهم الشاحبة الفارغة على العمى الأخلاقي لعدالة الأرض.

قال لاركين: "أيا يكن الأمر، لقد فزت. لماذا لاحققتني؟ ولماذا تريدني ملاحقة ديفيد جيمس مايكل؟ ما دمت استحصلت على الأقراص التي يحتفظ بيرتولد شينيك عليها بكل أبحاثه، وتاريخ آليات التحكم. انشرها على الإنترنت، ودعي الجميع يطلعون عليها".

قالت: "معظم الناس لا يفهمون، لكنني أفهم، وأنا متأكدة من أنك تفهم".
"أفهم ماذا؟".

"إن القوانين التي سعت لجعل الإنترنت مكانًا للديمقراطية وحرية الرأي، وأتاحت للجميع حرية الولوج إليه، أتاحت للوكالات الحكومية التحكم بما يمكن للناس رؤيته. إن قدرات الوكالات الحكومية في هذا المجال فائقة، فهي تستطيع تحديد المعلومات غير المسموح بها حتى أثناء تحميلها، وخلال اللحظات الأولى لنشرها، قبل أن تلتفت الانتباه، فعصابتكم موجودة في كل مكان".

لم ينكر لاركين ما قالته، بل سعى ليوهمها أن مرشحاتهم لم تكن فعّالة بالقدر الذي تصفه: "الأمر ليس بهذه السهولة، ولا يمكننا الرد بهذه السرعة، وبما أنك تمتلكين أقراص شينيك، فلست بحاجة إليّ".

تابعت قائلة: "ما إن يرى عملاؤكم في شتى الوكالات اسم بيرتولد شينيك مرتبطًا بعبارات من قبيل آلية التحكم والاستبعاد، وعندما يرون كلمة أسباسيا مقرونة بعبارات من قبيل فتيات جميلات، منقادات تمامًا، لا يعتبرن أي رغبة متطرفة، سترن أجراس الإنذار لديهم، سيحجبون المعلومات في غضون دقائق".

وضعت جواز السفر على الطاولة، ونظرت إليه بثبات، قائلة: "لقد انتهت أيام الإنترنت الحرة التي لا تحكمها القوانين. إذا ظهر شيء فيها، بغض النظر عن مدى الضرر الذي يبدو عليه لمن هم في السلطة، فسيحجبونه، وبما أنهم يعبثون فيها، فهم يستطيعون تفرغها وإعادة تعبئتها وفقًا لما يناسبهم، وهذا ما سيخيف أعداءهم، أيًا كانوا".

لم يعد لاركين ينظر إلى جواز السفر: "قليلون هم الأركاديون المزروعون في الوكالات".

أخرجت محفظته وجواز سفره من حقيبة اليد على الطاولة.

قالت: "أرى، أيها السيد هيمدال، أنك مواطن من جزر البهاماس، بمجرد وصولك إلى منطقة البحر الكاريبي، ستكون على مقربة من جزر الهند الغربية البريطانية. لذلك يجب أن يكون لديك حساب سري في كبرى جزر كايمان".

"ليس لديّ أي شيء آخر لأخبرك عنه، ما الذي تريدينه مني بعد؟ ما من شيء آخر".

"لا يمكنك أن تكون راندال لاركين بعد الآن. لأنهم سيقضون عليك، إن لم تكن أروموند هيمدال، فمن ستكون؟".

"ليس لديّ حياة أخرى معدّة. فقط هذه".

"إن لم تكن أروموند هيمدال، فمن ستكون؟".

"لن أكون أحدًا. أهذا ما تريدين سماعه؟ لا أحد".

"إذا لم يكن لديك الآلاف في محفظتك، وبطاقات ائتمانية، وملايين في بنك في كبرى جزر كايمان، فماذا لديك؟".

"لا شيء. أهذا ما تريدين سماعه؟ ليس لديّ شيء".

"إذا لم يكن لديك شيء، فماذا ستكون؟".

كان رعبه يساوي غضبه، وغضبه يساوي خوفه. لم يكن يشعر سوى بهذه المشاعر الثلاثة، وقف مكانه مثل نموذج أولي فاشل لإنسان مصنوع من الطين يفتقر إلى المكونات الأساسية.

كررت: "ماذا يمكن أن تكون؟".

نظر إلى المسدس الذي تحمله إلى جانبها، ثم حذق إلى عينيها مرة أخرى: "لا شيء".

"من دون المال والسلطة، لا يمكنك أن تكون أحدًا".

"أنت تستمتعين بتحطيم إرادة الرجال وتحويلها إلى غبار".

قالت: "ليس كل الرجال، بل من هم مثلك".

24

وجد جيسن فيديو للمكان الذي عبرته السيارة فوق جدار القناة، فقال: "اتصلي بأكبرمان"، بينما كانت كامبي نيوتن تتشوق لرؤية مشهد سيارة السيدان الفاخرة وهي تطير كما هو الحال في بعض أفلام المطاردة.

دوّن إحدائيات الكاميرا، وقدّر المسافة التي طارت فيها السيارة مخترقة سياتجا حديدياً. من مكان الكاميرا رأى مصنعاً قد يكون السياج عائداً له؛ مصنعاً ربما يبلغ ارتفاعه ضعف المباني الأخرى في الحي.

بعد أقل من دقيقتين، تمكنت كامى من الوصول إلى مارشال أكيرمان من منظمة المتطوعين لغد أفضل مرة أخرى، وانتظرت جيسن وهو يواصل سعيه من خلال غوغل إيرث.

كان يبحث عن المبنى وغاية استعماله، ويحلل صورة الأقمار الصناعية إلى أقصى قدر من التكبير، وبعد دراسة سريعة، انتقل إلى غوغل ستريت فيو، ودور 360 درجة ليكتشف مصنعاً مهجوراً، أرصفته محطمة ومهجورة، مبنى كئيب صدئ وعفن. قال جيسن: "أعتقد أن هذا هو".

قالت كامى لمارشال أكيرمان: "يعتقد إنه هو".

قرأ جيسن عنواناً، وكررته كامى على مسمع أكيرمان، أنهى أكيرمان المكالمة، وانضم إلى الرجال المسلحين الذين ينتظرونه في سيارات كانت محرّكاتهما قيد العمل أصلاً. تناول جيسن كعكة صغيرة من علبة المخبوزات، والتقطت كامى كعكة من كعكات الصباح، ورفعاهما كما لو أنهما يرفعان نخباً، وضرباهما ببعض. قالت كامى: "هذا لذيذ".

25

لم يعرف لاركين ما يجب عليه القيام به، وقف أمام وهج ضوء الفانوس، شاحباً وغير مرتّب أبداً، مثل أحد ملوك العصور القديمة. بعد أن انفصلت روحه عن جسده، حُرّم عليها الدخول من الأبواب الأمامية والخلفية إلى عالم الأرواح، ومع ذلك يشعر بالفخر لأنه دمرّ هذا العالم الذي سبق له أن حكمه.

قالت جين: "ماتت ساكورا هانافن مسمومة بلدغة دبور، تضخمت شعبها الهوائية، وتم التلاعب بنك كما لو أنه دمية، ومعلمة مدرسة في ولاية مينيسوتا أحرقت نفسها وبعض الآخرين لأن نموذجاً حاسوبياً يقول إن هذه هي طريقة بناء عالم أفضل. وكل ما تريده هو ركوب طائرة تقلك إلى الباهامس لتستمع بحياتك وبأشعة الشمس".

التقطت جواز السفر والمحفظه ووضعتهما في حقيبة اليد التي كانت على الطاولة. لم يكن لدى لاركين ما يقوله سوى تكرر ما سبق له أن قاله: "لقد وعدتني بطريق إلى الحياة".

قالت: "ها هو". مشيرة إلى الباب الذي أدخلته منه محمولاً على العربة. "تعلم حياة الشوارع وكيف تعيش فيها. اسرق عربة سوبر ماركت، واعثر على طعامك في مئات حاويات القمامة".

"لا أستطيع العيش وفقاً لهذه الطريقة".

"ولكن كثيرين يستطيعون".

"لن أستطيع الاختباء من هؤلاء الناس، سيجدونني عندما أقيم في ملجأ للمشردين بسهولة كما لو أنني في مطعمي المفضل".

"حسناً عد إلى زوجتك ومنزلك".

"إليها؟ ستعرف ما حدث في اللحظة التي تراني فيها، ستعرف أنني خنت الجماعة وبعثهم، وستتصل في غضون دقائق بديفيد جيمس مايكل".

لم تقل جين شيئاً.

"أرجوك أعطني جواز السفر، والمحفظه".

مرة أخرى أشارت إلى الباب.

"لا يمكنك تخيل ما سيفعلونه بي، لا يمكنك أن تتخيلي".

لم تجد متعة في ما يحصل، ولم يشعر قلبها الثائر بالسكينة، ولم تشعر أنها تحق الحق، وهي التي تعرف معنى الوحدة بقدر ما يعرفها أي ناجٍ وحيد من حطام سفينة، يقبع تحت سماء فارغة إلا من الشمس ويحيط به البحر وهو يبصر على ألواح الحطام وصناديق البضائع.

قال لاركين بصوت يائس لا مكان للأمل فيه، صوت ماتت فيه كل المشاعر باستثناء شعور الفزع الوجودي: "لست جيداً مع الألم. لن أدعهم... يفعلون شيئاً. إذا هاجمك أطلقني علي النار".

رفعت جين المسدس، غير المزود بكاتم للصوت، وأمسكت به بكلتا يديها. "غادر هذا المكان".

قال: "أنتِ رحيمة، لن تطلقني عليّ الرصاص، لن تستمتعي برؤيتي أنألم".
لم تقدم أي وعود أخرى.

عاد إلى جوهره، إلى الشخصية النخبوية المتعجرفة، واعتلت ملامح السخرية وجهه وهو يقول: "أنت ميته بالفعل، أيتها الحثالة. سيعرف الجميع عنك في غرفة الهمس".

اقرب منها، فضغطت على الزناد مرتين، أصابت الطلقة الأولى حلقة، فترنح إلى الخلف، واستقرت الثانية في رأسه، تشوهت ملامح وجهه على نحو غريب، فبدت كما لو أنها ملامح وجه في عالم آخر حيث لتلتهمه نيران غير مرئية. عندما ارتد رأسه إلى الخلف، طارت سترة بذلته كجناح، وسقط كما يسقط طائر من السماء، فانهار بشكل قبيح، وسقط على كرسي الألمنيوم الذي ما كان ليستخدمه في منزله في بيفرلي هيلز، حيث تنتظره من كانت زوجته وأصبحت الآن أرملته.

26

سيارات الدفع الرباعي الكبيرة والسوداء وغير المميزة، ذات النوافذ المظلمة، والتي ثبتت أضواء الطوارئ خلف زجاجها الأمامي تضيء باللون الأحمر والأزرق، صفارات الإنذار تطلق عويلها، ثلاث سيارات تسير بسرعة واحدة تلو الأخرى، تحمل فريق الهجوم المكون من اثني عشر رجلاً يطالبون بإفساح الطريق عبر الأحياء حيث يتعد السائقون بسرعة احتراماً للسلطة، أما عندما تعبر السيارات بجانب مجمعات الأبنية كان المشاة والأشخاص الجالسون على الأرصفة يبعدون بسرعة ما إن يسمعو عويل صفارات الإنذار، وقبل أن تصل السيارات إلى المصنع المهجور بميلين أوقفت صفارات الإنذار، وعبرت الطريق بصمت، ولم يُسمع سوى هدير محركاتها، وصرير عجلاتها.

جلس مارشال أكيرمان في المقعد الأمامي في السيارة التي تتقدم الموكب، مرتدياً سترة كيفلر فوق الجينز والسترة، ممسكاً في حضنه مسدساً عدلً وزود بقطع جديدة جعلته أوتوماتيكياً بالكامل، مع مخزينين يحتوي كل واحد منهما على عشرين طلقة. بالإضافة إلى مخزينين احتياطيين في حزامه. إن استطاعوا مفاجأة جين هوك سيقبضون

عليها حية، وإلا سيقتلونها، ولن يحزن عليها أحد، ولن يخشى قاتلها أي عقوبة. والأمر عينه ينطبق على راندال لاركين.

توجهت السيارات ببطء نحو الرصيف، وتوقفت على بعد نصف مبنى من المبنى المستهدف.

إذا كانت البوابة الأمامية مقفلة، فسيستلقون السور، ولكنهم وجدوا القفل محطماً، وبسهولة فكّوا السلسلة التي تغلق البوابة، تحركت البوابة جانباً مصدرة صوتاً خفيفاً، فدخل الرجال الاثنا عشر، وانتشروا في أرجاء المصنع.

يشير المنطق السليم إلى أنها كانت ستوقف المرسيدس خلف المصنع، بعيداً عن أنظار المارة، قبل أن تُدخل راندال لاركين وهذا فعلاً ما قامت به قبل إرسال سيارة السيدان في رحلتها النهرية.

نسق قادة الفريق الثلاثة في ما بينهم من خلال الهمس عبر أجهزة اتصال لاسلكية. بحيث يتجنبون إصابة بعضهم بنيران صديقة.

وقف أكيرمان عند العتبة، تحرك كل فرد من أفراد فريقه في الوقت نفسه بسرعة مخفضين رؤوسهم.

توقفوا للحظة ليفهموا ما الذي يشاهدونه أمامهم. ظلال كبيرة أطول من ملعب كرة القدم غطت المكان وجعلته مظلماً. فقط في هذا الجانب الذي يبلغ طوله خمسين ياردة، هناك مجال من الضوء يبدو أنه فانوس يعمل بالغاز

رأوا براميل، وقمامة، وكرسيّاً شاغراً، وقبالته كرسي آخر غير شاغر.

بما أن رأس الجالس إلى الكرسي كان متديلاً إلى الخلف، ولم تبدُ لوجهه ملامح، فما من شك أنه ميت، لم يظنوا أنه نائم لأنه كان مرتخيّاً جداً، اقتربوا بحذر، وعندما رأوا الدم على بذلته، تيقنوا أن لا حياة فيه، كان ينظر صوب السقف، وقد أحدثت الرصاصة التي اخترقت أنفه فجوة، وشوهت معالم الوجه عند انفجارها، ولكن وبالرغم من كل هذا لا يزال بالإمكان التعرف إلى القاتل؛ إنه راندال لاركين.

بما أن لاركين ميت، فمن المؤكد أن جين رحلت، لو وصلوا قبل دقائق كان من المحتمل أن يقبضوا عليها.

قال مارشال أكيرمان عبر الميكروفون الذي يتدلى من سماعة أذنه: "لقد فات الأوان".

في أعقاب هذه الكلمات الثلاث، دوى انفجار، واندفعت ألسنة اللهب، التي بددت الظلام، وأضاءت تلالاً مرتفعة من القمامة الورقية، وغيرها من الأشياء، ارتفعت ألسنة اللهب قرابة عشرين قدمًا في الهواء، قبل أن تتراجع وتندفع إلى الخارج، مشعلة كل ما تلمسه.

إن كانت جين هوك قد تركت - خلفها من دون قصد - أي شيء، فإن أكيرمان ورجاله يجب أن يجازفوا بالتقدم لإيجاده قبل أن تلتهمه النار، ويعميهم الدخان.

لكن عندما رأوا شيئًا يتحرك على الأرض، شعروا بالإحباط، وظنوا أن ما يرونه ضلالاً شكّلتها ألسنة النيران الخافقة، قبل أن يتبينوا أنها جردان من ذوات العيون القرمزية، غادرت جحورها هاربة تجر خلفها ذيولها المشتعلة.

في الوقت الذي تدرجت فيه أشكال الورق المحترقة، والتفت نحوهم بفعل تيارات هوائية متولدة من الحريق المتسارع، بحثت الأوراق الطائرة عن مهابط لها في شعور الرجال، عندها توجه أكيرمان ورجاله نحو الباب المفتوح وتعثروا بالجردان التي تدافع بين أرجلهم والتي تتشبث بسيقان بناطيلهم حتى لا تدوسها أقدامهم. انزلق الرجال على ما لا يرغبون في التفكير فيه، ولوّحوا بأذرعهم للحفاظ على توازنهم، خشية الوقوع بين الجموع القذرة التي تصدر أصواتًا حادة.

بدا الرجال الهاربون خصوصًا أكثر من أصدقاء، وهم يتدافعون للخروج من الباب الضيق، يسعلون بشدة بعدما ملأ الدخان رئاتهم، ويصقون من أفواههم ليتخلصوا من المذاق اللاذع الذي دخل أفواههم وهم يستنشقون الهواء المشبع برائحة الجردان التنتة المحترقة. خرج أكيرمان من الدخان المتصاعد إلى ضوء الصباح الذي يعمي الأبصار، ليجد الجردان السوداء تغطي الأرض العشبية. كان يلهث، وأحس أن أعجوبة أنجته من الموت، وبالرغم من أنه لم يكن من الشخصيات التي تفكر على هذا النحو، إلا أنه شعر أن المرأة، بجهازها الحارق، رسمت لهم مصيرهم.

أنت مية بالفعل... سيعرف الجميع عنك في غرفة الهمس.

لم يكن لديها فكرة عما عناه راندال لاركين بغرفة الهمس. لا جدوى من الخوض في الموضوع، إذا كان هناك مكان يسمونه غرفة الهمس، ستعرفه عندما تجده.

ازدحمت حافلة المدينة خلال فترة الصباح المتأخر، وبدت أنها خارج السيطرة عندما أسرع، وهي التي تجنح نحو الرصيف محطة تلو الأخرى، فتصدر مكابحها صوتًا كما لو كانت غاضبة، قبل أن تلتحق مجددًا بحركة المرور، إنها تشبه الوحش الذي يدعي تميزه بحكم حجمه.

أسندت رأسها إلى زجاج نافذة مقعدها، وبذلك أبعدت رأسها عن أي شخص اختار أن يجلس إلى جانبها، وبذلك قللت من احتمال أن يتعرف إليها أي شخص ينظر إلى وجهها بشكل مباشر.

شاهدت المدينة المترامية الأطراف تمر بسرعة أمام عينيها، وشاهدت الأحياء وهي تعبرها بسرعة، رأت الحشود تؤدي مهماتها والتي لم يكن باستطاعتها تخيلها لولا رأتها بهذه الحركة السريعة.

خارج النافذة لم يبد لها أي شيء مما رآته حقيقيًا. في الواقع الافتراضي الذي أصبح عليه العالم، لم يكن هناك سوى مكان واحد حقيقي: إنه إلى جنوب مقاطعة أورانج الريفية، في نهاية ممر تحيط به أشجار البلوط؛ بيت متواضع شيد من الألواح البيضاء وله شرفة عريضة، حيث يمكث ابنها في حماية كلبين متيقظين لأي تهديد قد يحق بصديقيهما.

بالرغم من أنها تأمل بزيارته قبل انقضاء هذا اليوم البغيض، إلا أنها لن تسمح لنعمة لم الشمل، أن تحول دون انطلاقها إلى أيرون فرنس في ولاية كنتاكي. كانت بحاجة إلى رؤية ترافيس، وإلى سماع صوته، واحتضانه، ولكنها نادرًا ما حصلت على ما طلبته من الحياة، لقد بدا لها أنها كلما رغبت بشيء استدعت رغبتها تلك الشياطين التي تحول دون تحقيق هذه الرغبة.

ترجلت من الحافلة في جادة ويلشاير، في بيفرلي هيلز، وسارت جنوبًا إلى الشقق السكنية حيث التقت غونز وزيزي، فوجدت سيارتها الفورد إسكيب حيث تركتها. في

صندوق السيارة كان هناك حقيبتان، حقيبة جلدية، وحقيبة بلاستيكية مليئة بالشعر المستعار، كان كل شيء كما تركته.

لن تتوجه إلى مقاطعة أورانج وترافيس. ستناول الغداء باكراً، لأن لديها مهمة في وادي سان غابرييل قبل أن ينتهي عملها هنا لفترة من الوقت.

28

عندما وصل لورنس هانافن إلى مواعده مع راندال لاركين الذي يفترض أن يستمر ساعتين، توقع أن يجد السكرتيرة، إيلين، في مكتبها، حيث وجدها دائماً في كل مرة زار فيها راندال. بدلاً من ذلك، كانت صالة الاستقبال خالية من الموظفين، وباب جناح لاركين مفتوح، والغرف الواقعة خلفه هادئة ومعتمة.

جلس إلى إحدى الطاوات الموضوعة عند الزاوية، واختار أحد أعداد مجلة فانيتي فير، التي نشرت قبل بضع سنوات مقتطفاً طويلاً من أحد كتبه. قلب الصفحات، مفضلاً عدم بدء مقال لن يتمكن بالتأكيد من إنجائه.

كان يستمتع بصور لممثلة شابة تعرف قيمة إظهار كمية كبيرة من الجلد في المنشورات الصحيحة، عندما دخل كارتر وودباين إلى الصالة. إنه طويل القامة، أبيض الشعر، أميركي الجنسية، أرستقراطي السلوك وكأنه فرد من العائلة البريطانية الملكية. في العادة، لا يستعمل وودباين المصعد إلا في نهاية النهار عندما يغادر مكتبه في الطابق الرابع قاصداً المرأب.

ترك هانافن المجلة ووقف قائلاً: "سيد وودباين". في الوقت الذي أغلق فيه باب المصعد.

"سيد هانافن، هل تنضم إليّ في مكتب راندال؟ لدي بعض الأخبار المقلقة".
مقلقة تعبير سيء. بما أن اللقاء سيجري في مكتب لاركين وبغيابه، أدرك هانافن أن لاركين مات، اختطفته جين هوك، ومن المؤكد أنها أطلقت النار عليه بعد أن ألقته سيارته المرسيدس في نهر جارف.

قال وودباين: "كانت النار في المصنع المهجور شديدة للغاية، ولم تترك سوى القليل من راندال، ليس من السهل التعرف إلى بقاياها، وسنبذل قصارى جهدنا كي لا يتعرفوا إليه".

"لكن المرسيدس..."

"كانت له، بالطبع. نحن بصدد ابتكار قصة سنسقتها مع السيدة لاركين. هل تعرف ديامانتا؟".

"ليس جيداً".

"حسناً، من الأفضل أن تمضي بعض الوقت معها، لتتعرف أكثر إلى شخصيتها، نريدك أن تكتب القصة التي سنخترها في مقال صحفي".
"لكن... ما هي القصة؟".

"في الوقت الحالي، نفكر بالقول إنه حاول ادعاء الانتحار من خلال إلقاء سيارته في النهر، لن نلجأ إلى فكرة أنه اختلس الملايين من الشركة".
"لماذا؟".

ابتسم وودباين ولوّح بيده وقال: "يا إلهي، لأن الضوابط المالية في الشركة تجعل من الاختلاس شبه مستحيل. لكن راندال كان لديه حساب في كبرى جزر كايمان باسم أورموند هيمدال، وظن أنه من المستحل اقتفاء أثره المالي، يقدر المبلغ الذي في حسابه بعشرين مليوناً. في نهاية المطاف، بعد ثلاثة أيام من اختفائه، سنخبر أنه حوّل ثمانية عشر مليوناً من العشرين إلى دوائر مصرفية أكثر سرية في أماكن أخرى من العالم، وسنعطيك التفاصيل لتتابع مقالك".

يعرف لورنس هانافن أنه في شراكة غريبة مع كارتر وودباين، وأن دوره هنا هو القيام بما طلب منه، كما لو كان وودباين يلح له بما سيكون عليه الأمر مستقبلاً. ومع ذلك، لم يستطع إلا أن يسأل: "لماذا لا تقول الحقيقة، وتربط الموضوع بجين هوك؟".

ابتسم وودباين ابتسامة ذات معنى، أشبه بابتسامة شخص بالغ صبور يجيب على سؤال طفل بطيء وساذج. "لقد حظيت السيدة هوك بحظ جيد، لكن هذا الحظ لن يرافقها لوقت طويل. نحن لا نأخذها على محمل الجد، وفي الوقت نفسه لا نريد أن ترتبط هذه الشركة بها في ذهن الجمهور. لا نريد أن يتساءل أي شخص عن سبب قيام عميلة مكتب التحقيقات الفدرالي، باختطاف وتعذيب وقتل أحد شركاء وودباين وكرافتز ولاركين وبنديتو، وهي التي تعتبر خطرًا على الأمن القومي".

"هل عذبتة؟".

تجاهل وودباين: "يمكننا افتراض ذلك".

فجأة أدرك هانافن أنه ربما يكون بطيئاً وساذجاً، لأنه بعد ذلك خطر له أنه ربما قاد هذه الوضيعة هوك بطريقة ما إلى راندال.

ابتسم له وودباين ابتسامة أخرى لم يستطع هانافن تفسيرها، بالرغم من أنها أشعرته بالقشعريرة.

"بمجرد أن تعرف ما تريد مني أن أكتب، سأبأشر بذلك. لن تكون إلا راضياً بالنتيجة". وافق وودباين على ذلك قائلاً: "أعلم. لدينا أرقامك. انتظر مكالمة". وعده هانافن: "سأفعل. سأنتظر".

رافقه وودباين بلطف إلى المصعد، والذي توجه منه إلى المرأب، حيث ركن سيارته في مكان مكتوب عليه موقف للزبائن. إنه متفاجئ إلى حد ما - لكنه مرتاح - لأنه لم يجد أحدًا بانتظاره.

بالرغم من أنه أراد تناول العشاء في الخارج، إلا أنه قاد سيارته إلى المنزل مباشرة، حيث يمكنه الانتظار.

في المطبخ، أعد لنفسه كأساً من الويسكي والثلج وأخذ يفكر. ارتطمت قطع الثلج ببعضها، واندفع الشراب نحو حافة الكأس، ولكنه تمكن في اللحظة الأخيرة من الحيلولة دون إراقة أي قطرة منه.

جلس إلى مكتبه، بعد فترة طويلة من الشرب، وفي الوقت الذي وضع فيه كأسه ليعيد ملاءها من جديد، أدرك أن هناك ست صور ذات إطار فضي له ولساكورا موضوعة هناك. بعد وفاتها ببضعة أشهر - فترة مناسبة - خزّن مجموعتها اللعينة من الصور السعيدة للزوجين في خزانة غرفة الجلوس.

وقف وأسرع الخطوات إلى غرفة الجلوس، هنا أيضًا وزعت مجموعة من الصور بطريقة مدروسة على الطاولات بمحاذاة رف الموقد.

مسدسه في غرفة نومه، في درج منضدة السرير. أسرع إلى الدرج، توقف ونظر إلى الطابق الثاني.

كاد أن ينادي باسمها. جين هوك؟

لكنه لم يفعل خشية أن تجيب.

في مكتبة ليست ببعيدة عن منزل لورنس هانافن، جلست جين في ركن العمل في قاعة الحاسوب وتأكدت، قدر المستطاع، مما أخبرها إياه لاركين عن أيرون فرنس في ولاية كنتاكي.

كان منتج بحيرة أيرون فرنس ملكاً لشركة خاصة، شركة تيرا فيرما، والتي كانت تمتلك مجموعة مؤلفة من ستة عقارات ضيافة تجارية، وكانت ملكية شركة تيرا فيرما تعود لشركة أبوديا، التي كان لها حساب في كبرى جزر كايمان، ذلك الملاذ الضريبي. القيمة الإجمالية للشركات الأميركية الخمس المعروفة بأنها ملك لأبوديا: مليارا دولار. مدير الائتمان: رجل إنكليزي يدعى ديريك لينوكس-هيوود.

يعتقد الأشخاص المهتمون بما فيه الكفاية بهذه الأشياء أن أبوديا كانت واحدة من العديد من الصناديق الائتمانية التي أشرفت على ممتلكات ديفيد جيمس مايكل. بالرغم من أنه لا يمكن إقامة صلة بينه وبين أبوديا، لكن هناك صور تجمع ديفيد جيمس مايكل مع لينوكس هيوود في حفلات خيرية في نيويورك ولندن.

المنزل الذي قال لاركين إنه ملاذ ديفيد جيمس مايكل السري، عبارة عن عقار مساحته خمسة فدادين على بحيرة أيرون فرنس، ليس بعيداً عن المنتجع ذي النجوم الخمسة، تمتلكه شركة أبيكيولوس. وكانت ملكية شركة أبيكيولوس تعود لجماعة في ليختنشتاين، لم تتمكن من العثور على أي معلومات عنها.

بناء على حدس قوي، بحثت عن كلمة أبوديا: وتبين لها أنها فصيلة تتضمن حشرات غشائية مثل نحل العسل والنحل الطنان. أما أبيكيولوس فتعني نقطة حادة صغيرة، مثل طرف ورقة... أو شوكة النحلة.

بدت جين واثقة أن راندال لاركين اليائس أخبرها بالحقيقة، يبدو أن أبوديا وأبيكيولوس يؤكدان ذلك.

لسبب ما قد لا يكون له أساس، سمى ديفيد جيمس مايكل الأشياء بكلمات تبدأ بالحرف أ. ودعا دائرته الداخلية من المتأمرين بالأركاديين. أسباسيا كانت منازل الدعارة البغيضة المليئة بالفتيات اللواتي مُسحت أدمغتهن قبل أن تعاد برمجتها، والآن أبوديا وأبيكيولوس.

مع ذلك، فإن التأكد من ادعاء لاركين بأنه يمكن العثور على ديفيد جيمس مايكل في بيت أيرون فرنس قبل نهاية شهر آذار لم يكن مهمة بسيطة. على عكس المشاهير، يميل الأشخاص الذين تبلغ قيمة ثرواتهم مليارات الدولارات إلى حماية خصوصيتهم. لا يمكن تتبعهم بسهولة بواسطة ستار سبوتر أو خدمات مماثلة. من المقرر أن يحضر ديفيد جيمس مايكل حفلاً خيرياً في ميامي في شهر أيار ومؤتمراً في إنكلترا في شهر حزيران. جمعت ما بحثت عنه، في محاولة للعثور على أي إشارة إلى وجوده في أيرون فرنس سابقاً. والنتيجة لا شيء.

بينما كانت على وشك الخروج، تساءلت عما إذا كان بيريتولد شينيك، العالم الأركادي الذي قُتل مؤخراً، شريك ديفيد جيمس في فار هورايزنز، قد أمضى بعض الوقت في أيرون فرنس. مرحى! في آذار من العام السابق، ترأس شينيك مؤتمراً لأربعة أيام حول التطبيقات الطبية المستقبلية لتقنية النانو، برعاية إدارة الغذاء والدواء. شكلت الشركة رابطاً جمع بين ديفيد جيمس وأيرون فرنس. لكنها تمت لو كان لديها المزيد من الأسباب لتصدق بأن الملياردير استخدم بالفعل المكان بمثابة ملاذ سري.

ذهبت إلى غوغل إيرث، وألقت نظرة على البلدة والمنتجع كما كانا عندما تم إنشاء قاعدة البيانات هذه.

عندما فكرت أن مؤتمر شينيك كان برعاية إدارة الغذاء والدواء الأميركية، تساءلت إن كان تحديد المنطقة المملوكة لشركة أبيكيولوس سيؤدي إلى إنذار في مكان ما. يبدو أن لديفيد جيمس حلفاء في الوكالات الأمنية - وكالة الاستخبارات المركزية، وكالة الأمن القومي، الأمن الداخلي - وكذلك في مكتب التحقيقات الفدرالي، لذلك ربما قدموا له خدمة بوضع هذا العقار الذي تبلغ مساحته خمسة فدادين على قائمة المراقبة، للتأكد من أنهم سيعلمون عن كل شخص يبحث عنه. أخرجت منديلاً من جيب سترتها، ومزقت قطعة، وبللتها باللعب، ولصقتها فوق عدسة الكاميرا في الحاسوب.

عندها فقط، أجرت مسحاً ضوئياً أبعاد على طريق ليكفيو، ووجدت لقطة قمر صناعي للمنطقة المستهدفة. عندما حاولت التركيز عليها، فشلت عملية التكبير.

انتقلت إلى غوغل ستريت فيو، وجابت الطريق أمام المدخل الأمامي للمتجمع، واستمرت غربًا إلى طريق ليكفيو. عندما اقتربت من الملكية أبيكيولوس، ومضت شاشة الحاسوب باللون الرمادي. يبدو أن أحدهم من مكان بعيد قد شغل الكاميرا. لو لم تكن العدسة مغطاة، لكانت تمركزت صورة سوداء لكتفها وما فوق على الشاشة الرمادية، وكان أحد الأركاديان في إحدى الوكالات قد حصل على صورتها. لم يستغرق خروجها وقتًا طويلًا. قطعت الكهرباء عن طاولة العمل، ونهضت ممسكة بحقيبة يدها، وخرجت من المكتبة، وسارت بسرعة مسافة ثلاثة أبنية إلى حيث تركت سيارتها.

كل الأدلة التي تربط بين مايكل وأيرون فرنس ظرفية. مع ذلك، فإن رجحان الأدلة الظرفية كان كافيًا للإدانة في محكمة قانونية. وبد أن كل شيء يدعم صحة ما صرّح به راندال لاركين أنها ستعثر على ديفيد جيمس مايكل في كنتاكي. وبدأت خطواتها التالية.

30

في ظلام مينيسوتا المبكر، وقف لوثر تيلمن في الهواء البارد من دون معطف على درجات شرفة منزله الخلفية، وقد رفع كمي قميصه. لم يكن هناك شفق قطبي، لكن النجوم لمعت في تفاعلاتها النووية المتواصلة، بل كان هناك نجوم أكثر من حبيبات الرمل على جميع شواطئ العالم، تمتد عبر عدد لا يُحصى من السنوات الضوئية ومليارات السنوات التقويمية، في صمت خالٍ من الهواء، إلى أقصى حافة للكون، حيث تتوازن آخر الأجسام الساطعة على حافة فراغ لا يمكن للعقل أن يتخيله.

بالنظر إلى هذه اللانهاية القريبة من الشمس والعوالم والأقمار والغموض، يمكن القول إن حياة مدرّسة تبلغ من العمر أربعين عامًا، لم تتزوج وليس لديها أولاد، وتعمل في مقاطعة ريفية، ليس لها أهمية تذكر. ماذا لو طبعت قصصها الجميلة وباعت ملايين النسخ، وماذا لو كانت بريئة من هذا العنف المروع؟ ومع ذلك، فإن حياتها وتأثيرها لم يكونا إلا بمثابة بضع نوات جميلة في سيمفونية يجب قياسها بالفعل بالآلاف

السنوات، وهذا ما لا يترك انطباعًا في بحر الوقت أكثر من الانطباع الذي تركه زقزقة عصفور.

إن كانت الأرواح تفقد قيمتها بزوال الأجساد التي تسكنها فهذا يعني أن كل الأرواح عديمة الأهمية، بما في ذلك حياة الرؤساء، ونجوم السينما، والعمدات، والزوجات، والأولاد. وبالمثل، لا يمكن منح أهمية للطيور التي تحلق في الهواء، والوحوش في الحقول والغابات ومخلوقات البحر. هناك أشخاص عاشوا وفق هذه الفلسفة، أو تظاهروا أنهم عاشوها، لكن لوثر لم يستطع العيش أو التظاهر بذلك.

لم تفعل كورا غندرسن شيئًا فظيعةً. بل العكس صحيح، هناك شيء فظيع حصل لها، ومن المهم معرفة ما هو ذلك الشيء الفظيع.

عندما عاد لوثر إلى المطبخ، وبدأ في ترتيب مائدة العشاء الذي كانت ريببكا تطبخه، قالت: "أعتقد أنني أعرف ما يعنيه عندما تقف بلا معطف في البرد لنصف ساعة، كنت تصغي إلى النجوم".

"أصغي؟ هلاً فاتني شيء؟ هل بدأت النجوم تتحدث مؤخرًا؟"

قالت: "لطالما تحدثت إليك".

"حسنًا، إن كان ذلك صحيحًا، لست واثقًا مما قالته الليلة".

انتقلت إلى الموقد وقالت له وهي تحمل ملعقة خشبية: "تقصد أنك لم تسمعها عندما طلبت منك أن تذهب إلى ذلك المكان، بحيرة أيرون فرنس؟"

قال وهو يطوي المناديل ويضعها بجانب الأطباق: "إن الطريق طويل إلى كنتاكي".

"حسنًا، لماذا أخذت إجازة لمدة أسبوع؟ لأجل أن تمضي وقتك في المنزل؟"

"ما المانع أليست كسائر الناس".

"سته وعشرون عامًا ونحن متزوجان، ولم أرك تفعل ذلك".

"ربما لا، ولكن يجب على الرجل البدء في الاسترخاء وقضاء بعض الوقت في المنزل أحيانًا".

"الأمر الذي لن يحدث حتى تعود من أيرون فرنس".

ضحك وهز رأسه: "لطريقة التي تقرأيني فيها تجعلك امرأة ساحرة. هل سيقلقك

كثيرًا إذا ذهبت؟"

سكبت المرقق البني: "ماذا أخبرتك النجوم عن توايلا والكلية؟ مدينة كبيرة، بلدة صغيرة، بلدة أصغر. هذه الأيام، كل مكان آمن أو غير آمن مثل أي مكان آخر. عندما تغادر ففكر بمن ينتظرك في المنزل، وفكر في العودة إليهم سالمًا".

"أنا محظوظ بمن سأعود لأجلهم".

قالت: "هذا هو زوجي الذي أعرفه".

31

جين على الطريق، والسيارات تندفع على طريقي الذهاب والإياب، تدفعها قوة حصانية قابعة تحت أغشية محركاتها يفوق مجموعها عدد كل الأحصنة التي عاشت على الأرض. الزجاج الأمامي للسيارات التي تتجه شمالا يشع بلون برتقالي منعكس، أما الضوء في جهة الغرب فلم يكن كسابق عهده.

بغض النظر عن جمال المنظر، أثار غروب الشمس لدى جين فكرة أن الليلة القادمة ستكون أطول ليلة، ولن يتبعها فجر. كانت قلقة أكثر مما كانت خائفة، وهي قلما قلقت، وتساءلت إن كانت وحدها القلقة أم أن الجميع يشعرون بالقلق مع أنهم قلما يعترفون بذلك.

بعد فترة قصيرة من حلول الظلام ستكون مع ولدها. فكّرت إن كانت كل الأشياء والكائنات التي تحركت على الأرض منذ قرون ستسلك الآن دربًا لا عودة فيه وتخفي؟ عندها لن يكون لديها سوى مطلب واحد؛ أن تحتضن ترافيس وتخبره عن حبها له.

32

في وكر يقع عند المرتفعات الفخمة فوق جادة ويلشاير، حيث تكشف النوافذ الطويلة سماءً نشطة فوق مدينة تستقر على متع نهاية اليوم...

بالرغم من أنه لا يتصرف نيابة عن منظمة متطوعين لغد أفضل في الوقت الحالي، إلا أن جيسن دركلو لا يستطيع مقاومة استخدام الباب الخلفي ليدخل إلى قلعة بيانات وكالة الأمن القومي التي يبلغ عدد غرفها عشرة آلاف غرفة من البيانات ليرضي فضوله

بشأن جين هوك. يريد معرفة ما الذي حدث في المصنع المهجور، وما الذي فعلته بمارشال أكيرمان ومرافقيه، والذي تشاركوه بين بعضهم البعض عبر هواتفهم بواسطة رسائل مشفرة. إنها تبهر جيسن، ليس كما تبهره كامى - لا داعي لقلق السيدة نيوتن - أو بكلمات أدق القدر هو الذي يسحره، كما تسحره إمكانية وجود ذكاء فضائي في مكان آخر من الكون.

لا يقل اهتمام كامى بالمرأة هوك - كما كانوا ينادونها - عن جيسن. عندما يكشف عن كل معلومة جديدة عما فعلته، يشارك الأمر مع فتاته المفضلة. في الواقع، كامى هي التي تقارن المرأة هوك بأحد فيروسات الحاسوب تلك التي تغير بصمتها الرقمية في كل مرة تتكرر فيها، الأمر الذي يجعل منها مخفية على معظم برامج مكافحة الفيروسات.

عندما كانت تصب كأساً من كايموس كابرينيه ساوفيجنون⁽¹⁾ لكل منهما، على أعتاب الليل، قالت: "واو! إنها مثل فيروس متعدد الأشكال؟". ضحك جيسن قبل أن يرتشف رشفة من كأسه: "فيروس متعدد الأشكال؟ ربما نأمل أن لا تكون كذلك. لا أريد أن يحدث أي شيء لهذه الوظيفة المريحة".

(1) نوع من النبيذ.

القسم الثالث

رحلة على الطريق

1

مع أولى ساعات الليل، وقبل أن يطفو القمر في الجهة الشرقية من السماء، وبعد دقائق من وصولها إلى المنزل في مقاطعة أورانج الريفية، اصطحبها ترافيس إلى الإسطبل خلف المنزل، حيث سحقت أقدامهما أوراق أشجار البلوط الجافة. خاطبها ترافيس قائلاً: "انظري، إنها مهور إكسمور جاءت من إنكلترا، وُلدت هنا لكنها من إنكلترا. عاشت المهور في إنكلترا قبل الناس بعشرة آلاف سنة، وقتها عاشت مع نمور ذات أسنان مخيفة وحيوانات المستودون العملاقة، انقرضت النمر والمستودون منذ فترة طويلة، ولكن مهور إكسمور لا تزال موجودة وستبقى إلى الأبد؟".

أَلقت المصاييح المعلقة في وسط الممر ضوءًا بلون البراندي على أرضية يغطيها القش وآثار الحوافر، وملأت الظلال الخفيفة الزوايا، وسوّدت الحجرات الفارغة. وقف بيلا وسامبسون جنبًا إلى جنب كل واحد في حجرته، ومدّ كل واحد منهما عنقه من فوق الباب النصفي، صهلا مرحبين بالزائرين، وأرجحا ذيليهما. سيزور جين وترافيس الفرس والفحل، ولكن ليس قبل أن يعرّفها على أحد المهور التي انتظرت في الجهة المقابلة حيث الخيول الأكبر حجمًا، في حجرة ذات باب مقطوع بشكل منخفض. كانت فرسًا بنية ولكن شعرها كان أغمق، وكانت عيناها كبيرتين وواسعتين وأوحتا بذكاء شديد. سألتها ترافيس: "أليست جميلة حقًا؟". "إنها كذلك حقًا". "اسمها هانا. حصلنا عليها الثلاثاء".

كانت رقبة هانا جميلة، وكتفاها مسترختين، وصدرها عميقًا وعريضًا. كانت فرسًا بالغةً، ويبلغ ارتفاعها مترين على الأكثر، ولكنها بدت كبيرة جدًا بالنسبة إلى الصبي. بالرغم من أن جين تعلم أن مخاوفها مبالغ فيها وفي غير محلها، إلا أنها سألته: "هل أنت حريص معها؟".

ممكنين يا سمين

"نعم، بالتأكيد. إنها لطيفة حقًا".

"إنها قوية وتستطيع الركُل".

"لم تركلني أبدًا".

t.me/yasmeenbook

"من الأفضل دائمًا اعتماد خوذَة عند امتطائها".

"أجل. يمكنني أن أمتطئها بمفردِي يا أمي. لا أسرع أنا وغافين عندما نمتطي الخيل، إنني لا أمتطي أي حصان بمفردِي".

"أفعل دائمًا ما يخبرك به غافين بشأن الخيل".

"سأفعل. أجل. أنا أفعل ذلك".

طوّقت الصبي بذراعيها وسحبته نحوها، ونصحت نفسها ألا تترك في رأسه ذكريات عن أم مزعجة: "أنا فخورة بك، يا راعي البقر".

"متى تعلم أبي ركوب الخيل؟".

"لقد ترعرع في مزرعة في تكساس؟ ربما تعلم عندما كان صغيرًا بعمرك".

"هل شارك في مسابقات رعاة البقر؟".

"نعم، قبل أن ينضم إلى البحرية".

"هل يمكننا الذهاب إلى تكساس يومًا ما؟".

"لقد سبق لك أن ذهبت إلى هناك مرة واحدة عندما كنت في الثالثة من عمرك".

"ذكرياتي مشوشة عن تلك الزيارة".

"عندما ينتهي كل هذا، سنذهب مرة أخرى. جدتك وجدك عظيمان".

"ستشاهدينني وأنا أركب الخيل غدًا".

"يجب أن أرحل باكراً، لكنني سأنتظر حتى أراك، لن أفوت ذلك".

أحضرت فاحتين مقسومتين إلى أرباع في كوب ورقي كبير. أطعم قطعتين إلى هانا، فأخذتهما بلمح البصر، لقد أنعم عليها بشفتين مختلفتان عن شفتي أي فصيلة أخرى.

قال ترافيس بهدوء: "أفتقد والدي".

"وأنا أيضًا".

"أتمنى لو أنه هنا ليراني وأنا أمتطي حصانًا".

"إنه يراك يا ترافيس. أنت لم تعد تراه، لكنه يراك كل يوم، وهو فخور بك".

2

على طاولة مطبخ غافين وجيسيكا واشنطن، تشارك طعام العشاء والحديث، بالنسبة إلى سنه، كان حديث ترافيس ممتعًا، وسلوكه حسنًا، ويبعث الفرح في نفس أمه. لم تخبر ترافيس أن والده انتحر، بل أخبرته بما تثق به؛ نك قتل، وهو أمر مخيف للطفل ليستوعبه ويتقبله.

يعتقد الصبي أن والدته بقيت في مكتب التحقيقات الفدرالي كجزء من فريق يبحث عن القاتل. كانت هذه كذبة، وفضيلة هذه الكذبة أن جزءًا منها صحيح، والتي ستكون حقيقة كاملة لو أنهم يعيشون في عالم أقل فسادًا.

كعادتها غادرت جيسيكا الطاولة لتلبية احتياجات الحاضرين، إنها تكره المناورة، لم تمنع في أن تُعرف بشعرها الأسود كالحبر وبيشرتها الشيروكية ومظهرها الجميل، لكنها رفضت أن تُعرف بفقدان أسفل ركبتيها نتيجة انفجار لغم في أفغانستان، انتهت أطرافها الاصطناعية بأقدام تشبه النصل والتي لم تعوقها قط. ناورت بأمان في طريقها إلى المطبخ، وتجنبت الكلين، كويني ودوق، اللذين اختارا الجلوس في المكان الذي يشكل أكثر العقبات تحديًا.

تسع سنوات مضت منذ أن رُكبت جيس طرفيها الاصطناعيين، ومضت ثماني سنوات على زواجها من غافين، وكان تفانيه الواضح لها هو أحد الأسباب التي جعلت جين تشعر بالراحة لترك ترافيس هنا. لم يكن لدى آل واشنطن أولاد، لكن غافين عامل الصبي كأبٍ جيّد، كان يهتم به، ويحدثه، ويُضحكه.

في الأيام المقبلة، بغض النظر عما سيحدث لجين، سيكون ابنها آمنًا ومحبوبًا. لم تكن قادرة على التعبير عن امتنانها لهذين الصديقين اللذين يعتنيان بترافيس. ومع ذلك، فإن الاستياء غير المعقول ينسج شبكته في زاوية ضيقة من قلبها، فيقهرها الحزن

القريب من الإشفاق على النفس، وتقهرها فكرة أنها لو ماتت من أجل طفلها، فستفقد
كما كانت ستفقد لو أنها لم تقا تل من أجل إنقاذه.

3

عندما عادت جين إلى غرفة ترافيس، بعد أن أمضت بعض الوقت مع جيسيكاء،
كان قد خلد إلى النوم منذ ساعة ونصف، استلقى على جانبه، في ظل الضوء الخافت،
ووضع إصبعة في فمه، يبدو أن النوم غلبه بينما كان يحاول البقاء مستيقظاً.
كعادتها في زياراتها النادرة، جلست طوال الليل على كرسي ذي ذراعين مبطنين
تراقبه، نامت لتستيقظ بين الحين والآخر وتجد في رؤيته تريباً لسم كوايسها.
بعد انحسار مدّ النوم وتدفقه مرة أخرى، تساءلت إن كانت ستتنصر على ديفيد
جيمس مايكل وجماعته من نخبة المعتوهين الاجتماعيين بالرغم من كل الصعاب،
وهل سيؤدي انتصارها إلى فقدانها لإنسانيتها، بحيث تصبح قاسية، ولا تعود قادرة على
إنجاب طفل براءة ترافيس والتعامل معه.

حلمت أنها في قاعة محكمة، وقفت أمام المحلفين الذين انقلبت وجوههم إلى
وجوه عديمة الملامح كقشور البيض، إنها متهمة بترك ابنها. هربت عندما حكم عليها
القاضي بتطهير ذاكرتها، وهذا ما سيؤدي إلى محو كل ذكريات عن إنجابها طفلاً. لكن
كل باب هربت من خلاله، أعادها إلى المحكمة نفسها، وإلى الوجوه التي تشبه قشور
البيض، والقاضي نفسه بأحكامه القاسية.

4

كان الطقس لطيفاً، أضيئت السماء الملبدة بالغيوم بضوء رمادي باهت، لم يتح
لأي شيء أن يلقي ظله على الأرض، كما لو أن المنزل والإسطبل وأشجار البلوط
تفتقد إلى الكتلة التي تتيح لها ترك ظل على الأرض، هذا الصباح هو مجرد حلم آخر
في ظل النوم الأبدي.

وقفت جين مع جيسيكاء لمشاهدة الفتى الجميل وهو يمتطي مهر إكسمور، ويأخذ
زمام الأمور. شعر بالحرع وهو يفرج ساقيه ليتسلق هانا، لكن ما إن جلس على السرج

حتى بدا واثقًا، فخذته تقيه السقوط. لَوَّح، ولَوَّح له جين، عندما انطلق مع غافين، الذي امتطى سامسون، وعبر ساحة التمرين إلى بوابة مفتوحة في سياج يشبه سياج المزرعة، ومنها إلى أحد المسارات التي تدور حول تلال غابات اخضرت أكثر من بقية العام بعد موسم الأمطار. رافق كلبا الحراسة الحصانين حتى البوابة. لكنهما عرفا الحدود التي لا يجدر بهما اجتيازها، فعادا ليجلسا مع المرأتين تحت الأشجار المظللة، حيث شكّل ذيلهما قوسين على الأرض، بعد أن طردا الأوراق البيضاء المتساقطة من أشجار البلوط.

سألت جيس: "إلى أين الآن؟". وهي تنظر إلى ترافيس وزوجها وهما يتعدان.
"من الأفضل أن لا تعرفي".

"هل سنراك في غضون أسبوع أو أسبوعين؟".
"على الأرجح لا".

"هل تحتاجين إلى المال؟".
"لا".

"استلمنا الثلاثين ألفًا التي أرسلتها الأسبوع الماضي. وضعناها مع البقية".
"لقد أخذتها من رجل منحرف الرغبات. كان يحب الفتيات الجميلات، المتقادات تمامًا، واللواتي يرضين حتى أكثر الرغبات تطرفًا، الصامتات دائمًا. لقد حاول إطلاق النار عليّ، ورددت عليه بالمثل".

"لست بحاجة إلى أن تشرحي لي شيئًا، أعلم أنك لا تسرقين المصارف".
"أتمنى لو كانت الأمور بهذه السهولة".

وصل الرجل والفحل والصبي والمهر إلى قمة تلة ووقفًا هناك، مثل تقليد لصورة من فيلم شين⁽¹⁾، من عصر الأمل، عندما كان الشرف والشعور بأن الحق سيفوز دائمًا يعمان الأرض. بعدها أصبحت التلة أكثر انحدارًا، حيث نزل الرجل والصبي مبتعدين عن الأنظار، كما لو كانا يسيران وراء جبال القمر، وصولًا إلى الدورادو.

(1) شين هو فيلم أمريكي يعود إلى العام 1953 من باراماونت بيكتشرز، يشتهر بتصويره السينمائي.

شمالاً، على الطريق السريع 15 إلى بارستو، في صحراء الرمال والصخور القديمة وأشجار جوشوا التي تشبه الطوامم الشائكة لبعض القبائل المنقرضة منذ فترة طويلة، ثم شرقاً على الطريق السريع 40، تلاشت الغيوم فوق الساحل كاشفة عن زرقة السماء. كان الهواء نقيًا جدًا إلى حدّ أن شمس السبت أشرقت باللون الأبيض بدلاً من الأصفر...

يستغرق الوصول إلى أيرون فرنس في كنتاكي، وقتًا طويلًا بالسيارة، ولكن برنامج التعرف إلى الوجه في كاميرات المطار ومحطة القطار جعل السفر بشكل أسرع أمرًا خطيرًا. بالرغم من أنها قصت شعرها بنفسها، ووضعت شعرًا مستعارًا بني اللون، وعدسات لاصقة غيرت لون عينيها الزرقاوين إلى الأخضر، وتبرجت، إلا أن برنامج التعرف إلى الوجه لا يزال قادرًا على رؤية التغييرات السطحية والتعرف إليها من خلال شكل وجهها ومقاسه وملامحها الفريدة، في الطائرة أو على سكة الحديد. لو سافرت عبر المطار أو القطار هناك احتمال أن يُقبض عليها في غضون دقائق بعد المغادرة إن لم يكن قبل ذلك.

ملأت جيسيكا ترمسا من القهوة السوداء بالإضافة إلى حلوى الطاقة المحشوة بالفواكه والعسل، حتى تتمكن من اجتياز الأميال بفضل النشاط الذي يزودها به كل من الكافيين والسكر.

صممت جين على الوصول إلى فلاغستاف، أريزونا، في غضون تسع ساعات، عبرت موغافي في كاليفورنيا، بعد غور بيسيخ، عبر جبال بوليون، وبعد مئة وخمسين ميلًا من الأراضي القاحلة إلى نهر كولورادو، وصلت إلى ولاية أريزونا، متجاوزة التلال البعيدة والصخور القريبة، من خلال المشهد الطبيعي المليء بالصبار ونبات القمصين. استرشدت بخريطة وبخبرتها، وتوقفت للتزود بالوقود وقضاء حاجتها في كينغمان.

سافرت مستمتعة بنعمة الموسيقى للحفاظ على معنوياتها، واستمعت إلى: بيني غودمان، آر تي شو، وتيدي ويلسون غير المعروف، أفضل عازف بيانو في الفرقة الكبيرة. كلما فكرت ببنها أكثر قلّ تأثير الموسيقى على مزاجها. أشارت الأرض الفارغة

القاحلة إلى عشرات آلاف السنوات من الطقس الحار الذي شقق الصخور.
عند الساعة 4:05 بعد الظهر، بعد أن كسبت ساعة منتقلة من توقيت المحيط
الهادئ إلى توقيت الجبل، وصلت إلى فلاغستاف في الموعد المحدد.
القيادة لتسع ساعات عملية صعبة، ولكن من المفضل لأي رحلة عبر البلاد أن
تباشر بأداء ماراثوني في اليوم الأول، قبل أن يصيب السائق الخدر بسبب ضخامة المهمة.
كانت قد خططت للوصول إلى ألباكركي، التي تبعد 325 ميلاً آخر، قبل التوقف ليلاً. أما
إذا فشلت في ذلك، فيجب أن تصل على الأقل إلى جالوب التي تبعد 187 ميلاً.
يقولون إن الإنسان يمكن أن يقترح أي خطة أو فكرة، لكن نجاحها أو فشلها
متوقفان على إرادة الله؛ ولكنها تأخرت لسبب آخر.

بالرغم من أنها شربت القهوة من الترمس بالإضافة إلى المزيد مما اشترته من
كينغمان، إلا أنها تناولت قطعة واحدة فقط من حلوى الطاقة. لم تكن تحب السكر
كثيراً، لكنها كانت بحاجة إلى البروتين.

غادرت الطريق السريع لتتوقف في موقف شاحنات أكبر من بعض البلدات،
وملأت خزان الوقود. بعدها ركنت السيارة، ودخلت مطعمًا لتناول عشاء مبكرًا.
الأشخاص الذين يعملون على الطريق السريع لا يأكلون جميعًا في الوقت نفسه،
ولكن 4:15 كان وقتًا مبكرًا لتناول العشاء حتى بين أولئك الذين وقتوا يومهم بالأميال
بدلاً من الدقائق. نظرًا لوجود 30 عميلاً تقريباً في مساحة قادرة على استيعاب ما لا يقل
عن ستة أضعاف هذا العدد، لم تأخذ جين مقعداً فردياً، بل استقرت في مقصورة بجانب
النافذة تتيح لها رؤية واضحة لمرأب السيارات خلف مضخات الوقود حيث كانت
بعض الشاحنات تملأ خزاناتها.

أحضرت النادلة قائمة طعام، وبدت مرحة، أخذت طلب جين والذي كان عبارة
عن الحليب، بهدف تسهيل عملية ابتلاع خافض الحموضة، بعدها غادرت النادلة
مؤكدة أنها ستعود بلمح البصر.

تفحصت جين القائمة، ولاحظت أن ثلاثة رجال يجلسون في وسط الصالة
يحدقون إليها، فنظرت من خلف القائمة بين الحين والآخر لتحديد ما الذي كان يشير
اهتمامهم.

كانوا يشربون البيرة مع شرائح الليمون، ويتشاركون الناتشوز والبطاطس المقلية المغطاة بالجبن. إنهم في أواخر العشرينات من العمر، يتعلون أحذية رعاية البقر والأحذية ذات الأعناق الطويلة. أحدهم يرتدي جينزًا أسود مقشوط اللون، أما الآخران فيرتديان الجينز الأزرق. أحدهم حليق الرأس ويضع قرطاً، والآخر حليق جانبي الرأس وله لحية أما الثالث فبدا نظيفاً ذا تصفيفة شعر كانت أكثر شيوعاً على تلفزيون الخمسينيات من شيوعها الآن.

لم تستطع سماع ما قالوه، لكنهم سرعان ما ضحكوا، ضحكة استهزائية وازدرائية، وكان هذا هو الحال عندما ركزوا على جين. يمكنها الاسترخاء، فلم يربطوا بينها وبين قصص الأشخاص المطلوبين على شاشة التلفاز. كان هدفهم جنسياً، وسيتتهي بهم الأمر محبطين وخالي الوفاض.

كانوا على الأرجح ثلاثة رجال يبدؤون الشرب في وقت مبكر من ليلة السبت، على أمل الحصول على شيء مميز من نوع ما، والذي لن يكون في النهاية أكثر من ألعاب الفيديو.

عندما أحضرت النادلة الحليب، طلبت جين عشاءين: شريحة لحم تزن ثمانين أونصات ودجاجاً مشويًا على الطبق نفسه، بلا بطاطس، ومع خضار. قالت النادلة: "لا تبدين من نوع الفتيات اللواتي يمكن أن يأكلن كل هذا". "راقبيني وسترين".

بعد أن ابتلعت خافض الحموضة مع رشفة طويلة من الحليب، وضعت الكأس على الطاولة، ونظرت خلسة إلى الرجال الثلاثة. كان حليق الرأس يتحدث عبر الهاتف النقال، ويحدق إليها باهتمام. عندما أدرك أنها تنظر إليه، حوّل انتباهه مباشرةً إلى البيرة أمامه. تحدث عبر الهاتف لنصف دقيقة أخرى، وعندما أنهى المكالمة شرب من القنينة.

ربما كانت المكالمة التي أجراها عنها، ولكنها لم ترجح ذلك، لم يكن من السهل التعرف إليها، يمكن لجنون الارتياب أن يكون وسيلة للنجاة كما يمكن أن يكون محرّكاً للذعر غير المعقول والقاتل. كان مجرد رجل يتحدث على الهاتف.

أحضرت النادلة العشاء: "أراهن أنك نشأت في مزرعة مثلي".

"كثيرون يقولون ذلك".

في هذه الأيام، كانت تستخدم السكين والشوكة، وتتناول الطعام مثل من حكم عليه بالإعدام، مصممة على عدم نفاذ الوقت قبل نفاذ الطعام.

راقبت الرجال الثلاثة خلسة وهي تأكل، لم تكن مصدر اهتمامهم الوحيد. كانوا ينظرون إلى ثنائي على طاولة أخرى، أو بالأحرى إلى أحد أفراد الثنائي؛ المرأة السمراء ممشوقة القوام.

على طاولة أخرى جلست امرأتان وفتاتان. أكبر المرأتين في الخمسين، والأصغر في الثلاثين، كلتاهما جذابة وكأتهما أم وابتتها. بدت الفتاتان في التاسعة والحادية عشرة من العمر، ثنائي حيوي لكن حسن التصرف.

ربما بدت ضحكة الرجال أخف وأكثر حذرًا، عندما كان انتباههم على الأسرة المكونة من أربعة أفراد. انحنوا نحو الطاولة لمشاركة تعليقاتهم بأصوات أخف مما كانت عليه عندما بدا أنهم يتحدثون عن جين.

بخلاف هذه الاقتراحات الصغيرة والتي ربما تكون عديمة المعنى وغير سيئة، لم تستطع أن تحدد ما الذي سبب ارتعاشًا من أدنى الفقرات إلى أعلاها. هذا النبض الخفيف في السائل النخاعي هو الطريقة التي تحدث بها حدسها في مواقف معينة: أنت القانون، انتبهي إلى هذا، توقعي الشر في العالم.

6

عدّلت جين من سرعة تناولها الطعام حسب إيقاع مشهد الرجال الثلاثة، الذين ركّزوا الآن حصريًا على الجدة والأم والفتاتين. لم يبدأ على العائلة الهدف بأنها لاحظت أنها تحت المراقبة والتمحيص. في الوقت الذي بدا فيه أن جموع الأرض تنقسم إلى فئتين فقط، الفرائس والمفترسون، كان لافتًا للنظر كيف يمكن أن تكون الغزلان غافلة عن الفهود المجتمعة حولها.

طلبت الأسرة المكونة من أربعة أفراد الحلوى، وعندما قدمت لهن، توقف الرجال عن الكلام. وسرعان ما أنهموا الجولة الأخيرة من البيرة، وتركوا إكرامية صغيرة على الطاولة، وذهبوا إلى طاولة المحاسب ليدفعوا، كما لو أنهم تذكروا في وقت واحد أن لديهم بعض الأعمال المهمة التي تأخروا عنها.

التفتت جين إلى النافذة.

سرعان ما ظهر الثلاثة في مرأب السيارات، وتوجهوا نحو سيارة جيب شيروكي قديمة ذات لون أسود باهت، وزجاج مُعتم. اجتمعوا بجانب سيارة الجيب، تحدثوا، وأنزل شخص كان يجلس داخل الجيب زجاج النافذة للمشاركة في الحديث، ولم تستطع جين رؤية من فتح النافذة، وأغلقها. ركب الرجال الثلاثة، وأغلقوا الأبواب، أربعة منهم على الأقل الآن يتشاورون خلف الزجاج المعتم.

ربما شغل أحدهم محرك الشيروكي، لكن السيارة لم تتحرك. طلبت جين فاتورتها. وعندما جاءت، أعطت النادلة أوراقاً مالية، متضمنة إكرامية تبلغ ثلاثين بالمئة من الفاتورة، وقالت: "سأجلس هنا بضع دقائق لهضم ما تناولته، ما لم يكن لديك مانع".

"عزيزتي، أمضي ما أردتِ من وقت هنا، وخذي قبيلولة إن أردت".

بحلول الوقت الذي حصلت فيه المرأتان والفتاتان على فاتورتهما، كانت سيارة الجيب لا تزال تنتظر في الخارج.

ذهبت جين إلى منطقة استقبال صغيرة تفصل بين طاولة المحاسب والمدخل الأمامي. ظهرت المرأة الأكبر سناً أولاً، وقدمت للمحاسب بطاقة ائتمانية. انضمت إليها ابنتها وحفيداتها عندما أنهت عملية الدفع، وأخرجت البطاقة البلاستيكية. بينما كن متجهات نحو المدخل، وقفت جين بينهن وبين الباب: "اعذرني، ولكن هل لاحظت أولئك الرجال الثلاثة الذين يشربون البيرة؟".

نظرت المرأة الأكبر سناً إلى وجهها: "أنا آسفة - ماذا؟".

"إنهم يقودون سيارة رباعية الدفع، وهم ينتظرون في الخارج. أعتقد أنه سيكون من الجيد لو رافقتكن إلى سيارتكن".

نظرت الجدة إلى ابنتها: "هل رأيتهم يا ساندرأ؟".

عبست ساندرأ: "رأيتهم، ولكن لا شأن لنا بهم؟ شربوا بعض قناني البيرة".

قالت جين: "كانوا يراقبونكن".

"لم أرهم يراقبوننا، وأياً يكن الأمر ما الضير في مراقبتهم لنا؟ كانوا يتمازحون ويسخرون، هذا كل شيء".

أصرت جين: "لقد كانوا يراقبونكن. وهناك شيء مريب بشأنهم."
"هذا ليس صحيحًا، كيف ذلك؟".

"إنهم أشخاص سيئون يبحثون عن فريسة".

"هل هم كذلك حقًا؟".

"أعرف نوعهم".

بعد فوات الأوان، لاحظت جين غضب ساندر، لاحظت بريق الازدراء الأخلاقي في عينيها: "نوعهم؟ تقصد المكسيكيين؟".

"لم أقصد ذلك".

سألت ساندر: "لم تقصدي ذلك؟". كما لو أنها عرفت الجواب ولم تحتج لسماعه.

قالت جين: "لعل أحدهم كان مكسيكيًا. أما الثاني، فلا أعرف جنسيته. وكان

الثالث أبيض البشرة مثل ريتشي كمنغهام".

قامت ساندر بتقريب فتاتيها منها، كما لو أن التهديد كان يقف أمامهن بدلاً من

الخارج. وقالت لجين: "ما الذي يفترض أن يعنيه ريتشي هذا؟".

أوضحت الجدة أيام سعيدة، "مسرورة بمعرفتها بالأمور التافهة. "أدى رون

هاورد دور ريتشي كمنغهام".

تساءلت ساندر: "ولكن ما الشيء الغريب الذي يعنيه حقًا؟".

لم تتجرأ جين على الادعاء أنها عميلة لمكتب التحقيقات الفدرالي، وبالتالي

منحهن سببًا لتذكر شيء عنها ربما شاهدوه على التلفاز. إلى جانب ذلك، فأى تأكيد

بأنها ذات سلطة سيجعلهن يطلبن شارتها.

"انظري، لن تخسرن شيئًا إن سمحتن لي بمرافقتكن، فكري بالفتاتين".

رفعت ساندر صوتها للمرة الأولى لجذب انتباه المحاسب. "وإن كان هؤلاء

الرجال يبحثون عن المشاكل، فما الذي يمكنك فعله على أي حال؟ تشتمينهم؟".

"معى رخصة لحمل السلاح". مع أنها فضّلت ألا تفعل ذلك، أبعدت جين سترتها

الرياضية لتكشف عن مسدسها.

قالت الجدة: "هذا سيء، هذا سيء للغاية. لا يمكنك إطلاق النار على بعض

المكسيكيين لأنهم يشربون البيرة".

قالت ساندرنا: "ابتعدي عن طريقنا". ونظرت إلى المسدس كما لو أنه كتلة خطيرة من البلوتونيوم. "هيا يا فتيات، سنذهب".

بدا أن المحاسب على وشك النهوض عن طاولته، فتراجعت جين. وجهت ساندرنا هولتي ولورين نحو الباب، في الوقت الذي كانت فيه والدتها تنصح جين: "أيها الشابة، ربما تحتاجين إلى المساعدة. هناك أطباء نفسيون جيدون يمكنهم المساعدة. الكراهية ليست الجواب على أي شيء". سألتها المحاسب: "ما الأمر؟".

أكدت له جين: "سوء تفاهم بسيط"، وتبعث المرأتين والفتاتين إلى الخارج، في الهواء البارد وضوء الشمس الساطع والظلال الشرقية لظهيرة هذا اليوم في فلاغستاف. أسرع ساندرنا وابتنيها نحو منطقة ركن السيارات المخصصة للمركبات الكبيرة غير الشاحنات التجارية، وكانت الجدة تسرع خلفها وتلقي نظرة خاطفة لتتأكد أن جين لا تلحق بهن، كانت أول عربة سياحية مركونة هي سيارتهم، صعدن إليها من الجهة اليمنى.

خرجت سيارة الجيب شيروكي ذات اللون الأسود من المرأب باتجاه مخرج توقف الشاحنة، ثم انسحبت إلى جانب هذا الممر وتوقفت.

لو لم تكن جين أكثر المطلوبين في أميركا، ولو كانت تمتلك بعض السلطة الحقيقية، ولو لم يكن هناك أربعة على الأقل في تلك الشيروكي القديمة، ولو لم يكن الاحتمال مئة بالمئة أن واحداً منهم أو كلهم مسلحون، كانت ستثق بحدسها، وستعرض حياتها المهنية للخطر. كانت لتجري مسافة خمسين أو ستين ياردة إلى الجيب اللعين وتخرج سائقه، وتضعه أرضاً وتحتجزه للاشتباه به. لكن هذه كانت نوايا شرطية فقط، لا شيء منها يتناسب مع الوقت الراهن وحقيقة الوضع.

تحركت السيارة السياحية نحو جين، جلست الجدة في المقعد الأمامي، وساندرنا خلف المقود، رفعت ذقنها في وقفة من الانتصار الأخلاقي، كما لو كانت تقود حافلة لإحياء حملة عبر البلاد ليسوع بعد أن انتصرت في لحظة من الإغراء الشيطاني. تجاوزتها، واستدارت جنوباً، بعيداً عن المطعم، وتوجهت نحو مخرج موقف الشاحنات.

ركضت جين إلى سيارتها الفورد إسكيب، وفتحت باب السائق، ونظرت جنوبًا في الوقت المناسب لرؤية السيارة السياحية تتبع طريق الخروج الذي يؤدي إلى الطرق المتجهة شرقًا من الطريق السريع 40. مع وصول العربة السياحية الكبيرة إلى نهاية الطريق الطويل الأسود، انحدرت إلى الطريق السريع، فتبعته سيارة الجيب شيروكي على مسافة حذرة.

قالت جين بسخرية: "لكن ما هو الشي الغريب الذي يعنيه حقًا". جلست خلف مقود سيارتها، وأغلقت الباب. "تبًا، تبًا، ثلاث مرات".
ضغطت مفتاح التشغيل، ولكن لم يصدر شيء عن محرك السيارة.

7

لم يكن بإمكانهم معرفة نوع السيارة التي تقودها جين، ما لم يكن الشخص الذي بقي في الجيب قد رآها عندما وصلت.

تذكرت الآن أنها عندما ركنت سيارتها وخرجت منها، مدّت يدها تحت سترتها لتعديل قراب المسدس المخفي. لم يستطع أحد أن يرى المسدس، لكن شخصًا على دراية بمثل هذه الأدوات - مثل الشخص في سيارة الجيب - ربما أدرك ما كانت تفعله. بينما كان الرجال الثلاثة يفكرون فيها كمرشحة للاختطاف، شعروا أنها شرطية - أو مجرد شخص كفوء متمرس - لا تقل مهارة عنهم وبإمكانها تحديد نواياهم الإجرامية. مواقف الشاحنات، والمتاحف، وجميع ميادين البشر كانت مجرد حقول وغابات لحياة برية أخرى، حيث تطاردك وحوش على قدمين. كل جريمة هي عمل رمزي متوحش عبّر عن الجانب الوحشي المدفون - ولكن ليس الميت - من شخصية الإنسان المنحرفة التي تعود لحقبة ما قبل التاريخ، والذي انتقل منذ ذلك الوقت من جيل إلى آخر. تركت المرأتان والفتاتان آثار فرائس خلفهم دون علمهن، بينما ترك الرجال في سيارة الشيروكي آثار الوحوش الباحثة عن الدم، وبالرغم من أن جين عرفتهم من خلال أثرهم، إلا أن الفرائس لم تصدق جين أنها رأت أثر الوحوش. خرجت من سيارة الإسكيب، وفتحت غطاء محرك السيارة. لم يكن لديهم الوقت الكافي لتخريب السيارة بشكل يفوق قدرتها على إصلاحها.

من خلال نافذة المطعم، رأوها تغادر طاولتها، واشتبها أنها ستقف لتحذر والدة الفتاتين، ولكنهم لم يكونوا متأكدين من الوقت الذي سيستغرقه خروجها أهو نصف دقيقة أم دقيقتين ولم يرغبوا بأن يقبض عليهم بالجرم المشهود وهم يعطلون الفوردي، فذلك ما كان ليبدد شكوكها بهم بل كان ليعززها.

لم يكن لديهم سكين حاد، وإن كان لديهم واحد، لم يفكروا في استخدامه لقطع حزام المروحة.

فاكتفوا بفصل كابلات الإشعال عن شمعاتها. أزالوا أربعة من المقابس ووضعوها جانباً. وضع أحدها على غطاء وعاء الزيت، ودُس الآخر بين حزام المقود ودولاب الموازنة، استغرقها الأمر وقتاً طويلاً لتجد الثالث في مكان بين محرك التشغيل ووعاء الزيت. أما الرابع فلم تجد له أثراً، فجثت على ركبتيها، ونظرت تحت السيارة. كان قد تدرج نحو الرصيف.

بعد أن ثبتت شمعات الإشعال، وربطت سلك الإشعال بأطراف التوصيل، ظهر رجل طويل يرتدي قبعة رعاة البقر بالقرب منها: "هل بإمكانك مساعدتك أيتها الشابة؟". على الأغلب أنه سائق شاحنة، شعره ولحيته أشيبان، عمره قرابة الخمسين، كان كبيراً بما يكفي ليعرف معنى النخوة والتفكير في أنها لا تزال مهمة، لم يسع سوى وراء المساعدة، وبالنظر إلى أن العالم بحاجة إلى المزيد من أمثاله، لم ترفض حين عرضه بكلمة ولا بإيماءة.

"شكراً، لكن أظن أنني تدبرت الأمر، سحب بعض الحمقى المقابس، ظناً منهم أنني لن أعرف تدبر الأمر، وأنني سأقف في انتظار جمعية السيارات الأمريكية".

أوماً سائق الشاحنة بطريقة رسمية: "أراهن أنك لم تؤذهم بل اكتفيت بالنظر إليهم نظرة شك، الجميع يهان بأصغر الأشياء هذه الأيام. يبدو أنك كبرت مع المحركات".

"لم أفعل في الواقع، لكنني تعلمت بعض المهارات".

أنهت المهمة وتراجعت، فأغلق سائق الشاحنة غطاء محرك السيارة: "لماذا لا أنتظر ريثما تشغلين المحرك، للاطمئنان فقط".

"أقدر مساعدتك".

اشتغل المحرك من المحاولة الأولى.

عندما خفضت زجاج النافذة لتشكره، انحنى سائق الشاحنة، ووضع إحدى يديه على حافة النافذة. "على مدى ثلاثين عامًا، نقلت حمولات خطيرة مقابل أجر زهيد، ولم أصب بأي أذى".

كان عليها أن تذهب، وتنجز ما عليها إنجازه، ولكن لطفه وحزنه أوقفها. "ولدي، أحد أفراد مشاة البحرية، أعطوه مهمة سهلة لحماية بعض الأشياء في الخارج. بعد كل شيء، لم يكن الأمر بهذه السهولة. مات في الرابعة والعشرين. كانت ست سنوات من الأكاذيب حول كيف وماذا ولماذا - الأشخاص الأذكاء ينفدون بأفعالهم". فتح يده التي وضعها على النافذة، وقدم بطاقة حملها بين إبهامه وسبابته. "هذا هو عنوان منزلنا، حيث أقيم وزوجتي، وهذا رقم الهاتف أيضًا. لن يجده أحد هناك". من دون كلام، أخذت البطاقة. كان اسمه فوستر أوزوالد. "خرجت من المرحاض خلفك، سمعتك تتحدثين إلى المرأتين. قلت لنفسِي، هذه فتاة مميزة. ثم رأيت خاتم زواجك".

نظرت إلى الخاتم بيدها التي تضعها على المقود. "إنه تصميم فريد من نوعه، منذ الصباح، وأنا أشاهده على التلفاز. والآن، هل تريدني أن أرافقك وأساعدك في حماية المرأتين والفتاتين؟". "لا، شكرًا سأتولى الأمر". "اللجنة إن لم تفعل ذلك أيتها الفتاة".

تراجع فوستر أوزوالد، فخرجت بسرعة من موقف السيارات، ثم رفعت سرعة الفورد إلى التسعين عندما وصلت إلى الطريق رقم 40.

8

خسرت جين اثنتي عشرة دقيقة وهي تصلح شمعات الإشعال في محطة الشاحنات، ويُحتمل أن تكون السيارة السياحية قد قطعت اثني عشر ميلًا في ذلك الوقت. سيقود أولئك الأوغاد في سيارة الشيروكي بسرعة ليسبقوا السيارة السياحية حتى يجدوا المكان المناسب لخطف النساء. ربما عرفوا منذ البداية أين سيفعلون ذلك، وهذا يعني أنه سيحدث في وقت أقرب من المتوقع.

بسرعة كبيرة، أصبحت فلاغستاف وأشجار صنوبر بونديروسا خلفها لدرجة أنها بدت ذكرى لرؤية أكثر من كونها ذكرى لمكان كانت فيه فعلاً. زادت جين من سرعة السيارة، حتى أظهر عداد السرعة رقم 100، ثم 110، ولم يعطها كاشف الرادار أي سبب للترجع. انتقلت من مسرب إلى آخر على الطريق عندما ظهرت حركة المرور البطيئة أمامها بشكل مفاجئ لدرجة أنها بدت وكأنها تنعكس باتجاهها من الشرق. لا بد أن سبب الزحام سائق متهور ينتقل من مسرب إلى آخر من دون إشارة، أو إطار منفجر، أو صافرة دورية للطرق السريعة تشير إلى مطاردة لم تستطع الفوز بها. يمكن أن يحدث أي شيء سيئ. ميل بعد ميل، ومع ذلك، لم يحدث شيء سوى أن اثنين من سائقي الشاحنات ضغطا بوقي شاحنتيهما بقوة للتعبير عن امتعاضهما.

حركة المرور خفيفة إلى متوسطة، لكن من النادر أن تسير أي سيارة بمفردها على الطريق السريع. حلّ المساء بسرعة، بالرغم من أن الشفق ما كان ليحل قبل نصف ساعة. سيكون اختطاف سيارة سياحية على طريق سريع في وضوح النهار عملاً جريئاً، لو لم تكن دماؤهم مترعة بالكحول، ما كانوا ليقدموا على مثل هذه المطاردة، ويخاطروا بمطاردة سيارة أكبر من سيارتهم بما قد يرافق هذه المطاردة من إمكانية فقدان للسيطرة.

لم تفكر بطريقة آمنة يمكنهم اللجوء إليها سوى تظاهرهم بطلب المساعدة من السيارة السياحية، آملين بأن تكون ساندرنا ذات عقلية مدنية بما يكفي لتقف وتمد لهم يد المساعدة، كانوا يعرفون طبيعتها. لم يكونوا يراقبونها فحسب، بل يستمعون إليها أيضاً في المطعم.

لكن هل ستجرؤ امرأتان مسؤولتان عن فتاتين على التوقف عندما يكون أولئك المتظاهرون بالحاجة إلى مساعدة ثلاثة شبّان أقوياء؟ كان الجواب الوحيد هو لا. حتى لو كان لدى ساندرنا قلب أكبر من دماغها، فإنها لن تُعرّض إبتيتها للخطر، خاصة بعد أن حدّرتها من أن هؤلاء الرجال الثلاثة يراقبونها في المطعم.

بعدها توصلت جين إلى السيناريو الذي ستجري وفقه الأمور؛ لن ترى ساندرنا ولا والدتها الرجال الثلاثة قبل فوات الأوان. يجب أن يكون الشخص الرابع في سيارة الشيروكي، الذي لم يدخل المطعم، امرأة.

سيركنون الجيب جانباً في منطقة استراحة السيارات، وستقف المرأة المساعدة إلى جانبها، وستبدو وحيدة وضعيفة، تَلوح بيأس للمساعدة عندما تظهر السيارة السياحية. وقد تتظاهر أنها مصابة أيضاً. بعد منطقة استراحة السيارات على جانب الطريق، ستكون الأرض منحدرية. سيختبئ الرجال عند هذا المنحدر خلف التكوينات الصخرية، أو الشجيرات. ستأتي المرأة، المتواطئة معهم، إلى الجانب الأيمن من السيارة السياحية عندما تتوقف خلف السيارة الجيب، بدلاً من الجانب الأيسر، حيث تتدفق حركة المرور بسرعة عالية. سوف تخفيها العربة عن أنظار سائقي السيارات المارة. إن كانت الجدة لا تزال في المقدمة في قمرة القيادة، عندما ستنزّل النافذة، سيكون بحوزة المرأة الجريحة مسدس.

من هناك يمكن أن تأخذ العملية أشكلاً مختلفة، وذلك يتوقف على واقع إن كان الباب مفتوحاً أو مغلقاً، وإن بادرت المرأة بإطلاق الرصاص فوراً على الجدة أم اكتفت بتهديدها، ولكن في النهاية سواء استعمل العنف منذ اللحظة الأولى أم لا، سيصعد الرجال المنحدر، ويدخلون السيارة في غضون نصف دقيقة، أو أقل. سيقتلون الجدة إن لم تكن ميتة، ويخرجون ساندرًا من مقعد السائق، ويهددونها بالمسدس، وسيسيطرون على الفتاتين. سيقودون السيارة السياحية إلى مكان مخفي اختاروه مسبقاً - حظيرة، أو مبنى مهجور - ويتناوبون على الأم والفتاتين حتى ينالوا وطهرهم، ويسرقون كل شيء ذي قيمة من السيارة، ويتركون جث العائلة خلفهم حتى تتعفن أو حتى يعثر أحد عليها.

عداد السرعة على 115، والإطارات تدور بسرعة كبيرة. حولت السرعة الشديدة الهواء الميت في الأمام إلى رياح مضطربة شقّت الفورد طريقها من خلالها. عندما بدأت تصعد الهضبة، رأت طريقاً مستقيماً يقود ناحية الشرق، حيث أظلم الأفق البعيد، وعلى بعد أقل من ميل، ركنت السيارة السياحية إلى جانب الطريق. خفضت سرعتها أكثر من النصف، وحدقت إلى الأرض اللامعة بفعل ضوء شمس الغروب، كما لو أن كارثة نووية جعلتها مشعة وغير صالحة لاستمرار الحياة. الظلال الممدودة تخرج من كل صخرة وعلامة طريق، مثل أرواح تلك الأشياء التي تتوق إلى الليلة القادمة.

بعد دخولها مباشرة في الممر المتوسط من الطريق المستقيم، رأت ما خلف السيارة السياحية على جانب الطريق، هناك عربة مظلمة ومألوفة مركونة، ورأت رجلاً

وامرأة يسيران مبتعدين عن السيارة نحو الجيب، وقد أوليا ظهريهما إلى جين. قد يكون الرجل أحد الثلاثة الذين رأتهم في المطعم.

كانت المرأة بالتأكيد هي المساعدة. من بعيد، بدت نحيلة، طولها قرابة خمس أقدام، شخصية أنثوية ترغمك على مساعدتها إذا صادفتها على جانب الطريق.

إن كان هذان الاثنان عائدين إلى الجيب بمثل هذا اللامبالاة، فيجب أن يكون الاختطاف قد تم، رجلان الآن على متن السيارة مع المرأتين والفتاتين. ستقود المساعدة ورفيقها إلى الأمام لإعداد أي مرأب مؤقت لوصول السيارة السياحية الكبيرة.

كأنها تلقي تعويذة غير فعالة على الثنائي الذي يمشي، غمغمت جين: "لا تنظرا إلى الخلف، لا تنظرا إلى الخلف، لا تنظرا إلى الخلف"، حيث أبطأت وانتقلت إلى المسرب الأيمن، وجعلت أحد إطاري السيارة الأماميين يسير خارج الطريق، خارجة من خط البصر وراء السيارة المختطفة. قد يكون ضجيج حركة السيارات الأخرى قد أخفى صوت الفورد، ولكنها أوقفت المحرك عن العمل، كي لا تخاطر، وتقدمت المئة ياردة المتبقية بدفع من عزم السيارة دون قوة محركها. طُحنت الحصى تحت الإطارين، حتى توقفت على بعد ست أقدام من السيارة السياحية.

وضعت ستارة بطيات عريضة ناعمة على النافذة الخلفية للسيارة السياحية. ولكن النوافذ الأخرى قد لا تكون مغطاة.

عندما خرجت من الإسكيب، لم تعلق باب السائق بالكامل. كان محرك السيارة السياحية يتباطأ، وبخار العادم المكثف يتساقط من أنبوب العادم مزدوج الفتحة.

ضربتها المركبات المارة بأسواط من الرياح بينما مشت إلى الجانب الأيمن من السيارة السياحية. إن كان هؤلاء السائقون فضوليين بشأن هذا المشهد الحي على جانب الطريق، فمن المؤكد أن فضولهم كبح عندما فكروا بالثمن الباهظ الذي يدفعه السامريون⁽¹⁾ الجيدون هذه الأيام.

غالبًا ما يوجد باب على الجانب الأيسر، ولكن في هذه السيارة هناك بابان، أحدهما بالقرب من الخلف والآخر في الأمام. قاومت إغراء الباب الخلفي، شهرت

(1) نسبة إلى السامري الصالح، وهو شخص يسارع إلى إسعاف المنكوبين والمحتاجين (المترجم).

مسدسها، وتقدمت، وظلت قريبة من السيارة السياحية وتحت خط الزجاج. تقدمت نحو الباب الذي كانت الجدة تجلس بجانبه عندما غادرت سيارتهم محطة الشاحنات، نظرت من خلال النافذة، فلم تجد أحدًا في قمرة القيادة، كان المقعدان فارغين.

إن كان الخاطفان في منطقة المعيشة أو المطبخ الصغير، اللذين تطل عليهما مقصورة القيادة، فسيسمعان الباب. ولكن ضوضاء حركة المرور قد تصرف انتباههم.

في لحظة، فكرت أن هذه الحرب ليست حربها، وأن هؤلاء الرجال الأشرار لم يكونوا المعتلين الاجتماعيين المنظمين الذين يشكلون خطرًا كبيرًا على مستقبلها وعلى ترافيس، بل هم مجرد هوة إثارة رعب، وليسوا دعاة فوضى كما هي حال ديفيد جيمس مايكل وجماعته. لكن في الحقيقة، لم تكن هذه الحرب مختلفة عن حربها. لقد كانت الحرب نفسها، عالمية في كل مكان وزمان. كل معركة ضرورية للحفاظ على الأمل في الانتصار النهائي، والابتعاد عن معركة واحدة يعني الاستسلام وخسارة الحرب كلها، في كل مكان، ولن يكون هناك شيء بعد ذلك سوى إلقاء الأسلحة والموت.

بعد الجزء الأمامي من السيارة السياحية، شاهدت سيارة الجيب شيروكي تدخل حركة المرور، وتوجه شرقًا نحو مخرج سيقودهم إلى المكان الذي سيحتفلون فيه في الوقت الذي سيعاني فيه المختطفون.

بعد أن أصبحت مخفية عن حركة المرور، أخذت جين كاتم الصوت من جيب حزام كتفها ووضعت على المسدس عيار 0.45 ملم حاولت فتح باب السيارة، فوجدته مفتوحًا.

9

خلف الباب، أسفل مقعد السائق هناك ثلاث درجات؛ الدرجة العليا تقود إلى منطقة المعيشة خلف قمرة القيادة. ما من أحد هناك، لا المرأتان ولا الفتاتان ولا خاطفوهن. خلف منطقة المعيشة، يؤدي المطبخ إلى ركن تناول الطعام، وكلاهما فارغ.

أغلقت الباب، وتوجهت إلى منطقة المعيشة من دون تردد، بعد أن علمت أن الالتزام يتطلب التقدم بالسرعة التي تسمح بها الظروف، وليس بالسرعة التي تسمح بها الشجاعة وحدها، هنا يجب الاستفادة من شيء أهم من الشجاعة، والذي تختلف

تسميته باختلاف الفلسفة التي يعتنقها المرء، فيمكن أن يسميها البعض قناعة المدرسين جيداً، ويمكن أن يسميها آخرون، ممن هم صادقون مع أنفسهم، إيماناً أعمى بالقوة التي تسير هذا الكون.

هزّت عجلات الشاحنات المارة السيارة السياحية، فشعرت بالاهتزاز، وسمعت دقات قلبها، وصوت جريان الدم في شريانيها، السباتي والوداجي. لو كانت هناك أصوات أخرى فلم تسمعها.

مشت في الممر الضيق بعد المطبخ. فتحت باباً جهة اليسار، قادها إلى حمام معتم. ورأت في النهاية، باباً مغلقاً يؤدي إلى غرفة النوم الأبعد.

انبعث ضوء الممر من غرفة نوم جهة اليمين، لم تستطع الاقتراب واختلاس النظر من خلال الباب المفتوح. ظناً منها أنهم سمعوا تحركات أو رأوها، لذلك توجهت بجرأة وبعد أن أخفضت جسدها أخفضت رأسها وسلاحها لأن هؤلاء الهواة كانوا يستهدفون أعلى الرأس، وقد تعلموا ذلك من الأفلام السيئة.

وقف الرجل حليق الرأس في غرفة نوم ضيقة، وأولى ظهره لجين، التي رأت الجدة على الأرض والدم يسيل من فمها، ولكن ما بعث الطمأنينة في قلب جين أن الجدة كانت حية.

كانت ساندرًا مستلقية على السرير، شعثناء الشعر، وقد أغمضت عينها اليسرى المتورمة، وقد ربطت بالكابلات عند معصمها وكاحليها. مزق حليق الرأس بلوزتها، وشق ملابسها. لم يكن هذا وقتاً ولا مكاناً للاغتصاب. كان يمتع نفسه بعرض مسبق ويزيد من ترويع المرأتين.

ربما ألقى نظرة على الجدة وفهم معنى تعبيرها المفاجئ، وربما سمع شيئاً، فاستدار نحو الباب ورأى جين. لم يكن يحمل مسدساً في يده، فاجأه ظهورها لدرجة أنه لم يملك الوقت ليشهر مسدسه، وذلك ما كان ليغير في الوضع شيئاً، لأنها بادرت بإطلاق النار فوراً على صدره محطمة عظم القص، فحملت الرصاصة ذات الرأس المجوف شظايا عظمية إلى داخل قلبه، فسقط ميتاً قبل أن يتسنى له أن يشعر بالألم، سقط على السرير بجانب المرأة المقيدة. انزلق بمرونة وببطء مثل الثعبان من الفراش إلى الأرض، وفتح فمه في صرخة صامتة، وجحظت عيناه، ولكنهما بالرغم من جحوظهما لن تريا مجدداً.

الرجل الآخر لم يكن ليسمع الطلقة المكتومة في هذه الظروف. صرخت ساندرنا باسممزاز بينما سقطت الجثة على السرير، بالرغم من أن صراخها ربما فسر كرد فعل على إهانة تلقتها من حليق الرأس.

في الوقت الذي كانت جين تشير فيه للمرأتين لتبقيها هادئتين، مر شيء كبير في الليل، ربما كانت شاحنة تسحب مقطورتين، بالقرب من السيارة فجعلتها تهتز بشدة. من زاوية عينيها، رأت حركة، فاستدارت نحوها، رافعة المسدس، لكن لم يكن خلفها سوى الباب الذي تحرك بتأثير الاهتزاز.

يجب أن تكون الفتاتان في غرفة النوم الخلفية مع المختل الآخر، خلف الباب المغلق. لم ترغب جين في الذهاب إلى هناك، معرضة هولي ولورين لخطر تبادل إطلاق النار. ولكن حتى لو لم يفعل شيئاً سوى ربطهما، كل ثانية تكونان فيها معه هي إهانة لا تطاق لكرامتهما، وفي كل ثانية كان الرعب يؤثر على نفسيهما أكثر.

وصلت إلى الباب، الذي كان شبه مغلق، ولكن قبل أن تلمس مقبض الباب، صاح الخاطف مخاطباً الرجل الميت.
"ليتفينوف، دعنا نحرك هذه السيارة".

بينما كانت جين تتجه نحو الباب المتأرجح فتحه الرجل الأبيض الهارب من مسلسل هابي ديز وظهر على العتبة، شاهد ليتفينوف جثة تنتظر الديدان، فراجع على الفور، حتى عندما ضغطت جين على الزناد مرتين، لم تقتله لأنها لم تسمع صوت سقوطه، ومن المؤكد أنها لم تجرحه لأنها لم تسمع صراخه، فخمنت أنه توجه صوب هولي ولورين ليستخدما بمثابة درع، ليقتلها لاشيء إلا ليستمتع بفعل القتل.

خفضت جسدها، وعبرت الباب شاهرة مسدسها. كان على يمينها، ظهره إلى غرفة النوم الرئيسية، وسلاحه في يديه، ربما كان غلوك. طلقته الأولى كانت مرتفعة للغاية، والثانية كانت أعلى من رأسها ببوصة أمطرت على وجهها نثرات خشب مضغوط متناثرة من إطار الباب فوق رأسها، أخطأ مرتين حتى من هذه المسافة الصغيرة لأنه كان يحتمي خلف باب نصف مفتوح أثناء إطلاق الرصاص.

لم تستطع جين إطلاق النار بسبب الفتاتين، ولم تستطع التراجع بسبب الفتاتين أيضاً، ولم يكن أمامها من خيار سوى ملاحقة النذل المعتوه، اقتربت عبر المدخل

الضيقة لتختبئ خلف الحائط بجانب الحمام، تقدم نحوها بجرأة، أربكه هذا النهج غير المباشر، لذلك أطلق طلقاته الثالثة بينما كان يتراجع إلى الخلف إلى غرفة النوم، محاولاً إغلاق الباب. انخرطت بالواجهة بكل حواسها، شعرت بصمم مؤقت بسبب صوت إطلاق ناره، دخل خيط من الضوء من خلال الباب وإطاره، كان أقوى منها، ولكن ربما وترته جرأتها. أصابت كتف الباب أولاً، ورأت ومضة عندما أطلق رصاصة أخرى، لم تكن متأكدة إن أصيبت أم لا. لقد سمعت عن أناس لم يعرفوا أنهم أصيبوا قبل نصف دقيقة أو أكثر، خاصة عندما يكونون منفعلين والأدرينالين يندفع بكثرة في جسمهم ولم تكن الإصابة في مكان رئيسي في الجسم. كان أقوى منها، لكنه لم يكن متوازناً عندما صدمت الباب، وفتحته، ارتد إلى الوراء بالرغم من أنه لا يزال واقفاً على قدميه.

في هذه الورطة التي وضع نفسه فيها، يجب أن يكون تفكيره على هذا النحو: ربما يمكنه قتلها، لكنها على الأقل ستجرحه، وربما تقتله، وسواء قتلها أم لا، فقد فسد كل شيء، مستقبلاً الآن ثقب أسود يجره إلى الاندثار بجاذبيته الوحشية، لم تكن مهتمة بحياته التي قد يمضيها هارباً، بل ما يهمها هو نفسه، أو بالأحرى ما كان يهم الملك لير في جزئها السادس - قتل، قتل، قتل، قتل، قتل، قتل. متراجعاً إلى الخلف، ابتعد عن جين واقترب من الفتاتين، واستدار نحوهما بالمسدس، نظيفاً وجليقاً مثل صبي الكنيسة، كان متلهفاً لقتلها أكثر من دفاعه عن نفسه. أطلقت عليه جين ثلاث مرات، بالمقابل أطلق رصاصة لكنه لم يصب الفتاتين، بل سقط ميتاً، اقتربت منه، ومع ذلك أطلقت عليه النار للمرة الرابعة، لأن أمير هذا العالم كان أيضاً أمير الجحيم ومليئاً بالحيل.

عاد إليها سمعها عندما سمعت بكاء الفتاتين، فضلت لو أنها بقيت صماء ولم تسمع بكاءهما، إنهما سليمتان ولكنهما خائفتان. بالرغم من أنهما لم تمسا، إلا أن ما رآته من شر سلبهما براءتهما، لم تريا الشر والأشرار كما تصوره ديزني، بل رأتا الشر والأشرار كما هما في الواقع: شرراً عديم الرحمة وغير عقلاني، وأشراراً غير عقلانيين مقتنعين بالفوضى وجمالها.

لم تكن الفتاتان مقيدتين، ولكن تم التحكم بهما عن طريق الترهيب. صرخت جين للمرأتين بأن الفتاتين في أمان، وقادتهما إلى ركن الطعام، حيث جلستا بناء على تعليماتها.

بعد التردد، خلعت خاتم زفافها ووضعت في جيب بنطالها الجينز. اهتزت يداها وهي تبحث في أدراج المطبخ بحثًا عن المقص. أدركت أنها كانت تتعرق بشدة عندما أصبح العرق باردًا، نهرًا جليديًا يتتبع مسار عمودها الفقري. عندما وجدت ما تحتاج إليه، عادت إلى الأم والجدة. أطلقت سراح الأولى، وتبين لها أن إصابتها ثانوية. واستمرت الجدّة في شكر الله على أن الأمر قد انتهى، لكن الأمر لم ينتهِ بعد. هناك الكثير الذي يتعيّن القيام به، وبسرعة.

10

أرادت ساندرّا تيرمينديل، والدة هولي ولورين، ابنة بامبلا، أن تشكر منقذتهن ولكنها لم تعرف كيف، وجدت كل محاولة غير كافية، ولكن هذا لا يهم، لأن جين لم تكن مهتمة بالشكر، بل بالتعاون فقط.

كانت المرأتان والفتاتان في ركن الطعام. لم تستطع ساندرّا التوقف عن لمس ابتيتها، وتمسيد شعورهما، ولم تستطع التوقف عن البكاء أيضًا، بالرغم من أن هذا لم يكن بكاء هزها وأعاقها، كانت هذه دموع ارتياح.

قالت ساندرّا: "نحن لا نعرف اسمك".

قالت جين: "لا. أنتن لا تعرفن".

"ما اسمك؟"

كذبت جين: "أليس ليدل".

وقفت بجانب حوض المطبخ، وأخرجت المخزن من مسدسها. بقيت خمس طلقات فيه. استبدلته بمخزن آخر.

قالت بامبلا: "الحمد لله، لم تعودى بحاجة إلى استعماله".

تركت جين غرف النوم مظلمة، ولكن بقي مصباح خافت في كل منها. والآن بعد أن أطفأت كل الأضواء في مقدمة السيارة باستثناء أضواء السقف الصغيرة فوق الزوايا، لم يعبر من النوافذ سوى وهج سماء النهار.

قالت بامبلا: "لا نريدها مظلمة".

قالت: "بلى نريدها كذلك. فلا نريد أن نلفت الانتباه".

"الفتاتان خائفتان. أشعلي المصاييح".

خاطبت جين الفتاتين. "أنتما لا تبدوان مثل مارشميلو مارجيريز. تبدوان قويتين كالفتيان. تجاوزتما الموضوع معًا أليس كذلك؟".

قالت هولبي: "ربما".

قال لورين: "يمكننا، على ما أعتقد".

"هذا جيد. رائع. سيكون كل شيء على ما يرام". وقالت لساندرا: "يجب أن أكلمك على انفراد".

لم ترغب ساندرا في ترك ابنتيها، لكنها رافقت جين عبر منطقة المعيشة المظلمة إلى مقدمة السيارة، حيث جلستا في مقعدي قمر القيادة.

الشمس متوازنة في الأفق خلفهما، مرئية في مرآتي السيارة الجانبيتين، كبيرة ومحمرمة. في الوقت الذي فشل الضوء بالوصول إلى الغرب.

قالت جين: "اسمعي، الاثنان اللذان غادرا بالشيروكي، يتوقعان وصول صديقيهما وأنت والفتاتين خلال نصف ساعة. عندما لا يحدث ذلك، سيعودان لمعرفة السبب".

ترقرقت الدموع في عيني المرأة جراء الصدمة: "نحتاج إلى الشرطة".

ظلت جين صبورة. "ساندي، هذا آخر شيء أحتاج إليه، إذا توقف شرطي ليرى سبب توقفك، والذي يمكن أن يحدث في أي لحظة، فهذا سيء بالنسبة إليّ كسوء عودة الرجلين في الجيب".

"لا أفهم".

"لست بحاجة للفهم، ساندي. إن كنت تريدان حقًا أن تشكريني، فساعديني في إخراج هذين الشخصين من هنا بمجرد حلول الظلام".

"أي شخصين؟".

"القتيلان".

"إخراجهما من هنا؟ إلى أين؟".

"سنلقي بهما إلى جانب الطريق، وندحرجهما إلى أسفل الجسر".

"يا إلهي. لا، لا، لا. لا أريد لمسهما".

"إنهما ثقيلان جدًا. أنا بحاجة إلى مساعدة".

"إنهما ميتان".

"جدًا، لذا لا يمكنهما إيذاؤك".

"هذا مسرح جريمة أو ما شابه. أليس مسرح الجريمة؟".

"لا، لأن ما من أحد يعلم بحصول جريمة".

"لا يمكننا التظاهر بأن ذلك لم يحدث، يجب أن تعرف الشرطة".

وضعت جين يداً بلطف على كتف المرأة. "أنتِ تدركين ما سيحدث لابنتيك إن

كان هناك تحقيق؟".

"هولي ولورين؟ لم تفعل شيئاً".

"سيرغب رجال الشرطة في اختبارهما ليتأكدوا أنهما لم تُغتصبا".

"لكنهما لم تُغتصبا".

"كل ما ستقولينه للشرطة سيتم التأكد منه. هذا هو الحال دومًا. في هذه الأيام، لا

أحد يأخذ أي كلمة لما حدث من دون التأكد إن كان قد حدث بطريقة أخرى".

"لكن هذا ليس صحيحًا".

"ولكن هذا ما تجري الأمور وفقه، ستكون قصة كبيرة، سيتحدث الجميع عما

حدث هنا، هل حدث بطريقة ما، أم حدث بطريقة أخرى. تكهنات سواء تم التحرش

بهولي ولورين، تكهنات دائمة. سيتعين عليهما التعايش مع ذلك. سيتنمر عليهما

أصداقاهما في المدرسة، وليس الأصدقاء وحسب".

احمرت وجنتا ساندر، سواء من انعكاس ضوء الشمس الغائب أو بسبب العار:

"يمكن للأصدقاء في بعض الأحيان أن يكونوا متوحشين".

"هل أنت أرملة، ساندي؟".

"أرملة؟ لا أنا مطلقة".

"هل كان هناك نزاع على الحضانة؟".

أجاب تعبير المرأة عن السؤال.

"إن كان نزاع الحضانة قبيحًا في المرة الأولى، فسيكون أقبح في المرة الثانية.

ساندي، لم تعرضي الفتاتين للخطر من خلال اصطحابهما في هذه الرحلة، لكن طليقتك

سيجادل أنك فعلت ذلك، وسيكون هناك أشخاص يتفقون معه، ربما ليس القاضي، ولكن سيكون هناك الكثير من الناس الذين يعتبرون أنفسهم قضاة وسيدلون بدلوهم".
حدّثت ساندرًا إلى الأرض المظلمة، وعصّت شفتها السفلى، ونظرت إلى المصاييح الأمامية لحركة المرور المتجهة غربًا على الجانب الأبعد من الطريق السريع: "ماذا لو عثرت عليهما الشرطة واعتقدت أنني قتلتها؟".
"لن يعتقد أحد أن ساندي تيرمينديل قتلت أي شخص".
"لا أمتلك سلاحًا حتى".

"هذه المنطقة موحشة. إنه طريق طويل أسفل الجسر، لن يُعثر عليهما قبل أسابيع. ستتهم ذئاب البراري بهما".
ارتجفت ساندرًا.

"نريد ذئب البراري، ساندي. ما لم يكن لدى رجال الشرطة أدلة الحمض النووي في ملف من الاعتقالات السابقة، فلن يتبقى سوى القليل جدًّا، ولن يتم التعرف إليهما أبدًا، ولن يتم ربطهما بك أبدًا".

لم تقم حياة ساندرًا بتبهيّتها حتى الآن لكيفية التعامل مع العنف أو كيفية تقليل التأثير الذي يتبعه. بدت غير قادرة على النظر إلى جين: "ماذا بشأن الدماء؟".
"نظفيتها جيدًا. أنتِ وأمك. هيا يا ساندي. لديك ما يكفي من الوقت للقيام بهذه المهمة".

كشرت. ماذا عن الآخرين؟ ماذا لو أتيا للبحث عنا بعد أن نكون على الطريق مرة أخرى؟
"عندما يعودان إلى هنا ولا يجدانك، سيعرفان أن هناك خطبًا ما. لن يسعيا وراء المتاعب".

"لكن ماذا إن فعلا؟".
"أين كنت تخططين للتوقف الليلة؟".

"يوجد مخيم للسيارات السياحية بالقرب من جالوب. لدينا حجز".
"هذا يعادل مئتي ميل تقريبًا. لن يبحثا بعيدًا إلى هذا الحد. ولكن سأخبرك بشيء ما؛ أنا ذاهبة بهذا الطريق. سأتبعك، وسأتأكد من أنك آمنة في جالوب قبل أن أتركك".

"لن أشعر بالأمان مرة أخرى في أي مكان".

"إلى حدّ ما، هذا شيء جيد".

أخيراً، تبادلَت المرأتان النظرات: "ربما يكون اسمك أليس ليدل. لكن من أنتِ؟ ماذا أخبر فتاتي؟".

"أخبريهما أنني حفيذة لون رانغر⁽¹⁾. أخبريهما أنني ملاك حارس. فكّري بشيء ما".

"ملاك حارس مع مسدس؟".

ابتسمت جين...

عندما نظرت ساندرًا بعيداً، اقتربت جين، ووضعت يدها تحت ذقن المرأة، وأدارت رأسها برفق لتنظر إليها مرة أخرى.

"لقد تعرضت ابتناك للأذى، ساندي. أنني ذلك هنا. لا تجعليهما ضحيتين بقية حياتهما. ساعديهما لتكونا شجاعتين".

ربما كان هذا التوسل ليجلب الدموع إلى عيني ساندرًا قبل بضع دقائق، ولكن ليس الآن. لقد وصلت إلى قناعة رهيبة ولكن أساسية، ولن تكون هي نفسها بعد الآن. "فلنقم بذلك".

11

فُتح الباب الخلفي من الجهة اليمنى للخارج، وحجبهما عن حركة المرور القادمة على الطريق المستقيم الطويل.

حليق الرأس، ذو القرط المرصع بالألماس، كان قلبه متوقفاً ومحطم العظام، جردته من هويته، قاوم إيجون أوري ليتفينوف أثناء التخلص من جثته بالرغم من أنه ميت، حوالي مئتي رطل من الشر الذي بدا في بعض الأحيان متحرّكاً، كما لو أن روحه المتحررة من جسده تسعى للدخول إلى جسده مرة أخرى.

عندما أخرجناه من السيارة وهو نصف منتصب بينهما، نظرت جين من وراء الباب المفتوح الذي كان يخفيهما عن المصاييح الأمامية القادمة، وانتظرت حدوث

(1) هو حارس مقنع سابق من تكساس حارب الخارجين عن القانون في الغرب الأميركي القديم مع صديقه الأميركي الأصلي، تونتو. تم تسمية الشخصية بأيقونة دائمة للثقافة الأميركية (الترجم).

فجوة في حركة المرور. باستثناء ضوء أرجواني داكن يحيط بقمة تلة بعيدة، كانت السماء سوداء ومليئة بالنجوم، والقمر منخفضًا بضوئه الشبحي المستمد من الشمس. مرّت عربة شحن مصدرة صوتًا قويًا، ولم يعقبها أي سيارة.

سحباه وجراه إلى السياج الأقرب، كان غطاء السياج المعدني مصممًا بشكل يناسب غايتها. وضعتاه خلفه كما لو كان منطويًا على نفسه كشخص مخمور، ثم أمسكته من قدميه وقلبتاه، بحيث هبط على ظهره على المنحدر وانجرف بعيدًا. تدرج بفعل حركة الحصى الصغير التي غطت المنحدر الحاد. بدأ الحصى ينزل، وينقله إلى الأسفل. وبما أن جسده أكثر وزنًا من وزن الحجارة الصغيرة التي نقلته، فقد تزايدت قوة دفعه عن قوة دفع الحصى، ومع حركة صاحبة من الذراعين والساقين، اختفى في الظلام الداكن. سمعنا صوت تدرجه حتى اصطدم بشجيرة برية وتوقف عندها بثبات.

حليق الوجه الأنيق بدا مثل مساعد الكاهن، في ثياب من الدنيم الأسود الباهت وحذاء رعاة البقر، جردته من هويته. كان وزن لوسبوس كرامير بيل أقل من ليتفينوف بحوالي أربعين رطلاً، وبدا أنه أكثر تقبلاً للموت من زميله. خلال استراحة أخرى في حركة المرور، أحضرتا بيل بسهولة أكبر إلى سياج الحماية وقلبتاه. بفعل الفيزياء والأداء العضلي للجسد بعد الوفاة، تدرج بيل إلى وضع الجلوس على الحصى المنزلق، كما لو كان المنحدر ثلجياً وكان يتزلج، مكرراً لحظة سعيدة مستوحاة من ذكرى ضعيفة أخيرة تلمع في دماغه البارد. هبط إلى الظلام بطريقة مروعة ولحق ليتفينوف إلى الشجيرة.

كانت جين قد خلعت سترتها الرياضية حتى لا تلوثها، لكنها لطخت يديها بالدم. انتظرت في المدخل المفتوح للحمام بينما نظفت ساندرًا يديها بالصابون بشكل متكرر وغسلتهما بماء ساخن لاذع حتى أزالته كل الرغوة وبقيت يداها بلون وردي خفيف. جلست الفتاتان مع جدتهما في ركن الطعام، بعد قليل ستنتقلان إلى غرفة المعيشة وستامان إن تمكنتا.

عندما نتحت ساندرًا جانبًا، وانتزعت منشفة من الرف، أخذت جين دورها في الحوض، فركت آخر أثر لليتفينوف وبيل. جففت يديها بالمنشفة نفسها، وأخذتها ساندرًا منها لتعلقها على الرف.

خلال عملية التنظيف، لم تنبس أي منهما ببنت شفة، كانتا صامتتين عندما طوّقت ساندرا بذراعها جين وسحبته نحوها، قامت جين بالحركة نفسها، ووقفنا صامتتين لبعض الوقت، لم تستطع والدة هولي ولورين التعبير عن عواطفها في كلمات، ولم تكن والدة ترافيس تحتاج إلى سماع الكلمات. لقد أدركت جيدًا أن هذه المرأة عرفت حقيقة هذا العالم رغمًا عنها، الحقيقة التي قضى معظم الناس حياتهم في الهروب منها وإنكارها. بمجرد معرفة الحقيقة، لا يمكن نسيانها، ولكنها تبقى دائمًا في القلب، ظلمة ستبحث عن بصيص ضوء لتعويضها طوال السنين القادمة.

12

ما وراء الطريق، والمصاييح الأمامية، والانديفان اللانهائي للبشرية المضطربة، في الظلام الدامس لهذه الأرض القديمة، كانت حفرة نيزك ماتيو كريتير⁽¹⁾ ترقد بهدوء، بعمق بناء مرتفع يبلغ خمسين طبقًا، وبعرض ثلاثة أرباع الميل، أقدم حتى من مستوطنات الهنود الأناسازيين التي رقدت في الأنقاض، بصمت في الظلام نفسه، حتى قبل أن يسير الأوروبيون على هذه الأرض. مهما كانت الكتلة المندفعة، كويكبًا أو غيره، يمكن أن يحول الصخور إلى مسحوق من تأثيره، كما كان الوقت والعنف والجشع قد فعلوا بالأناسازيين عندما انقلبت القرى على بعضها البعض.

في مزاج خامد، تبعت جين هوك سيارة تيرمينديل السياحية إلى وينسلو، ثم إلى هولبروك، بعد الصحراء الملونة والغابة المتحجرة، وصولًا إلى جالوب، نيو مكسيكو، حيث رأتهن يحجزن في مرأب للسيارات السياحية وقالت وداعًا.

رافقتها معزوفات شوبان، التي أجاد تأديتها مجموعة من عازفي البيانو، خلال ليلتها في ريد-روك، عبر الصدع القاري. لم يكن أي من أساتذة البيانو هؤلاء والدها

(1) هي فوهة بركان نيزكي على بعد حوالي 37 ميلًا 60 كم شرق فلاغستاف و18 ميلًا 29 كم غرب وينسلو في صحراء أريزونا الشمالية بالولايات المتحدة. نظرًا لأن مجلس الولايات المتحدة للأسماء الجغرافية يتعرف عمومًا على أسماء المعالم الطبيعية المشتقة من أقرب مكتب بريد، فقد اكتسبت الميزة اسم مكتب البريد القريب المسمى ماتيو.

الشهير، والذي من أجل جرائمه لم يهرب فقط من العدالة بل من الشكوك جميعها، والذي بقي حتى الآن مطارداً، كانت رفيقته هي المرأة التي قتل من أجلها والدتها عندما كانت جين في الثامنة من العمر.

وصلت إلى البوكيرك عند الساعة 11:20 مساءً، كانت عضلاتها تؤلمها، ومفاصلها منقبضة. بعد نحو ست عشرة ساعة من مشاهدة ترافيس وهو يمتطي حصانه، عثرت على موتيل ربما أعطاه ناقد سخي تقييماً بنجمتين، ودفعت نقداً، ووقعت على السجل بالاسم الموجود على رخصة القيادة التي تحمل صورة لها بشعر كستنائي طويل وعينين خضراوين، ولم تقدم أي طلب لاستقبال أي اتصال.

كان معها زجاجة فودكا نصف فارغة، واشترت مياهًا غازية من آلة البيع. بعد الاستحمام، جلست في الفراش مع شراب، وقلّبت في يدها اليمنى شيئين: الأول كان القلادة التي وجدها طفلها وأعطائها لها بمثابة تيممة جالبة للحظ، والثاني خاتم زفافها الذي حذرها سائق الشاحنة فوستر أوزوالد من وضعه.

لم يكن الخاتم الذهبي العريض بسيطاً، كان محفوراً كما أراد نك، وقد رتبت كلماته في صفين باللون الأسود مع مينا مرصعة: أنت بدايتي / ونهايتي.

اعتقد أنهما سيستمتعان بحياة طويلة معاً في الدنيا، تليها حياة سعيدة في الآخرة. بعد ست سنوات فقط، رحل، تم اختياره من قبل نموذج حاسوبي.

في وقت ما في القرن الحادي عشر، سعى حكام هنود أناسازي إلى إدامة قوتهم من خلال تحريض مجموعة ضد أخرى، وتحديد المنبوذين اجتماعياً لإعدامهم وأكلهم. أصبح عهد الإرهاب عظيمًا لفترة طويلة لدرجة أن العائلات بنت مساكن صخرية على ارتفاع ستمئة قدم فوق أرض الوادي، مساكن كان من الخطر الوصول إليها.

ما الذي تغير خلال ألف سنة؟ يمكن إدارة الإرهاب المعاصر بكفاءة أكبر من التي كانت موجودة في ذلك الوقت، الأهداف التي اختيرت من خلال تطبيق تحليل البيانات الوصفية. الآن أصبح لدى النخبة المهووسة بالتحكم أسلحة أكثر فعالية من السكاكين القديمة. وبعد ألف سنة من أناسازي، لم يكن بوسع أحد أن يهرب بمجرد بناء منزل على حافة جرف.

خلطت جين مشروبًا ثانيًا.

في وقت لاحق، وعندما أوشكت أن تغط في النوم، أدخلت إصبعها في الخاتم. إن لم تكن تجرؤ على وضعه في الأماكن العامة، فلا يزال بإمكانها وضعه في مكان خاص. وإذا لم يكن بإمكانها أن تحصل على نك بعد الآن في عالم الغدر والكوارث هذا، فمن الأفضل أن تكون هناك حياة في الآخرة. من الأفضل أن يكون هناك.

13

يوم الاثنين، سافر المأمور لوثر تيلمن في رحلة جوية مدتها ساعتان من دون توقف من مينابولس إلى لويزفيل، كنتاكي، وقاد سيارة مستأجرة إلى أيرون فرنس، حيث يبدو أن شيئاً مهماً قد حدث لكورا غندرسن والذي ربما قادها للجريمة البشعة التي ارتكبتها، بالرغم من أنه لم يستطع تخيل ما قد يكون ذلك.

بعد غداء يوم الأحد، جلس أمام حاسوبه في غرفة مكتبه بالمنزل، محاولاً معرفة المزيد عن المؤتمر الذي دُعيت إليه كورا، مع دفع جميع النفقات عنها. تذكرت هيزل سيفيرتسين أن الراعي كان مؤسسة سيدلنغ، ولكنه اتضح أنه صندوق سيدلنغ، وهي منظمة خيرية أسسها رجل أعمال ثري ومولها بهبة سخية، السيدة ت. كوين يوبانكس من ميشيغان. أسفر البحث عن يوبانكس في غوغل عن عدد كبير من الروابط واكتشاف أنه انتحر في تشرين الأول السابق، بعد شهرين من المؤتمر في منتجع بحيرة أيرون فرنس. ترك منزله وتوجه إلى شبه جزيرة أولد ميشن، وتوقف بالقرب من بستان كرز - أكبر تجمع لهذه الأشجار في أمريكا الشمالية - حيث وقف على كرسي تخييم صغير كان قد أحضره معه، وربط حبلًا قصيرًا إلى غصن متين من الشجرة، وشكل عقدة، وشدها حول رقبته، وركل الكرسي من تحته.

بدا أن زوجته وشركاه في العمل صُدموا واستغربوا انتحاره. لم يكن مريضًا، ولم يعان يوماً من الاكتئاب، وكان لديه كل أسباب العيش. مدحه عضو مجلس إدارة صندوق سيدلنغ، الملياردير ديفيد جيمس مايكل، مديحًا مؤثرًا خلال حفل التأبين، حيث أعلن أنه سيساهم بعشرة ملايين دولار للصندوق من أجل روح ت. كوين.

من خلال صندوق سيدلنغ، كان يوبانكس الراعي الأساسي لمؤتمر تقنيات تعليم الأولاد ذوي الاحتياجات الخاصة. وبحسب الموقع الإلكتروني للصندوق، فقد كان

أيضًا في منتجج الخمس نجوم في أيرون فرنس طوال الأيام الأربعة بأكملها. من خلال خبرته في العمل بالشرطة، اعتقد لوثر أن حقيقة قيام اثنين من الحاضرين بالانتحار في وقت لاحق في غضون خمسة أشهر هو شيء مهم، وتساءل هل من انتحار ثالث أو وفاة بسبب العنف، أو وفاة عرضية مريبة، من بين آخرين كانوا في المؤتمر.

لم يقدم الموقع قائمة بأولئك الذين تمت دعوتهم، بل قدم شرحًا سريعًا للغرض من المؤتمر، وهذا أمر غريب، عادة ما تقوم المؤسسات الخيرية التي لديها مهمة بنشر أهدافها وأنشطتها في كل فرصة تتاح لها، على سبيل الفخر ولتعزيز أهدافها. في الواقع، تم وصف المشاريع الأخرى للصندوق بمزيد من التفصيل.

تذكرت هيزل سيفيرتسين أن المدعويين إلى منتجج بحيرة أيرون فرنس كانوا الحاصلين على جوائز مدرّس العام في مدنهم أو ولاياتهم، ليس بالضرورة في العام نفسه ولكن في وقت ما في الماضي. على الصعيد الوطني، وعلى مدى عقدين من الزمن، حصل مئات المعلمين على هذا الشرف، ولكن عندما بحث لوثر عن أي صلة بين عبارة "معلم العام" و"بحيرة أيرون فرنس"، لم يجد أيًا منها.

أول ما فكر فيه أن هيزل لم تتذكر جيدًا. ولكن بعد ساعتين، بعد أن استخدم كل سلسلة بحث يمكنه التفكير بها، لم يتمكن حتى من إظهار اسم واحد لمن حضروا المؤتمر إلا ت. كوين يوبانكس. لم يجد حتى اسم كورا. بدا الأمر كما لو أن الحدث لم يُجرَ. أو كما لو أنه حدث، ولكن حدث شيء ما خلال تلك الأيام الأربعة وتسبب بإزعاج وإحراج الناس في صندوق سيدلنغ لدرجة أنهم رغبوا في تقليل الإشارات إلى القضية بأكملها.

بعد العثور على اسم ليزا توسكا ورقم هاتفها، رغب في البدء بالاتصال بها في الصباح، قبل أن يبدأ رحلته في وقت مبكر بعد الظهر إلى لويزفيل.

لكن في تلك الليلة، بعد العشاء، خرج ليقف على درج الشرفة الخلفية، بلا معطف في الهواء البارد، حدق إلى السماء، مصغيًا إلى النجوم كما تخيلت ريببكا. في بعض الأحيان، كما هو الحال الآن، عندما يقف هنا منزعجًا من شيء ما حول قضية ما، لم يكن متأكدًا مما يزعجه في لاوعيه. بمرور الوقت، لا بد أن النجوم قد تحدثت إليه، لأنه

أدرك أنه لا ينبغي أن يتصل بليزا توسكا، خشية أن تصل كلماته إلى بوث هندركسون. أعطاه محامي وزارة العدل بيانًا ليقراه قبل الظهور على كاميرات الأخبار، كما لو أن الحادث في فندق فيبلن كان مسرحية في مدرسة ابتدائية، وكأن لوثر طفل يحتاج إلى دراسة نصه الصغير ليجعل والديه فخورين بأداء دوره، كما لو أن مخاوف الجمهور بشأن جريمة قتل جماعي أخرى يمكن إزالتها عن طريق الرسائل الصحيحة، من خلال تطمينات لا معنى لها بلغة بسيطة.

لكن لم تطبق أي من هذه الابتذالات هذه المرة. لم يرتكب هذا الرعب مسلح وحيد من أي نوع، ولم يكن عنفًا في مكان العمل، ولا ردًا على الظلم الاجتماعي الذي يجب تشجيع الجميع على فهمه إن لم يوافقوا عليه.

لتهدة الجمهور، يجب أن يكون هندركسون وغيره من المصلحين السياسيين أكثر إبداعًا من المعتاد. وبحلول الوقت الذي انتهوا فيه من كورا، أعادوا اختراعها كغريب يعيش بمفرده، كمعتل اجتماعي ماكر قادر على تمويه نفسه بزي مدرّسة لذوي الاحتياجات الخاصة، جمعت سرًا تذكارات هتلر، وشوهت نفسها بالإبر والسكاكين، وشربت بولها كعلاج صحي، وربما تحرشت بالأولاد ذوي الاحتياجات الخاصة الذين أوكلوا إليها. مجرد معتوهة أخرى، ما من شيء مهم ليطلعوا عليه، فليتحرك الجميع.

لهذا السبب أحرقوا منزلها لكي يمحو الأدلة على حياتها الشخصية، وليجعلوها صفحة فارغة يمكنهم من خلالها رسم ما يريدون.

حقيقة انحدار كورا إلى الجنون تم التستر عليها؛ لذلك، لا بد أن تكون حقيقة قبيحة، ولكن أيضًا كرة تحطيم، ضخمة ورهيبة، كرة تحطيم أطلقت، ستسقط بوث هندركسون وأولئك الذين وظّفوه.

الآن، فهم لوثر تمامًا سبب عدم تمكنه من الاتصال بليزا توسكا في صندوق سيدلنغ، وعلم أنه يجب عليه الذهاب إلى أيرون فرنس كمواطن عادي، وعليه التحلي بالحذر، وبذلك توقف عن التحديق إلى النجوم وتأملها. بدلًا من ذلك بدأ البحث في الأجرام السماوية ليريح نفسه، ويتأكد أن الامتداد الشاسع أعلاه كان منظّمًا كما كان دائمًا، بغض النظر عن الاضطراب هنا في الأسفل.

ربما أزعجه القلق والتعب، لأنه لم يتمكن من العثور على كاسيوبيا⁽¹⁾ أو بيغاسوس⁽²⁾، أو لي ماینور⁽³⁾، أو لينكس⁽⁴⁾، أو هيركليز، كما لو أن الكون تغير عما كان عليه في الليلة السابقة مع آخر غروب للشمس. لم تعد مجموعات النجوم توحى بالأشكال والرموز، وجلبت برودة هذه السماوات الجديدة الغربية إلى الليل قشعريرة عميقة. وبالرغم من أنه قال لنفسه إن فشله في تمييز التصاميم القديمة كان نتيجة للقلق والتعب، دخل إلى المنزل مرتجفًا، حيث ستكون الأمور كما كانت، إلفة موسيية.

14

على الطريق، وعند الساعة صباحًا من يوم الأحد، تناولت شطائر البيض الجاهزة من المطعم، تاركةً البوكيرك من دون أن تراعي حدود السرعة. اختارت جين موسيقى أنطوان دومينو - فانس الخالد - لتصاحبها خلال رحلتها. فانس يعزف ببراعة على البيانو، وكان والدها يسخر منه. توجهت إلى أماريلو، من دون موسيقى، إلى أو كلاهوما سيتي، على بعد 556 ميلًا في ثماني ساعات.

قادت لثلاث ساعات أخرى، توقفت ليلة الأحد عند الساعة 6:05 في فورت سميث، أركنساس، وعزمت على النهوض قبل الفجر، مع البقاء في حدود السرعة القصوى في المنطقة الأكثر كثافة سكانية - والأكثر شرطة - لتصل إلى بولينغ غرين، كنتاكي، في غضون اثنتي عشرة ساعة. وهذا سيجعلها بعيدة ساعتين فقط عن أيرون فرنس يوم الثلاثاء.

وجبة عشاء جاهزة أخرى في غرفة موتيل.

بعد الاستحمام، جلست في السرير مع مشروب الفودكا والمياه الغازية. في الضوء الخافت، بدت كل قطعة أثاث وكل لوحة فنية رخيصة على الجدران مطابقة لتلك الموجودة في الغرفة التي أقامت فيها في البوكيرك، ومطابقة أيضًا

(1) كاسيوبيا في الميثولوجيا اليونانية زوجة قيفاسوس وأم أندروميذا. (المترجم).

(2) بيغاسوس في الميثولوجيا اليونانية هو فرس مجنح زعموا أنه انبثق من دم ميدوز عندما احتز برسبيوس رأسه. (المترجم).

(3) لي ماینور كوكبة صغيرة وخافتة في نصف الكرة السماوية الشمالي. (المترجم).

(4) لينكس كوكبة في نصف الكرة الشمالي تقع بين كوكبة الدب الأكبر وكوكبة ذي الأعنة. (المترجم).

لمحتويات جميع الغرف العديدة التي عاشت فيها ليالي أخرى وحدها، تحت أسماء لم تكن لها. كلما سافرت أبعد، بدت ذاهبة إلى اللامكان، كما لو أن الطرق والمناظر الطبيعية المتغيرة كانت أوهامًا، المواجهات العنيفة ليست سوى حلقات من مسلسل دراما، واقع افتراضي أصبحت حبيسة فيه.

أطفأت المصباح، وجلست في الظلام، مدعومة بالوسائد. إنها عازفة بيانو بارعة، تخلت عن فرصة أن تصبح عازفة، لكن الموسيقى كانت في بعض الأحيان تُعزف في ذهنها بوضوح كما لو كانت من راديو. الآن سمعت سايمون وغارفونكل "صوت الصمت"، وغنت بهدوء "مرحبا أيها الظلام، يا صديقي القديم". ولكن لم يكن الظلام هو الذي استدعى تلك الأغنية من الذاكرة. لقد خطرت ببالها لأن كلاً من كلمات الأغنية واللحن تحدثا عن العالم كما عرفته الآن: الاغتراب، والقمع، والوحدة، ونهاية العالم.

نامت واستيقظت، لم تعرف إن حلمت بإيجاد والدتها أو العثور على نيك ميتًا بسبب انتحار واضح. ربما وجدت الاثنين معًا، حيث كانت تجدهما كثيرًا من قبل، كل ما تذكرته كان حلمًا مليئًا بالدماء والألم. خلال النوم، سمحت لنفسها بالبكاء، وبللت الدموع وجهها. لكن الدموع أثناء اليقظة كانت ضعفًا، دعوة للأشرار الذين يتغذون عليهم، لذا انقلبت إلى جانبها، ورفعت ساقها في وضع الجنين، وعادت إلى النوم، حيث كانت آمنة، وبحث عن الراحة التي قدمتها دموعها.

15

نفر لوثر تيلمن من هذا النوع من التفكير الذي أدى إلى إثارة العواطف والأحاسيس، والذي كان يتخذ حالة عادية شاذة بعض الشيء ويضخمها إلى ميلودراما دينية تتضمن مؤامرات عن طريق خداع أشرار مهمين وكبار. في ظل الظروف الحالية، ربما لم يكن من الضروري وجود قشة لتقصم ظهر بعير هذا النفور. ربما كانت الريشة كافية للقيام بهذه المهمة، حيث كانت الريشة هي عدم قدرته على التعرف إلى الأبراج المألوفة منذ فترة طويلة في سماء الليل، ولكن مهما يكن السبب، هناك شيء يزعج لوثر تيلمن بعد عشاء يوم الأحد.

نظرًا لعدم كفاية الوقت يوم الاثنين لشراء هواتف محمولة يمكن التخلص منها، فقد عبث بأدلة لم يكن ليعبث بها قبل يوم واحد. قاد سيارته إلى المقر، ودخل بمفرده غرفة الأدلة، وأخذ هاتفين من كيس يحوي اثني عشر هاتفًا غير نشط صودرت في عملية مباغثة لتجار ميثامفيتامين ولم تكن هذه القضية قد أحيلت إلى المحاكمة بعد. كدليل، يمكن الاستفادة من عشرة هواتف مثل الاثنين عشر هاتفًا، أليس كذلك؟ سيكون هناك تناقض في سجلات الأدلة، ولكن في بعض الأحيان يحدث ذلك بشكل عادي.

في المنزل مرة أخرى، أجرى المكالمات اللازمة لتفعيل كلا الهاتفين، وأعطى أحدهما إلى ريببكا. "أثناء وجودي في كنتاكي، أبقيه مشحونًا ومشغلاً. إن كنت بحاجة إلى الاتصال بك، فأنا لا أريد استخدام هاتفينا الآيفون، ولا أريد الاتصال بالخط الأرضي للبيت".

قالت ريببكا: "قضية كورا تتركك أكثر من اللازم أليس كذلك؟".

قال: "لا، الأمر ليس كذلك".

16

حجبت الغيوم القمر. البحيرة مسودة من طرف إلى طرف آخر، والصمت يُخيم على المياه، حتى حشرات الظلام هادئة الآن في أعقاب منتصف الليل. في وضوح النهار، لا يمكن أن ينجح أي هروب. حاول هارلي عدة مرات. في الليل كان من الصعوبة التجوال في الغابة المظلمة، كان ضوء المصباح يجذبهم - أيا كانوا - كاستدعاء ضوء الشرفة لحشرات العث. كانت الغابة محيرة مثل المتاهة، تداخل وتشابك مكون من أشجار البلوط، وقيقب السكر، والجوز الأسود، والقرانيا، لكنها لم تكن متاهة لهم. لقد تجوّل الدجالون في الغابة كما لو أنهم زرعوا كل شجرة بأنفسهم وفقًا لخطة رئيسية كانوا قد حفظوها.

تسلل هارلي هيغينز، الذي احتفل قبل ساعات بعيد ميلاده الرابع عشر، على طول الشاطئ، متجنبًا الرمال التي ستترك آثار أقدام واضحة.

عبّر أراضي متجع بحيرة أيرون فرنس، وشق طريقه إلى المرسى الصغير. خلال النهار، يؤجر المنتجع قوارب دوفي الآلية، وقوارب تجذيف، ودراجات عائمة يمكن

للسياح ركوبها على طول الشاطئ الخلاب. عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل، ما من موظف في المكان، وركنت القوارب على مسافة آمنة من الفندق.

كانت قوارب دوفي هي الطريقة الأسرع لعبور البحيرة. كانت مجهزة بمحركات كهربائية، لذلك لن يكون هناك ضوضاء للفت انتباه الدجالين إليه، ولكن ليستخدّم أحد هذه القوارب، كان بحاجة إلى مفاتيح، والتي كانت في مكتب المرسي المقفل.

رُبطت القوارب إلى الرصيف، وكان كل مركب يحوي زوجًا من المجاذيف. جلس على الرصيف، ومدّ قدميه على سطح زورق، وسحبه باتجاه الدعائم، وقفز فيه خلسة، بالرغم من أن القارب اصطدم بعد ذلك بالدعامات، إلا أن الصوت لم يكن مرتفعًا ليلفت انتباه أي شخص بالقرب منه.

وضع ركبتيه على العارضة، واستخدم مجذافًا ليدفع القارب عن الرصيف، فانزلق القارب في المياه المفتوحة، مصدرًا صوت خريبر الماء الذي يتفرق من حوله.

جلس هارلي في منتصف القارب على مقعد المجذف، مواجهًا لقوس المقدمة، واستخدم المجذاف كما لو كان يركب جندولًا، ودفع بعكس اتجاه قاع البحيرة، دفع ببطء بعيدًا عن الأرصفة، ووجه القارب شمالًا بقصد عبور البحيرة إلى الشاطئ الأبعد.

عندما أصبحت المياه عميقة للغاية، كان عليه أن يخاطر بوضع المجذافين في مكانهما المخصص، والتجذيف بالطريقة التقليدية. كانت أفعال المجاذيف مشحمة بشكل جيد، لكنها تصدر صريرًا ناعمًا أثناء الدوران، ترك القارب ينزلق بقدر ما تتيح كل تجذيفة، لينخف من الضوضاء قدر الإمكان.

لم يكن خائفًا من البحيرة. لم يعش فيها أي شيء خطير. ولكن حتى لو كان هناك أسماك قرش وتماسيح، كان ليسبح بالقرب منها حتى يتمكن من الهروب، إن لم يكن هناك قارب.

لبضعة أسابيع، بدا سلوكه جيدًا، كما لو أنه استسلم في النهاية إلى حياته الجديدة. توقف عن الجدال مع الكبار، وتوقف عن محاولة تنظيم تمرد الأولاد. حتى أنه تظاهر بالاستمتاع بعيد ميلاده، الأيس كريم والكعك، كما لو أن الاحتفال من دون الهدية لم يكن مجرد تمثيلية.

توقف عن الشكوى من السجن، لم يسموه سجنًا بالطبع، بل أطلقوا عليها اسم مدرسة، بالرغم من أن أحدًا لم يحاول تعليمه أي شيء، ولم يتوقع أن يتعلم شيئًا. لم تكن هناك صفوف، ولا كتب مدرسية، ولا دروس. سُمح له وللأولاد السبعة الآخرين بمشاهدة التلفاز وبألعاب الفيديو وأي شيء يريدونه لتسلية أنفسهم وقضاء الوقت. لكن لم يُسمح لهم بالتفاعل مع أي شخص ليس من مواطني البلدة.

تظاهر الدجالون أن ما فعلوه به وبقية الأولاد كان عاديًا، كما كانت الأشياء تُفعل لأجيال. وبدا أنهم يصدقون ما قالوه، بالرغم من أنه لم يكن سوى هراء. بدأ السجن قبل عشرة أشهر، في أيار من العام السابق، بعد شهرين فقط من عيد ميلاد هارلي الثالث عشر. أعتقدون أنه لا يتذكر كيف كانت حياته في ذلك الوقت، وأنه كان حرًا في ركوب دراجته إلى المدينة، وباص المدرسة الذي كان ينقله أحد عشر ميلًا إلى مدرسة حقيقية في وسط المقاطعة؟

انحدرت مصابيح حديقة المنتجع الخافتة ببطء إلى الجنوب. عندما نظر شرقًا، أضواء أضواء المدينة، مثلما كانت في هذه الساعة، على بعد أربعة أميال. كان الشاطئ الغربي يشغل مساحة أكبر، وبالرغم من وجود العديد من المنازل على طول قوسه، إلا أنها كانت مظلمة الآن.

ظلت معظم الجهة الشمالية للبحيرة، التي يتوجه إليها في حالتها الطبيعية. نوى إرساء القارب هناك، وإيجاد طريقه على طول خط الأشجار إلى مرج من شأنه أن يوفر مسارًا سهلًا إلى طريق ليكفيو. سيؤدي ليكفيو إلى طريق المقاطعة السريع. ربما سيتمكن من إيقاف شاحنة، وإقناع السائق بأخذه إلى مكتب مأمور المقاطعة أو حتى شرطة الولاية.

سائقو الشاحنات أشخاصٌ جيدون، يعملون بجد، ويمكن الوثوق بهم. هذا ما قاله عم هارلي، فيرجيل هيغينز دائمًا قبل أن يتوقف عن كونه العم فيرجيل، وذلك بعد أن حلّ دجال محله، الآن لا يجدر بأحد أن يصدق أي شيء لعين يقوله الرجل.

لم يعرف هارلي إن كانت الشرطة ستقتنع عندما يخبر أفرادها أن الأشخاص في أيرون فرنس قد تغيروا، وأنهم لم يعودوا كسابق عهدهم. لكنه كان واثقًا أنه يستطيع إثارة شكوكهم ليسألوا عن سبب سحب ثمانية أولاد ممن هم دون السادسة عشرة من

المدارس العامة في اليوم نفسه، ونقلهم إلى مدرسة خاصة. عندما يحقق رجال الشرطة، ويرون البناء الذي دعاه الدجالون بالمدرسة، سيعرفون على الفور أنه في الواقع سجن. بقي حوالي ثلث الطريق ليصل إلى الضفة الأخرى، بدأ هارلي بالتجديف بقوة أكبر وأسرع، غير مهتم بالضوضاء التي أحدثها، حتى لو كان الصوت قد ينتقل بشكل جيد عبر الماء.

بمرور الوقت بالرغم من لياقته البدنية والرياضية، بدأ يتعب. تشنجت ذراعاه، وبدا أن الفقرات في عنقه لم تعد مصنوعة من العظام، ولكن من حزم متشابكة من الأعصاب التي أصبحت ساخنة وحساسة بسبب الجهد الذي بذله.

في الليل، بدت البحيرة أكثر اتساعًا. حتى في هذا الليل الذي لا قمر فيه، ما كان ليضل طريقه، لأن أضواء المنتجع ميزت الشاطئ الجنوبي، وبقي الشرق مميزًا بأضواء المدينة. حاول أن يطمئن نفسه، وأن يستمر في التجديف، لكنه جذب وهو قلق إلى أن شعر بمقدمة القارب ترتطم بالأرض مشيرة إلى وصوله.

ترك المجذافين والقارب، ومشى عبر المياه الضحلة إلى الشاطئ الشمالي. هنا كان الشاطئ حصويًا وليس رمليًا، أصدرت الحصى صوتًا تحت قدميه، عندما سحقها حذاؤه وهو يسرع شرقًا على طول هذا الامتداد الباهت، والمياه المتدفقة إلى يمينه، وسياج الأشجار إلى يساره.

بالرغم من أن الشاطئ الجنوبي والبحيرة نفسها واضحان، إلا أن ضبابًا خفيفًا أخفى الأشجار هنا، وبدا أنه يتدفق من الحجارة. يتكاثف الهواء الرطب برائحة أرض الغابة.

وصل إلى مرج مائل واستدار شمالًا، فتسلق الأعشاب، حيث رائحة الأعشاب المتحللة من الخريف الماضي والتي تتحلل لتصبح سماءًا غنيًا.

عندما وصل إلى أعلى المنحدر، بلغ طريق ليكفيو. على الطرف الأبعد من الطريق الأسود ذي الاتجاهين، كانت تنتظره ثلاث مركبات، بما في ذلك سيارة والده الرنج روفر. تقدم نحوه خمسة رجال، شخصيات داكنة في الظلام الدامس، وجوه مظلمة لكنها باهتة أكثر من البقية، لا تعكس أعينهم ضوء القمر أو أي ضوء آخر، وتخلو من الانعكاسات، كثقوب عديمة الملامح في لوحات من قماش الخيش.

يتقاطع طريق المقاطعة مع هذا الطريق على بعد ثلاثة أميال إلى الغرب. ولكن هذا الرهط الذي يعترض طريقه، ما كان يتيح عبور مئة ياردة، فكيف سيكون الأمر مع ثلاثة أميال.

كان ليشعر بالاكئاب لو أنه لم يتوقع هذا اللقاء، بالرغم من أنه كان يأمل بالهروب، إلا أنه تعلم شيئاً قيماً من هذا التمرين، ففي المرة التالية التي يهرب فيها، سيتمكن من الإفلات منهم.

للحظة، وقف الرجال ساكنين وصامتين، يتموج الضباب الخفيف بينهم بتيارات بطيئة، كما لو أنهم ليسوا رجالاً على الإطلاق، بل أرواح غليظة شكّلتها الطبيعة الغاضبة من العفن والطين، وأرسلتها لمحاربة البشرية.

ثم عبر الدجال الذي أطلق على نفسه اسم بويد هيغينز الطريق ووضع يده على كتف هارلي. "تعال الآن يا بني. أنت بحاجة إلى راحة ليلة سعيدة".

سحب هارلي كتفه من تحت يده: "لا تدعوني بابني، فأنا لست ابنك".
"لا يزال هناك شيء من كعكة عيد الميلاد والآيس كريم، يمكنك أن تحصل على البعض منها قبل أن تخلد إلى النوم".

لم يتمكن من فعل أي شيء سوى عبور الطريق الأسود إلى سيارة الرنج روفر، والصعود إلى مقعد الراكب الأمامي، وربط حزام الأمان.

تقدمت سيارة الروفر سيارة تشيفي سيلفرادو، تلتها هوندا أكورد، كما لو أن هؤلاء الرجال الخمسة كانوا يرافقون قاتلاً جماعياً خطيراً بعد محاولة فاشلة لبلوغه الحرية.

قال الصبي: "أنا أكرهك".

أجابه بويد هيغينز المزيف: "أعلم أنك لا تقصد ذلك على الإطلاق".

"أعني كل كلمة لعينة".

"لا تشتم يا بني، فالشئمة تلوث روحك. أنا وأمك نحبك، نحن نتفهم حالتك، وسنحبك ونكون معك دائماً".

"ليس لديّ حالة".

"إنه ما يسمى اضطراب الشخصية يا هارلي".

"ها نحن مجددًا مع هذا الهراء".

"شكرًا للرب، على أنه اضطراب ستتغلب عليه. نحن نعلم أنك تكافح الآن، وتتمنى أن يكون هناك المزيد مما يمكننا فعله لتخفيف هذه المشكلة؟".

"لديّ نوع من اضطراب الشخصية الغبي أليس كذلك؟".

"أجل هذا صحيح".

"إدًا لم لا تأخذني إلى طبيب نفسي، هناك أطباء متخصصون في مكان ما؟".

"المدرسة هي أفضل مكان لعلاجك، هارلي. يجب أن تفهم الأمر جيدًا".

"إنها ليست مدرسة لعينة. فهي لا تضم معلمين. لا فصول، ولا دروس".

ابتسم الأب المزيف وأومأ. "إنها ليست من النوع المعتاد من المدارس، كما أخبرتك من قبل، إنها مدرسة انتظار".

"أين المنطق في ذلك؟".

لا يزال مبتسمًا، أزال الدجال يدًا عن مقود السيارة، وربّت على كتف هارلي كما لو أنه يسعى للتخفيف من استيائه. ولكن هارلي المستاء من هذا التصرف الذي يمثل التسامح قال: "أنت لا تخذعنا. لم تخذعنا ولا لدقيقة. كلنا نعرف أن ما من أحد منكم حقيقي".

"كما قلتَ مرارًا من قبل، هذا جزء من اضطراب الشخصية، هارلي، الفكرة المحزنة أننا نوع ما من الروبوتات أو الأشخاص المصطنعين أو شيء ما. أنتم الأولاد ستخلصون منها بسرعة مع العلاج. لا تقلق حيال ذلك".

"مع العلاج هاه؟".

"أجل".

"إننا لا نحصل على أي علاج لعين".

"لا تشتم يا بني. إنه غير لائق".

"ما العلاج الغبي الذي نحظى به؟".

"إنك تعالج، ولكنك لا تعلم، ستعلم مع الوقت".

انعطفوا حول الزاوية الشمالية الشرقية للبحيرة. تقع البلدة على بعد بضعة أميال.

قال هارلي: "أنت لا تخيفني".

"ذلك جيد يا بني. ما من سبب لتخاف. لم يمسك أحد، ولن يفعل أحد ذلك".
بدا هذا الدجال نسخة مزيفة طبق الأصل عن بويد هيغينز، حتى أن الصوت كان نفسه، لكن بويد هيغينز الحقيقي ما كان يكذب وما كان ليتعامل مع هارلي بمثل هذا التسامح أبدًا، فهذا الرجل ليس إلا خليطًا من الكذب والتسامح.
"إنك مليء بالهراء الكاذب".
ابتسم الدجال وهزّ رأسه: "تظن ذلك بسبب حالتك، لكن هذا سيتغير عندما تشفى".

"لو كنت والدي حقًا كنت لتعاقبني إن قلت شيئًا مثل هذا".
"حسنًا، إن فقدت ساقيك يا بني، لن أعاقبك ببساطة لأنك لن تتمكن من المشي.
والآن بالتأكيد لن أعاقبك بسبب حالتك".

مرت الشيفي سيلفردو، والرنج روفر، والهوندا أكورد عبر البلدة في موكب مهيب.
بالنسبة إلى بلدة صغيرة، كان لدى أيرون فرنس أعداد كبيرة من محلات الهدايا، والمعارض، والمطاعم، كلها جذابة، مصطفة على طول شارع عريض ذي أرصفة من الطوب وأعمدة إنارة من طراز عتيق. لم تكن مزدهرة بسبب الضيوف الأغنياء الذين يبلغ عددهم مئتين أو أكثر والذين يقعون في منتجع الخمس نجوم الذي يبقى مليئًا فحسب، لكن لأنها كانت مقصدًا شعبيًا للرحلات اليومية للناس البعيدين من ناشفيل ولويسفيل وليكسينغتون.

صنوبريات كبيرة مع بعض الأغصان ذات اللون المخضر تمتد على جانبي الطريق. طوال السنة تبقى مزينة بأضواء صغيرة، وهذا ما جعل غرفة التجارة تسميها بلدة الميلاذ الدائم.

كان هذا مكانًا رائعًا لكي يكبر المرء فيه، خصوصًا عندما يكون والداك يمتلكان هيغينز هيفين، متجر شطائر وآيس كريم في الوقت نفسه. لكنها لم تكن بلدة هارلي، ولم يكن مخولًا له المشي في شوارعها، ولم تكن الأبنية القديمة والمتاجر والأشجار منارة في هذه الساعة، بدت كما لم تبدُ من قبل، لكن ما كان مرحبًا وساحرًا له في السابق بدا الآن مشؤومًا.

خارج البلدة، على طريق ليكفيو إلى الغرب. وعلى بعد ميلين يقع المنتجع البهي.

قال هارلي: "إذا أخبرني مجددًا لماذا تسمي المكان مدرسة انتظار".
"حسنًا، بالرغم من أنني أخبرتك مئة مرة، ولكن لا مانع من إخبارك مرّة أخرى،
إن كان الأمر يساعدك ويهدئ من أعصابك. إننا ندعوها مدرسة انتظار لأن هذه الحالة
التي لديك، غالبًا تشفى بمرور الوقت، لا يمكننا القيام بشيء سوى الانتظار."
"حتى أبلغ السادسة عشرة".
"هذا صحيح".

"حتى ذلك الوقت، سابقى في السجن".

"يا هارلي، لا تعذب قلبي بمثل هذا الكلام، أنت تعلم أنه ليس سجنًا، إنك تحصل
على كل شيء تريده، بالإضافة إلى الطعام الجيد، والهواء المنعش، والعناية الممتازة".
أراد هارلي الصراخ. فقط الصراخ، الصراخ حتى يرهق نفسه، يعلم أنه ليس
مجنونًا، لكن الأشخاص المجانين يصرخون هكذا في المصححات، أليس كذلك؟
بدلًا من الصراخ، قال: "لقد كنت أقرأ كتابًا عن اضطرابات الشخصية".
"هذا جيد، كما يقولون، أعرف من أنت".
"ربما سأحتاج كتابًا آخر عنها".

"إذًا ستحصل عليه يا بني، سنجلب لك كل الكتب التي ستطلبها. أنت تعلم، نحن
نشجعك لتقرأ أي شيء تريده. أنا وأمك، لا نهتم بما تقرأه وإن كان جريئًا، المهم أن
تمضي الوقت، المهم أن تبقى في المدرسة وتمضي الوقت".
"ما نوع اضطراب الشخصية الذي يشفي نفسه عندما أبلغ السادسة عشرة؟".
"النوع الذي لديك يا بني".
"ما اسمه؟".

ضحك الدجال ضحكة بويد هيغينز. "فليباركني الرب يا صبي، قضيت حياتي
أصنع الشطائر والآيس كريم. لم يرمج عقلي ليحفظ مصطلحات طبية طويلة".
"لماذا السادسة عشرة تحديدًا؟".

"حسنًا، أنا أفهم هذا السؤال، بطريقة ما يكتمل نمو الدماغ بعد السادسة عشرة، لكن
عمر السادسة عشرة هو الوقت الذهبي لنضج الدماغ، فعندما ينضج الدماغ، تكون جاهزًا".
"جاهزًا".

أكد الدجال: "جاهزًا تمامًا".

"جاهزًا لم؟".

"جاهزًا للتخلص من الحالة التي تعاني منها".

"تعني أن ذلك يحدث خلال ليلة وضحاها؟".

"إن كان دماغِي المسكين يفهم الأمر فهذا صحيح".

بينما مروا عبر مدخل المنتجع واستمروا بالتقدم. قال هارلي: "باقٍ سنتان من اليوم".

"منذ أمس، ميلادك الحقيقي. سيكون الأمر مريحًا جدًا عندما تشفى يا بني، وتعود هارلي الذي نعرفه".

بعد تردد، سأل هارلي: "هل سأعود كما كنت؟".

"لِمَ لا تعود؟ إنها مرحلة عابرة".

قادوا بصمت، عبر الظلام خلف المنتجع من جهة الغرب نحو البحيرة.

ثم قال هارلي: "أبي، ألا يبدو الأمر غير منطقي - أو على الأقل غريبًا - كل ولد دون السادسة عشرة في هذه البلدة لديه الحالة نفسها، وسيشفون جميعًا عندما يبلغون السادسة عشرة، وحتى ذلك الوقت يجب أن يظلوا محبوسين وبعيدين عن الناس؟ وفي هذه الأثناء لا أحد يعلمهم أي شيء؟ هل يفترض أن يسألوا أنفسهم فقط؟ عندما تفكر في الأمر، يا أبي، ألا يبدو الأمر مجرد خداع بل خطأ واضحًا؟".

عبس بويد هيغينز - إن كان بويد هيغينز - وحدث إلى الطريق حيث تتساقط أشعة المصابيح الأمامية على بعد مسافة، وظل صامتًا حتى عبروا نصف ميل. ثم هز رأسه وابتسم. "لست بحاجة إلى أن تدرس، يا هارلي، لأنك ستعرف كل شيء عندما تبلغ السادسة عشرة".

"سأعلم كل شيء؟ كل ماذا؟".

"كل ما تحتاج إلى معرفته، وكل شيء تحتاجه. انتظر وسترى. ستكون جاهزًا تمامًا عندما تبلغ السادسة عشرة".

على بعد أربعة أميال بعد المنتجع، تباطأت سيارة التشيفي سيلفرا دو وانعظفت واتجهت نحو المدينة. تبعها الهوندا أكورد.

تباطأ الدجال، وحوّل طريقه إلى ممر كان يصل إلى بوابة شاهقة محاطة بجدران حجرية. أنزل زجاج نافذة السائق، وضغط على زر في صندوق المكالمات وحدد هويته، فانفتحت البوابة.

قال هارلي: "من فضلك لا تفعل ذلك".

"ستكون بخير يا بني. إنهم يهتمون بك هنا".

"يبدو أنني سأجن".

"لكنك لست كذلك يا عزيزي".

"ربما أنا كذلك".

"لست كذلك، ولن تصبح كذلك".

مروا عبر البوابة وعلى طول الممر نحو المكان الذي لم يكن ولن يكون مدرسة أبداً.

أخبر هارلي الرجل أنه لا يخاف منه، وهذا صحيح. ومع ذلك، كانت هناك أشياء يخشاها. كان يخشى قضاء عامين آخرين في هذا المكان. كان يخشى عيد ميلاده السادس عشر، وماذا سيحدث بعد ذلك. كان يخشى أيضاً ألا يكون بويد هيغينز هذا دجالاً، وأن يكون والده فعلاً، وقد تغير بشكل غريب، ولن يكون كما كان من قبل.

أدى الممر إلى قصر. تحت الرواق ذي الأعمدة، انتظر شخصان المرأة التي أطلقت على نفسها اسم نورين والرجل الذي أطلق على نفسه اسم هارفي، أسفل ضوء كهربائي أصفر ينبعث من السقف المغطى.

خرج الرجل والصبي من سيارة الرنج روفر في الوقت نفسه، تحرك الرجل نحو مقدمة السيارة واحتضن هارلي. لأنه لطالما كان بويد هيغينز محباً للعناق. قبل هارلي على جبهته، ثم على وجته، لأنه لطالما كان بويد هيغينز محباً للتقبل. قال: "أنا أحبك من كل قلبي، يا ولدي". لأنه لطالما عبّر بويد هيغينز عن حبه لزوجته وطفله.

نظر هارلي إلى الرجل، ورأى العينين الزرقاوين المخضرتين الدافئتين اللتين اعتز بهما طوال حياته. إن كان قد أدرك الصدق في تينك العينين، الصدق والمحبة، فقد أدرك شيئاً آخر أيضاً: ظللاً يحوم في أعماقه، كما كان يلوح أحياناً في يوم مشمس عندما كان يركب القوارب في البحيرة وينظر إلى الماء ويرى، عند أبعد مسافة يصل إليها الضوء،

شكل زعانف التوائي بدا غامضاً مثل أي شيء في عالم الغموض هذا، ولكن يمكن أن تعرف ماهيته. مع ذلك، لم يكن الظل في المياه العميقة لهاتين العينين نظيفاً وصافياً مثل سمكة في التيارات السفلية للبحيرة، بدلاً من ذلك كان دليلاً على العذاب، كما لو أن الرجل الذي أمامه، شعر بالعذاب وهو يقول وداعاً، وعرف ولو بشكل وجيز أن هناك خطباً ما. ولكن بعد ذلك، ابتعدت العينان عن تلك الأعماق، كما لو كانتا في قبضة بعض القوة الشيطانية غير المعروفة. أصبح الرجل عديم الإحساس مصدر بؤس الصبي، ابتسم وركب في الروفر وقاد بعيداً، تاركاً هارلي مع اليقين المدمر والمرعب الذي اقتيد بواسطته إلى هنا من قبل شخص ليس بروبوت ولا شخص مصطنع، ولكن من قبل ما تبقى من رجل جيد يدعى بويد هيغينز.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

القسم الرابع

أيرون فرنس

إنه يوم الاثنين، وعلى متن رحلة من مينابولس، شغل لوثر تيلمن نفسه بإحدى المفكرات السميكة التي تحتوي على قصص مكتوبة بخط يد كورا غندرسن.

أسره نثرها كما كان بأسره من قبل. ومع ذلك، في منتصف المفكرة، وجد صفحتين ذكّرتاه بمحتويات المفكرات التي وجدها هو وروب ستاسن على طاولة مطبخ المرأة؛ التكرار الموهوس للعبارات التي تراكت ببطء في جملة حول عنكبوت يضع بيوضه داخل جمجمتها.

كان هذا التكرار مختلف الطابع، فسّرت الخطوط المتشابهة التأويل. ولأن الطائفة كانت تقترب من لويسفيل، ترك تحليل الأمر إلى وقت لاحق.

بعد استئجار شيفروليه، قاد لوثر لمدة ساعتين إلى مورنينغ دوف، كنتاكي، على بعد تسعة أميال من أيرون فرنس. حجز غرفة في فندق مورنينغ دوف، والذي لم يكن فندقًا بقدر ما كان أفعوانية. فندق عادي صغير يديره زوجان بمفردهما.

في أيرون فرنس هناك فنادق أفضل. لكن اسم لوثر كان أكثر ترجيحًا للفت انتباه بوث هندركسون ووزارة العدل الأمريكية إن ظهر على سجل فندق في المدينة حيث حضرت كورا غندرسن مؤتمراً إذا هدف غامض.

في زيارته الأولى إلى أيرون فرنس، ارتدى لوثر بنطالاً رمادياً و قميصاً رمادياً ومعطفًا رياضياً أسود، والذي أمل أن يكون مقبولاً في وقت لاحق في مطعم المنتجع.

صهر الحديد الخام يتطلب كثيراً من المياه، وهذا ما جعل البلدة مزدهرة بحلول العام 1830. بعد مطلع القرن، تلاشت الصناعة هناك، لقد تلاشت فرنس العظيمة منذ فترة طويلة. بدلاً من ذلك، وجد لوثر قرية ساحرة تضم رواقاً من أربع كتل من

الصنوبريات الجميلة، وكانت تسمى بيمبوري بلوز، أغصانها خضراء جميلة، على عكس أي نبات دائم الخضرة في ولاية مينيسوتا.

طيلة ساعة ونصف، وقبل أن تبدأ المحلات والمعارض في الإغلاق، تجول في البلدة، وتحدث مع الكتّاب والمالكيين، الذين كانوا لطفاء جدًا. إن سأله أحد عن اسمه ومهنته، أجابه بأنه مارتن موسيز من أتلانتا، شريك في شركة لتنظيم الاحتفالات. عند الساعة 6:00، قاد سيارته بضعة أميال إلى المنتجع الشهير، حيث استقبله خادم يرتدي سترة سوداء بكتفين وكمين وأزرار بلون ذهبي، كما كانت قبعته مطرزة بخيوط ذهبية اللون. استلام السيارة المستأجرة باهتمام لم يكن يقل عن الاهتمام باستلام رولز رويس.

بدا بناء فرانك لويد رايت المكون من ثلاثة طوابق ضخماً: خطوط مستقيمة طويلة، وسقوف منحدرية بلطف تعلو الكورنيشات العميقة، أرضيات ذات دعامات، جدران حجرية من الجص ذي اللون القشدي، وكانت النوافذ ذات الزجاج المزخرف في الغالب مصنوعة من الزجاج الشفاف، مع ألوان بأشكال هندسية. في الظلام المبكر، كانت النوافذ متوهجة بضوء دافئ - غامض تقريباً - كما لو أنه يمكن أن يختلط الضيوف البشر هنا مع آلهة وأنصاف الآلهة من الحضارات القديمة، والذين ينحدرون من المعابد الإغريقية.

تجاوز التصميم الداخلي التوقعات، من التفاصيل الزخرفية البسيطة، ولكن المذهلة، في الأسقف الخشبية الذهبية، إلى أرضيات الكوارتز الفاتحة المضيئة ذات حدود من الغرانيت الأسود.

ارتدى موظفو المطعم البذلات الرسمية المعدلة. وضعت الشموع في أوانٍ كريستالية وألقت ظلالاً راقصة عبر المكان الفضي. وارتجفت زهور الأمارلس القرمزية، التي جمعت بإحكام في إناء زجاجي على شكل وعاء، بشكل حساس في توهج الشمع النابض. كان الطعام لذيذاً ومن دون أدنى خطأ، والخدمة لا تشوبها سائبة، والنادل ودياً. عندما أعرب لوثر عن رغبته بدفع النقود بدلاً من استخدام البطاقة الائتمانية، لم يُعط أي سبب ليظن أنهم يظنونهم أخرق في عصر البطاقات الذهبية والبلاتنومية.

لم يكن الخادم مشغولاً، فتحدث مع لوثر بضع دقائق قبل إحضار السيارة المستأجرة. كان يتحدث بشكل جيد وكان ضليعاً في تاريخ البلدة.

مرّة أخرى في فندق مورنينغ دوف غير الجذاب على الإطلاق، علّق لوثر معطفه الرياضي في الخزانة واستخدم الحمام. عندما كان يغسل يديه، نظر إلى نفسه في المرآة وقال: "ما كان هذا بحق الجحيم؟".

جلس على كرسي، محدقاً إلى التلفاز الذي لم يكلف نفسه عناء تشغيله، وأخذ يفكر بالبلدة والمنتجع اللذين اشتركا في الاسم، لم يختبرها كسائح بل كشرطي في مسرح جريمة.

لم يكن هناك خطوط كهرباء ولا أعمدة هاتف. كانت المرافق تحت الأرض، وهي حالة غير عادية لقرية في منطقة نائية. بالطبع، بسبب الرغبة في بيئة خلابة للسياح، وقد يكون السكان قبلوا بتكاليف تجميل المكان. وكانت الشوارع نظيفة؛ فإن أسقط أحد السائحين غلاف علكة، فلا بد أن يكون هناك شخص خلفه، يلتقط القمامة.

كانت الأرصفة نظيفة للغاية، ربما نُظفت بالمكنسة الكهربائية. واحتوت المزارب فقط على إبر من الصنوبر دائم الخضرة وليس الكثير منها. يبدو أن أصحاب المباني الجذابة تعاقدوا على صيانتها مع جن صناعية، وبدا الخشب كما لو أنه طُلي بالأمس.

في كل مكان، يجعل الوقت والطقس الطين يتسرب من بين الطوب والحجارة، ولكن ليس في أيرون فرنس. حتى أنه لم يجد جداراً عليه كتابة ولا نافذة متسخة أو زجاجاً مكسوراً. عرضت المحلات والمعارض بضائعها مع تقدير للانتظام كأن كل مالك أو موظف قد سُخّص باضطراب الوسواس القهري.

الأشخاص الذين قابلهم كانوا طبيعيين جداً، على طريقة تلفاز الخمسينيات، مثل فريق عمل أوزي وهاريت أو ليف إت تويفر⁽¹⁾، لدرجة أنهم بدوا شاذين في هذه الحقبة. كانوا متأنقين، يلبسون بشكل جميل، وكانوا مهذبين وخلوقين.

بغض النظر عن مدى فعالية تدريب صاحب العمل، لا بد أن تواجه أحياناً فتاة مبيعات تشتت انتباهها بسبب بعض الأعمال الشخصية أو نفذ صبرها لأي سبب كان،

(1) مسلسل تلفزيوني أمريكي أبيض وأسود تم بثه بين عامي 1957 و1963 حول صبي فضولي وساذج في كثير من الأحيان. (المترجم).

أو مدير معرض متكبراً قليلاً، أو نادلاً بسلوك غير مقبول، لكن ليس في أيرون فرنس. كان الجميع فعّالون ويقظون ويعلمون ما يبيعونه، ولا يبدو أن أيًا منهم غير راضٍ عن وظيفته.

وهذا ما بدا سخيًا ومقلقًا في الوقت نفسه. ستمئة نسمة، ستمئة شخص يكتبون سرًا؟ هذا مستحيل. على أي حال، ما هو هذا السرّ، هل هم مدمنون على أدوية تبعث على السعادة.

هناك شيء غريب آخر. بقدر ما كان الجميع لطفاء، لم يرَ شيئًا يبعث على البهجة، لا عيون فرحة ولا سعادة. بدلًا من السعادة، بدا له هؤلاء الأشخاص في حالة من الرضا. في هذه الأوقات العصيبة، ربما كان الرضا كافيًا، لكن شموليته كانت غريبة للغاية.

استكشف الشوارع الجانبية، حيث كانت المنازل منظمة مثل المحلات على طريق ليكفيو. المدينة بأكملها يمكن أن تكون موقع تصوير لفيلم. وظن أنه إذا فتح باب أحد المنازل، فسيجده فارغًا، لا غرف داخل جدرانها، ولا أثاث؟ حذر نفسه: "أنت ذاهب إلى النهاية العميقة".

ولكنه لاحظ أمرًا غريبًا آخر، لقد رأى السياح منكبين على هواتفهم الذكية، يرسلون الرسائل النصية ويلعبون الألعاب المختلفة. ولكن لم يفعل ذلك أي موظف أو صاحب متجر، سواء أكانوا في الخدمة أو خارجها، ولا أي شخص من المقيمين في أيرون فرنس. في مجتمع مهووس بالتكنولوجيا يريد اتصالًا مستمرًا بوسائل التواصل الاجتماعي، إذا كان أي شيء يؤكد وجود جانب غريب لدى هؤلاء الأشخاص، فهو ابتعادهم عن هواتفهم الذكية.

لم يتوقع لوثر أنه سيحتاج إلى مسدس، لا يزال واثقًا أن الأمر لن يتطلب ذلك. لكن وبالاعتماد على الامتياز الممنوح لكبار ضباط الشرطة والذي يتيح لهم حمل أسلحة مخفية في منطقة قضائية غير منطقتهم، جلب لوثر في حقيبته بعض الأسلحة: مسدس 0.45 وحزام كنف بالإضافة إلى مخزنين مليئين.

أخرج المسدس الذي لم يكن يتوقع أنه سيحتاج إليه، ووضع مخزنًا فيه. مجددًا جلس على الكرسي، هذه المرة مع مفكرة كورا الخيالية. التفت إلى صفحتي الجمل المتكررة والأجزاء التي اكتشفها قرب نهاية رحلته من مينابولس.

بينما كان يتمعن في كلماتها، كان ينظر من حين إلى آخر إلى المسدس على الطاولة بجانب الكرسي. كان سعيدًا لأنه أحضره.

2

عند الساعة 5:20 من صباح يوم الاثنين لم يكن هارلي هيغينز قد ذهب إلى الفراش، حتى في ذلك الوقت كان يرقد أسير الألم والرغبة، لم يستطع الإرهاق دفعه للنوم. بالرغم من أن والديه لم يموتا، إلا أنهما كانا في وضع مجهول جعلهما يعيشان وفق توجيهات شخص أو شيء آخر. إذا لم تكن هناك طريقة للتراجع عما حصل لهما، فقد فقدتهما إلى الأبد، وربما يصبح يتيمًا أيضًا.

في غضون عامين، عندما يصبح مثلهما، ربما سيعود ليعيش في منزلهما، لكنه لن يكون حقًا هارلي، سيعيش ظلًا للحياة التي عاشها. لن يكون مثل الموتى الذين يمشون، لأنهم لن يكونوا متعفين وأجسامهم تتداعى وغير ذلك، لكنه لن يكون حيًا أيضًا. وإذا حكمنا من خلال الأدلة المتوفرة، فلن يعرف أنه تم تغييره، وهو الشيء الذي يحمله على الشعور بالرعب أكثر من أي شيء آخر.

لا بد أن أسريه أدركوا أنه غير قادر على النوم، لأن نورين جاءت عند الساعة 6:30 مع "وجبة فطور خاصة صغيرة" تتكون من حلوى مخلب الدب، ولفة قرفة البقان، وكوب من الحليب. أصرت على أن الحليب سيساعده على النوم. ربما كان هناك مسكن فيه. لم يهتم هارلي. لم يكن لديه رغبة في المعجنات، لكنه شرب الحليب.

كان يحلم بمدينة لا أناس يعيشون فيها: أبراج المكاتب المهجورة والمباني السكنية بدون مستأجرين، وطرق واسعة مهجورة، لا سيارات فيها، وصمت الموت يغطي كل شيء. لكن الأشخاص الذين لا يبدو أنهم هناك بعد الآن يمكن مشاهدة انعكاس صورهم في نوافذ المتاجر أثناء مرورهم، في واجهة من الفولاذ المصقول لمتجر عصري، على سطح مسبح في الحديقة. ثبت وجودهم بالمرآيا، ولكن لا يمكن رؤية الأشخاص الذين يظهرون في هذه المرآيا.

حدق هارلي إلى امرأة بهو الفندق، لكنه لم ير انعكاس نفسه عندما نظر إلى جسده وهو يقف أمام ذلك الانعكاس. عندها فهم أنه يعيش داخل المرأة، وأنه لم يعد بإمكانه

لمس العالم أو أن يُلمس، صرخ في يأس، ولكن صراخه كان مكتومًا، لا معنى له مثل آمال الموتى ورغبات غير المولودين.

بعد عشر ساعات من شرب الحليب، عند الساعة 4:30 بعد ظهر الاثنين، استيقظ هارلي واعتدل في جلسته. ألقى الأغذية جانبًا، وخرج من السرير، وعلم أن عليه أن يحاول الهرب مرة أخرى، استمر في المحاولة بغض النظر عن عدد المرات التي فشل فيها، وسيظل يحاول الهرب حتى يحصل أحد أمرين إما أن يموت وإما أن يُحبس بعيدًا.

3

وصلت جين هوك إلى بولينغ غرين بولاية كنتاكي، عند الساعة 4:54 بعد ظهر يوم الإثنين، وكانت متعبة جدًا. عثرت على متجر للمأكولات الخفيفة، واشترت شطيرتين من شطائر روبن والمخللات وعلبة من سلطة البطاطس.

كان الفندق باهظ الثمن، أربع نجوم ويستحق كل نجمة منها، ويقدم مجموعة كاملة من قنوات الكابل، عالمًا من الإحساس والهراء. أثناء جلوسها أمام التلفاز لتناول الطعام، أرادت مشاهدة شبكة ذا غيم شو فقط: نزاعات عائلية مع ستيف هارفي، ثلاث مرات متتالية. طالما أن المضيف يسرق ويلقي الدعابات، زادت نزاعات العائلات. بدا كشيء متبقٍ من الجانب الأميركي غير السياسي الساخر، الذي يتحدث جيدًا عن قلب الأمة، كما كان في يوم من الأيام ممتلئًا، حتى إذا كان يذبل بسرعة الآن.

بعد الاستحمام، غسلت الشعر المستعار بالشامبو في الحوض. وضعت على رأسها وثبتته وجففته بمجفف شعر وفرشاة. ثم خلعت ووضعت جانبًا، وأنهت تجفيف شعرها القصير الذي قصته بنفسها.

أزالت العدسات اللاصقة الخضراء وغسلتها بالمحلول ووضعتها في علبة. تمددت على السرير مع المسدس عيار 0.45 تحت الوسادة حيث كان نك ليريح رأسه لو كان هذا العالم أفضل، وأتاح له فرصة العيش فيه.

استلقت وهي تشاهد سقفاً لا تستطيع رؤيته، وتدفق الظلام من خلال عينيها الزرقاوين اللتين كانتا تحدقان. فكرت إن كان الظلام سيغمرها في الليل، فهل يمكن أن يقلل ذلك من دراما أحلامها.

تلقى هارلي العشاء في مهجعه عند الساعة السادسة. هذه النسخة من سان كويتين قدّمت خدمة الغرف. كان لكل طفل غرفة نوم مع سرير بحجم كبير ومنطقة جلوس وحمام كامل. لكن أي مكان يمكن أن يكون سجنًا إن لم يكن من يعيش فيه حرًا. إنه عالق في هذا المكان الذي يحمل على الجنون منذ عشرة أشهر، مع هؤلاء السجّانين الذين أطلقوا على أنفسهم لقب معالجين. الغرابة، والوحدة، والخوف في بعض الأحيان جعلته يعيش على أعصابه. إن كان قد حوَصر في كابوس بدلًا من ذلك، كان ليستيقظ منه على الأقل.

لم يكن يعرف كم من الوقت يمكنه أن يتماسك. شيء ما كان يتفكك في داخله، ينحلّ، وينفصل، لطالما كان عقله دائمًا مكانًا مشرقًا ومزدحمًا. ولكن في الآونة الأخيرة، بدت بعض الأضواء في المركز وكأنها تنطفئ، فهو لم يستطع التفكير بوضوح في بعض الأحيان، لم يستطع الرؤية حول هذا السواد الأساسي. عندما حدث ذلك، كانت أصوات هذا العالم تصبح ضحيجًا لا معنى له - أصوات الناس، والموسيقى، وأصوات الطيور - مثل صوت عجلات أفغانية ترتفع بحدّة على مسارٍ ملتوٍ. احتاج إلى أن يستلقي، وأن يغمض عينيه، ويهدئ نفسه وينتظر الذعر حتى ينتهي. كان الذعر ينتهي، ولكن هذا لم يعنِ أنه سينتهي دائمًا.

كان بعض الأولاد في وضع أسوأ. الاثنان الأصغر عمرًا - سالي إنغرام ذات السبع سنوات، ونورا راينهارت ذات الثماني سنوات - تشاركتا الغرفة لأنهما كانتا تخشيان الوحدة في الليل وغالبًا في النهار. أما جيمي كول، البالغ من العمر عشر سنوات، فكان طفلًا هُشًا عندما بدأ هذا، وفي عيد الميلاد الماضي بدأ ينعزل، والآن تمضي أيام من دون أن يتحدث.

تناول هارلي العشاء بجانب نافذة تطل على البحيرة المضاءة بضوء القمر وأراضي المنتجع، والتي أضافت إليها أضواء الحديقة سحرًا شريًا. لا نوافذ مغلقة، ولا أبواب مغلقة. سُمح للنزلاء بالتجول في العقار الذي تبلغ مساحته خمسة فدادين، وحاصر الجدار الحجري الذي يبلغ ارتفاعه تسع أقدام المكان، ولكن يمكن تسلقه من جهة كروم العنب التي تبلغ من العمر عقودًا. وقفت بعض الأشجار بالقرب من

الجدار، فروع متينة تعلو السور، موفرة طرقًا للهرب. في الطرف الشمالي من العقار، كانت بوابة الحديد تخدم رصيفًا خاصًا، وكان الحديد أسهل في التسلق من الجدار. أعطى هذا الشيء الأمل لهارلي بالخلاص من السجن، لكن الوعد أثبت عدم صحته. لم يكن الوحيد الذي هرب ولم يتمكن من البقاء خارجًا. يبدو أن لدى سجانينهم بعض الأغراض النفسية في إغرائهم.

أراد أن يؤمن أن كل فرد في الطاقم كان ثعبانًا فاسدًا شريرًا. لكنهم لم يكونوا كذلك. يبدو أنهم، مثل والده ووالدته، أناس عاديون تغيروا بطريقة أو بأخرى، لذلك لم يكونوا مثلما كانوا من قبل. استمروا في حياتهم كما كانت، إلا عندما طلب منهم القيام بشيء - حتى لو كان شيئًا غريبًا مثل التخلي عن أولادهم - كانوا يطيعون دون اعتراض. والأسوأ من ذلك اعتقدوا أنهم يفعلون الشيء الصحيح. لم يسئ أي من الموظفين جسديًا أو لفظيًا إلى المحتجزين، وبطريقة غريبة، كانوا دائمًا لطفاء. تمنى لو كانوا زومبي بالكامل ليقتلهم. في بعض الأحيان أراد قتلهم على أي حال، لكنه كان يعلم أنه عندما يتعلق الأمر بغرز السكين داخل أجسادهم، فإنه لا يستطيع فعل ذلك.

لم يكن السجانون هم الأفاعي المتعفنة السامة، بل الأفاعي هم الأشخاص الذي غيروا هؤلاء الناس. كان لدى هارلي نظرية، لكنها بدت غبية. لقد شاهد عددًا لا يحصى من الأفلام والبرامج التلفزيونية حول الكائنات الفضائية التي تأخذ أشكال الأشخاص، والكائنات التي تسيطر على العقل، والذكاء الاصطناعي الشرير، والروبوتات القاتلة من المستقبل، والاستحواذ الشيطاني. يمكن أن يكونوا أيًا من هذه الأشياء. ولكن إذا كان المستقبل الحقيقي مثل فيلم خيال علمي، فسيكون ذلك غيبًا بشكل لا يمكن تحمله. كانت الحياة أكثر تعقيدًا من الأفلام، ويجب أن تكون أكثر تعقيدًا لتصبح ممتعة.

إلى جانب ذلك، إذا اتخذ المستقبل شكل حبكة فيلم خيال علمي، فسيكون هناك اختلاف واحد مخيف بين الفيلم والحياة الحقيقية. في الحياة الواقعية، لا يمكن لأي بطل خارق أن ينقذ العالم من الكائنات الفضائية الشريرة، ولن تستطيع الجيوش هزيمة هؤلاء الأعداء. إن لم تكن الأفاعي الشريرة هي أناس طبيعيون، فستنتهي البشرية، وسيصبح هارلي واحدًا منهم في عيد ميلاده السادس عشر.

كان عليه أن يحاول الهرب مرة أخرى، وعمًا قريب.

اكتشف أنه لا بد من وجود كاميرات، وربما المئات، بعضها واضح، وبعضها الآخر مخفي، وافترض أن التدفقات المستمرة للصور من الكاميرات تحلل ثانية بثانية بواسطة برنامج يمكن أن يميز الفرق بين الحركة الهادفة وتأثيرات الرياح، والتي يمكن أن تحدد أيضًا الموجات الحرارية للبشر. عندما يصعد أحد إلى الجدار، ينبه النظام الطاقم.

لم يُعتبر الخروج من العقار هروبًا، لأن الموظفين سيكونون قريبين، ولأن جميع سكان أيرون فرنس، الذين يبلغون من العمر ستة عشر عامًا أو أكثر، استبدلوا بدجالين أو حوّلوا إلى عاملين مخدّري الأدمغة.

في أول هروبين لهارلي، اقترب من أشخاص يعرفهم، معتقدًا أنهم سيساعدونه، ولكنهم احتجزوه حتى تتمكن المدرسة المزعومة من إعادته إلى غرفته. في المرة الثالثة التي هرب فيها، اقترب من السياح للحصول على المساعدة، اعتقدوا أنه يخدعهم، ثم ظنوا أنه مريض عقلي، وهو ما أكده الموظفون من المدرسة المزعومة عندما حضروا لأخذ مريضهم الصغير المضطرب.

كان عليه أن يخرج من البلدة، وكان بحاجة لسرد قصته بطريقة أكثر إقناعًا من طريقته مع السياح.

استمر يحصد الفشل، ولكنه استمر في محاولة الهرب أيضًا. في الليلة السابقة، بعد عبور البحيرة، عندما وصل إلى طريق ليكفيو، ورأى مجموعة الرجال، تعلّم أهم شيء حتى الآن: قد يكون لديهم مئات الكاميرات وكاشفات الحركة. لكنهم بالتأكيد زرّعوا فيه جهاز تحديد المواقع ليتمكنوا من العثور عليه في أي مكان على وجه الأرض.

بعد أن أعاده الذي يقول إنه والده، اتجه هارلي إلى زاوية من ثلاث مرابا موجودة في خزانة ملابسه. تعرّى بشكل كامل، وبحث عن أي ندبة صغيرة من شأنها أن تشي بزرع جهاز تحديد مواقع داخل جسده. ربما كانت الكاميرات تراقبه من خلف المرابا. وربما كان الأفاعي الذين يتحكمون بالجميع منحرفين يستمتعون بمراقبته. لم يأبه لذلك. انصبَّ جل اهتمامه على التأكد هل أجريت له عملية جراحية لزّرع جهاز إرسال يحدد مكان تواجه. لكنه لم يجد أي ندبة.

في نهاية المطاف، استلقى على سريره بعد أن أعياه التعب. فكّر بحذائه بعد أن أنهى تناول وجبة العشاء. لاحظ أن هناك شيئًا مريبًا بشأن والده ووالدته، فقد تم نقله إلى هذا المكان وهو مخدّر بشكل كامل. وعند استيقاظه، وجد أنه جلب جميع ملابسه من المنزل باستثناء أحذيته. ولم يزود بأي أحذية باستثناء زوج من الأحذية الرياضية. لم يُصب حذاؤه الرياضي بالتلف في الليلة السابقة عندما أرسى قارب التجديف وخاض في المياه التي غمرته حتى كاحله وصولاً إلى الشاطئ، بعد أن صعد المرجح، وبالرغم من أن حذائه لم يحتاج إلا لبعض التنظيف إلا أنهم وضعوا زوجًا جديدًا في خزانته بدلًا منه. وضعوا حذاء جديدًا، ربما بسبب تضرر جهاز تحديد الموقع في حذائه القديم.

كان ينتعل حذائه الرياضي الجديد الآن.

تضمن حمامه ملحقات منفصلاً للمرحاض. والذي لم يشاهد له مثيلًا في أي مكان آخر. أطلقوا عليه اسم دورة المياه. ربما لم يضعوا كاميرا هناك فقد كانوا يعتقدون أن المرحاض شيء يجب إخفاؤه واعطاؤه اسمًا أجمل، على أقل تقدير فهو لم يجد واحدة في ذلك المكان الضيق.

دخل وأغلق الباب خلفه، أطبق غطاء المرحاض ليجلس عليه، خلع حذائه الرياضي. تفحص الفردة اليسرى منه بشكل كامل من دون أن يجد شيئًا.

لكنه اكتشف على الجهة الخلفية المستديرة من كعب الفردة اليمنى نتوءًا دائريًا بقطر نصف بوصة تقريبًا. بدا كما أن اللب المطاطي قد أزيل ليدخل شيء فيه، ثم ألصقت رقعة من المطاط فوقه.

أتى مع وجبة عشائه سكين لتقطيع اللحم، كانت مدببة بما فيه الكفاية لإزالة الرقعة، فتح الفجوة ليظهر جهاز تحديد الموقع. تجلت أمامه مشكلة وحيدة حيث من المرجح ألا يتمكن من إزالة هذا الشيء من دون أن يتلفه. وبالتالي سيكتشفون أنه علم بشأن الجهاز المزروع.

سيحظى بشيء من الأفضلية طالما لم يعرفوا أنه اكتشف الأمر، لم يشعر بالنعاس حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل، فقد بقي نائمًا طوال اليوم وهذا ما أعطاه متسعًا من الوقت ليفكر في خطة هروبه المزمع ليل الثلاثاء.

استمر الشتاء المتلاشي يرفض عقد هدنه مع الربيع المقبل على الأبواب، واستمر الطقس في التقلب من يوم إلى آخر. كان طقس يوم الثلاثاء أبرد من يوم الإثنين، فقد حجبت غيوم داكنة الشمس.

صباح يوم الثلاثاء وقرابة الساعة الحادية عشرة، قادت جين السيارة عبر أيرون فرنس، وقد وضعت شعرها المستعار الكستنائي الطويل، وعدستي عينيها الخضراوين، ونظارة ذات عدستين صافيتين وإطار عاجي، لم تضع في إصبعها الخاتم الذي نقشت عليه كلمات تخلد العهد الذي نذره نك لها. بدت البلدة ساحرة بأشجار باسقة دائمة الخضرة مرصوفة حول منازل تعتبر نموذجًا مثاليًا للعصر الفيكتوري في أميركا.

ما إن أوشكت على بلوغ نهاية البلدة حتى انعطفت نحو الغرب متجهةً نحو المنتجع. بدت البحيرة وكأنها بركة مصقولة من القصدير بفعل انعكاس اللون الرمادي للسماء المتجهمة، ولم يعكر صفو تلك المياه سوى زورقين أزرقين، أحدثا تموجات لا تفك تتلاشى تمامًا ما أن تتشكل، ثم تجاوزت جين المنتجع. المنشأة التي تمتلكها شركة أبيكولوس محدودة المسؤولية تقع على بعد ميلين، كانت بوابتها منيعة كباب القلعة الحديدي. مرت بالمنطقة من دون أن تخفف من سرعتها، وبعد ميل وصلت إلى مكان مهجور ذي إطلالة خلابة مع فسحة تتسع لركن بضع سيارات. أقفلت سيارتها من طراز فورد إسكيب والتي وضعت داخلها حقائبها.

عبرت الطريق، وهي تحمل منظارًا، ودخلت غابة صنوبر فتية توشحت بدايتها بالعشب وشجيرات شتوية لم تبرعم أزهارها بعد. ثم مرّت بسراخس ونباتات أخرى. بدأت الأرض بالارتفاع وصولاً إلى هضبة تمتد من الشرق إلى الغرب، فسلكت الطريق المؤدي إلى القمة الشرقية حتى وصلت إلى المكان الذي أفسح فيه الصنوبر المجال لظهور نبات الثمام، عندها مشت بمحاذاة السفح الجنوبي، وبقيت بعيدة عن القمة كي لا تُرى من الطريق المطل على البحيرة.

عادت إلى الهضبة عند الجهة المقابلة للمنزل الكبير، وانبطحت على العشب، ليطير الذباب الأبيض وينتقل إلى نباتات لا يناعه عليها أحد، ضبطت عدسة المنظار، ونظرت إلى الملكية الواقعة في الأسفل إلى شمال الطريق.

توقعت جين، عندما يتعلق الأمر بمنتجع سري تعود ملكيته لرجل تفوق ثروته عشرات المليارات، أن تجد ما يفوق مجرد جدران تحيط بالأراضي وبوابة أمامية هائلة - كما هو موجود هنا - توقعت أن تجد أيضًا نقاط حراسة مأهولة على مدار الساعة بحارس مسلح واحد على أقل تقدير. لكنها لم ترَ نقاط حراسة. وافتقرت حافة الجدران المحيطة بالمنشأة إلى عوارض مدببة من شأنها أن تستخدم سواء للزينة أو كعائق إضافي يمنع الدخول إن كانت حادة بما فيه الكفاية.

يجب أن يكون الممر الخاص بالسيارات أطول من ذلك، إذا أخذنا بعين الاعتبار مساحة الملكية التي تبلغ خمسة فدادين. بالطبع هذا الأمر ليس بغية إضفاء قيمة جمالية. ولكن من شأن ممر طويل للسيارات أن يمنح الحراس فرصًا أفضل لصد هجوم عنيف سواء من خلال تفجير البوابة باستخدام شحنة متفجرات أو الإطاحة بها بشاحنة مصفحة. ربما أحجم ديفيد جيمس مايكل عن وضع نقاط للحراسة، أو استخدام عوارض مدببة فوق الجدار، أو أي وسائل حماية ظاهرة كي لا يجذب انتباهًا غير ضروري إلى ملكيته. ربما استعاض عن هذه الثغرات بأجهزة مراقبة إلكترونية أكثر أهمية، وأبواب مصفحة، وزجاج مضاد للرصاص، والعديد من الملاجئ المحصنة، إضافة إلى إجراءات أمنية أخرى.

في تلك اللحظة، كان هناك شخص يكنس الأوراق الذابلة من ممر السيارات في الموقع الذي ينعطف به إلى رواق الاستقبال. لم يرتد لباس البستاني ولا لباس سائس الإسطبل ذا اللونين الأسود والأبيض الذي يشيع استخدامه من قبل طاقم البيوت الراقية. ارتدى اللون الأبيض من رأسه حتى أخمص قدميه، كما لو أنه مساعد طبيب أسنان أو حاجب في مستشفى.

زادت جين من درجة تقريب المنظار، لتركز على النوافذ وتفحصتها واحدة تلو الأخرى، لتجد آخر شيء كانت تتوقع أن تراه. في الطابق الثاني، وقف طفل عند النوافذ الطويلة الموجودة بالقرب من الزاوية الجنوبية للمنزل؛ صبي لا يتجاوز التاسعة أو العاشرة من عمره.

لم يسبق لديفيد جيمس مايكل أن تزوج ولم يُرزق بأولاد، كما أنه وحيد والديه، لا إخوة لديه ولا أخوات.

وبالرغم من كل هذا، ها هو ذا صبي أبيض البشرة يقف بشعر أشعث، يحدق إلى الخارج عبر زجاج النافذة المصقول. لم تتمكن من تمييز قسماط وجهه من هذه المسافة البعيدة. لكنه بدا جديًا. مع أن جين افترضت الجدية فيه بما يطابق مزاجها. أيا كانت المشاعر التي تراوده، إلا أنه بدا ساكنًا بما ينافي طبيعة من هم في عمره.

راقبته لثلاث أو أربع دقائق، لم يتحرك خلال هذا الوقت سوى مرتين: كانت الأولى عندما وضع راحة إحدى يديه على لوح النافذة. كما لو أن طائرًا طنانًا، أو فراشة، قد اقترب وأيقظه من ذهوله، وفي المرة الثانية عاد إلى وقفته السابقة مسدلاً ذراعيه إلى جانبيه. بدا لها وهي تراقبه كما لو أنه شبح أكثر من كونه ولدًا؛ شبح فتى يسكن الغرفة التي توفي فيها. فكّرت في مايلز؛ ذلك الفتى من رواية دورة البرغي⁽¹⁾. سرت في أوصالها برودة وهي مستلقية على العشب لم يكن مصدرها الطقس، فقد ذكّرها هذا الفتى أيضًا بترافيس الذي كان أصغر في العمر، لكنه وحيد على غراره وبعيد عن تناول يدها.

لم تستطع، بالرغم من أفضلية موقعها المرتفع، رؤية أول أربعين أو ستين مترًا خلف المنزل، لكن أبعد من ذلك أطلت على المدرجات العشبية وهي تنحدر نحو الجدار الشمالي والبوابة وصولًا إلى البحيرة. امتد الدرب المرصوف بالحصى تحت فواصل متنوعة من الأشجار المنتصبة بلا ظلال تحت السماء الرمادية. تدلت بعض الأشجار على الجدران، وهذا أمر لن يسمح به أي مستشار أمني.

تدفقت المياه من نوافير على شكل أصداف، وبدت مقصورة الحديدية بلونها الأبيض كالثلج مغطاة بالزخارف كما لو أنها أحد أكثر قوالب حلوى الزفاف بهرجةً.

خرجت فتاتان من خلف أغصان الصفصاف الوارفة إلى الدرب المتعرج، ركزت جين عليهما بأقصى درجة تقريب يسمح بها المنظر، لم تستطع رؤية الفتاتين بوضوح كافٍ لتقدر عمريهما، إلا أنها كانت متأكدة أنهما أصغر سنًا من الفتى، وإحدهما أصغر حجمًا من الأخرى. أمسكت إحدهما بيد الأخرى وهما تسيران، وأشارت الصفات غير المحددة لوقفتهما وسيرهما بأنهما تعانيان من الاكتئاب أو معرضتان للخطر بطريقة ما. لكن من المحتمل أنها تتخيل حالتها النفسية، مسقطه عليهما الخطر ذاته الذي يحيق بترافيس.

(1) The Turn of the Screw رواية رعب صدرت عام 1898 كتبها هنري جيمس. (المترجم).

رَكَّزَت المنظار مجددًا على النافذة في واجهة المنزل، وشاهدت الفتى وهو يحدق إلى الخارج بلا حركة، كما لو أنه لم يرفع يده أبدًا ليلمس الزجاج. اختفى الرجل الذي يكنس أوراق الأشجار من الممر. استقر المطاف بالفتاتين خلف المنزل جالستين على مقعد معدني صلب كثير الزخارف مطلي باللون الأبيض، استندت إحدهما إلى الأخرى. كما لو أنهما أختان مكلومتان تحتاج كل منهما لمواساة الأخرى. ظهرت خلفهما امرأة تسير على ذات الدرب الذي عبرته الفتاتان منذ برهة. بدت بلباسها كالرجل الذي كان يكنس أوراق الأشجار من الرواق. اكتست باللون الأبيض من رأسها حتى أخمص قدميها. وقفت بالقرب من الفتاتين، وأخذت تراقبهما. ظهر سرب من الغربان من الشرق، وأثار نعيبًا وقعقة جوفاء مبحوحة. بعدها انعطفت الغربان نحو سطح المنزل، لتصطف على امتداد قمته.

عندما تفحصت النوافذ مجددًا، لم تشاهد سوى ذلك الفتى الشاحب المنتصب قرب إحدى النوافذ كما لو أنه في نوبة حراسة. فجأة ظهر إلى جوار الفتى الصغير فتى آخر ربما كان في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمره، وألقى بذراعه على كتف الآخر. بقي الفتى الصغير جامدًا بلا حراك لدقيقة أو دقيقتين ليقوده ذاك القادم بعيدًا عن النافذة نحو الظلمة وعندها اختفيا عن الأنظار.

أنزلت جين المنظار، وابتعدت عن الحافة، لتجلس وسط نبات الثمام، عندها طار مزيد من الذباب الأبيض المغطى بمسحوق شمعي، لم يحلّ موسم خروج النحل بعد ولا حتى موسم صراصير الليل التي تغني أغاني الربيع. في السابق، كانت المنشأة الواقعة بالقرب من طريق ليكفيو بمثابة ملاذ سري لديفيد جيمس مايكل. لكنها لم تعد كذلك الآن.

فكرت أن راندال لاركين الذي كبلته في المصنع المهجور، لم يخف شيئًا عنها لأنه كان يائسًا جدًّا. واعتقدت أن ديفيد جيمس مايكل امتلك هذه المنشأة عن طريق صندوق ائتماني أجنبي، لذا لم يضللها المحامي بشكل كامل، ولكن غياب الحراس المسلحين يدل أن الملياردير لا يقيم هنا، وأكد لها وجود الأولاد أن المنشأة تستخدم لأغراض أخرى.

كانت دوافعه خبيثة، إما بسبب توقعه أنها ستقدم على قتله، أو لغرته بسبب كذبة ضمن كل هذه الحقائق قبل أن يسافر جواً متجهًا لحياة جديدة في جزر الكاريبي. اعتقدت أنه لم يجعلها تسافر كل هذه المسافة ليضلها بل رجحت أنه سعى ليوقع بها في فخ ما، وظنت أن الابتعاد عن هذه المنشأة سيكون أكثر أمانًا لها. أرادت الإيقاع بديفيد جيمس مايكل، والانفراد به، فعندما تضغط عليه سيعترف، لكنه لم يكن موجودًا، وهذا لم يترك لها سببًا لتبقى في أيرون فرنس. لكن بريتولد شينيك هو الأب الروحي لتقنية النانو بالإضافة إلى ديفيد جيمس مايكل وهذا الأخير لديه ارتباطات بهذه المنشأة، لهذا اعتقدت أن معرفة الغرض من هذه المنشأة سيزودها بالمعلومات اللازمة التي من شأنها أن تساعد لإيصال هذا الملياردير إلى حبل المشنقة.

نهضت، ونفضت الغبار عن بنطال الجينز، ومشت على امتداد السطح الجنوبي وصولاً إلى غابة الصنوبر في طريق عودتها إلى سيارة الفورد. وهي تفكر بالطريقة التي يجب عليها أن تحل بها هذه المعضلة، أثار الغربان الضوضاء خلفها على سطح المنزل. لو علقت خردة على شجرة وحُركت ما كانت أكثر سوءاً من تلك الطيور وهي تصرخ أثناء تحليقها عبر القمة وتزق متجهة نحو الجنوب الغربي.

6

كانت عينا موظفة الاستقبال الودودة ومنظمة المناسبات في منتجع أيرون فرنس، ستيشا أوديل، خضراوين فاتحتين كلون شمام كوز العسل ذي اللون الأخضر الباهت. التقت بلوثر عند مكتب الاستقبال - ادعى أنه مارتن موسيز، منظم مناسبات من أتلانتا. عندما أشار إلى أنه قدم للاستفسار بالنيابة عن صندوق استثماري لا يستطيع البوح باسمه، سارعت ستيشا لعرض ما يمكن للمنتجع أن يقدمه. أعلمت أن التكلفة لن تسبب مشكلة، عندما يتعلق الأمر بطلب حجز قاعة لاستضافة عطلة لتوثيق الروابط بين أعلى خمسين مديراً تنفيذياً على امتداد خمسة أيام. وبالتالي لن يجد مدراء صندوق الاستثمار التكلفة باهظة مهما ارتفع ثمنها. لم تجد ستيشا من اللائق أن تطلب من مارتن موسيز أن يزودها ببطاقة عمله، عندما لم يبادر هو بتقديمها لها خشية، أن تقع في

خطيئة التشكيك في رجل أسود البشرة يبدو مثقفاً بشكل واضح، طليق اللسان، لديه قدره عالية على الإقناع.

قال لها: "أخبروني أنهم يرغبون أن يعيشوا تجربة كنتاكي -تينيسي، كما لو أن ناشفيل ولويسفيل من ذات الطينة. لكننا سنغفر لهم ضيق التفكير".

ابتسمت ستيشا لتجامل ابتسامته: "حسناً، هنالك شيء واحد مشترك بين كل من كنتاكي وتينيسي هو خيولهما الأسطورية. لدينا إسطبلات خيول هنا. حتى أنه بالإمكان تأمين مطية وديعة لأولئك الذين لم يسبق لهم أن امتطوا الخيل، سيستمع الجميع بامتطاء خيل آمن عبر أحد أجمل المناظر الطبيعية في الولاية".

"نعم، شاهدت هذا عبر موقعكم الإلكتروني، إنها ميزة فريدة. بالعادة يكون الطلب الأول هو ملعب غولف، وكان هذا هو الحال حتى الأمس، حين أخبرني زبائني أن لعب الغولف تراجع ليصبح طرازاً قديماً، إنهم مهتمون في حوض المغامرات، ولو أنني علمت بذلك مسبقاً لاتصلت بكم قبل أسبوعين وأنا أعد خطة سير الرحلة".

أجرت له ستيشا جولة في مرافق المنتجع: أجنحة متوسطة الحجم، مطعم ذي إطلالة خلابة على البحيرة، مقهى مزخرف بشكل لافت، نادٍ رياضي يوفر كل ما يمكن تخيله من آلات تدريب رياضي، غرف مؤتمرات وقاعة مناسبات، مسبح خارجي ضخم، والأروع من ذلك مسبح داخلي فخم، إسطبلات خيل راقية كما الفندق نفسه، الميناء وقواربه المتنوعة، ملاعب كرة المضرب، واستبعدت النوادي الصحية الخاصة بالرجال والنساء نظراً لكونها مشغولة من قبل زبائن في الوقت الراهن. لم تتمكن ستيشا من أن تربه إياها إلا من خلال ملف تعريفني أتيق كانت قد جهّزته مساعدتها ليأخذه معه في نهاية الجولة، وتضمن قرصاً مدمجاً يحتوي فيديو مسجل لكل أرجاء المنتجع.

سأل مارتن خلال الجولة عن قائمة بالمؤتمرات وندوات الأعمال التي أقيمت في المنتجع خلال الأعوام الثلاثة المنصرمة، إضافة إلى أي توصيات من القائمين على هذه المنظمات، تشير إلى رضاهم عن التجربة التي خاضوها، كل هذه الأمور كانت مُضمنةً أيضًا في الملف الذي زودته به.

قدّم لها بطاقة تعريفية ذات لون سكري بحواف منقوشة والتي حملت فقط عشرة أرقام تمثل رقم هاتف يحمل رمز أتلانتا كُتب بخط بديع، كما لو أن بطاقة العمل لا

تليق بمكانة مارتن موسيز من شركة تخطيط المناسبات الرائدة برايفت أفير. كان قد أجرى بحثًا مسبقًا حول شركة برايفت أفير قبل أن يغادر مينيسوتا، وعرف أن مارتن موسيز كان شريكًا فيها، وحظي بزوجة متعددة المواهب اسمها ريببكا. طبع بخط بديع رقم الهاتف على ست بطاقات فارغة.

قال لستيشا: "سأكون خارج المنزل حتى الاثنين القادم، بإمكانك أن تتخيلي كم هي متعبة رحلة البحث هذه لذلك أبقى هاتفي مقفلاً طوال الرحلة، كي لا أصاب بالجنون، أرفض ببساطة أن أعرض نفسي طوال الوقت لمضايقات الهاتف المحمول".

واففته ستيشا أوديل الرأي: "إنه اختراع شيطاني".

"لكن من المؤكد أنني سأتابع الموضوع معك في بداية الأسبوع المقبل آنسة أوديل. هذه البلدة كأنها بيضة فابرجي⁽¹⁾ فاتنة مرصعة بالجواهر، أليس كذلك؟ عبارة عن جنة مصغرة. أعتقد أننا نتطلع للاتفاق على موعد مناسب تكون فيه الخمسون غرفة جاهزة. إلا إن كان هناك فرع لشانغريلا⁽²⁾ لم أقم باكتشافه بعد".

7

قادت جين هوك القارب الكهربائي المسقوف، الذي كان صامتًا أثناء عبوره البحيرة الساكنة. شقت مقدمة الزورق بصوت خافت المياه الفضية التي عكست لون السماء الرمادية. في ذلك الوقت، لم يكن هناك شخص في الخارج في مثل ذلك النهار شديد البرودة الذي لا يشجع على ممارسة أي نشاط سواء أكان الصيد أو استكشاف المناظر الخلابة للشاطئ.

إضافة إلى مرسى القوارب الخاص بالمتجع، هناك مرسى آخر في البلدة، وهو المكان الذي استأجرت منه قاربًا من شخص علمها أساسيات التحكم بالقارب

(1) بيض فابرجي: هي مصنوعات صياغة ثمينة من صنع الصائغ الروسي بيتر كارل فابرجي. أهم البيضات التي صنعتها دار الصياغة فابرجي تلك التي صنعتها للقبصر الروسي نيقولا الثاني ونيقولا الثالث والتي كانت تهدي لزوجتيهما الكسندرا فيدوروفنا وماريا فيدوروفنا في عيد الفصح. (المترجم).

(2) مكان خيالي تم وصفه في رواية للمؤلف البريطاني جيمس هيلتون. يصف هيلتون شانغريلا بأنه وإد صوفي متناغم، موجه برفق من لاماسيري، محاط بالنهاية الغربية لجبل كونلون. (المترجم).

وزودها بحقائق مشوقة عن تاريخ البحيرة. منذ اللحظة الأولى التي صعدت فيها إلى القارب أزعجها شيء ما بخصوص هذا الرجل، بالرغم من أنه لطيف، ومرح ومتفهم، تساءلت إن تعرف عليها بالرغم من شعرها المستعار، والعدستين اللاصقتين، والنظارة. لكنه لم يخرج الهاتف أو يهرع لطلب المساعدة ما إن قادت القارب بعيداً، بل على العكس وقف هناك لبرهة وهو يلوّح لها، كما لو أنها كانت صديقة له وليس مجرد سائحة، وبدا أنه صادق في اهتمامه باستمتاعه بجولتها. أدركت وهي تقود القارب أن الشيء الغريب بخصوص هذا الرجل تعلق بحماسة تجاه عمل قد يجده الكثيرون مرهقاً، لاسيما في يوم ممل كهذا. ناهيك عن الكياسة البالغة والاحترام اللذين قلما شهدتهما في حضارة تزداد جلافة يوماً بعد آخر.

وصلت جين إلى منشأة مسورة بعد أن قطعت ثلثي المسافة بين الشاطئين الشرقي والغربي، حيث انبثق رصيف بحري من الشاطئ المحاذي للبوابة. لم تبطئ، بل على العكس من ذلك، زادت من سرعتها في حال كان أحد الحراس يراقبها، وتفحصت هذا الجانب من المنزل من دون استخدام المنظار.

بعد قرابة النصف ساعة، خففت من سرعتها في رحلة العودة، وتجرات على استخدام المنظار المقرب. وقف فتى يبلغ من العمر أربعة عشر أو خمسة عشر عاماً بالقرب من بوابة الرصيف البحري التي يبلغ ارتفاعها قرابة التسع أقدام تقريباً، محكماً قبضتيه على القضبان الحديدية، وكان يحدق إلى البحيرة. فكرت أن هذا الفتى هو ذاته الذي ظهر على النافذة بالقرب من الفتى الصغير ووضع ذراعيه على كتف الآخر واصطحبه إلى الداخل، وها هو الآن يقف كما لو أنه أصيب بذات الغيبوبة السوداوية للفتى الأصغر سنّاً. إنه يحدق إلى الماء كما حدق الفتى الآخر عبر النافذة.

رغبت جين في أن تدير دفة المركب نحو الرصيف البحري لترسي المركب هناك، وتتوجه نحو البوابة وتساءل الفتى عن المكان، وتساءله إن كان يشعر بسوء. لكنها بدلاً من ذلك توجهت بالقارب إلى المرسى الذي استأجرته منه، حيث كان الرجل سعيداً كما تركته، بعد ذلك توجهت إلى البلدة لتستكشف معالمها سيراً على الأقدام.

زرع بوث هندركسون المسؤول في وزارة العدل الأميركية، والصديق المقرب من ديفيد جيمس مايكل ثمانية عملاء سرين قبل قرابة أسبوع من الحدث المزمع إقامته في فندق فيلن في يوم الخميس، لمواكبة الموت المأساوي المرتقب للحاكم الرائع وعضو مجلس الشيوخ المحبوب ومؤيديه. اقتضت مهمتهم على التأكد من أن كورا غندرسن ستحصل على كل شيء تحتاج إليه، وستلتزم بالخطة المرسومة لتحظى بمكانتها في التاريخ، وليسيطروا بقوة على التحقيق في أعقاب الانفجار والنيان مباشرة.

بحلول يوم الأحد خُفِصَ عددهم من ثمانية إلى ثلاثة، كُلفوا بالانتباه إلى أي أمور أُغفلت ومن شأنها أن تكشف العملية وكانت لديهم صلاحيات التعامل معها مباشرة. كان هوي دارنيل العميل الأقدم بين العملاء والمسؤول عن هذه القوة المصغرة، والذي وصف كورا بحضورها، بالوضعية الغبية النحيلة. تزوج هوي ثلاث مرات بحلول عامه السادس والأربعين، بنساء سليات، وأقسم على ترك الحياة الزوجية. ومنذ العام الماضي لم يقترن إلا بالشراب، ومع ذلك أخفى ما يقوم به عن موظفيه.

يوم الثلاثاء، وصل وكان تحت تأثير نشوة بالبوربون معتقداً أنه يسيطر على الموقف - عندما عرف أن لوثر تيلمن قد أخذ إجازة لأسبوع كامل ابتداءً من يوم الإثنين، تاركاً المسؤولية بين يدي المساعد غونر تورفال. توجب عليه في الحال أن يبلغ بوث هندركسون بهذه التطورات، لكن إن كان هناك جائزة لأكبر الحمقى فسيحصل هندركسون المرتبة الأولى. فبالرغم من الانسجام بين هندركسون وهوي عندما يتعلق الأمر برؤيتهما لمستقبل أميركا، إلا أن هوي يفضل ألا يشارك مديره سوء إدارته للموقف.

عوضاً عن ذلك تناوب والرجلين الآخرين - حسان ذكاري وكيرنان بيدل - على مراقبة منزل تيلمن مستخدمين مجموعة من العربات المتنوعة التي ركنوها عبر الشارع وفي وسط الحي، ابتداءً من وقت متأخر من عصر يوم الثلاثاء. شاهدوا ابنته جولي وهي تصل إلى المنزل من المدرسة، ثم خرجت زوجته بعد ذلك بوقت قصير لتجلب البريد من صندوق البريد الموجود في الشارع. لم يلمحوا أثرًا لتيلمن في الساعات القليلة الأولى من مناوبتهم، لكنهم اعتقدوا أنه يشاهد الرياضة على التلفاز ويحتسي الجعة.

قضى هارلي هيغينز النهار بأكمله وهو يستعد لما سيقدم عليه في المساء، وطيلة الوقت لم يستبعد فكرة أن يكون مراقبًا، وتصرف وكأنه نمر محتجز يجول في أرجاء المنزل بحثًا عن مخرج، وفي أحيان أخرى بدا تصرفه عندما جلس على المقعد في المرح محني الرأس كما لو أنه مكتئب أو حيث حدق لفترات طويلة إلى البحيرة عبر بوابة الرصيف البحري الموصدة. لقد أراد من ذلك أن يضلّهم ويجعلهم يظنون أنه سيتجه نحو الحرية عبر هذا الطريق.

أمضى أيضًا وقتًا مع السجناء السبعة الآخرين، ودائمًا ما جعل من لقاءاته معهم تبدو عفوية وقصيرة. جلس على كرسي المرحاض في دورة المياه وكتب رسالتين على راحتى يديه بقلم لباد، حيث إن نظريته حول المراقبة أفادت أنه يمكن أن يكون السجنانون قادرين على سماع ما يقوله، كتب على يده اليسرى الرسالة التالية: الهروب في تمام الساعة الثامنة، التجمع في المكتبة، ولا تتعلوا أحدىكم. تابع كتابة الخطة على راحة يده اليمنى، إنهم يتتبعوننا عبر الأحذية. في حال الموافقة ارمشوا ثلاث مرات. ارمشوا جميعًا، شعر أن جيمي كول نفسه والذي كان أكثرهم هشاشة فهم فحوى الرسالة، وسيكون موجودًا عند الساعة الثامنة.

كانت خطط هارلي السابقة تقتضي بالهرب بعد منتصف الليل عندما يغط معظم أفراد الطاقم بالنوم، فإن صح توقعه أنهم يراقبونه، فسيقدرّون أنه سيهرب في هذا الوقت، بالاعتماد على نمطه، وسيظنون أنه سيستخدم بوابة الرصيف هذه المرة. لذلك، قرر أن يتلاعب بهم هذه المرة ويحاول الهرب عند الساعة الثامنة عندما يجتمع معظم أفراد الطاقم في غرفة الطعام لتناول وجبة العشاء، عندها ستكون فرص تحرك السجناء عبر المنزل، من دون أن يرصدوا، أكبر.

كان يعرض خطة الهروب للخطر من خلال اصطحابه السبعة الآخرين، فمن الأسهل له أن يهرب بمفرده لا سيما وأنه اكتشف أمر الأجهزة في الأحذية، في المرات السابقة كان يهرب سيرًا على القدمين، ولم يكن من العملي إبقاء الأولاد السبعة الآخرين برفقته على امتداد الخطر المقبل في طريقهم للهروب. وبما أنهم سيهربون حفاة، يجب أن يكون تحرك المجموعة أقل تحديدًا من السابق، فهو لا يستطيع أن يهرب

بمفرده، ويتركهم يدمرون نفسيًا بوتيرة أسرع مما كان يحصل معه.
فكّر هارلي أنه في حال نجاح مخطط الهرب وتمكنهم من الوصول إلى الشرطة،
سيكون من الصعب التغاضي عن ثماني إفادات، وسيكون لزامًا على الشرطة أن تستمع
إليهم وتصدقهم.

10

استكشفت جين الشوارع السكنية منتقلة من المعرض الفني إلى متجر الهدايا،
ومن متجر الألبسة إلى معرض الزجاجيات، فالمخبز، لتعود إلى الطريق الرئيسي.
جمعت ملاحظات من شأنها أن تساعد على فهم ماهية هذه البلدة وطبيعة العلاقة
التي تجمعها مع المنشأة المسوّرة القابعة على بعد أميال من هنا.
فتتها الهندسة المثالية للأبنية، وأذهلها كيف بدا كل شيء نظيفًا، وتعجبت من
صفوف الأشجار الأنيقة المنتظمة، وأثار فضولها ندرة الأولاد والغياب الواضح
للكلاب.

عملت حساسات الضوء اللولبية، عندما ازدادت برودة الجو أكثر مما هي عليه،
وتجهمت الغيوم أكثر، لتشعل آلاف المصابيح البيضاء الصغيرة قليلة الاستطاعة
المعلقة على الأشجار، وهذا ما أضفى على الشوارع قبل ساعتين من حلول الغسق
بهجة كتلك التي ترافق الأعياد، وهذا ما فسر السبب وراء إطلاق السكان المحليين اسم
بلدة عيد الميلاد الدائم على أيرون فرنس.

وقفت جين عند الرصيف، ونظرت إلى الشمال والجنوب. بالرغم من جمالية
المنظر إلا أنه لم يترك فيها انطباع عيد الميلاد، عوضًا عن ذلك، فكّرت في لاس فيغاس
وأضوائها، فكل هذه الأضواء الباهرة، وظّفت لتشكيل واجهة زائفة من البريق تخفي
الحقيقة الوضيعة لإدمان القمار والانحدار المالي للمقامرين. لذا فأضواء عيد الميلاد
هذه بمثابة إلهاء، فل هذه البلدة بالرغم من كل جوانبها المثالية، جانب قاتم، يمكن لجين
أن تحس به، ولكنها لا تستطيع أن تفسر سببه.

بحلول الساعة الرابعة والربع تمامًا، اتجهت إلى مطعم إيطالي بعد أن فوّتت
وجبة الغداء، حيث أرشدت إلى إحدى الموائد المتاحة المحجوبة عن الأنظار.

تدلّت مجموعة من الأعلام ذات الألوان البيضاء، والحمراء والخضراء من السقف المرتفع، وعُلّقت لوحات جدارية تصور روما القديمة على الجدار. غطيت الطاولات بأغطية نُقشت عليها مربعات حمراء وبيضاء، ووضعت على الطاولات شموع نذور بلون أحمر، لم يغفلوا أيًا من تفاصيل الزينة التقليدية. لكن بدا المكان نظيفًا، وعبقت في الأرجاء روائح يسيل لها اللعاب.

كان اسم النادلة فريا بالاستناد إلى الاسم المطرز على المنديل الظاهر من جيب سترة اللباس الموحد؛ فتاة جذابة في العشرينات من عمرها. بدت كمزيج القهوة والكريما المرقط بنمش بلون القرفة، لا بد أن جذورها أيرلندية وأفريقية، بدت بشوشة، وتشاركت مع أهل المدينة بالسلوك المريح والمرح.

طلبت جين كأسًا من نبيذ كيانتى بينما كانت تتفحص قائمة الطعام، عزمت أن تتحدث مع فريا بهدوء عند عودتها بكأس النبيذ قبل أن يبدأ ازدحام العشاء. قالت جين: "يا لها من بلدة".

"إنها تشبه لوحات البطاقات البريدية، أليس كذلك؟"

"أوافقك الرأي، هل تعيشين هنا منذ مدة طويلة؟"

"لم أبارح هذه البلدة منذ أن وُلدت، ولن يفعل ذلك أي شخص يعيش فيها".

"منذ أن وُلدت؟ يا للعجب، إنها فترة طويلة".

"ليس في أيرون فرنس. العيش هنا رائع طوال الوقت. تمر الأيام بلمح البصر".

"هل تنصحين الآخرين بالانتقال للعيش هنا؟"

"بالتأكيد، هل تفكرين بالانتقال للعيش هنا؟"

"إنه مديري في العمل، زار البلدة في العام الماضي، يفكر في الانتقال إلى هنا إن استطعت أن أعرّ له على مكان للإقامة، فهو يعمل من المنزل وبالتالي يستطيع العمل في أي مكان".

"أين يقطن الآن؟"

"في ميامي".

"لا بد أن الإقامة في ميامي رائعة جدًّا، فهي مليئة بأشجار النخيل والشواطئ، أليس

كذلك؟"

قالت جين: "بالإضافة إلى البعوض، والحرارة المرتفعة، والصراصير الطائرة".
"لابد أنك تمزحين".

"بعض الشيء. المشكلة أنني لا أرى أي عقار مناسب في الجوار. أعتقد أن الحل الوحيد لرجل بمثل توقعاته هو وجود أرض معدة للبناء معروضة للبيع ليبنى منزله عليها".

هزت فريا رأسها: "لست مطلعةً على أمور العقارات. نملك أنا وليونيل مكانًا ورثه عن والديه، لم يتوجب علينا البحث أبدًا".

"أنتما محظوظان، فالبحث ممل للغاية، على أي حال، هناك ملكية على طريق ليكفيو قد تناسب مديري".

"أي ملكية؟ هل تقصدين تلك المسورة بجدار من الحجارة القديمة المطلية مباشرة على البحيرة؟".

"صحيح، مررت بها وأنا أقود السيارة وأظنها قد تناسبه، هل تعرفين إن كانت معروضة للبيع؟".

قطبت فريا حاجبيها: "لا أعتقد أنها معروضة للبيع، فهي مدرسة".

"مدرسة؟ أخبرني أحدهم أنه يظن أنها ملك شخص يدعى ديفيد مايكل".

"لم أسمع به على الإطلاق، إنها مدرسة منذ وقت طويل".

"تقصدين أنها مدرسة خاصة؟".

"نعم، شيء من هذا القبيل، إنها مخصصة للأولاد الذي يعانون من اضطرابات شخصية ومشاكل عقلية، فهم يعالجونهم ويعلمونهم في الوقت نفسه".

"هذا محزن، أليس كذلك؟".

قالت فريا: "أعتقد أن المحزن ألا يتلقوا المساعدة اللازمة".

"هذا صحيح تمامًا، أولئك الأولاد المساكين، لا داعي للقلق من التوحد بعد الآن، لابد أن مدرسة بحجمها ستكون باهظة التكاليف".

"أعتقد أنها كذلك، هل قررت ماذا ترغيبين بتناوله على وجبه العشاء؟".

طلبت سلطة كابرزي، أتبعها بطلب مزدوج لدجاج مارسالا: "من فضلك

أضيفي مزيدًا من الخضار إلى المعكرونة".

حذرتها فريا: "نقوم بتقديم الطعام بحرص كبيرة".

"أجل، أستطيع الأكل عن اثنين".

"هل أنت حامل؟ أعتذر على تطفلي، هل لك أن تتناولي النبيذ إن كنتِ كذلك؟".

"لستُ حاملًا، لكنني دومًا أتناول طعامًا يكفي لشخصين. لطالما فعلت ذلك".

"يا إلهي، ومع ذلك تملكين قوامًا رائعًا وجذابًا".

"ذلك جنون الاستقلاب السريع، إنه أمر متوارث في العائلة. كما أنني أرثدي مشدًا

صناعيًا".

ضحكت فريا: "لا أظن أن للمشد أي دور، فأنت تبدين طبيعية بكل ما للكلمة من

معنى".

قالت جين بعد أن قدّمت لها فريا السلطة، وعادت لأخذ الأطباق الفارغة: "لديّ

ابن أخ يعاني من اضطراب شخصية، ربما قد تساعد هذه المدرسة، لكنني لم أجد أي

لافتة تعريفية عليها، هل تعرفين اسمها؟".

"في الحقيقة، لا أعرف، هذا مضحك، أليس كذلك؟ نحن ندعوها المدرسة

فحسب".

"لا تهتمي، أنا واثقة من أنني أستطيع إيجادها عبر الإنترنت".

قالت فريا عندما جلبت الطبق الرئيسي المزدوج: "حذرتك أننا نقدم حصصًا

كبيرة".

"بدت مذهولة، هل تشمين الرائحة، قد أضطر إلى طلب وجبة ثالثة".

"يا إلهي، لو كنت حاملًا أعتقد أنك ستأكلين عن ثلاثة أشخاص".

"أتمنى لو أنني كذلك، لن أمانع البتة بأن أحظى ببيت مزدحم. هل رزقت وليونيل

بالأولاد؟".

"كلا، ولا نخطط لهذا الأمر، في عالم مليء بالإرهاب المرعب. في كل الأحوال،

هناك كثير من الناس بالفعل، والمناخ يتغير".

هزّت جين كتفها: "صحيح أن المناخ يتغير بشكل مستمر، وهو لطالما فعل. أما

أنا فأخطط لإنجاب الأولاد. لم ألاحظ وجودهم في الجوار باستثناء أولئك الذين

يرافقون السياح".

"أغلب سكان البلدة كبار في السن، كبر العديد من أبنائهم وغادروا البلدة".
"لا يوجد كثير من الأولاد في الجوار، ربما لن يكون المكان مناسباً لأولادي
عندما أنجبهم".

"هل تفكرين بالانتقال للعيش هنا أيضًا؟".

ابتسمت جين: "نسيت أن أخبرك أن مديري يكون زوجي أيضًا".
"شككت أنك لست من النوع الذي يملك مديرًا. أيا يكن الأمر، أتمنى أن تجدي
مكانًا مناسبًا، سيكون من اللطيف وجودك في البلدة".

قالت جين لاحقًا، بعد أن نظّفت النادلة الطاولة وجاءت بالفاتورة: "أنا وبين -
زوجي بن - نحب تربية الكلاب. ما موقف الناس هنا من تربية الكلاب؟".
"الكلاب، من لا يحب الكلاب؟".

قالت جين فيما كانت تعدُّ النقود من محفظتها آخذةً بعين الاعتبار ترك إكرامية
معتبرة: "لم ألاحظ وجود أي كلاب هنا".

"اقتنيتُ وليونيل كلبًا لفترة من الزمن، من فصيلة لابرادور ريتريفر".
"أحب كلاب اللابرادور، إنها جميلة".

"كان اسمه جولز، لكنه مرض، انتشر في الأرجاء نوع من الحمى، كان الأمر
رهيبًا".

"لا يعجبني وقع هذا الكلام المتعلق بالحمى".

"خسر الناس كلاهم. لا أحبذ التحدث عن هذا الأمر. ولكن أيا يكن الأمر فقد
قضي وانتهى".

"هل أنت واثقة من ذلك؟".

"بوسعك استشارة الطبيب البيطري عند زيارة مورنينغ دوف إن كان يقلقك الأمر،
اسمه الدكتور وينرايت".

"شكرًا لك يا فريا، قد أفعل ذلك، لا أرغب في أن أعرض كلابنا للخطر، أعتبرها
من أفراد العائلة".

"في بعض الأحيان أشعر بالاشتياق لجولز".

"سررت بمعرفتك يا فريا، اعتني جيدًا بليونيل".

"سأفعل، أنا أفعل ذلك بالفعل. اعتني بالمدير".

نهض رجل عن المائدة التي تقع خلف جين في الوقت الذي كانت تعيد فيه محفظتها إلى حقيبة يدها، وتنقل منديل المائدة من حجرها إلى الطاولة، نظر إليها وتوجه إلى المخرج.

كان طويلًا، أسود البشرة، ارتدى ملابس تدل على أنه قليل الشأن، ربما كان أستاذًا جامعيًا. لكن لا يوجد أي شيء يدل على قلة شأنه. بدا ضخم الجثة، مشى بثقة رجل يقع في المآزق ويخرج منها كالشعرة من العجين. رغم أن نظرتة إليها بدت عادية، إلا أنها كانت مدروسة، التقطت عيناه التفاصيل كالمغناطيس، جمع منها في نظرة واحدة ما يعجز الكثيرون عن جمعه في دقيقة كاملة من الدراسة المحكمة. جهزت نفسها لمواجهة المشاكل.

11

عندما خرجت جين من المطعم، وجدت الرجل يقف منتظرًا إياها عند أقرب الأشجار دائمة الخضرة في ضوء البريق المنبعث منها، لم يكن هناك أي مشاة في المنطقة المجاورة.

قال لها: "اتبعت أسلوبًا رائعًا في الداخل".
"عفوا؟"

"لم تلاحظ النادلة أنك تستجوبينها، بدا الأمر مجرد حديث فتياتٍ ودي".
"لأنه كان كذلك بالفعل، إن وصلتك أي فكرة خاطئة سأكون سعيدة بتوضيحها لك".

قال لها: "إنها سترة رياضية جميلة، تفي بالغرض".

إن كان قد تعرف إليها على أنها شرطية، وبالتالي سيكون هو نفسه شرطياً. وإن كان قد تعرف إليها كهاربة من العدالة على رأس قائمة المطلوبين في أميركا، فلن يكون بهذا الهدوء. لم توضح طريقة مقاربتة لها حقيقة نواياه.

قال لها: "لمحتك في وقت باكر في معرض في الطرف المقابل من الشارع. سمعتك وأنت تتحدثين مع المديرية. كنت تقومين بسحب المعلومات منها، ولم تلاحظيني".

"اغفر لي ذلك فلم أنتبه لك".

"يجيدُ بعضنا نحنُ معشرَ مأموري الريف إجراء المراقبة".

لم يبدُ أنه من سكان كنتاكي. ولم يكن يرتدي الزي الرسمي. بدا معطفه مصممًا ليخفي السلاح تمامًا كسترتها.

سألته معتقدةً أنها اكتشفت الإجابة: "أنت مأمور البلدة".

"كلا بحق الجحيم، هذا المكان يصيني بالذعر".

انعطف زوجان يافعان من الزاوية يمسان كل بيد الآخر واتجها نحوهما".

رفع المأمور صوته وأسبغ عليه نغمة مرحة: "تبدين وكأنك لم تكبري يومًا واحدًا،

كم مضى منذ التقينا آخر مرة؟ هل مرت أربعة أعوام؟".

أجابته جين: "تجاوزت الثلاثة أعوام بقليل".

سألها: "كيف حال فيرنون والأولاد؟".

"أدخلنا جوي إلى مدرسة خاصة، والصغيرة سارة تتلقى دروسًا في رقص الباليه.

أما فيرنون... حسنًا، أنت تعرف كيف حال فيرن. كيف حال هور تينس؟".

"يصادف عيد زواجنا الخامس والعشرين في الشهر المقبل، تخطط لإقامة الكثير

من الأمور التي لا نستطيع تحمل كلفتها. لكنني أعتقد أننا سننجزها في عامنا السادس

والعشرين".

تجاوز الزوجان المدى الذي يُمكنهما من سماع الحديث.

أخفض المأمور صوته: "دخلت من الباب الخلفي بمجرد أن رأيتك تتوجهين إلى

المطعم".

"ما هي دوافعك؟".

"لم أكن واثقًا. ربما بدافع الفضول".

انتظرته حتى يبادر إلى الاستفسار عن اسمها، وعن الشارة التي تحملها، لكنه لم

يفعل.

قالت له: "في أي منطقة تعمل أيها المأمور؟"

"في مناطق مينيسوتا الريفية في أغلب الأحيان، لكن لا بد أنك سمعت بالمشاكل

التي واجهتنا هناك في الأسبوع الفائت. توفي ستة وأربعون شخصًا".

"قتلت المرأة التي اندفعت بسيارتها الحاكم".

"لم تقولي المرأة المجنونة".

"وما أدراني إن كانت مجنونة أم لا؟".

تأملها، لا بد وأن هناك انعكاسًا للأضواء المعلقة على الأشجار في عينيها. لم يكن هناك أي أضواء في عينيها.

"كانت كورا، المرأة التي اقتحمت بسيارتها الفندق، صديقة لي لمدة عشرين عامًا. قدمت إلى هنا في شهر آب الماضي لحضور مؤتمر في المنتجع".

"ما كان موضوع المؤتمر؟".

"تعليم الأولاد ذوي الاحتياجات الخاصة. حصل معها شيء ما هنا. لم تعد بعدها على سجيبتها أبدًا".

"شيء ما، ما هو هذا الشيء؟".

"الجو بارد هنا، إن كنت تستطيعين شرب كأس نبيذ أخرى دون أن تشملني، فهناك حانة في نهاية الحي".

أجابته: "أستطيع شرب قنينة كاملة في هذه القرية من دون أن تهتز لي شعرة واحدة".

كانت سيارته الشيفروليه المستأجرة مركونة إلى الرصيف المجاور. توقف عند السيارة في طريقهما إلى الحانة، فتح الصندوق الخلفي، أخرج مفكرة ذات نابض حلزوني. وقال لها: "هذه بعض قصص كورا".

"هل كانت كاتبة؟".

"كاتبة مبدعة للغاية".

"لم أسمع باسمها.. إلى أن".

قال وهما في طريقهما إلى الحانة: "كتبت إيميلي ديكينسون مئات القصائد. ولم تنشر أثناء حياتها سوى عشر فقط".

"أعتقد أنها نشرت ست قصائد فقط".

"كانت إيميلي حينها نجمة في الإعلام إذا ما قارناها بكورا".

"ما علاقة قصصها في كل هذا الأمر؟".

"لقد كتبت أيضًا بشأن أمر حصل معها. اعتقدت أن هناك عنكبوتًا في رأسها، يضع بيوضه داخل دماغها".

توقفت جين. كانت إحدى قضايا الانتحار التي أجرت بحثًا حولها، عندما بدأ كل هذا الأمر، تعود لامرأة موهوبة في العشرين من عمرها اسمها بورتيا، عملت مبرمجة في شركة ريادة أعمال مع شركة مايكروسوفت، امتلكت كل الدوافع للعيش. حُفرت رسالة الوداع التي تركتها بورتيا لوالديها في ذاكرة جين. هناك عنكبوت في دماغي، إنه يتحدث إلي. سألها المأمور: "ماذا هناك؟".

التفتت لتنظر إلى الخلف، شبه واثقة أن هناك من يتبعهما، لكن لم يكن هناك أحد يتبعهما.

استطلعت الشارع، والمحلات المغلقة على الجانب المقابل منه. تخطى الشعور الذي انتابها هامش التهديد الناجم عن مراقبة منفردة، إلى الروع الذي يكتنف المكان برمته، الروع ذاته الذي يمكن أن تشعر به في معسكري الاعتقال في داخو وأوشفيتز، ومعسكرات الاعتقال السوفيتية أو في ميادين القتال الكمبودية من قبل الخمير الحمر. سبق لهذا الإحساس أن راودها، عندما كانت في مزرعة اغتصب فيها اثنان من المضطربين النفسيين المتوحشين اثنتين وعشرين امرأة على مدار خمسة أعوام وقتلنهم ودفنهن. طاردت الرجلين وقتلتها بعد أن كانت برفقة عميل آخر مات ولم تكن تأمل بوصول أي دعم.

أوقعت بالرجل الثاني في حظيرة للخنازير استخدمت منذ عدة سنوات خلت كمدفن. تم دفن اثنتين وعشرين امرأة هناك من دون شواهد للقبور. دفن في تلك الأرض المترعة بالروث كإهانة أخيرة لجنسهن. شعرت في عقلها الباطن وهي تقف فوق جثة ذلك الرجل الذي عذبهن وقتلن كما لو أنها تسمع لمحات من صوت بكائهن وهن يستجدينه طلبًا للرحمة دون طائل، وخيل إليها أنها تشعر، بفعل حاسة سادسة أو شيء من هذا القبيل، بالهيئة المأساوية الروحانية التي آلت إليها عظام المعذبات، اللواتي يرقدن أسفل المكان الذي تقف فيه، حيث أمنت لهن عملية تحلل اللحم وانتقالها للتربة السكينة في نهاية المطاف. بدا الروع الذي يكتنف المكان بمثابة جوهر مظلم يختفي تحت ظاهر البلدة البرّاق، التي بدت كمجسمٍ لقربة مثالية أكثر من

كونها بلدة حقيقية، والتي من الممكن أن توضع في أي لحظة تحت الزجاج وتفرغ شوارعها من أي شكل من أشكال الحياة. قالت للمأمور: "أحتاج لكأس النبيذ هذه".

12

تشبه الحانة رحماً تكتنفه الظلال الرقيقة وأضواء المصابيح الأكثر رقة، عبق المكان برائحة نفاذة ناتجة عن آلة لسكب البيرة كانت تملأ الكؤوس أكثر من اللازم لتختفي الرغوة في المصفاة تحت الصنبور. اقتصرت قائمة الأغاني على الأغاني الريفية ذات الوقع اللطيف والتي تحتفي بإيجاد الحب وإضاعته، لتضفي لمسةً مريحة من السوداوية اللذيذة.

جلس كل من جين ولوثر على مائدة ذات مساند مرتفعة في آخر الغرفة في مكان قصي عن أي شخص آخر بوسعه سماع حديثهما. احتسبا شرابيهما بعناية فيما تحدث عن كورا غندرسن، واكتظاظ مفكرتها بالقصص، وكتاباتها المتكررة التي كشفت من خلالها في كل جملة مترعة بالعذاب، بأن هناك عنكبوتاً يعيش داخل جمجمتها. وتحدث عن التفتيش الوجيه لمكتب التحقيقات الفدرالي لمنزلها بشكل مريب، والحريق الهائل الذي التهم المكان، وزيارة بوث هندركسون من دائرة العدل الذي بدوره أقععه بشكل واضح أن هناك تستراً واضحاً على كل ما يجري.

انتظرت جين أن يسألها عن اسمها، وعن الوكالة التي تعمل لصالحها، لكنه لم يزعج نفسه بفعل ذلك، شعرت أنها اكتسبت ثقته.

في نهاية المطاف، وضع المفكرة ذات النابض التي أخذها من الصندوق الخلفي للسيارة على الطاولة، فتح على صفحتين مليئتين بنص مخطوط بإتقان. كتبت كورا: يقول الرجل الغريب الجالس إلى طاولة مطبخي، "نشغل المنشوري يا كورا"، أجبته، "حسناً لنفعل ذلك". ومن ثم حصل شيء ما. لكنني لا أتذكره. لا أتذكر. ثم قال لي، "إلى اللقاء أيتها الوضيعة الحمقاء النحيلة". وأجبته، "إلى اللقاء". كما لو أنه لم يشتمني على الإطلاق. ثم اختفى كما لو أنه لم يكن بالأصل هنا. لكن اللعنة، أنا متأكدة أنه كان هنا. كان هنا. كان هنا. كان هنا.

نسخت تلك المرأة النص ذاته بمشقة خمس عشرة أو عشرين مرة. تلى كل تكرار الآخر مباشرة.

قالت جين: "هل أشارت إلى نفسها في أي من القصص التي قرأتها لها، كإحدى الشخصيات؟".

"كلا، لم تشر إلى نفسها باسم كورا سميث أو كورا جونز."
"حسنًا، إنها تظن أن هذا شيء أصابها".

"أحد آخر الأشياء التي أصابتها، لأن هذا آخر ما كتبتة إذا كانت هذه آخر مفكرة اقتنتها"، تصفح باقي الصفحات الموجودة ليرى أنها خاوية وسألها: "ما الذي تستنتجينه من هذا؟".

سألتها: "هناك كلمة جوهرية واحدة، أليس كذلك؟".

لم يجب لوثر في الحال، ففقود من العمل في الشرطة علّمته أن التحقيق الناجح يقوم على تفسير العالم بأعلى درجات الواقعية. عندما يأخذ المحقق الدوافع الإنسانية والأفعال المرتبطة بها كمسلمات يمكن التنبؤ بها تقريبًا كشروق الشمس وغيابها. سيتعامل مع المؤامرات المتقنة كما يتعامل مع ادعاءات الاختطاف من قبل مشعوذ طائر. بدت احتمالية أن تكون كورا قد تعرضت لغسل دماغ وإعادة برمجة محض هراء غيبية بالنسبة إلى لوثر، ناهيك أنه لم يكن هناك مكان للتظاهر الخارقة للطبيعة في تحقيقات الشرطة.

رغم ذلك فإن وصوله إلى هنا، قاطعًا كل المسافة من مينيسوتا إلى كنتاكي، يدل على أنه رجل ذكي، يتمتع بأفضل حالات المرونة الذهنية. يدرك أن الشر أمرٌ حقيقي، وليس مجرد طيف واحد رمادي على نطاق النسبية الأخلاقية. وعرف أيضًا أن الشر دائم لا يعرف الكلل، يبحث بشكل مستمر عن طرق يتجلى بها. تركت له كورا أدلةً قادتته إلى دربٍ لم يعتقد أصلًا أنه موجود. لكنه في الوقت نفسه كان صادقًا مع نفسه، كي لا يتعلق بوجهة النظر تلك حين يرى الدرب منبسطًا بوضوح أمامه.

ضغطت جين عليه عندما كررت السؤال: "هناك كلمة جوهرية واحدة، أليس كذلك؟ أليس كذلك؟".

"تعرفين الكتاب والفيلم. المرشح المنشوري للكاتب ريتشارد كوندون، لكن غسل العقول ليس بتلك البساطة".

"نُشر الكتاب منذ نصف قرن وأكثر"، وضعت الكأس بعد أن ارتشفت النبيذ، ونظرت إلى عيني لوثر وقالت: "لم يسمع أحد في حينها عن تقنية النانو".
رأت أنه على دراية كاملة بالمصطلح. اتسعت عيناه لدرجة ظنت أنه سيلح عليها
للحديث عن الموضوع في الحال.

تكلم عوضًا عن ذلك بهدوء أكبر: "هل كوانتيكو قاسية بالفعل كما يُقال عنها؟".
تقع أكاديمية مكتب التحقيقات الفيدرالي في كوانتيكو، وهي عبارة عن قاعدة
لسلاح مشاة البحرية الأميركي في ولاية فيرجينيا. قصد من ذكر هذا الأمر أن يخبرها أنه
قد عرف المكان الذي تخرجت منه وأنها جين هوك.
قالت له: "لم تستطع النيل مني".

13

خلت الحانة من الأحاديث الرياضية والحوارات الودية. وكان يرتادها أفراد
عوضًا عن الأزواج، ولم يبد أحد منهم النية في التسكع برفقة أي شخص آخر. وفّرت
هذه الحانة مجتمعًا مثاليًا للسكراري الوحيديين، الذين يخدمهم سقاة الحانة ونادلتان
بدتا وكأنهما تطبعتا بطبيعة الزبائن اللامبالين.

كاد الصمت أن يكون مطبقًا لولا الأغاني الريفية التي تم تشغيلها ولولا حديث كل
من جين ولوثر حتى ولو كان حديثهما همسًا.

"هل تعرفت إليّ بالرغم من الشعر، والعدستين، والنظارة؟".

هز لوثر تيلمن رأسه قائلًا: "لا. بل من خلال الطريقة التي استجوبت بها مديرة
المعرض والنادلة. أردت معرفة الأشياء ذاتها التي رغبت بمعرفتها. انتحار كورا، انتحار
كوين يوبانكس، المسؤول عن تنظيم المؤتمر نفسه. قالوا إن زوجك قد انتحر أيضًا.
جمعت علاقة بين ديفيد جيمس مايكل ويوبانكس. سألت النادلة عنه. لم أر أبدًا من
قبل تعاون الدولة والإعلام على شيطنة هارب من العدالة كما فعلوا بك.

شاهدتهم وهم يسحبون عناصر مكتب التحقيقات الفدرالي من منزل كورا.
هددني رجل من دائرة العدل. عرفتك ما أن حللت كل تلك الأمور وألقيت نظرة عن
كثب إليك وقلت نعم، إنني أعرفها.

ارتفع صوت نغمة جديدة في الحانة- أغنية ويتشتا لاينمان لغلين غامفيل- أغنية مترعة بالحنين والسوداوية. لطالما وجدتها جين مخيفة على قدر ما كانت جميلة. قامت بتفحص السكرارى الوحيدين الجالسين إلى مقاعد البار، عكست الأغنية مزاجهم وألهمتها للتفكر فيهم.

نظرت إلى لوثر وسألته: "هل لديك عائلة؟".

"متزوج ولدي فتاتين".

"إنس أننا تقابلنا، وعد أدراجك إلى مينيسوتا لتكون مع عائلتك".

"هذا ليس من شيمي".

"هددوني بقتل ولدي الصغير بعد اغتصابه".

"هل أثنائك ذلك عن مسعالك؟".

"أخفيته بعيداً عن الأنظار. افعل ما أقوله لك يا لوثر، ارجع إلى منزلك في

مينيسوتا".

"إن فعلت ذلك، أي عالم أورثه لابنتي إن عاشتا فيه".

"على الأقل ستعيشان في عالم تكون فيه إلى جوارهما".

تفحص الحانة: "هل هناك أي سياح من بين هؤلاء؟".

"أعتقد أنهم جميعاً من السكان المحليين".

"هل هناك خطب ما في هذه البلدة".

"لا شيء إن حكمنا بناء على المظهر الخارجي".

قال لوثر وهو يراقب ساقى الحانة الصامت على خلاف الإطار النمطي لمهنته

وهو يسكب البيرة من الصنبور: "هذا الأمر الذي قالته النادلة، فريا... أي حمى تسبب

موت كل الكلاب بتلك البساطة؟".

وضعت جين جانباً كأس النيبيذ: "من النوع الذي يعرف أن الكلاب لا تنخدع

بالمظاهر".

"ما الذي حلّ بالأولاد؟ وما هو دور تلك المدرسة التي لا اسم لها.. هل ينتمي

أولئك الأولاد إلى السكان المحليين؟".

لم تعقب جين بأي حرف.

تلاقت نظراتهما مجدداً: "إذا أخبريني ما دخل تقنية النانو تلك بكل هذا الأمر؟".

"سأسرد لك الأمر بشكل مختصر. ويعود لك أن تصدق الأمر أو لا تصدقه، لن أضيع وقتي في محاولة إقناعك بأمر أوقن أنه الحقيقة".

أزاح جانباً كأس البيرة بعد أن أخبرته بقصة عمليات زرع الشرائح في الدماغ، وقال: "الإرهابيون في فيلي⁽¹⁾ وفي كل مكان آخر..".

"كلا، هذه القصة المعتادة التي يقصها المعتوهون المعبأون عقائدياً، لكنهم يوفرون الغطاء اللازم لما يفعله ديفيد جيمس مايكل والأوغاد الآخرون. من سيأبه بازدياد حالات الانتحار أو يفكر بأن هناك شيئاً مريباً في قضية إنسانة مثل كورا أصابها الجنون في ظل الإرهاب الذي يسود دون حسيب أو رقيب".

"ما هذه البلدة؟".

"إنهم يحقنون الناس على امتداد كامل البلاد ضمن ظروف مختلفة بعيداً عن خطر الإيقاع بهم من خلال هذه الطريقة".

أحست أنه شعر بالبرد: "لكنهم اختاروا بلدة صغيرة للغاية ليتحكموا بكل من فيها..".

قالت: "بلدة صغيرة تحتوي منتجعاً يقصده الأغنياء وأصحاب النفوذ، الذين لن يتفقوا أبداً مع الأركاديين..".

قال لها: "سيتم إجبار أولئك الذين لن يكون بالإمكان إقناعهم، سيرمجون لكي ينتحروا أو يتحكمون بهم ببساطة كالدمى".

"ويدعى أولئك الذين يساهمون أو سيساهمون في تشكيل الثقافة مثل كورا".

"لكن هؤلاء الأركاديين، قائمة هاملت.. هذا محض جنون".

"تنحدر أممٌ بأسرها إلى هاوية الجنون من وقت إلى آخر. مثل ألمانيا في عهد هتلر، والصين في فترة حكم ماو. وتطول قائمة الأمثلة".

"استدرجك لاركين للقدوم إلى هنا باستخدام كذبة، لكن لماذا أفسح لك هذا المجال؟".

(1) اختصار فيلادلفيا. (المترجم)

راقبت الزبائن الآخرين الذين اعتقدوا أنها ولوثر سائحان: "أدرك أنني سأطرح الكثير من الأسئلة. وعندما يشك بي أحد هؤلاء الناس سيحذر الآخرين، عندها ما هي احتمالات أن أغادر هذه البلدة على قيد الحياة؟".

أخفض صوته ليهمس لها: "اللعنة، لماذا لم ترحلي بعد؟".

"لماذا لم يُحقن الأولاد الموجودون في تلك الملكية التي يدعونها مدرسة بعد؟".

لم يملك أي إجابة عن سؤالها.

"من المؤكد أن هذا الأمر ليس نتيجة نقطة ضعف لدى الأركاديين تجاه الأولاد، لابد أن لهذا الأمر صلة بأسباب تتعلق بالعمر، لعل أعمارهم غير مناسبة بعد لنجاح عمليات زرع الرقاقة في الدماغ. أليس هذا السبب الأكثر منطقية؟".

فكّر بالأمر لبرهة، "إذًا لن ترحلي حتى تصحبهم معك؟".

"حتى آخر واحد منهم".

"كم طفل يوجد هناك؟".

"بالاستناد على ما رأيته ليسوا بالعدد الكبير".

"متى تنوين الإقدام على فعل ذلك؟".

"ما هو الوقت المناسب برأيك؟".

"لا تقولي لي إنك تنوين فعل ذلك الليلة؟".

"لمَ لا؟".

"هل أعددت خطة؟".

"الدخول إلى هناك، إخراجهم، والمغادرة".

"إن كانت المدرسة عبارة عن سجن فبالتالي سيكون هناك حراس".

قالت وهي تنظر إلى رواد الحانة، إلى وجوههم البائسة والتي بدت أنها تشكلت نتيجة تعاسة عميقة تفوق تلك التي تدفع السكارى عادةً إلى معاورة الشراب: "هناك البعض منهم، لكن ما هو عدد الحراس الذين سيتكبدون بدل توظيفهم إن كان كل من في البلدة ينتمي إليهم؟ كم هو العدد اللازم لسجن الأولاد؟ ليس بالعدد الكبير. لقد تفقدت المكان وهو ليس سجنًا".

أطفأ هارلي هيغينز الأضواء عند الساعة السابعة والنصف ليجلس في الظلام بجوار النافذة المطلة على أراضي الملكية، خلع حذاءه ووضع أسفله كرسيه. لم يعلم على وجه الدقة إن رُكبت كاميرات داخل غرفته، ولكن إن كان ذلك واقعاً، لم يرغب أن يكتشف أحد أنه يغادر وهو حافي القدمين.

توجب عليه أن يفكر بتوجيه الأولاد الآخرين ليأخذوا الاحتياطات ذاتها، لكن هذا الأمر لم يخطر على باله حتى الآن. اعتقد أن معظمهم سيحذون حذوه، ولكن رصد واحد منهم فحسب وهو يغادر غرفته حافي القدمين سيكون كفيلاً بإثارة الشكوك في نفس أي من كان يراقب الكاميرات، إن وُجد هناك أحد ما بالفعل.

بدأت البحيرة حالكة السواد كما لو أنها عبارة عن فجوة كبيرة وليست مجرد مسطح مائي. ظهرت حدود الغابة الممتدة على طول الشاطئ الشمالي المعتم لتبدو مبهمَةً في ظل خط الظلمة المتعرجة الذي تلاه غطاء من الغيم الأقل ظلمةً.

استمر بالتفكير بشأن أمه وأبيه. أراد أن يصدق أن أياً كان ما قد حصل لهما فهو قابل لأن يُعاد إلى نصابه، تمنى ذلك من صميم قلبه، لكن عقله رفض تصديق الأمر. لطالما كانت الأمنيات النابعة من القلب أمراً جيداً لو أمكن تحقيقها، إن عمل المرء جهده لتحقيق. لكن قد تتحول الأمنيات النابعة من القلب إلى محطمة له إذا تعلق المرء بها حتى حين لا يلوح أي أمل في الأفق لإمكانية تحقيقها. من الصعب عليه تقبل احتمالية كون والديه على قيد الحياة، ومع ذلك فقدهما إلى الأبد.

كان ذلك صعباً إلى درجة أنه بكى بصمت في الظلام. لكن التظاهر بعكس ذلك سيلحقه بهما في مجتمع من الناس الذين يشبهونهما. أراد استعادة والدته ووالده، لكنه لم يرد أن يصبح مثلهما حتى يتمكن من العيش معهما.

على غرار البحيرة المظلمة والعميقة التي تقبع خارج النافذة، تجمعت داخل هارلي بحيرة توأم لها كان بوسع مياهها السوداء أن ترتفع وتبرد وتُغرق.

أصبحت الساعة السابعة وخمساً وأربعين دقيقة.

قادت جين سيارتها الفورد خارج البلدة متجهةً نحو المنتجع وتبعها لوثر تيلمن بسيارته المستأجرة.

بلا كلاب، خالية من الأولاد، غارقة في الرضى المخمّر والمعبأ، نقية كعالم الأحلام. تلاشى تاريخها الصناعي، وأعيدت صياغة هويتها لتصبح مجتمعًا مثاليًا لقضاء الإجازات. أشعلت أيرون فرنس داخل جين نوعًا من الحمى، وأصبح لديها قناعة راسخة أن لاركين ضللها للقدوم إلى هذا المكان الذي سيكون بمثابة الرحم الذي يولد منه التغيير الذي سيفرضه مع شركائه الفاسدين على العالم. تحول الخوف الذي عاشته لأشهر إلى ذعر توجب عليها التعامل معه كي لا يتحول إلى هلع.

كانت هذه الزاوية من كنتاكي بمثابة مستعمرة غريبة، تغير سكانها إلى الأبد، تم استعبادهم. ولو أنهم شكوا للحظة واحدة أنها ولوثر يدركان حالتهم هذه لفتكوا بهما بشكل وحشي. لا يمكن لعميلة فدرالية ومأمور واحد أن يهزما هؤلاء الناس بمفردهما لأنهم مقارنة بهما يشكلون جيشًا. وما أن يرتكب جين ولوثر أي زلّة، حتى ينقضّ عليهما سكان أيرون فرنس كسرب من أسماك البريانا التي جذبتها الدماء الدافئة لحيوان ثديي يخوض في حيز مياهها الباردة.

ركن كل من جين ولوثر سيارته إلى جانب الطريق، قبل مئة ياردة من الملكية المسورة التي قيل إنها مدرسة لا اسم لها. اقتربا من المكان سيرًا على الأقدام. أحاط الغموض بالبحيرة وكل شيء آخر في هذه الليلة المعتمة الخالية من القمر والنجوم.

قال لوثر: "لا أعتقد أن الخطة ستنجح".

"ولا أنا".

"وماذا سنفعل حينها؟".

"سنطرح بطاقم العمل بقوة".

"ماذا لو لم يكونوا مبرمجين بل مجرد أناس أبرياء".

"سواء أكانوا مبرمجين أم لا، فهم ليسوا أبرياء".

"ولكن ماذا لو كانوا كذلك".

"سأذهب إلى الجحيم عوضًا من أن يأتي إليّ، وها هو يقترب بسرعة في كل يوم".

خرجنا عن الطريق، وخاضا في أعشاب الغابة، سحقا تحت أقدامهما شيئا ما أطلق رائحة عرقسوس ضعيفة. مشيا بجوار جدار الملكية ليعبرا المنزل باتجاه البحيرة.

وجدا مكانا خلف المنزل حيث تعرشت نبتة لبلاب عتيقة على زاوية قصية من البناء، لتكسو القمة وتحيك بساطا حتى حدود الأراضي الخارجية تقريبا. تشبثت داخل من الشجيرات بثبات إلى ملاط الحجارة، فتفتت الأوراق اليابسة، واقتلعت الأوراق الخضراء بيدي جين وهي تتسلق شبكة الأغصان المتداخلة في الظلام باحثة عن مكان تضع يدها عليه وموطئ لقدمها. أصدرت نبتة بأكملها صوت هسيس، وتضعفت. وصلت جين إلى القمة التي بلغ ارتفاعها تسعة أمتار لتقفز إلى أرض الملكية. لم يصدر أي صوت إنذار. ولا آخر يعلن اتباع لوثر لخطاها.

ألقت مصابيح منخفضة الجهد لها شكل قبة الفطر ضوءا ساطعا على الدرب المرصوف بالحصى. علقت مصابيح لـ⁽¹⁾ مضيئة عاليًا على أشجار منتقاة لتضفي رونقها عبر متاهة من الأغصان المتشابكة، مزخرفة العشب بلوحة من الضوء والظلال. بدت مقصورة الحديدية المضاءة غريبة عند النظر إليها من مسافة بعيدة، مبهرة كما لو أنها مكان مقدس.

لم يكن هناك من أضواء إنذار براقه لتكمل تشكيلة الأضواء هذه، وبقي الظلام صاحب اليد العليا تحت قبة الليل. اتجهت جين نحو المنزل برفقة لوثر.

16

غادر هارلي غرفته المظلمة وهو يرتدي جوربه، تحرك بحذر على امتداد الرواق في الجناح الشمالي من المنزل. تقدم عبر الرواق الذين يصل بين الجناحين الشمالي والجنوبي، ومن هناك انتقل إلى السلالم الرئيسية. اعتبر استخدام السلالم الرئيسية أقل مجازفة في مثل هذه الساعة من السلالم الخلفية، والتي كانت مفتوحة على مدخل المنزل. كان المطبخ بمحاذاة المدخل، حيث كان طعام العشاء قيد التحضير وعلى وشك أن يقدم.

التفت الدرجات الحجرية العريضة أسفل ثريا كريستالية متقنة وصولاً إلى الردهة. سمع هارلي صوت خطوات بعد أن نزل نصف المسافة، وتجمّد في مكانه. راقب أحد أفراد الطاقم، وولتر، وهو يخرج من غرفة الجلوس عابراً الردهة ليدوس على أشكال موشورية مضيئة تنعكس من البلورات المتدلّية. اختفى وولتر بسرعة في الرواق الذي يصل بين الجناحين الجنوبي والشمالي من دون أن ينظر إلى الأعلى. كانت هذه فرصة هارلي الوحيدة ليهرب من دون أن يتعقبه أحد، فإن اكتشفوا أنه علم بشأن سر الحذاء فسيكون موقع جهاز التعقب التالي صعب الإزالة؛ ربما سيزرع بعملية جراحية. لذا تردد للحظة قبل أن يندفع نزولاً عبر الدرجات المتبقية عابراً الردهة وصولاً إلى المكتبة، التي تقع على الطرف المقابل لقنطرة غرفة الجلوس. فتح الباب بحذر، لكنه لم يجد أحداً، ولج المكان، وأغلق الباب خلفه، اعتقد أنه أول الواصلين.

نهضت نورا راينهارت من خلف مسند كرسي جلدي يماثل ثلاثة أضعاف حجمها لتهمس بصوت مسموع: "إنه هارلي"، عندها أزاحت الصغيرة سالي إنغرام ستارة مطرزة ممتدة حتى الأرض وظهرت إلى العلن. كانت الساعة حينها السابعة وأربعاً وخمسين دقيقة.

17

أمسك لوثر القلم المضيء الخاص بجين عند الباب الموجود في الجهة الغربية من المنزل، وركّز شعاع الضوء على ترس الحماية الذي تركز أسفله القفل الأسطواني فوق المقبض ببضع بوصات. جرّبت جين فتح الباب فوجدته مقفلاً. فاستعانت بملقط لوك آيدز الذي حملته في حزامها قبل أن تغادر سيارتها. أدخلت الملقط في ثلم المفتاح، وحركته عدة مرات حتى استجاب القفل.

لم يتوجب عليها القلق بشأن نظام الحماية إن كانت الافتراضات التي بنتها على ما لديها من معلومات، وعلى ما أخبرها إياه لوثر في الحانة، صحيحة. قد يكون هناك نظام حماية، وربما تم ضبطه، وإن قامت بتحريضه فلن يفعل أي شيء سوى توجيه الطاقم إليها، ما سيوفر عليها عناء البحث عنهم.

لم تدو أي صافرة عندما فتحت الباب. في حال تم اكتشاف اختراق المبنى سيتم تنبيه العاملين من خلال إشارة صامتة، ربما كانت ضوءًا وامضًا في غرفة المراقبة.

دلفت، ورأت مفتاح إضاءة شغلته، بينما دخل لوثر في أعقابها موحدًا الباب خلفه بهدوء. كانا في مكان عبارة عن مزيج بين غرفتي النوم والجلوس والذي لربما اتخذ سكنًا من قبل أحد أفراد الطاقم. لا بد وأن هذه الغرفة حُصصت لإقامة الخدم عندما كان هذا المنزل يُستخدم كمسكن لا كسجن بالنظر إلى إمكانية الدخول إليها مباشرة من الخارج. كشف باب مفتوح وجود حمام ملاصق للغرفة.

انسجمت هذه الشقة مع كل الأماكن التي شهدتها في أيرون فرنس سواء بالسرير المرتب بإتقان، والنظافة، وغياب الفوضى، ما شكل مناخًا من الرتبة جلية المعالم.

توجهنا نحو باب داخلي يفضي إلى رواق، فُتح الباب ما أن بلغناه. وقف رجل قوي البنية بوجه عابق بالحمرة يرتدي زيًا أبيض عند العتبة، وسألهما: "من أنتما؟".

18

لا بد وأن المكتبة امتلأت بالكتب في يوم من الأيام. أما الآن فهي عبارة عن مئات الأقدام من رفوف خشب الجوز النظيفة واللامعة، لكن دون أي كتاب. لم تعبق في الهواء رائحة الكتب القديمة، ولم توجد صحف ومجلات على الطاولة الخشبية المطعمة في منتصف الفسحة الكبيرة بانتظار من يقرأها. تصلب هارلي بتوجس عندما فتح الباب، لكنهم لم يكونوا سوى ثلاثة وافدين جدد ليرتفع عددهم إلى ستة، دلفت دوليسيانا موس وجيني بوون أولًا ليتبعهما بوبي أيكف مغلقًا الباب بحرص مبالغ فيه، كما لو أن من شأن أدنى ضجيج أن يفتح عليهم أبواب الجحيم على مصراعها.

أمضت جينيفر بوون أول شهر أو شهرين في هذا السجن وهي تبكي، غمرها إحساس بالحنين إلى منزلها، وتألّمت لأن والدتها أرسلتها إلى السجن من دون أي تفسير باستثناء: "هذا الأمر في صالحك". بدأت جيني تدرّب نفسها ما إن نفذت دموعها

استعدادًا منها للهروب خارج هذا السجن الذي يطلقون عليه اسم مدرسة لتخرج من هذه البلدة إلى مكان لا يزال يقيم وزنًا للعقل. كانت واهنة وبطيئة، لكنها اليوم أضحت قوية البنية وسريعة بعد أشهر من التدريب. اسمٌ جلدتها بعد أن كان أبيض، عُرق شعرها الذي كان بني اللون بخصل شقراء نتيجة لتعرضها الزائد لشمس الشتاء.

تلاشى حزن جيني ليتحول إلى غضب وإرادة فولاذية مع مرور الأيام.

عندما وصلت دوليسيانا موس في الحادية عشرة من عمرها، كانت ممتلئة، وملامحها رقيقة وشاحبة، وعيناها شاحبتين. في البدء كانت كثيرة الكلام، غير قلقة من تخلي عائلتها عنها، واثقة من أنهم سيعودون بعد بضعة أيام. لتستنفد شيئًا فشيئًا كل ما في حوزتها من كلمات. وهي اليوم تتكلم بشكل مقتضب وعند الحاجة فقط. في هذه الأيام توفر معظم كلامها للصلاة، بالرغم من أنها ابنة لوالدين ملحدين. صحيح أنه لم يستجب لها في يوم من الأيام، لكنه لم يغدر بها كما فعل أولئك الذين لا يؤمنون به.

عاش بوبي أيكف، الذي كان بعمر هارلي، في كنف انتظار الأحوال الوشيكة بدلًا من الرعب الذي ينتظرهم بعد عامين. توقع عند كل عاصفة حصول طوفان كارثي، ناهيك عن قيام البرق بشطره كما فعل مع شجرة السنديان في فناء منزل عائلته. أي رياح بالنسبة إليه ما هي إلا إعصار سيعصف بهم إلى عالم النسيان، وأي عضة عنكبوت أو لسعة نحلة هي عبارة عن جرح قاتل، والذي لطالما تعجب من شفائه منه بشكل روتيني. شاهد بوبي أخته ذات الأربعة أعوام ريمونا وهي تلفظ أنفاسها في الرواق، في اليوم الأول الذي جاء بهما والداهما إلى هذا المكان. صرخت ريمونا وناحت، ودخلت في نوبة غضب رافضة أن يتخليا عنها، هزها والده بقوة محاولاً إقناعها، وربما أصيبت بارتجاج في الدماغ نتيجة الهز العنيف، وارتد دماغها داخل تجويف الجمجمة. ربما انفجر شريان ما. ارتخت بين يدي والدها، تداعت على الرصيف، سالت الدماء من أنفها، وانهارت بسرعة. حطم ذلك بوبي إضافة إلى أمه وأبيه، لكنهما تعافيا بعد ذلك بفترة قصيرة، كما يتعافى الناس الذين تم تغييرهم. كما لو أن الحداد عبارة عن غبارٍ دقيقٍ يختفي عند هبوب أي نسيم خفيف. تركا ريمونا ملقاةً على الرصيف، وقادا سيارتهما بعيدًا، فقام طاقم العمل بدفنها في موقع قصي شمال العقار، بلا كفن، على لحد من الحجر الجيري المطحون وغطيت بمزيد من الحجارة.

تساءل هارلي في بعض الأحيان عن عدد الأولاد الذين قاموا وأصيبوا بجروح قاتلة - عن طريق الخطأ-.

الساعة الآن السابعة وتسعة وخمسون دقيقة.

19

أجابت جين على طلب الرجل ذي الوجه العابق بالحمرة بمعرفة من يكونان بالقول: "لنشغل المنشوري"، تمامًا كما كتبت كورا غندرسن بتكرار مهووس.

قال الرجل وقد زالت جميع علامات التوتر عنه وهو يقف في المدخل: "حاضر". نظر إليها بفضول متأن ككلبٍ صَجِرٍ ينتظر أن يخبره سيده أن الوقت قد حان لمغادرة جوار المدفئة والتوجه إلى السرير.

سألته: "ما اسمك؟"

"سيث دونر".

"ادخل يا سيث واجلس".

اتجه إلى الكرسي الذي أشارت إليه وجلس، مهينًا رأسه كما لو أنه يشعر بالقلق إزاء تفويت سماع الطلب التالي الذي قد يوجه إليه. بدت عيناه كزرين زجاجيين لدمية تتكلم من بطنها، شفافة كبوصة من المياه النقية.

همس لوثر قائلاً: "ما هذا بحقّ المسيح".

قالت جين: "كم عدد أفراد طاقم العمل الآخرين يا سيث؟"

"سبعة، يوجد سبعة أفراد آخرين ضمن طاقم العمل".

"معك يصبح العدد ثمانية؟"

"نعم".

"أين السبعة الآخرون؟"

بدا سيث وكأنه يستمع إلى صوت لا يمكنهم سماعه: "إنهم في غرفة الطعام، حان الآن موعد تناول وجبة العشاء".

"هل الأولاد هناك؟"

"كلا، أفراد طاقم العمل فحسب".

"أين الأولاد؟".

"في غرفهم في الطابق العلوي".

"كيف بوسعك معرفة ذلك؟".

"أعرف من خلال أجهزة تحديد المواقع الخاصة بهم".

"أجهزة تحديد مواقع. عن أيّ أجهزة تتكلم؟".

"أجهزة تحديد مواقع مدسوسة في أحذيتهم".

"كيف لك أن تكون على معرفة بموقعهم؟".

عبس: "أنا على اتصال بأجهزة تحديد مواقعهم طوال الوقت منذ عملية التحديث".

"التحديث، ما الذي تقصده بالتحديث؟".

"في كانون الأول الماضي".

"ما الذي تم تحديثه؟".

"حسنًا، تعرفين، التحديثات".

ارتبكت، تخلت عن محاولتها لفهم الأمر: "كم عدد الأولاد في الأعلى؟".

"ثمانية".

"واحدٌ منكم لكل طفل؟".

"نعم".

ذراعه مرتختان، ويداه في حجره، قُلبت إحداهما كما لو أنه يحمل شيئًا خفيفًا لدرجة أنه طفا فوق راحة يده وحلّق بعيدًا.

رغم امتنان جين من مرونة الرجل، إلا أنها أصيبت بالتوتر في الوقت ذاته، شبه مشمّزة من نفسها. عادة لا يدفعا استجواب رجل شرير وخطير مقيد بالكرسي تحت رحمتها للشعور بالسوء، لكنها شعرت بالدناءة، كما لو أن التحقيق الخالي من الصراع والمقاومة يجب أن يكون أيضًا خاليًا من الفضيلة.

تبادلت النظرات مع لوثر، ولم يحتج للتعبير عن اشمئزازه منها حتى أدركت تلك الحقيقة.

قالت له: "ستمحو هذه المحادثة من ذاكرتك يا سيث، يجب أن تنسى كل ما يتعلق بنا".

"سأفعل".

"ستستمر في الجلوس هنا حتى أعطيك الأمر الذي من شأنه أن يحركك، هل تفهم؟".

"نعم".

سحبت مسدسها من القراب المثبت إلى كتفها. وكذلك فعل لوثر. تبعت الأمور إلى الرواق. توقفت عند عتبة الباب ونظرت إلى الخلف نحو الغرفة. لم يدر سيث دونر رأسه ليتبعهما. حذق إلى الأعلى نحو الحيز الذي كان يشغله وجه جين، كما لو أنها تجلّ ينتظر تجسده مرة أخرى بنشوة وشغف، حتى أثناء الجوع والعطش.

20

ولج توم بروكتر ذو الاثني عشر عامًا والذي يمكن الاعتماد عليه بشكل كامل إلى المكتبة عند الساعة الثامنة ودقيقتين برفقة جيمي كول، والذي كان هارلي قلقًا بشأنه. كان هشا على الصعيد الجسدي والنفسي منذ اليوم الأول، نحيل وشاحب منذ البداية وهو يتلاشى منذ ذلك الحين. على الأرجح كان جيمي سينسى الموعد أو على أقل تقدير إن قرر القدوم سيأتي متعللاً الحذاء الذي أخبر بضرورة تركه في الغرفة. اعتقد توم ذو الحس العالي بالمسؤولية أن عليه أن يقوم برعايته، وها هم الآن الأولاد الثمانية مجتمعون.

قال هارلي: "سنخرج من هذا الباب، ونعبر قاعة المطالعة، إلى بهو الخدمة، ومنها إلى غرفة الغسيل فالمرأب. سأقود سيارة الاسكالايد التي سنستخدمها للخروج من هنا".

سألته جيني بون: "هل تعرف قيادة السيارة؟".

"أستطيع تدبر أمري".

قال بوبي أيكف، الذي لطالما كان خبيرًا بالمصائب: "لكنك لا تملك المفتاح، لن نستطيع الذهاب إلى أي مكان دون المفاتيح، لقد أخفقنا حتى قبل أن نبدأ". أجابه هارلي: "أعرف أين يقون المفاتيح".

في المطبخ، فاحت رائحة الدجاج المشوي، والبخار المشبع بالنكهة المتصاعدة من قدر تحتوي على الخضار المطهوه بمرق الدجاج. هدير مروحة الفرن وصوت الاندفاع الخافت للهواء الساخن عبر فتحة تهوية المشواة.. وقفت امرأة عند الموقد وأولت ظهرها لجين ولوثر فيما وقف رجل إلى مائدة الطعام يوزع الخبز الملفوف على السلال من صواني الخبز.

قالت جين: "لنشغل المنشوري معاً".

التفت الرجل واستدارت المرأة نحوهما وقالوا بشكل متزامن: "حاضر".
"اجلسا إلى الطاولة".

أوقفت المرأة تحريك القدر، أخذت الملعقة الطويلة، ووضعتها على المنضدة، كما وضع الرجل صينية الخبز من يده، وجلسا إلى الطاولة حسب الأوامر.

قالت جين: "اجلسا هنا وانتظراني"، فوافقاها على ذلك. مشت عبر الغرفة، لتتضم إلى لوثر الذي كان قد فتح الباب المؤدي إلى ملحق الخدم الخاص.

تبعته عبر باب آخر، إلى غرفة الطعام، حيث جلس إلى الطاولة أربعة أفراد من الطاقم يستعدون لتناول الطعام، ارتدوا جميعاً اللون الأبيض كما لو أنهم متمون إلى ما يشبه طائفة من العذارى. فيما سكب رجل يرتدي اللون الأبيض أيضاً الماء البارد من إبريق زجاجي شفاف مرصع بقطرات الماء المتكاثف.

قال لوثر من حيث يقف على عتبة الباب: "لنشغل المنشوري معاً".

التفت الأربعة الجالسون إلى الطاولة نحوه وقالوا بصوت واحد: "حاضر".

لكن ربما كان الرجل الذي يحمل الإبريق مشتتاً أو ثقيل السمع. استجاب للفتاة رؤوس الآخرين وليس لأمر التحكم الذي أصدره لوثر. نظر وقد صعقته المفاجأة ليسكب الماء على حافظة فضية اللون تحتوي أواني رش الملح والفلفل والبهارات الأخرى عوضاً عن سكبها في الكأس. شاهد أسلحتهما، نادى محذراً، وأفلت الإبريق من يده، ليهرع بعيداً عن الأربعة الجالسين فيما تحطم الإبريق وتبعثرت مكعبات الثلج على غطاء الطاولة لتطفو على الماء المراق.

بلغ الرجل الفار الممر قبل أن تنادي جين قائلةً: "لنشغل المنشوري معاً".

بالرغم من أن الرباعي الجالسين إلى الطاولة كرروا تأكيدهم، إلا أنها لم تكن واثقة بأن خامسهم قد سمعها حتى تبعته ورأته واقفًا في الردهة كما لو أنه نسي وجهته وسبب اندفاعه مسرعًا من غرفة الطعام.

عبّرت نظراته عن حالة من الحيرة والخوف وإحساس بالضياع. أسدل قبضتيه المطبقتين إلى جانبيه. كانت مفاصل قبضته مشدودة وبيضاء كما لو أن الجلد انشق كاشفًا العظم.

أثر فيها العذاب الكامن في عينيه. لم تشعر بالشفقة، إزاء بؤس وسوء حظ الآخرين الذين لا يشاركونهم فيه أحد. وعضًا عن ذلك تغلغل داخلها التعاطف معه وقد انتزعت منه كرامته الإنسانية من قبل أناسٍ لن يتوانوا عن انتزاع كرامتها في أي فرصة سانحة. لقد اقتلع من الحياة التي قدر له أن يعيشها ليفرض عليه عيش حياة معدة مسبقًا له، كما حصل لها حين تحولت هي نفسها إلى هاربة من وجه العدالة بعد أن كانت تطارد الهاربين. من زوجة إلى أرملة. من أم تمارس أعمالها اليومية إلى أم في المناسبات فقط. وضعت مسدسها في قرابه وقالت: "صدقني لست هنا لأؤذيك؟".

"نعم. بالتأكيد. نعم".

"ما اسمك؟".

"جورج".

"لا تخف يا جورج، على الأقل لا تخف مني".

بدت عيناه وكأنهما تبحثان عن إجابة لسؤال: "ما الذي أصابني؟".

"ألا تعلم ما الذي حصل يا جورج؟".

"حصل شيء ما لكنني لا أعلم ما هو".

لا يمكنها القيام بأي شيء لأجله، حيث من الممكن تحرير العبيد المكبلين بالأغلال عبر كسر السلاسل، بقوة القانون. ولكن بوجود شبكة من النانو المنسوجة عبر قشرة دماغه والتي نسجت خيوطها عميقًا في المادة الرمادية المكونة له، لا مجال للتحرر من الأغلال، ولا يمكن إبطالها بقانون النوايا الحسنة.

مجددًا قالت: "لا تخف"، رغم أن ذلك بدا سخيًا، إلا أنه الشيء الوحيد الذي

تدبرت التفكير لقوله.

قال لها: "هل أنت خائفة؟".
قالت جين كاذبةً: "كلا".
استرخت راحتا قبضتيه: "حسنًا، حسنًا".
"عدّ إلى غرفة الطعام يا جورج واجلس مع الباقيين".
نقّذ ما أمرته به مدعّمًا مثل النعاج، لكنها لم تشعر أنها تصلح لدور الراعي الصالح.

22

رُصف المرأب بحجر الكوارتز الكتيّم، وقر مساحة تتسع لاثنتي عشرة سيارة، بالرغم من أنه لم تكن هناك سوى أربع سيارات خصصت لخدمة طاقم العمل المقيم في المدرسة المزيفة. في الزاوية الشمالية الغربية هناك ورشة مفتوحة فيها خزائن مدمجة إضافة إلى طاولة للعمل، وكثير من المعدات المترامية على لوحات الدارات الإلكترونية. كان كل شيء مرتبًا ونظيفًا.

كان من المحظور على الأولاد دخول المرأب. لكن هارلي دخل إليه عدة مرات، لم تهمة العقوبات التي يمكن أن ينزلوها به؛ سيمنعونه من تناول الحلوى مع العشاء، وأشياء سخيفة من هذا القبيل. لم يكن بوسع أفراد طاقم العمل أن يعاقبوه بأسوأ مما فعلوا به مسبقًا من خلال حبسهم له. كان بوسعه قضاء وقت هناك، لكن شيئًا ما تغير في كانون الأول المنصرم، حيث أصبحوا يأتون لاصطحابه مباشرة في اللحظة التي تطأ قدماه فيها المرأب.

في تشرين الثاني الماضي، اختبأ في سيارة الكاديلاك إسكالايد على أمل أن يقود أحد ما السيارة دون أن يتبّه أنه مستلق في الحيز المخصص للتخزين مخبئًا وراء المقعد الخلفي. رفع رأسه ليشاهد من موقعه ذلك، نورين وهي عائدة من البلدة في سيارة الفورد إكسبلورر، فتحت أحد تلك الدروج المقفلة المحيطة بطاولة العمل، ووضعت هناك مفاتيح سيارة الفورد، وأقفلت الدرج مجددًا.

تجمّع الآن السجناء الثمانية أمام طاولة العمل وجوارهم في أرجلهم. اعتقد هارلي أن بإمكانه أن يخلع القفل بسهولة رغم أن الخزائن ركبت بشكل محكم. انتقى من بين مجموعة الأدوات مطرقة مخليّة ومفك براغ.

قال بوبي أيكف مدعورًا: "كلا! كلا! سيسمعوننا، سيسمعوننا، وسيأتون في الحال، سيقتلوننا جميعًا".

ردّ عليه هارلي: "إنهم يتناولون الطعام في الطرف المقابل من المنزل. سأقوم بالأمر بطريقة لن يتمكنوا من سماعنا فيها".

أجابه بوبي أيكف: "إنهم يملكون حاسة سمع قوية كتلك التي تملكها الكلاب، بإمكانهم سماع أشياء تستعصي على الناس العاديين، بإمكانهم سماع كل شيء".

قالت جيني بوون: "أوه، من فضلك يا بوبي، حتى وإن سمعوا فإن جلّ ما سيقومون به هو حرمانك من الكعكة على وجبة العشاء في الغد".

لكن هارلي علّق: "كلا، سيقتلوننا. إن لم يقتلوا أحدًا حتى اليوم فهذا لا يعني أنهم لا يستطيعون قتلنا متى أرادوا".

23

الغريزة هي أعلى درجات المعرفة. تأتي قبل التعلم، ولا تعتمد على المنطق. لطالما كنت جين احترامًا عظيمًا لهذه الحكمة الفطرية. والتي لطالما أنقذت حياتها في مناسبات عديدة. وها هي غريزتها تخبرها أن الوضع ليس حسنًا كما يبدو عليه، شعرت بالخطر يحيق بهم، وسيفاجئهم على حين غرة.

هرع كل من لوثر وجين على طول الرواق الجنوبي في الطابق الثاني، فتحا الأبواب على مصراعيها، يبحثان من غرفة إلى أخرى. كان هناك بعض الأجنحة غير المؤثثة. بالمقابل كان هناك أجنحة من الواضح أنها سُغت من قبل الأولاد لكنهم لم يستطيعوا إيجادهم فيها في هذه اللحظة.

رأت جين في الجناح الثالث شيئًا أوقفها، حذاء رياضيًا موضوعًا قرب السرير. خرج لوثر من الحمام قائلًا: "ما من أحد هنا".

سألته: "هل هناك أحذية في الخزانة؟".

فتح الباب، أشعل النور، وانحنى عبر العتبة: "ما من أحذية، فقط ملابس".

كانت جين قد سألت سيث دونر: "أين الأولاد؟".

"في غرفهم في الطابق العلوي".

"كيف بوسعك معرفة ذلك؟".

"من خلال أجهزة تحديد المواقع".

"أجهزة تحديد مواقع! عن أيّ أجهزة تتكلم؟".

"أجهزة تحديد مواقع مدسوسة في أحذيتهم".

تذكرت أنها رأّت حذاء في الجناح المؤثث الأول، ترك بالقرب من أريكة، وشاهدت حذاء في إحدى الغرف الأخرى موضوعًا بالقرب من حوض الاستحمام. فتح لوثر أحد الأبواب في الممر وقال: "جناح غير مؤثث". عبرت جين بالقرب منه متجهة إلى الجناح التالي، حيث وجدت حذاء بجوار الباب، كما لو أن الطفل قد خلعه قبل أن يغادر.

قالت جين: "إنهم يحاولون الهروب من هنا، إن لم يهربوا بالفعل".

نبتها غريزتها وهي تركض نحو الدرج أن هناك خطرًا جسيمًا يحيق بهم، لكنها لم تعرف ماهيته أو مصدره.

تذكرت شيئًا آخر قاله سيث دونر: "منذ عملية التحديث".

24

ركّز هارلي هيغينز بشدة على عمله واضعًا لسانه بين أسنانه.

كان مقبض مفك البراغي الذي وضع نصله بين مقدمة الدّرج وواجهة الصندوق، مغطى بطبقة من المطاط، ما جعل ضربات المطرقة عليه تصدر صوتًا مكتومًا. كمنت الخطورة في صوت التصدع العالي لتكسر الخشب وصرير أجزاء القفل وهي تنفصل عن بعضها.

كل عشر ثوانٍ توقع بوبي أيكف كارثة. وقالت جيني بوون: "عد إلى رشدك يا أيكف وإلا سأركل مؤخرتك لتصل حتى كتفيك، فتضطرّ إلى خلع قميصك حتى تتغوط".

دفعت ضربات المطرقة مفك البراغي كالإزميل؛ تشقق الخشب الجاف، ضربة تلو الأخرى، وتقطعت الأجزاء النحاسية القديمة. انفصل القفل عن الخشب، ليفتح الدرج كاشفًا عن صندوق معدني. أخرج هارلي الصندوق من الدرج، ووضع على

طاولة العمل، وفتح الغطاء، احتوى الصندوق على مفاتيح إلكترونية للسيارات الأربعة. عندها فُتح الباب المؤدي إلى المنزل ليدخل منه إلى المرأب شخصان لم يكن يعرفهما.

أطلق بوبي أيكف صرخة يأس ضعيفة، لكن إحساسًا سعيدًا غمر هارلي فجأة. كان أحد هذين الغريبين رجلًا أسود البشرة في الخمسين من عمره تقريبًا، وربما كان أكبر من ذلك، لكنه كان ضخمًا، وكان بوسعك التخمين أنه قوي بغض النظر عن عمره، وكان هناك فتاة أيضًا. بدت كما لو أنها خرجت من مجلة فيكتوريا سيكريت للأزياء. باستثناء أن لباسها لا يتوافق مع ذلك. لكن بوسع المرء أن يخمن أن خلفية واحدة تجمع بينهما، وأنهما يعملان في المهنة ذاتها، لم يبدو أنه يمكن العبث مع أي منهما.

25

كان لخوفهم وللخيلات المرعبة التي فرضها الموقف الذي وجدوا أنفسهم فيه أن يكسر قلب جيني لو أن لديها الوقت الكافي لإظهار مشاعر العطف، حتى أكبرهم سنًا بدا صغيرًا وضعيفًا. وعكست وجوههم حال أرواحهم المثخنة بالجراح. أخبرتهم نصف الحقيقة بأنها تنتمي إلى مكتب التحقيقات الفدرالي فيما أخبرهم لوثر بالحقيقة الكاملة بأنه مأمور شرطة. بلغ اليأس من الأولاد أن صدقوهما من دون تردد.

وعدتهم جين: "سنخرجكم من هنا".

قال الطفل ذو الأربعة عشر عامًا الممسك بالمفتاح الإلكتروني: "بوسعنا استخدام سيارة الإسكالايد".

قال لوثر: "كلا، سنستخدم أحد مفاتيح سياراتهم الإلكترونية لفتح البوابة الرئيسية، لكن إن استخدمنا أيًا من سياراتهم، سيبعوننا كما يتبع الذباب الحلوى، لدينا سياراتان، سنتدبر وضعكم جميعًا فيهما".

أخبرتهما إحدى الفتاتين: "لا نملك أي أحذية".

أجابتها جين: "نعرف لماذا تركتم أحذيتكم، علينا المضى في طريقنا الآن وغدًا نشترى أحذية".

تناهى صوت محركات من الممر الخاص بالسيارات خارج باب المرأب،
وصوت مكابح تعود لأكثر من سيارة.
قالت وهي تتوجه نحو المنزل: "سألقي نظرة".

شقت طريقها عبر غرفة الجلوس المعتمة، عند مدخل المنزل، مستعينة بقبسات نور
منبعثة من الردهة. أزاحت الستائر لتشهد ست عربات على ممر السيارات الطويل، عبارة
عن مجموعة من سيارات السيدان وسيارات الدفع الرباعي، سلط السائقون الأضواء
الأمامية الكاشفة على آخر الواصلين، واستطاع أحدهم أن يفتح البوابة البرونزية. ظهرت
سيارة أخرى قادمة من طريق المقاطعة وتوقفت، ثم أطفئت الأضواء الكاشفة.

بدأ أناس بالخروج من السيارات، نساء ورجال، لكن الغالبية كانوا من الرجال،
بلغ عددهم قرابة الاثني عشر شخصًا. لا بد وأنهم أتوا من ملاذ قريب حتى تمكنوا من
الوصول بهذه السرعة، ولكن ما الذي نبههم؟

لم يقترب أيُّ منهم من الباب، بل وقفوا في الرواق المسقوف، وانتشروا على
امتداد ممر السيارات. أضواء المصابيح المنتشرة في الأراضي بضوء خافت وزوايا
منخفضة الشخصيات الغامضة، بدت أشكالهم بشرية أكثر مما بدوا بشرًا حقيقيين،
وحُجبت ملامح وجوههم خلف الظلال. لم يبدووا قلقين، لكنهم وقفوا كما لو أنهم
شهود ينتظرون وقوع حدث وشيك على درجة كبيرة من الأهمية ليدلوا بشهادتهم حوله
في يوم من الأيام. لم يتحدثوا إلى بعضهم، وبدأ أنهم يعرفون سبب وجودهم هنا
ويدركون الدور الموكل إليهم.

توقعت جين أنهم بانتظار آخرين قادمين في طريقهم من مسافة أبعد في بلدة أيرون
فرنس التي تحتفل بعيد الميلاد طوال العام. شعرت أنهم يشعرون بوجودها وينظرون
مباشرة إليها بالرغم من أنها تقف في العتمة. أرخت الستائر، وهرعت إلى الطابق
السفلي إلى غرفة سيث دونر.

جلس سيث متسمّرًا بالوضعية ذاتها التي تركته بها، باستثناء أنه لم يعد ينظر إلى
الفراغ الذي شغله وجهها سابقًا. حذق عوضًا عن ذلك إلى يديه اللتين أراح كل منهما
على إحدى فخذيته، لم تستطع أن تستشف من قسماط وجهه الجامدة مزاجه أو
الأفكار التي جالت في خاطره.

"سيث، هل أنت معي؟".

رفع الرجل الضخم رأسه، كانت نظراته بلا وجهة (لم يحدق إلى وجهة محددة)، ورغم أن عينيه كانتا سليميتين إلا أنه بدا بلا عينين مثل شمشون أثناء اقتياده ليلاقى حتفه في غرة: "نعم أنا معك".

"أخبرتني عن أجهزة تحديد الموقع في أحذية الأولاد، وأنها تتيح لك تحديد موقعهم طوال الوقت".

"أولاد.. جميع الأولاد في غرفهم في هذه اللحظة".

"قلت إنه بإمكانك معرفة موقع الأولاد منذ آخر تحديث".

أكد قائلاً: "طوال الوقت، منذ كانون الأول".

"ما هو التحديث الذي تتكلم عنه يا سيث؟".

تجهّم وجهه: "حسنًا، كما تعلمين... التحديث".

"ما الذي تقصده بالتحديث؟".

ازداد تجهّمه دون أن يستجيب.

"لشغل المنشوري معًا يا سيث".

"حاضر".

"قلت إنك تعرف مواقع الأولاد طوال الوقت بسبب أجهزة تحديد المواقع".

"بوسع الجميع معرفة ذلك، لم يعد يتوجب علينا تعقبهم باستخدام التطبيق بعد الآن".

"استخدمتم الهواتف الذكية لتعقبهم سابقًا؟".

"لم نعد نفعل ذلك".

"إذًا، كيف تتعقبونهم الآن؟".

"إنهم يظهرون".

"ما الذي يظهر، أجهزة التعقب، أين يظهرون يا سيث؟".

بدا حائرًا: "إنهم يظهرون وحسب".

تشكلت على وجه راندال لاركين ابتسامة ساخرة متعجرفة، قبل أن يستفزها

ويدفعها لقتله في المصنع المهجور، قال شامتًا: أنت ميتة بالفعل، أيتها الحثالة. سيعرف

الجميع عنك في غرفة الهمس.

"ما هي غرفة الهمس يا سيث؟".

"إنها مجرد غرفة نقصدها".

"هل هي إحدى غرف هذا المنزل؟".

فكر بالأمر قبل أن يجيبها: "كلا".

"أين تقع غرفة الهمس يا سيث؟".

رفع يده ونقر على جبهته، فوق عينيه الغائرتين: "أعتقد أنها هنا في مكان ما. لم أفكر بالموضوع من قبل، لكنني أعرف أنها هنا في مكان ما وحسب".

ركبت الأحجية قطعة تلو الأخرى، ولم تعجبها الصورة التي كانت تتشكل. بقي المنزل الكبير ساكنًا، من دون صوت لتحطم النوافذ أو خلع الأبواب، على الأقل حتى الآن.

"هل يظهر أي شيء آخر باستثناء أجهزة تحديد المواقع في غرفة الهمس تلك يا سيث؟ هل تسمع أي أصوات هناك؟".

"هناك صوت خافت يهمس في بعض الأحيان".

"صوت من؟".

هز كتفيه: "قد يكون صوت أي أحد".

"هل سبق لك أن همست في غرفة الهمس يا سيث؟".

"همست بضع مرات".

"لمن كنت تهمس؟".

"للجميع".

نبض قلبها بعنف، كما لو أن كل نبضة بمثابة ضربة على جلدٍ مشدود لطبل السكان الأصليين، مستدعيًا خوفًا بدائيًا يقبع في أعماقها: "يستطيع كل سكان أيرون فرنس سماع ما تهمس به؟".

"نعم يستطيعون جميعهم أن يسمعوا".

لا بد أن التحديث قد شمل آلية التحكم بتقنية النانو في رؤوسهم، ميزة من شأنها أن تربطهم جميعًا عبر موجات البث الدقيقة. لم يعودوا مجرد ستمئة شخص يتم التحكم فيهم فحسب، بل أكثر من ذلك، لقد أصبحوا بمثابة قفير نحل.

فكرت أن جورج الذي كان يسكب الماء في غرفة الطعام هو السبب، فهو لم يسمع أمر التحكم الأول الذي نادى به لوثر، وحاول الفرار. نادته ولحقت به في الردهة. ما الذي قاله جورج في غرفة الهمس خلال تلك الثواني الفاصلة بين رؤيته لأسلحتهما وانصياعه لأمر التحكم الذي أطلقتته في الردهة؟ لا بد وأنه طلب النجدة.

"أمازلت تملك هاتفًا ذكيًا يا سيث؟"

"نعم."

"ما هو رقمه؟"

زودها بالرقم، كررته عدة مرات، حتى تأكدت أنها ستتذكره.

"هل الهاتف بحوزتك يا سيث؟". عندما أخرجه من جيب سترة لباسه الموحد قالت: "هل هو في وضعية التشغيل؟ إن لم يكن كذلك شغله الآن من فضلك. اتفقنا. جيد. أبق الهاتف في وضعية التشغيل وانتظر هنا يا سيث، سأكلمك في أقرب وقت".
"حسنًا".

بالرغم من أنها شعرت أن ركبتيها لا تقويان على حملها، وبارتخاء في عضلاتها، إلا أنها تمكنت من الركض حتى المرأب.

26

سارت جين في مقدمة الطابور، فيما سار لوثر في المؤخرة، واستلَّ كل منهما سلاحه. مشى الأولاد أزواجًا بينهما، إذ لم يعد أمامهم من حيلة سوى التحلي بالجسارة اللازمة للعبور سيرًا على الأقدام. إن أملهم الوحيد أن تكون كورا غندرسن قد زدوهم بحبل النجاة الذي يحتاجون إليه والذي أثبت فعاليته حتى الآن على أمل أن يستمر بفعل ذلك لدقائق إضافية.

استخدمت جهاز التحكم الذي عُلق إلى واقية الشمس الخاصة بسيارة الكاديلاك إسكالايد، فأصدر باب المرأب المقسم صوت قعقة وهو يفتح إلى الأعلى.

ظهر أمامهم طريق مرصوف بطول ثلاثين قدمًا يقود إلى الزاوية الجنوبية الشرقية من المنزل ويفضي إلى مستديرة. وقف فوق هذا الطريق الممتد على طول ثلاثين قدمًا ما بين الخمسة عشر والعشرين شخصًا، بمواجهة المرأب، وقفوا هناك بصمت وإن

كانوا على خلاف ذلك في غرفة الهمس التي تشاركوها. انعكست أضواء مصابيح خافتة على أقدام هذه الحشد، وباستثناء ذلك، بدوا مجرد أشكال قاتمة مخيفة تترصد بسكون. كما لو أنهم يقطنون عاصمة الجحيم بانديمونيوم⁽¹⁾ وقد صعّدوا من دروب من القطران المشتعل تحت سطح الأرض. ينتظرون أمراً عبر صور الجحيم قبل القبض على حصتهم من الأرواح البريئة لتُنقل إلى الجحيم الأبدي.

عندما قادت جين الأولاد خارج المرأب، توجه فقير النحل نحوهم، صرخت فيهم بأعلى صوتها: "لنشغل المنشوري معاً". خشيت من أن يكونوا قد طوروا مناعة تجاه هذه الحيلة. لكنهم استجابوا جميعاً كحشد من المصلين خلال ابتهالاتهم: "حاضر"، وتوقفوا مترقبين كلماتها التالية.

قالت لهم: "تنحوا جانباً، دعونا نعب".

رغم أن بعضهم ترددوا للحظة قبل أن يطيعوا الأمر إلا أن معظمهم استجابوا في الحال.

"دعونا نعب وابقوا في أماكنكم".

اقتربت جين وهي تقود الأولاد عبر أولئك الذين أحكمت سيطرتها عليهم، واعتمدت على لوثر ليتكفل حماية ظهرها. توضحت بعض معالم وجوههم بعيداً عن الظلال التي حجبتها، مثل وجوه تلبست المرايا المستخدمة لجلسة تحضير الأرواح في غرفة مظلمة أضواءها محضّر الأرواح بشموع خافتة. فقدت عيونهم ألوانها وبريقها، غشاها السواد كأعين الحشرات. حملوا وجوهاً أكثر برودة من أقنعة الموت نفسها. ظهرت اختلاجة أو نظرات متفحصة، هنا وهناك، صرير أسنان كشف عن تناقضات داخلية ربما لأنهم استجابوا لأمر لمباشرة القتال قبل عدة لحظات لاستجابتهم لأمر آخر بالتوقف عنه، رغم ذلك بقوا مطيعين لسيدهم الذي أصدر لهم الأوامر بتشغيل المنشوري.

كادت جين أن تنهار حين انعطفت عند الزاوية، لرؤيتها قرابة خمسين شخصاً مجتمعين عند ممر السيارات، وعلى المرح ليسدوا عليهم المخرج، تحركوا إلى الأمام بصمت ما أن رأوا الأولاد يضمرون نوايا لا يمكن للمرء أن يخطئها.

(1) عاصمة الجحيم في ملحمة "الفردوس المفقود" للشاعر الإنكليزي جون ملتون. (المترجم).

رفعت جين صوتها، وأطلقت أمرًا على شكل دعوة إلى اللعب، أطاعها الجميع. باستثناء امرأة عصت الأمر، واستمرت بالاندفاع مقتربة منهم ببطء وجديّة. بدت المرأة في أواخر الثلاثينات من عمرها، شقراء لكن شعرها بدا بلون فضي بفعل الضوء الخافت. رفعت إحدى يديها إلى صدرها كما لو أنها تحاول تهدئة نبضات قلبها.

لم يكن أولئك الذين وقفوا كحراس هنا أناسًا أشرارًا. لقد عاشوا حياة مقيدة، غير واعين لعبوديتهم، مؤمنين بأنهم أحرار. ربما برمجوا ليقوموا بأفعال فظيعة دون أن يتذكروا شيئًا مما فعلوه. حاولت أن تتجنب إيقافهم بالرصاص إن كانت الكلمات تفي بالغرض. رغم ذلك، عندما أمرت المرأة التي تتقدم نحوهم بأن تتوقف ولم تستجب تلك الأخيرة لأمرها، عمدت إلى رفع مسدسها ممسكة إياه بكلتا يديها محذرةً الأولاد: "أشيحوا بنظركم أيها الأولاد، انظروا للأسفل حالًا".

وقفت المرأة الشقراء على بعد نصف متر من ماسورة المسدس التي تركزت على منتصف وجهها الذي كان بالرغم من جماله خاويًا بشكل مخيف. فتحت فمها لتصيح كلمات، ومع ذلك لم يصدر أي صوت منها. قالت في محاولتها الثانية: "حاضر"، مسلمةً بعجزها. ومع ذلك تركزت عيناها على جين وبدا واضحًا أنها ترغب بقول المزيد.

انزلت يدها التي وضعتها على صدرها بعيدًا عنها كما لو أنها غدت فجأة بلا وزن. غير خاضعة لتحكم المرأة أو لقانون الجاذبية. تطفو بتأثير من إلكترونات وبروتونات الرياح الشمسية التي قد تكون موجودة حتى إن كان الوقت ليلاً. قالت جين قبل أن تجرؤ المرأة على الوصول إلى المسدس: "تنحي جانبًا في الحال، تنحي جانبًا ودعينا نعبّر".

عادت اليد التي بدت خارج السيطرة ببطء إلى صدر المرأة ومن ثم أسدلت إلى جانبها، لتتنحي بعيدًا عن طريقهم.

عندها تحدث هارلي والذي كان أحد الولدين اللذين وقفوا خلف جين مباشرة بصوت مرتجف، "أمي.. أمي". التفتت المرأة الشقراء ونظرت إليه.

اعتقد هارلي حين شاهد والدته وهي تخرج من الظلمة من بين الحشود أنه ربما لم يخسر كل شيء، وأنه من الممكن أن تعود حياتهم إلى مسارها الصحيح. كانت تلك المرة الأولى التي يراها فيها منذ عشرة أشهر يوم جاءت به هي ووالده إلى هذا المكان الذي يُدعى مدرسة. ربما كانت الحياة الواقعية تشبه أفلام الخيال العلمي في نهاية المطاف، ولربما كانت عميلة مكتب التحقيقات الفدرالي هذه والمأمور يملكان القوة اللازمة لإبطال مفعول العمل الذي قامت به الكائنات الفضائية الشريرة، أو أيًا كانت تلك القوى التي غيرت هؤلاء الناس. اختفى السخط والأسى من داخله، وتحدث إليها، فنظرت إليه. شعر أنها تعرف من يكون، بالرغم من أن عينيها كانتا غائمتين ووجهها خاليًا من التعابير في البداية، إلا أنه أحسّ في صميمه أنها بقيت ذات المرأة التي كانت سابقًا في مكان ما داخلها، أمه الطيبة، والحنونة، والرييقة، والمحبة.

تحدث إليها مجددًا، مدت يدها باسطة إياها بحيث أصبح بوسعه أن يشبك يده بيدها. ذات اليد التي اعتادت أن تمسده شعره، وتلمس جبينه لتتحقق من إصابته بالحمى، وتعديل ربطة عنقه عندما يرتدي ملابس زيارة الكنيسة. سمع نفسه وهو يخبرها بأنه يحبها، وسيبقى كذلك.

حين حوّل انتباهه عن يديها، شاهد سحنةً تتشكل على وجهها الخالي من التعابير، بالرغم من أنه لم يرَ مثل هذا السحنة سابقًا، إلا أنها لا تتناسب أبدًا مع لم شمل أم مع ابنها. كانت نظرة حادة، لكنها حادة ملتوية شرسة. ورغم أنها ابتسمت إلا أنها كانت ابتسامة شخص ظفر بما يريد لا ابتسامة عطف. كما لو أن ذلك الشيء الذي يتحكم بها الآن لم يستطع أن يتفادى التعبير عن مشاعره من خلالها وهو يرسم قسماً ووجهها الخادعة.

التقت أصابعهما، لتتحول يدها الممدودة إلى مخالب ظفرت به. تملّص من قبضتها مبتعدًا عنها. أمرتها عميلة مكتب التحقيقات الفدرالي أن تراجع، فقامت والدته - التي لم تكن بالحقيقة والدته بل شيء ما يشبهها - بتنفيذ الأمر. عاد وجهها خاليًا من التعابير مرة أخرى.

سمع هارلي نفسه وهو يصدر صوتًا فظيغًا، وأجبر نفسه ألا يصدر صوتًا آخر مماثلًا. لم يخسر أي شيء هنا. لقد أخبر نفسه منذ شهور أنه لا يوجد مجال للعودة،

وأن تلك الأشياء الغريبة قد أزاحت كل إمكانية لأن تعود الأمور إلى حالتها الطبيعية. خامره شعور أنه خسر والدته مجددًا حتى وإن لم يؤخذ منه أي شيء آخر في هذه الليلة، وندم لأنه سمح لنفسه أن يشعر بالأمل.

قالت له عميلة مكتب التحقيقات الفدرالي: "سيكون كل شيء على ما يرام يا عزيزي هارلي، هل تسمعي؟ أعدك أن كل شيء سيكون على ما يرام. أمسك بيد جيني". بالرغم من أنها لم تكن تبسم إلا أن مشاعر الحنان غلقت ملامح وجهها، ذات القسمات التي تمنى أن يراها على وجه أمه: "جيني، أمسكي يد هارلي، ساعدا بعضكما". تشبث هو وجيني بوون ببعضهما في الحال خلف العميلة، مدت جيني يدها، وشعر هارلي بالامتنان لأنها قامت بذلك.

بدأوا بالسير مجددًا فيما راقبهم جميع الحاضرين كما لو أنهم بانتظار الانقضاء عليهم. لم ينظر هارلي إلى أمه، حتى أنه لم يحاول البحث عن والده بين الحشود، بالرغم من يقينه أنه كان بينهم. لم يعلم إلى أين كانت وجهته وبقية الأولاد أو كم يحتاجون للوصول إلى هناك، ولم يعرف ما الذي ينتظرهم في نهاية الرحلة، لكن لم يعد أي من ذلك مهمًا، فلم يتبق لهم أي شيء في أيرون فرنس بعد الآن.

28

مثل تماثيل عرض الأزياء التي تم استحضارها للحياة وجيء بها من معارض البيع بالتجزئة لتبشر بزوال الإنسانية، جل ما أثار مخاوف جين أن تكون هذه الآلات المكونة من لحم ودم تشكل تهديدًا. هذه الأدمغة التي زرعت فيها تقنية النانو هي نتاج العلم، ومع ذلك وبغض النظر عن كل الغايات والنوايا فهؤلاء ألقيت عليهم التعاويذ. أقدم القصص التي أخبر الناس بعضهم بعضًا بها قبل اختراع الكتب دارت حول إلقاء التعاويذ - وكسرها.

ظلت تنظر إلى الخلف وهي تقود الأولاد عبر الحشود متجهةً لفتح البوابة الأمامية، لترى لوثر في كل مرة تنظر فيها وهو يتفحص الحشد.

رُكنت السيارات بطريقة عشوائية على طرفي طريقين إسفلتيين. لم تظهر أي أعضاء سيارات أخرى تقترب، وهذا دليل على أنهم لم يعتقدوا بضرورة استنفار كامل

سكان أيرون فرنس البالغ تعدادهم ستمئة نسمة للاستجابة للتنبيه الذي أُطلق في غرفة الهمس.

كانت سيارتها الفورد وسيارة لوثر الشيفروليه المستأجرة مركونتين على بعد مئة قدم إلى الغرب من العقار. وزعا أربعة أولاد في كل سيارة، واجتمعوا خلف سيارة لوثر المستأجرة.

قالت له: "كان ذلك مرعباً".

"لا يزال الأمر مرعباً".

"علينا أن نعبر بهم حدود الولاية، تحسباً لتدخل إحدى سلطات كنتاكي القانونية".
"أوافقك الرأي، أسرع طريق هو التوجه نحو تينيسي، ولكن إلى أين ستتجه بعد ذلك؟".

"إلى تكساس إن كنت توافقني الرأي".

راقبا مخرج العقار فيما كانا يتحدثان، ليتحققا إن كان هناك مدة زمنية محددة لبقاء هؤلاء الناس المبرمجين منصاعين للأوامر التي تلقوها بعد أن استجابوا لأمر التحكم: لنشغل المنشوري معاً.

سألها لوثر: "لماذا اخترت تكساس؟".

"هناك مكان أعرفه، سأخبرك عنه لاحقاً".

"يجب أن أتصل بربيكاً".

"بالطبع يتوجب عليك فعل ذلك، سنتحدث في هذا الأمر، دعنا نؤجل الموضوع الآن، ونعبر حدود الولاية أولاً".

أخرجت من صندوق لوحة المفاتيح في سيارتها هاتفاً نقالاً للاستخدام المؤقت لتقوم بالاتصال بهاتف سيث دونر الذكي، رغم أنها كانت شبه واثقة أن الرجل الضخم لم يعد جالساً بصبر على الأريكة الموجودة في غرفته.

قال عبر الهاتف: "مرحباً".

"هذه أنا، هل تتذكرني؟".

"نعم، أخبرتني أنك ستتصلين".

"عليك القيام بثلاثة أشياء".

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

"حاضر".

"توجه إلى غرفة الهمس ما أن أنني المكالمة، وأرسل رسالة لجميع سكان أيرون فرنس، هل تستطيع القيام بذلك؟".

"حسنًا، ما هي الرسالة؟".

"قل لهم، لنشغل المنشوري معًا".

"حاضر".

"سيستجيبون جميعًا تمامًا كما فعلت، وعندما يفعلون، أخبرهم أن ينسوا أمر الإنذار الذي أطلقه جورج. أخبرهم أن ينسوا ورود أي اتصال من المدرسة بشكل كلي. أخبرهم أن يمحووا من ذاكرتهم كل الأشخاص والأشياء التي رأوها في المدرسة. هل تفهم يا سيث؟".

أجابها: "نعم". مكرّرًا الأشياء التي قالتها.

"جيد، جيد جدًا"، قالت جين متذكّرة الكتابات المتكررة لكورا غندرسن على الصفحات التي أطلعها عليها لوثر، "هناك جملة باللغة الألمانية تنهي كل لعبة منشورية، تعرفها، أليس كذلك؟".

"نعم".

"كررها في غرفة الهمس بعد أن تخبرهم أن ينسوا كل شيء".

"سأفعل ذلك".

"الأمر التالي، هل هناك أجهزة لتسجيل فيديو كاميرات المراقبة في المدرسة، وهل هناك مكان تُحفظ فيه كل الفيديوهات التي سجلتها الكاميرات؟".

"نعم، إنها في غرفة المؤونة... قرص التسجيل هناك".

"نعم، ستكون محفوظة على أقراص هناك وربما على أقراص احتياطية. أخرج الأقراص من آلة التسجيل يا سيث، وضعها في دلو مع قليل من الوقود، أخرجها إلى الفناء وأضرم النار فيها، هل تفهم؟".

"نعم".

"ألتي كل بقايا الأقراص في البحيرة عندما تنطفئ النيران، هل ستفعل ذلك؟".

"سأفعل، لقد طلبت مني أن أفعل ذلك".

"نعم، طلبت منك أن تفعل ذلك، هناك شيء أخير. اذهب إلى غرفتك، واستلقِ بعد أن ترمي بقايا الأقراص إلى البحيرة".
"حاضر".

"غطّ في النوم بعد أن تستلقي، وانس كل ما حصل هذه الليلة. نَم وانسني أنا والرجل الذي كان برفقتي، انس وأنت نائم كل ما حصل للأولاد. أخيراً انس كل ما أمرتك أن تقوم به ما إن تنام".
بقي صامتاً.

"سيث".

"نعم؟".

"هل بوسعك القيام بكل هذا؟".

أجابها: "بالطبع".

"من الأفضل أن تبدأ في الحالي يا سيث".

"سأفعل".

"إلى اللقاء".

أنهت المكالمة، وأطفأت الهاتف المحمول الذي لن تجازف باستخدامه مرة أخرى. ستلقي به خارج السيارة في طريقهم إلى تينيسي.

رغم أن لوثر لم يسمع سوى ما قالته جين لسيث دونر أثناء المكالمة إلا أنه كان كافيًا بالنسبة إليه لتشكيل تصور حول ما قامت به، فقد أخبرته قبل أن يغادروا المرأب برفقة الأولاد بشكل مقتضب عما عرفته بشأن غرفة الهمس.

نظر إليها بشكل صارم للحظة كما لو أنها بالفعل العقل الإجرامي الخطير كما تدعي وسائل الإعلام: "متى تمكنت من اكتشاف الأمر ومعرفة ما عليك فعله بحق الجحيم؟".
"أثناء هروبننا".

"لا بد أن الأمر كذلك".

"بوسعنا أن نعرّج على فندق مورنينغ دوف ونجلب متاعك، شرط أن لا نتأخر في الوصول إلى حدود تينيسي في غضون تسعين دقيقة أو خمس وسبعين حسب ظروف الطريق".

"لا تقودي بسرعة عالية وإلا سأتيه عنك".

"اعتقدت أنكم معشر مأموري الشرطة ماهرون في المطاردة".

قال لوثر: "اللعنة، لا تجعليني أضحك، أكاد أتغوط في سروالي من الخوف بسبب ما نحن مقبلون على مواجهته".

29

أعاداً ملء السيارتين بالوقود في محطة للشاحنات في تينيسي واشتريا صودا للجميع، لكنهما أَجلا الدخول إلى الحمام إلى أن توقفا عند مطعم على جانب الطريق عند الساعة العاشرة وأربعين دقيقة مساءً، حيث لم يكن هناك أحد ليرى أو يتساءل عن الأولاد وأرجلهم المكسوة بالجوارب فقط.

أضيت هذه المحطة ذات الأرضية الخشبية بكثير من الأضواء لدرجة مبالغ فيها، كما لو أنها كواليس مسرح منمقة للغاية، وذلك لردع اللصوص وأولئك الأسوأ منهم مفترسي سائقي الدراجات الذين اعتادوا التردد إلى هذه المنشأة. شكلت الظلال السوداء والأضواء البيضاء أشكالاً هندسية متناقضة بشكل صارخ، بدت تجسيدا لشيء عميق، كما لو أنه سيقدم أداء فردي مضجر من مسرح الفن الحديث.

لم تثر الكاميرات قلق لوثر. فتجهيزات كاميرات المراقبة تبقى معطلة في مثل هذه المنشآت معظم الوقت، ونادراً ما يتم تنظيف العدسات. بل حتى أن الكاميرات نفسها كانت في بعض الأحيان محض هياكل لا تعمل، لا شيء أكثر من مجرد حيلة رخيصة لردع المفترسين وطمأنة الطرائد.

بالقرب من دورات المياه هناك طاولات نزهات خرسانية ذات مقاعد تحت أغصان أشجار الزيزفون لم يجردها الشتاء بشكل كامل من أوراقها. جلس لوثر على أحد المقاعد ليستخدم الهاتف المؤقت للاتصال بهاتف مثله تركه بحوزة ريببكا.

أجابت على الهاتف فوراً ليقول لها: "تعرفين أي أحبك أكثر من الحياة نفسها".
أجابته: "إنك تخيفني".

"لا أريد ذلك، لكن ما أنا على وشك قوله سيخيفك، هناك شيء يحصل أكبر مما تخيلته في يوم من الأيام".

قالت بعد أن عم الصمت: "هل هذا كل ما ستخبرني به؟".
"ليس لديّ وقت لأخبرك إلا بهذا القدر، الأمر كبير جدًّا، ولا أعلم تأثيره علينا،
على العائلة والمستقبل، يجب أن نخطط للأسوأ إلى أن نتبين ما الذي ستؤول إليه
الأمر".

أخبرها بما يجب عليها أن تفعل. كان ذلك بمثابة برهان على ثقة ربييكا به. دفعها
ذهنها المتيقظ، وغريزة البقاء المتقدمة لديها كي لا تعترض أو تسأل لماذا، لأنها عرفت
السبب في كل الأحوال.

بعد أن أنهى الاتصال، جلس للحظة في ظل شجرة الزيزفون، حيث عبقت رائحة
عطر نبات العسلة، مستمعًا إلى نقيق ضفادع الأشجار وصرابير الليل وهي تنادي أبناء
جنسها. لم يبدُ العالم الخارجي بالنسبة إليه ذا قيمة. حدّق بعيدًا عن طمأنينة الطبيعة إلى
طريق موقف السيارات الأسفلتي الذي بدا قاحلاً للغاية في الضوء القوي المسلط عليه.
دعا الله التماسًا للشجاعة وللرحمة، وإن كان ما يطلبه كثيرًا، فليمنحهم الشجاعة
فحسب.

القسم الخامس

العثور على جين

غمغم هارلي هيغينز أثناء نومه في مقعد الركاب الأمامي مطوقًا بحزام الأمان، وغفت كل من سالي ونورا في المقعد الخلفي. فيما وجدت جيني بوون مستقرًا لها بين الحقائق في الحيز المخصص للأمتعة أمام الباب الخلفي للسيارة.

انتقلوا من ناشفيل إلى ممفيس ثم إلى ليتيل روك، ومنها إلى غربي أركنساس، تحت سماء دوت فيها الغيوم مفسحةً المجال للنجوم والقمر. بقيت جين الشخص الوحيد المستيقظ في سيارة الفورد إسكيب فاتحة عينيها مثل عيني البومة بفعل حبوب الكافيين ومشروبات الطاقة، يكاد قلبها يطير فرحًا، بسبب نجاح عملية إنقاذ الأولاد الثمانية من بلدة الجحيم تلك. طيلة أسابيع زودت أيامها بإرادة حديدية أكثر من اعتمادها على الأمل، لأن التعلق بالأمل بحماسة قد يفضي إلى الخيبة، وستفضي الخيبة بدورها إلى الفشل. لكنها شعرت بجرعة عالية من الأمل تخيط كل الجروح التي أتخت روحها خلال الفترة الماضية بفعل هذا الانتصار مهما اعتبر صغيرًا مقارنة بكل ما يجري.

عَرَف لوثر المسار الذي يسلكانه والوجهة التي يقصدانها، وبالرغم من ذلك حددا نقاطًا للقاء على طول الطريق ليلتم شملهما فيها في حال افترقا عن بعضهما البعض، كان لدى كل منهما هواتف مؤقتة مسبقة الدفع ليصار إلى استخدامها عند الحاجة.

احتاج لوثر أن يستبدل السيارة المستأجرة التي يقودها برفقة الأولاد والتي سُجِّل عقد إجارها باسمه، بسيارة أخرى لا يوجد فيها جهاز تحديد مواقع. ولم ترغب جين بقيادة السيارة طول المسافة عبر شمال تكساس وصولًا إلى نوغاليس، أريزونا، لزيارة إنريكي دي سوتو، الذي اشترت منه سيارتها الفورد.

وجدت بديلاً محتملاً هنا في أركنساس، رغم أنها تجازف بالتوجه إليه من دون إخطار مسبق بقدموها. ناهيك أن تلك المنشأة لا تعد من الأماكن الآمنة تمامًا بالنسبة إلى الأولاد، ولكن الأماكن الآمنة بشكل كلي للأولاد تتناقص يوماً تلو الآخر في هذا العالم.

2

ركن المأمور روب ستاسن سيارة البويك المخصصة للسفر، طراز 61، خارج الإسطنبول الذي استخدم بمثابة مرآب لسياراته وسيارات ميلينا عند بزوغ فجر صباح الأربعاء البارد. امتلك سيارة فورد بيك آب بأربعة مقاعد. لم يحبها، لكنه أحبها أكثر مما أحب قطعهما. امتلكت ميلينا سيارة هوندا، وقد تشارك وزوجته قيادة البويك. وبالرغم من أن روب فكر ونوى مرات عدة تجديد سيارة البويك إلا أنه لم يقم سوى بزيارة دورية إلى الميكانيكي. رغم أن السيارة عملت بشكل سلس إلا أن بعض الأماكن في هيكلها كانت بحاجة إلى بعض الصقل، فهناك بعض المناطق التي نهشها الصدأ. شعر بالإحراج عندما ترجل منها وسلم مفاتيحها إلى ربيكا تيلمن. قال لها: "إنها ليست وسيلة نقل أنيقة بما فيه الكفاية".

قالت زوجة المأمور التي ارتدت معطفاً جلدياً صنعت ياقته من فراء الأرنب الفاخر، والتي بدت أطول من روب بالرغم من قامتها القصيرة: "تبدو ممتازة". "ستوصلك إلى ويسكونسن وتعيدك بكل سهولة. حسب ما فهمت أنك ستستخدمينها وجولي لمساعدة خالتك على الانتقال للعيش مع أمك؟".

"لا يجدر بأي منهما أن تعيش بمفردها. رفضت أمي القدوم للعيش معنا، وهي تقول إن مينيسوتا تقع على الجانب البعيد من القمر، ولكن ها هما تقرران العيش معاً في الوقت الذي يقود لوثر سيارته منذ أسبوع على طرقات أيوا". "إنه يزور أصدقاءه من أيام الجامعة، أليس كذلك؟".

"يتسكعون كل عامين، يمضون وقتاً خاصاً بهم. يقضي الرجال وقتاً جامعاً في ديس موميس الهادئة، ولا يمكن أن يتورطوا بأي مشاكل كبيرة هناك".

علّق روب: لطالما تحدث عن روجر وبالمر، ولكنهم عادة ما كانوا يقومون بهذه النشاطات في الصيف".

"صحة بالمر ليست على ما يرام، يستحسن ألا يؤجلوا الأمر حتى شهر آب".
"آسف لسماع هذا الأمر".

"أنت شخص لطيف يا روب، شكراً جزيلاً لأنك أعرتني سيارتك، فسيارتي التويوتا غير مناسبة لمساعدة الخالة تاندي على الانتقال".

ربت على جانب سيارة البويك قائلاً: "إنها فتاة قوية ستفي بالغرض؛ المذيع يعمل بشكل جيد، لكن لا يوجد جهاز تحديد مواقع".

"على كل حال أنا لا أحب صوت الروبوت الأنثوي ذاك، إنه متعجرف بعض الشيء".

قبلته على وجته، وجلست خلف المقود، أغلق الباب خلفها. راقبها وهي تقود السيارة بعيداً لتتصاعد غيوم من البخار من عادم السيارة بفعل هواء الصباح البارد.

استلطف زوجة المأمور، وعرف أنها امرأة جيدة. ليست جيدة بالنسبة إلى لوثر فقط بل جيدة بشكل عام. رغم ذلك فقد تساءل عن السبب الحقيقي الذي دفعها لاستعارة سيارة البويك طراز 61 منه، وعن وجهتها الحقيقية هي وابنتها جولي.

3

تأكلت جبال واشيتا في أركنساس بفعل عوامل الحتّ طيلة آلاف السنوات. وقّرت الطريق المتموج صعوداً ونزولاً مشاهد للجبال المنخفضة والوديان العميقة حيث تجتمع الضباب بالقرب من سطح الأرض في الصباح البارد، وانساب كما لو أنه ذاكرة الثلج على منحدرات من الصنوبر والشجيرات، لأميال وأميال من الأراضي غير المأهولة تقريباً.

لم يسبق لجين أن أتت إلى هنا إلا مرة واحدة، إنها عبارة عن مدخل طريق ذي اتجاه واحد غير معبّد يقع مباشرة على الجانب الآخر من طريق الولاية عند جرف شديد الانحدار من الحجار الداكنة المعرّقة بالكوارتز الذي تلاًلأ عند بزوغ الشمس. انعطفت جين لتسلّك ذلك الدرب الضيق، المحاط بغابة ذات أشجار متشابكة لدرجة أنها بدت وكأنها تقود فيها عملياً عبر نفق.

استيقظ الأولاد، جلسوا وهم يتشاءبون ويرمشون بأعينهم، اخترق الضوء مظلة الأشجار على شكل خيوط دقيقة من النور، كما لو أن الشمس تعبر الغابة على شكل عدد لا يُحصى من الدعائم.

تبعتها لوثر بسيارته المستأجرة.

أصبح الممر ضيقاً جداً على بعد خمسين قدمًا من الطريق المعبد، الذي أفضى بها إلى بوابة مصنوعة من أنابيب بقطر ثلاث بوصات مركبة بين مجموعة من الأعمدة الفولاذية المغروزة في خرسانة أسمنتية. كانت البوابة أمتن مما تبدو عليه في الواقع، لاسيما أن الطريق القصير حرمها من ميزة اكتساب السيارات السرعة اللازمة للإطاحة بها.

لم يوضع أي صندوق اتصال للزوار. كان مدخل مُلكية أوتيس فوتشر محروسًا على الدوام وإن لم تكن الحراسة ظاهرة للعيان.

انتظروا لثلاث دقائق قبل أن يقنع صبرهم الحارس أنهم يدركون الإجراءات المتبعة وأنهم قد قصدوا هذا المكان في وقت سابق. ظهر رجل بشعر ولحية كثين من الظلال والضباب الذي يتخلله الضوء، كما لو أنه إله للغابة عاش في قلب الأشجار ليتجلى متى يشاء بجسد من لحم ودم.

حمل سلاحًا آليًا بمخزن طلقات طويل.

لا بد وأنه يحمل مسدسًا ومخازن احتياطية لكلا السلاحين تحت قميصه الفضفاض المتدلي فوق سرواله.

إضافة إلى هذا الرجل، لا بد وأن هناك ثلاثة رجال آخرين مسلحين بشكل جيد موزعين على نقاط أخرى في الغابة.

بعد أن تفحص السيارتين بشكل مستفيض لدقيقة أو أكثر اقترب الرجل من مقدمة سيارة الفوردي وتوجه نحو باب السائق، في الوقت الذي فتحت فيه جين نافذتها، بدا وجهه المحاط بشعر ولحية كثيفين أسمر اللون، وبدت عيناه السوداوان حادتين كعيني الصقر.

"لا ينبغي أن تكونوا هنا يا سيدتي". قال ذلك وجال بعينه على الفتاتين في المقعد الخلفي، ومنهما إلى هارلي ليعود إلى جين. "لا عمل هنا لأولاد في مثل سنهم".

"أرغب بمقابلة أوتيس فوتشر".

"لم أسمع باسمه في حياتي"

"لولا تدخلتي لكان ابنه دوزير معلقاً على جبل المشنقة".

"لم أسمع بشخص يدعى دوزير".

"اتصل بالمسؤول عنك، وأخبره أن المرأة التي يسري بول الأفعى المجلجلة في عروقتها ترغب برؤيته، ولا تقل لي إنه لا يستيقظ باكراً، فهو مصاب بالأرق، ولم ينم قرير العين لأكثر من ثلاث ساعات متواصلة في الليلة الواحدة منذ سنوات".

انحنى الحارس مستنداً إلى النافذة، ناظراً إلى عينيها لبرهة من الزمن: "لست بمفرد في هذه الأرجاء".

قالت له: "أعتقد أن هناك سلاحين مصوبين نحوي، إذا ما استثنينا الأسلحة التي بحوزتك، لست بلهاء لعينة لأرتكب أي حماقات حتى وإن كانت تلك غايتي، وهي ليست كذلك".

ابتعد الحارس عن الطريق، وتنحى عن مجال إطلاق النار الذي احتفظ به الرجال المسلحون الآخرون. أخرج جهاز اتصال لاسلكي من تحت قميصه، وتحدث مع شخص ما عبره بصوت منخفض لدرجة لم تستطع أن تسمع حديثه.

قال هارلي هيغينز: "أعتقد أنني أرغب بالعمل لدى مكتب التحقيقات الفدرالي".
"لا أنصحك بذلك".

"حسناً، ما قصده أنني أرغب أن أكون مثلك".

"أوه يا عزيزي، أنت مثلي بالفعل، فكلانا هاربان".

فتح الحارس البوابة عبر جهاز تحكم عن بعد، وأشار إليهما بالمرور.

استمرت الغابة تتضاءل على طول الدرب حتى أفضت أشجارها إلى المرج. كان منزل أوتيس فوتشر يقع في مقدمة الأراضي الممهدة. وهو عبارة عن منزل عائلي مكون من طابقين تعرض إلى عوامل الطقس لفترة طويلة ليصبح لونه رمادياً مثل لون فراء القطط البريطانية التي رباها أوتيس إلى أن أظهرت زوجته الثالثة حساسية تجاهها.

ترجلت من السيارة، وأغلقت الباب خلفها، بعد أن أخبرت الأولاد بأن يبقوا في الداخل. وقفت منصتةً لهدوء نادرٍ في العالم المعاصر، حيث نادى طيور الصباح

بعضها، لكن صوت زقزقتها أكد على عمق الصمت الذي خيم على تلك الأراضي. وكان هناك في الخلف بيوت أخرى مصنوعة من خشب الأرز ومتصلة فيما بينها بدروب غير معبدة، أخفيت الأبنية التي زاوت العائلة فيها أعمالها بعيداً عن عدسات التصوير الجوي. لا بد أن هذا المكان يعد أحد أكثر المشاريع الإجرامية استقراراً في الجنوب، إن لم يكن في كامل البلاد.

بدا هذا الموقع بعيداً عن كل وسائل الخدمات والراحة، رغم ذلك توفّر التيار الكهربائي، بسبب أجيال من العلاقات الودية مع البنية السياسية للبلاد والنخب على مستوى الولاية والتي لم تحرص فقط على ألا يتم التعرض لآل فوتشر وهم يعملون على كسب رزقهم، بل أيضاً بأن يحظوا بالمرافق الأساسية على قدم المساواة مع دافعي الضرائب رغم أنهم لم يدفعوا أيّاً منها على الإطلاق. رأت على السطح ثلاثة لواقط فضائية.

انتظرها أوتيس على كرسي هزاز في الشرفة الأمامية. بوجه سمح في الخامسة والستين من عمره كما لو أنه دفع رشوة للوقت أيضاً، لأن تلك التجاعيد القليلة التي ظهرت على وجهه منحته شكلاً أطف مما لو كان من دونها. لم يوح أي منها أنه شعر بالقلق ليوم واحد في حياته. انتعل حذاءً كلاسيكياً، وبنطالاً من القماش الخاكي، وقميصاً أبيض مزرباً حتى ياقته، وربطة عنق سوداء، كما وضع قبعة مربعة من القش فوق رأسه. نهض عن الكرسي بشكل جزئي، وانحنى بهدوء عندما بلغت درجات الشرفة.

كان هناك كرسيان وطاوله بينهما. بالإضافة إلى أرجوحة في الجهة البعيدة من الشرفة، إضافة إلى وعاءين من نبات العشقة تدليا من سلال مصنوعة من الحبال علقت بالسقف.

جلس أوتيس مجدداً ما أن استقرت على الكرسي المجاور له: "لا بد أنك ورّطت نفسك في مشاكل كبيرة يا فتاة".

"لم أعرف أنك تتابع آخر مستجدات الأحداث".

"متابعة مستجداتك بشكل مستمر ترهق رجلاً عجوزاً مثلي. لذا أكتفي بتقفي أخبارك بين الفينة والأخرى".

أكدت له: "كل ما يتداولونه عارٍ من الصحة".

"هذا هو الحال دومًا، لكنني أتساءل لماذا قصدت هذا المكان، لماذا قصدتني أنا، ولماذا قصدتني في هذا التوقيت؟".

"أنقذتُ ابنك من أن يقضي حياته في السجن ومن عقوبة الإعدام".

"لم يكن دوزيير قاتلاً متسلسلاً في يوم من الأيام، لقد ظلموه. وأنت راوغت لتبرئته، لم تقومي بذلك لوجه الله أو حبًا بدوزيير، هذا جزء من عملي".
"عندما جاء بي إلى هذا المكان في المرة الماضية لمقابلتك، طلب منك أن تساعدني عندما أحتاج إليك كما لو أنني من ذوي القربى".

"أنجبتُ أحد عشر ولدًا وسبع بنات، لن أمضي حياتي وأنا أحاول رد الجميل في كل مرة يتم إنقاذ أحدهم فيها".

"سأوفر عليك هذا العبء أن قبلت بعقد صفقة واحدة معي".

أخذ علبة قصدير من العاطوس عن الطاولة الصغيرة الموضوعية بين الكرسيين:
"أترغبين بتجربته؟". استنشقتُ حفتة عندما رفضت عرضه. "كُنْتُ هنا في المرة الماضية، رأيت كيف حالك. أتذكر كيف قلتُ لك، أيًا يكن ذاك الذي فعلته لأجل دوزيير، فإن جَلَّ ما ترغبين به في الحقيقة هو تدمير أعمالنا الصغيرة المثيرة للشفقة".

سألته: "هل تذكر بماذا أجبتك على قولك هذا؟".

"ربما أتذكر إن بذلتُ جهدًا".

"قلتُ إنك على حق. أنت تصنع كمية المخدرات التي تغطي حاجة السوق، أنت تتاجر بالجملة على امتداد الجنوب، أنت تدمر حياة الناس. يجب الإطاحة بك، لكنني لست في وارد الخوض في القضايا الخاسرة. فلنقل أنني أحلتُ ملفك لإدارة مكافحة المخدرات، الأمر الذي لم أفعله على الإطلاق. ولكن لنفرض جدلاً أنني فعلت ذلك، فإنهم سيضطهدون بالساسة الذين لن يدخروا جهدًا لإجهاض مساعيهم لأجلك حتى يستسلم الجميع. سأوصم بأني المحاربة التي لا تستطيع التمييز بين الممكن والمحال. عندها قلتُ لي إن بول الأفعى المجلجلة يسري في عروقي عوضًا عن الدماء. اعتقدت أنك كنت تمتدحني".

لم يكن يتأرجح على الكرسي الهزاز. لكنه بدأ الآن يفعل ذلك. نظر إلى السيارتين حيث التصقت وجوه الأولاد بالنوافذ ليتمكنوا من رؤيته بشكل واضح.

قال بعد بعض الوقت: "من يكون ذلك الرجل الضخم في السيارة الرياضية؟".
"إنه مأمور من مينيسوتا".

"هل هو كذلك؟ هل يمكن شراء ذمته؟".

"هل تنوي القيام بفتح فرع لأعمالك في الشمال؟".

"أتساءل عن طبيعته فحسب".

"لا أعتقد أنه سيخون مبادئه مهما يكن الثمن الذي تدفعه".

"ومع ذلك ها هو ذا برفقتك خارجًا عن القانون".

"قتل بعض من أصدقائه وجيرانه في الأحداث التي وقعت هناك، لقد أخذ الأمر على عاتقه بجدية، أكثر مما تصور هو نفسه".

استمر أوتيس بالتأرجح.

تصاعد الضباب المتجمع نحو الشمس الآخذة بالارتفاع بأذرع دخانية تذوي في طريقها إلى الأعلى.

"تقصدين المرأة المجنونة التي انتهى بها المطاف بتفجير الحاكم؟".

"ليست مجنونة بالطريقة التي تظنها".

"لا أفكر بطرق مختلفة، هذا ما ذكره الإعلام، يرمون الكلام جزافًا حتى يصنعوا شيئًا من لا شيء".

اندفعت خنفساء عجولة على خشب أرضية الشرفة كما لو أنها في مهمة تخص عالمها الصغير.

"هل فكرت يومًا لماذا لا يتصدى بعض من في الحكومة للمعتوهين الذين يقطعون الرؤوس، ويطلقون النار على الحشود في المقاهي الليلية؟".

"لماذا لا يتصدون؟".

"لأن ذلك يبقينا نحن الناس البسطاء مشتتي الانتباه".

بالرغم من أن أوتيس لم يبدُ متنبهًا إلى الأرضية، إلا أنه أوقف الكرسي فجأة إلى أن عبرت الخنفساء الصغيرة بأمان تحت سكة الكرسي الهزاز المنحنية، ليعاود التأرجح مجددًا.

سألته جين: "مشتتي الانتباه عن ماذا؟".

لم ينظر إليها منذ أن جلست بجواره، وها هو الآن يرمقها بنظرة سريعة بنصف ابتسامة مرسومة على شفتيه: "وكانك لا تعلمين السبب، يشتتوننا عن مؤامراتهم وفسادهم".

مجددًا، ركّز أوتيس عينيه على السيارتين. قالت جين بعد فترة من الصمت: "جل ما أحتاج إليه هو سيارة قديمة متضررة، ذات مظهر رث لكن سريعة كالبرق ويعتمد عليها، ولا تحتوي على أي أجهزة تحديد مواقع".

"يتوجب عليك أن تحصلي على سيارة مطاردة إذًا. لكن لا يوجد بائع سيارات متجول في هذه الأرجاء".

"كما لو أنك لا تملك أسطولًا منها مرميًا بين الأشجار".

هزّ رأسه لتطير ذبابة ذات جناحين أخضرين من حافة قبعة القش التي يعتمرها: "أنت تثيريني يا فتاة".

"كما أحتاج أن يقوم أحد رجالك بقيادة السيارة المستأجرة إلى مطار لوسيفيل ويتركها هناك".

"استأجرها المأمور من ذلك المكان؟".

"نعم".

"المسافة طويلة إلى لوسيفيل".

"إخفاء السيارة ليس بذي فائدة بالنسبة إليّ، كما أريد منك أن تعيد عداد كيلومترات السيارة إلى الخلف ليبدو الأمر وكأنها استخدمت للتجوال في أرجاء لوسيفيل".

"ألا تعتقدين أن عليّ تغيير إطاراتها وتغيير الزيت، وغسلها جيدًا وإلصاق ملصق أحبّ يسوع على مؤخرتها؟".

"يكفي أن تعيدها إلى لوسيفيل، وهناك شيء آخر".

"شيء واحد فقط أليس كذلك؟".

"عندما يبلغ أولادك سن الجامعة هل ترسلهم ليكملوا تعليمهم؟".

"فقط الذين يرغبون، كثيرون منهم لا يرغبون مهما فعلت لحثهم على ذلك".

"دوزير يقوم بتطوير البرامج. ذكرَ أن أخته الكبرى طيبة قلب وهناك أخ آخر

طبيب نفسي".

"لا أعترض على ما يرغب الأولاد بفعله طالما أنهم يقسمون بالله ألا يعملوا سياسيين، لم أرب أولادي ليلطخوا أيديهم بهذا العمل".
"تمنى أن يصبح أحد أبنائك مهندسًا معماريًا".
"سيكون ذلك أمرًا عظيمًا، أليس كذلك؟ واحد من آل فوتشر يتخيل الأبنية ثم يجعلها حقيقية على أرض الواقع. أقرب ما حظينا به إلى ذلك هو مقاول بناء".

"أي نوع من المقاولين؟".

"النوع الذي يبني الأشياء".

"هل صدق بأي حال من الأحوال أنه يسكن في سان فرانسيسكو؟"

"كلا، إنه يقيم في سان دييغو، إنه يحظى بنفوذ واسع في المدينة، مع ذلك فقد أنجز بعض الأعمال في مدن أخرى من بينها فرانسيسكو".
"أحتاج إلى عنوانه، ورقم هاتفه".

بدت عيناه بلونهما الرمادي الأزرق تميلان أكثر للون الرمادي حين التفت برأسه ليتفحصها.

"وعندها تستطيعين توريطة في مشاكلك؟".

"تعرف أي لن أقوم بفعل ذلك على الإطلاق".

"لماذا عليّ أن أعرف ذلك؟".

"كان بإمكانني أن أقصد دوزير لأسأله عن المهندس. وعندها كنت لأعرف بأمر المقاول، ولكن من شأن ذلك أن يعرضهما للخطر".

جعلها تنظر إلى عينيه لبرهة من الزمن ثم أعاد توجيه انتباهه إلى السيارتين:
"حركة ذكية منك أن تصطحبي الأولاد معك".

"لم أملك أي خيار آخر".

"ما قصتهم؟".

"إنهم أيتام".

"هل أنت من يتّمهم؟".

"كلا، أحاول فقط أن أوصلهم إلى مكان آمن".

نظر إليها مجددًا، بنظرات حادة كالسكين: "لولا أنهم برفقتك لكنت جثة هامدة في الغابة، برصاصة في رأسك الجميل، تنتظرين أن يُحفر لك قبر. كان القناص ليريدك قتيلة ما أن يلمحك قادمة بالسيارة".

"هذا ليس من شيمك".

"حسنًا، ها أنتِ ذا الآن تعرفيني أكثر مما أعرف نفسي".

"ليس أكثر، أعرفك بما فيه الكفاية، ستلبي ما أطلبه منك، لكنك تقول هذا لتفزعني كي لا أعود إلى هنا مرّةً أخرى".

"إن أردت الاعتقاد بما تقولين فليكن ذلك، لكن ذلك لا يعبر بشكلٍ كافٍ عن منطقتك السليم".

"أستطيع أن أدفع لك مقابل سيارة الهروب وإعادة السيارة المستأجرة إلى لويسفيل مبلغًا قدره اثنا عشر ألف دولار".

عَمِلت في وقت سابق على إخراج اثني عشر ألفًا من حقيبتها في السيارة وقسمتها إلى خمس رزم.

"اثنا عشر ألفًا"، ضحك وهو يهز برأسه، "لن أقبل أن أبصق لقاء هذا المبلغ".

"لا أطلب منك أن تبصق، أقصى حد بإمكانني أن أدفعه هو أربعة عشر ألفًا".

"عشرون".

"لدي ثماني أولاد لأعتني بهم، لا يتعلق كل الأمر بك فقط يا سيد فوتشر".

قلب عينيه ونظر إلى سقف الشرفة: "ها أنا ذا أصبح فجأة سيد فوتشر. إذا قلت

لهم من تكونين. هذا عالم من البشر الذين لن يصدقوا كلمة واحدة. ثمانية عشر ألفًا".

"خمسة عشر ألفًا وخمسمئة، هذا كل ما يمكنني دفعه، لا أكثر".

"سيفي ذلك لسيارة الهروب وإعادة السيارة المستأجرة إلى لويسفيل، لكن ماذا

مقابل رقم هاتف ابني المقاول؟".

"عليك أن تزودني بالرقم من باب اللباقة".

"اللباقة؟".

"نعم".

رفع قبعة القش عن رأسه، سوّى شعره الأبيض، وأعادها مرة أخرى، ليتبين لاحقاً أن تلك إشارة تم الاتفاق عليها مسبقاً.

دوى صوت رصاصة، وتحطم أقرب وعاء معلق من نبات العشقة. تبعثرت شظايا الصلصال إضافة للتراب ونبات العشقة على أرضية الشرفة.

جلست جين محدقة إلى الفوضى مستمعةً إلى صدى الرصاصة التي تردد في الفراغ ودوى في الغابة المحيطة.

عندما عاد السكون قالت له: "لا زال يتوجب عليك أن تقوم بذلك من باب اللباقة".
"لم أعمد للقيام بذلك كجزء من المفاوضات، أنا أعبر عن وجهة نظري".
قالت له: "حسناً إذاً"، أخرجت أربع رزم من فئة المئة دولار من أصل خمسة دستها في جيب سترتها الرياضية. قامت بسحب خمسمئة دولار من إحدى الرزم لتبقيها معها واطاعة ما تبقى على الطاولة بينهما. نهض عن كرسيه ونظر إليها: "ما كان يجدر بدوزير أن يأتي بك إلى هنا في تلك المرة. هو ناضج بما فيه الكفاية ليدرك ذلك، لكن تلك هي طبيعته".
"عبر عن امتنانه لي فحسب، إضافة إلى فخره بك".

"اصمتي الآن ودعيني أقول ما في جعبتي، هناك سببان يمنعانني من إرسالك إلى حتفك أيتها الجميلة. أولاً، بسبب الأولاد. لكن إن عدتِ إلى هنا مرة أخرى فلن يعني وجودهم شيئاً، ستغطين في نوم عميق إلى جوار الديدان".

توقف عن الحديث فيما بقيت هي صامته مما أثار فيه شعوراً بالرضى.
"أما السبب الثاني، فهو أنك تشيريني، أقر بذلك. لم أعرف امرأة مثلك من قبل. لكن لن يشفع لك ذلك ولو لدقيقة واحدة في المرة المقبلة. أما الآن، فاذهبي وانتظري خارج السيارة المستأجرة تلك. سيأتيك بعد قرابة النصف ساعة شاب بسيارة مع أوراق ملكية باسمك. ما الاسم الذي ستستخدمينه؟".

"سأخرج رخص القيادة مع المعلومات لا شيء أكثر".
"تفضلي إذاً".

أخرجت من جيب سترتها الداخلي نصف دزينة من رخص القيادة، نزعت عنها الرباط المطاطي، تفحصتها جميعاً وأعطته واحدة تحمل اسم ميليندا جون غارلوك من ريفيرسايد كاليفورنيا.

دخل إلى المنزل تاركًا النقود على الطاولة خلفه. وعندما نهضت جين من الكرسي الهزاز خرجت امرأة جميلة من الباب الأمامي في الأربعين من عمرها. التقت بها جين قبل بضع سنوات عندما جاءت برفقة دوزيير لزيارة هذا المكان، مارغوت فوتشر الزوجة الثالثة ووالدة الجيل الأخير الذي لم يقصد الجامعة بعد. سألتها مارغوت: "هل أنت على ما يرام يا عزيزتي؟". "لست في أفضل حال".

قالت مارغوت وهي تأخذ المال عن الطاولة: "لا تسمح لي لذلك الرجل العجوز أن يتلاعب بأعصابك، إنه نكد لكنه لا يؤذي".

قالت جين مخالفة إياها في الرأي: "يحمل بعض الأذى بداخله، لكن تلك ليست طبيعته. إنه الأثر الذي خلفه ذاك العالم الذي يقبع في الخارج".

"سمعت بعض الأشياء عنك وعمّا عانيت في ذلك العالم. أنا واثقة أنها ليست صحيحة"، ابتسمت ونظرت إلى السيارتين في الخارج، وقالت: "سأجلب الشاي والقهوة وبعض الكعك للأولاد، بالرغم من أن الوقت لا يبدو مناسبًا لذلك".

قالت جين: "لا داعٍ لذلك، سأنتظر في السيارة".

قالت مارغوت: "اعتني بنفسك".

"وأنت كذلك، سررت برؤيتك مجددًا".

"وأنا أيضًا، سررت برؤيتك بالفعل".

تلاشت برك الضباب التي تجمعت هنا وهناك على امتداد الدرب الطويل مع حلول النهار، لتكشف لحظة تلو الأخرى مساحات أوسع من المرج الأخضر، بدت المنازل التي بنتها العائلة من خشب الأرز ذات لون فضي في ضوء الشمس الساطع أكثر من كونه رماديًا. هيمنت أشجار التوليب البرية على الأراضي المكشوفة على نطاق واسع. وانتشرت أنواع مختلفة من أشجار الغابة كسور أحاط بالمكان.

ماثل الأمر نوعًا من تعاونية أميش⁽¹⁾. بيد أنه لم يوجد أي نشاطات زراعية، ولا حتى زراعة للقمح. يتم جلب خزانات المواد الكيميائية من حيث يتم تركيبها، ثم يصار

(1) الأميش مرتبط بالجماعات البروتستانتية المتشددة في الولايات المتحدة وكندا التي تعارض الشعائر وترتدي ثيابًا غير منمقة. (المترجم).

إلى تحويلها إلى أنواع متعددة من المخدرات غير القانونية، ومن هنا تُصدر البضائع إلى أنحاء عالم منحرف. إلى أناس مضطربين بشدة يشتركون ما يحتاجون إليه ليتجاوزوا الليل، ويجابهوا النهار، ويهربوا من كليهما.

خرج لوثر من سيارته حين سمع صوت الرصاص، وبقي واقفاً عند باب السيارة منذ ذلك الحين إلى أن انضمت إليه جين. سألتها: "هل أنت بخير؟".
"لماذا يصير الجميع على طرح هذا السؤال عليّ؟ سأحصل على السيارة التي نحتاجها بعد نصف ساعة".

تفحص الدرب وقال: "مسرور لسماع ذلك، هذا المكان سيء".
قالت له: "أجل، لكن الأمر المثير للسخرية أي لم أشعر بالأمان في أي مكان آخر منذ أن توفي نيك كما شعرت هنا".

4

زوّدها أوتيس فوتشر بحافلة كرايزلر فويجر طراز 1988 حمراء كرزية اللون، بطلاء متآكل بفعل عوامل الطقس، وصدأ يشوب جوانب الأبواب السفلية. كُسر واحد من أصل ستة أجزاء لغطاء مبرد السيارة، إضافة لهيئة رثة بفعل طرازها القديم. ولكن حُشر في حجرة المحرك التي تم تغيير حجمها قطع غيار 383 سي أي لرفع الأداء من شركة جنرال موتورز عبارة عن محرك صغير أسود اللون بقوة ثمانية سلندرات بذراع تدوير فولاذي، وذراع توصيل هايدروليكي، ومكابس 9.7:1، ورأس أسطوانة ألومنيوم للاحتراق السريع. في الواقع كان هيكل السيارة المعدني جديداً بالكامل، وحده جسم السيارة كان ناجياً من العام 1988، ولعل الإطارات هي الشيء الوحيد الذي يفسح مجال الشك للمراقب العادي، حيث أنها من النوع الذي يتحمل أي سرعة تبلغها سيارة الهروب هذه.

لن يواجه لوثر أي صعوبة في مواكبة سيارة جين الفورد إسكيب المعدلة في المكسيك.

تحققت من قياس أقدام الأولاد في مرآب مركز التسوق في فورت سميث أركنساس، وخمنت المقاسات. دون لوثر ملاحظاتها وتوجه إلى المتجر ليشتري اثني

عشر زوجًا من الأحذية الرياضية وملابس داخلية وجوارب بمقاسات متنوعة.

التهموا فطورهم في وقت متأخر بعد أن تضوروا جوعًا في مطعمٍ أمنت جين أن لا يتم التعرف إليها فيه، قدّم المطعم طعامًا شهياً ووجبات بكميات وفيرة، لم يكن أحد يبحث عن لوثر تيلمن ولم تبحث أي سلطات عن الأولاد، على الأقل ليس بشكل رسمي، وليس عبر عرض وجوههم البريئة عبر التلفاز. تنكرت جين بشعرٍ كستنائي اللون وعدستين لاصقتين خضراوين ونظارة. رغم ذلك فإن تنكرها الأهم هو مرافقها أسود البشرة والأولاد السعداء رغم حالتهم المزرية.

من الصعب تخيل أن أكثر المطلوبين الفارين من وجه العدالة في الولايات المتحدة الأميركية تسافر برفقة عدد كبير من الأولاد- المتبنين كما أخبروا النادل- أو امرأة عُرِفَت بكونها خاتنة، وقاتلة وسارقة هي نفسها هذه الأم الحنون، أو أن يعامل هؤلاء الصبية والفتيات ذوي التهذيب الفائق جين هوك المتوحشة بمثل هذه الثقة والمحبة.

عبروا من فورت سميث باتجاه أوكلاهوما، واكتست السماء بلون أزرق فاتح، تتخللها طبقات من السحاب الممتد كسلسلة من التلال قليلة الارتفاع المكسوة بالثلج المنبثقة من الأرض لتنسب باتجاه الشرق.

عند الساعة الثانية وأربعين دقيقة بعد ظهر الأربعاء سلكوا الطريق السريع رقم 35 باتجاه الجنوب، وعزموا على الوصول إلى أردمور عند الساعة الخامسة ليبيتوا الليل فيها. رافقهم على معظم أجزاء الطريق واحد أو أكثر من الصقور التي حلقت على شكل دوائر كسولة في السماء، سواء على الجهة الشرقية أو الغربية من الطريق السريع.

5

جلس هوي دارنيل المطلق ثلاث مرات، من نساء سليطات والذي يتعرض حاليًا للخيانة من زوجته الرابعة وحيدًا يحتسي البوربون مستاءً من أنه لا يزال صاحيًا في مؤخرة شاحنة مغلقة، يراقب من خلف المقاعد الأمامية منزل عائلة تيلمن عبر المنظار. كان حسان ذكاري على رأس عمله صبيحة هذا اليوم عندما توجهت الابنة جولي لتوصل أمها إلى منزل المفوض روب ستاسن لاستعارة البويك القديمة. بعد أن

تبعهما ذكاري من منزل المفوض وإليه اتصل بهوي طالبًا التعليمات عندما بدأ بتحميل الحقائق في سيارة البويك بعد عودتهما إلى المنزل مجددًا.

لسوء الحظ، تأخرت المرأتان بسبب انتظارهما افتتاح المصرف لتدخلًا إلى هناك معًا، ما أعطى هوي الوقت والفرصة ليثبت جهاز إرسال في سيارتهما المستعارة. وها هما الآن حسان ذكاري وكيرنان بيدل العميلان الوحيدان المتبقيان من فريق هوي المصغر يتبعان ريببكا وجولي تيلمن إلى المجهول، وبقي هوي وحيدًا ليتبع الأمور الذي يقضي إجازة- والذي لا بد، ومن المؤكد، ومن الأفضل أنه في المنزل، يتسكع في ملابس النوم أو ملابس الرياضة، ويتناول مقرمشات الجبنة ويحتسي الجعة وهو يشاهد البرامج الرياضية.

لم يلمح أحد منهم المأمور منذ أن بدأت عملية المراقبة هذه في اليوم السابق، الذي صادف يوم الثلاثاء.

توجب على هوي دارنيل أن يبلغ رئيسه بوث هندركسون عن هذا الأمر منذ وقت طويل. لكنه أمل إن ضحى بالبقاء صاحبًا من تأثير الخمر ورصينًا لوقت كاف بأن الآلهة ستكافئه بأن يتبين بأن كل هذا الأمر بلا أهمية، كي لا يضطر لإخبار أحدٍ أنه فشل فشلاً ذريعًا. بالرغم من أنه كان ملحدًا، إلا أنه أمل أن يكون مخطئًا بمعتقداته هذه. وإن لم يستطع في الوقت الراهن أن يؤمن بقدرة البوربون... حسنًا، فعلى المرء أن يؤمن بشيء ما.

6

بحلول ظهر الأربعاء، أصبحت الحقائق الأساسية للأزمة معروفة، رغم أن أبعاد التهديد لم تُفهم بعد.

تم نقل بوث هندركسون من دائرة العدل والشريك الموقر لديفيد جيمس مايكل جواً من العاصمة واشنطن إلى لويسفيل عبر طائرة نفاثة بيريو غولفستريم، ومن ثم نقل من لويسفيل عبر مروحية إدارية بثماني مقاعد. تم استقبال هندركسون عندما حطَّ الطيار بالمروحية على مرج يقع على مشارف أيرون فرنس عند الساعة الثانية وعشرين دقيقة بعد ظهر يوم الأربعاء، من قبل أحد سكان تلك البلدة الذين تم تعديدهم، ستيشا

أوديل، التي تعمل موظفة استقبال في منتجع بحيرة أيرون فرنس. استقبلته ستيشا كسائق له في سيارة من طراز مرسيدس أس 600 رقم لوحتها آي.اف.إل. أر 1.

اتصل هندركسون بها في وقت سابق، وتمكن من التحكم بتلك الآلات النانوية التي زرعت داخلها عبر إخبارها أن تشغل المنشوري معه. أعاد برمجتها لتعتقد أن اسمه جون كونغريف وأنه الرئيس التنفيذي لمجموعة شركات تيرا فيرما التي تملك المنتجع. وأن عليها أن ترافقه إلى أي مكان يرغب أن يقصده دون أي يثير ذلك فضولها حيث إن غايته من ذلك بحسب ما أفصح، تتعلق بأعمال حساسة تخص الشركة. المقصد الأول الذي يرغب بزيارته هو المدرسة.

قالت ستيشا أثناء دخول البلدة عبر طريق ليكفيو: "من المحزن رؤية هؤلاء الأولاد مضطربين بهذا الشكل".

قال موافقاً إياها الرأي: "نعم، محزن جداً". سألها يغمرة الفضول حول الإجابة التي ستدلي بها: "ما المشكلة التي يعانون منها على حد علمك؟".

"اضطرابات الشخصية، انتشر الكثير والكثير من الحالات مؤخراً".
"بالتأكيد. لكنني أتساءل عن السبب وراء ذلك، هل بسبب ألعاب الفيديو العنيفة؟ أم الفحش الذي يغزو شبكة الإنترنت؟ هل يكمن السبب في كل تلك الرسائل الخاطئة التي يتلقونها عبر الأفلام التي تنتج في هذه الأيام؟ أم بسبب خذلان النظام التعليمي لهم؟".

أجابته: "ربما هو مزيج من كل ما ذكرت، لكن السبب يكمن في الغالب في عدم وجود اهتمام كافٍ في هذه الأيام".

"ما الذي تقصدينه بالاهتمام؟".
"أقصد الاهتمام ببعضنا البعض، اهتمام الآباء بأبنائهم، الجيران بجيرانهم، اهتمام المجتمع بالفرد والفرد بالمجتمع. تفهم ما أقصد".
"نعم، أفهم ما تقصدين".

"سيفضي انحسار اهتمام الفرد بنفسه إلى كارثة في نهاية المطاف. ما أعنيه، عندما يتمحور اهتمام الفرد بأنانية حول نفسه فحسب، من المحتم أن يشوش ذلك الأولاد ويصيبهم بالاضطرابات. إنه أمر محزن".

"هل بإمكانك أن تصفي أيرون فرنس على أنها بلدة يهتم فيها الناس ببعضهم؟"
تلاشت تعابير وجهها المعبرة عن القلق لتتحول إلى ابتسامة: "نعم، بالطبع نحن مجتمع متكاتف على نحوٍ وثيق، هناك اهتمام، ووثام وإحساس بالانتماء. عليك أن تنظر من حولك فحسب، حتى ترى ذلك في كل التفاصيل. في الليلة السابقة، قال مخطط حفلات من أتلانتا، رجل لطيف أسود البشرة اسمه السيد موسيز أن بلدتنا تشبه بيضة فابرجي مرصعة بالجواهر".

نظرت خارج الطريق لتقدّر ما إن لاقى كلامها استحسانه. حملت عيناها الخضراوان كالنجاح جديةً لربما من شأنها أن تؤثر في أي أمرٍ لا يعرف أنها شخص معدّل.
"أحسنت تفسير ذلك يا سيدة أوديل، بالفعل أحسنت التفسير".
عندما وصلا إلى المنشأة التي احتُجز فيها الأولاد، طلب منها البقاء في السيارة تحت الرواق المسقوف. بالطبع ستتظّره هناك بكل طاعة وصبر، ولربما ستتظّره حتى تموت من العطش.

فتحت الباب امرأة اسمها نورين كلوستنر، طلب منها هندركسون أن تشغل المنشوري معه، ومن ثم أن تستخدم غرفة الهمس لتستدعي أعضاء الطاقم السبعة الآخرين.

حين جلس الجميع في غرفة الطعام، تحكّم بهم، وحاول التحقق من السبب الذي دفعهم للتقصير الشديد في أداء واجبهم من خلال سماحهم للأولاد بالهروب من دون أن يلاحظوهم. نعم أجهزة تحديد الموقع في الأحذية، لكن إلى أين توجهوا بعد أن تسللوا عبر المنزل منتعنين الجوارب فقط؟ لا أحد يعلم. أين هم الآن؟ لا أحد يعلم. من غير المعقول أنهم يختبئون في أيرون فرنس لأن مجموعة من السكان بحثوا عنهم في كل مكان. ربما تمكن أكبر الفتية من قيادة السيارة، لكن لم تفقد أي سيارة من المرأب. إضافة إلى ذلك ما الذي حصل لتسجيلات الفيديو الخاصة بكاميرات المراقبة؟ لا أحد يعلم. أين اختفت أقراص التسجيلات المدمجة التي أزيلت من آلة التسجيل؟ لا أحد يعلم. جلس الثمانية إلى الطاولة بأذهان خاوية من أي معلومة. حاول هندركسون التلاعب بهم لقراءة ساعة من الزمن، مستخدمًا كل الأدوات التي يوفرها برنامج التحكم ليستخرج من ذاكرتهم أي معلومة تتعلق بأحداث الليلة السابقة،

لكن من دون جدوى. تشاركوا جميعاً فترة فقدان ذاكرة تبدأ من وقت تناولهم العشاء وتمتد حتى وقت نومهم، كما لو أن خللاً أصاب برامجهم في ذات الوقت.

لن يجدي استخدام أسلوب التحقيق التقليدي القاسي معهم أي نفع، ببساطة لأن هؤلاء الناس المعدلين عاجزون عن اختلاق الكذب أو عن إخفاء المعلومات المهمة عنه تحت ستار المواربة والخداع. بالرغم من ذلك وجد نفسه، بحكم العادة، يستخدم أسلوب التهيب وإثارة الذعر. حتى أنه صفع بوحشية اثنتين من النساء إلى أن سالت الدماء من شفة إحدهما ومن أنف الأخرى. أصابه استخدام مثل هذه الإجراءات البدائية بالغم ليس لأنها بدائية للغاية، بل لأنها لن تجدي نفعاً مع كائنات من هذا النوع. فيما كان هندركسون على وشك إنهاء الجلسة مغموراً بالقرف، صرّح رجل مذعور اسمه جورج وولسي يجلس إلى رأس الطاولة: "لست هنا بقصد إلحاق الأذى بك، هل تصدقني؟".

توجه هندركسون نحوه، حدق إليه قائلاً: "تلحق الأذى بي؟ ما الذي تقوله بحق الجحيم؟ بالطبع لا يمكنك أن تلحق الأذى بي، أنا أملكك".

امتقع وجه جورج وولسي بلون شاحب ناظرًا إلى الرجل الذي يحقق معه بعينين كعيني حصان مقيد لا حول له ولا قوة في وجه ألسنة لهب تمتدُّ عبر إسطبل تلتهمه النيران. قال له: "لا تخف يا جورج، على الأقل ليس مني".
قال هندركسون: "ما خطبك أيها المعتوه جورج؟".

اختنق صوت وولسي بالبؤس: "ما الذي يحدث لي؟". ليتابع قائلاً قبل أن يتسنى لهندركسون أن يستجيب له: "ألا تعرف يا جورج" ثم قال: "حدث شيء ما، لم يحدث ما حدث" أخيراً قال: "عُد إلى غرفة تناول الطعام يا جورج واجلس مع الآخرين".

قام هندركسون بتفحص وولسي، لا بد أن شيئاً ما قد هرب من الثقب الأسود الذي ابتلع ذاكرته المتعلقة بما حصل في الليلة السابقة: "أنت تردد محادثة جرت في الليلة الماضية أليس كذلك".

لم ينطق وولسي بأي حرف.

"أجبني يا جورج، من الذي أخبرك أنهم ليسوا هنا لإلحاق الأذى بك؟".

قلب وولسي عينيه، وتلاحقت أنفاسه لتغدو لهاثاً.

"نقب عن المعلومات عليك اللعنة. تذكر الليلة الماضية، من الذين قالوا إنهم ليسوا هنا لإلحاق الأذى بك؟".

أجابته وولسي من دون أن ينظر إلى أحد ممن يجلسون إلى الطاولة: "هي فعلت".
"هي؟ من تكون؟".

"لا أعرف".

"أخبرني عنها".

"كانت..".

"كانت ماذا يا جورج؟ أخبرني".

"كانت لطيفة معي".

"ماذا أيضًا؟".

حرّك وولسي فمه كما لو أنه يبحث عن أجوبة دون أن يجد أيًا منها.
"أخبرني شيئًا آخر عنها يا جورج. أخبرني شيئًا ما. اللعنة، أخبرني أي شيء".
"أنا لا. لا أستطيع. لا أعلم شيئًا".

في الليلة الماضية، أتى شخص ما إلى هنا والأولاد معه الآن. شخص ما يعرف كيف يسيطر على هؤلاء الناس، كيف يتحكم بهم، وكيف يجعلهم ينسون. هناك عدة أجنحة ضمن الأركاديين كما هو الحال في أي منظمة أخرى. لكن بوث هندركسون ذهل من احتمال أن ينقلب أحدهم على الآخر.

ضغط على وولسي لدقائق من دون جدوى ترتجى: "تحلوا جميعًا بالهدوء، اذهبوا إلى غرفكم، وابقوا هناك إلى أن نبت بأمركم".

نهضوا عن كراسيهم كما لو أنهم حشد من الأموات الأحياء، لأنه لم يحررهم من خلال استخدام عبارة *إلى اللقاء*، لفهم الوقار والصمت، سُمرت أعينهم إلى الأمام، بدوا وكأنهم ينظرون مجازيًا إلى مشهد دمار. قطرت الدماء التي سالت من وجهي المرأتين اللتين تعرضتا للضرب المبرح، لمعت على السجادة والأرضية، كما لو أنها انسابت من سُبحة صلاة فرط عقدها وها هي تستشرف مصير هندركسون.

لم يستطع أن يرفع نظريه عن حبات الخرز القرمزية المبعثرة هذه وهو يجري مكالمته عبر الهاتف لاستدعاء خبراء من مختبرات محددة في فيرجينيا. ليجروا

فحوصاتٍ للأدلة الجنائية لحراس الأولاد هؤلاء، كما لو أن هؤلاء الثمانية المعدّلين عبارة عن أقراص صلبة معطوبة.

ابتسمت ستيشا أوديل عندما عاد إلى السيارة وقالت: "هل كل شيء على ما يرام؟". لم يجبها، بل جلس للحظات مستغرقًا بالتفكير. فبلدة أيرون فرنس من الملكيات القيّمة بالنسبة إلى قضيتهم. أتاح لهم هذا المكان الوصول إلى أناس ذوي نفوذ ويرمجتهم سواء ليساهموا في صياغة العالم الأفضل المقبل أو ليقدموا على الانتحار مستقبلًا في اللحظة المناسبة التي يحددها البرنامج الحاسوبي على أنها التاريخ المثالي لانهاء صلاحيتهم. لكن سلامة البلدة وضعت في مهب الريح بسبب هؤلاء الأولاد الثمانية الهاربين. شعر أن لغز هروبهم يقع في متناول يده، وأنه يغفل شيئًا ما يقبع تحت أنفه.

"فلنذهب يا آنسة أوديل".

"إلى أين؟".

تردد ثم قال: "إلى البلدة، أريد أن ألقى نظرة".

مرّت خمس عشرة دقيقة أخرى قبل أن تذكر ستيشا أوديل مُخطّط الحفلات أسود البشرة مارتين موسيز من أتلاتنا الذي شبّه أيرون فرنس ببيضة فابرجي المرصعة بالجواهر.

7

في وقت متأخر من بعد الظهر، كان أنسيل هوك في الإسطل يراقب الطبيب البيطري وهو يجري فحوصَ مراجعة لحالة حصانه المفضل دونر. الذي يعاني من التهاب بمفصل القدم الأمامية اليسرى، ولحسن الحظ تم علاج الالتهاب قبل أن يتفاقم وضع القدم.

رَنَّ هاتف أنسيل الآيفون، فاستأذن عندما رأى المتصل، وأجاب على الهاتف وهو يتبعد إلى صوب نهاية الإسطل. "هل هذا تسييس لونغرين أم أن هناك خطبًا في هاتفي؟".

"كيف حالك يا سيد هوك".

"لست بأفضل حال، مررت بما هو أسوأ، لقد خضت هذه التجربة في وقت سابق. لن أشتكى. وأنت كيف حالك؟"

"أدندن ذات اللحن الذي وصفته يا سيدي، لا جديد. طالما هناك طعام يسد رمقي وسرير دافئ أوي إليه. سأكون أحمق إن تدمرت."

تشييس هو صديق نك المقرب من أيام المدرسة الثانوية. في السنة الأخيرة منها فُتن كلُّ منهما بذات الفتاة. أليكسيس إيمي، وتنافساً على خطب ودها. تعامل نك مع خيبة أمله بكرامة، بقي صديقاً مقرباً لتشييس وعامل أليكسيس كأخت له عندما وقعت في غرام منافسه. بدا الأمر كما لو أن نك قد علم بالفعل أن جين ستكون من نصيبه بعد بضع سنوات.

"ماذا أستطيع أن أفعل لأجلك يا بني؟"

"هل تتذكر حين طاردتني في العام الماضي للحصول على حصان من سلالة تينيسي وولكر؟"

"أنقصد الفرس كستنائية اللون بشعر عنق وذيل ذهبيين. يؤسفني إن شعرت بأني طاردتك، أنا مجرد تاجر أحصنة شغوف فحسب."

"اسمها مالوسا. أمازلت مهتمًا بشرائها لأجل السيدة هوك."

"لو قدّر لامرأة وفرس أن يُخلقا لبعضهما البعض فهما تجسيد لذلك."

"بعد حديثك هذا أنا متأكد أنك لن تبخسني ثمنها."

"حسنًا، إن مالوسا أكبر بعام الآن بفضل تعنتك."

"من الممتع التحدث إليك يا سيدي، على الرحب والسعة في أي وقت تعرج فيه لتعابن مالوسا، عليك أن تتفقد أسنانها لتتأكد بأنها لم تقع."

"ما رأيك أن أعرج الآن؟"

"بإمكاني أن أستقبلك الآن."

قال له أنسيل: "سأنتقل بعد قليل."

ترك الطبيب البيطري ليسلم تقريره حول حالة دونر الصحية إلى مدير المزرعة جوان سابا. توجه أنسيل إلى شاحنة الفورد 550 القابعة أمام المنزل وشغل المحرك. لم يشعر منذ مدة أنه خفيف الروح كما يشعر الآن، لكن إحساسه هذا لم يتولد بسبب الحصان من سلالة تينيسي وولكر.

بالرغم من أن أنسيل لن يتردد بشراء مالوسا الموجودة في إسطنبول تسييس لونغرين لأجل كبير، لكن لم تكن غاية الاتصال هي بيع الحصان. فقد عنت تلك المكالمة، كما تم الاتفاق مسبقاً مع تسييس حين توارت جين عن الأنظار قبل قرابة الشهرين ونصف الشهر تقريباً، أن جين اتصلت به وأن لديه رسالة ليوصلها إلى والديّ نك. كانت تلك المرة الأولى التي تتصل به.

أحيط الممر الطويل الخاص الواصل بين المنزل وطريق المقاطعة بسياج حظيرة ملاصق في بعض الأماكن لأشجار بلوط عتيقة. في هذا الفصل، تبدو الطبيعة وكأنها تكتسي ببساط أخضر. رأى نعجة ترعى إلى اليسار والقطيع إلى اليمين.

قبل عشرات ملايين السنين، غطت البحار الضحلة كامل تكساس. كوّنت الهياكل العظمية وقواقع المخلوقات الصغيرة التي عاشت في هذا المكان الرسوبيات التي ضغطت على الصخور الكلسية العميقة والتي شكّلت الركيزة الأساسية لكل ما تراكم على هذه الأرض لاحقاً. شكّلت تلك الأرض الأساس الذي أنشأ عليه الرجال والنساء حياتهم عبر العمل الشاق والحب وهم المؤمنون بقيمة ما يعملون عليه. تجذر حب هذه الأرض في أنسيل بقدر ما بوسعه أن يتذكر، لكنه أحب أيضاً السماء الشاسعة، التي تحتل في هذا المكان حيناً أكبر من أي مكان آخر. حيث يبدأ الأفق بعيداً أكثر من بعد سفينة وسط المحيط عن مرساها. شعر أنه راسخ بسبب الأرض وهائم بفعل تلك السماء المهيبة، ليصبح للحياة قلق حلو المذاق.

بدت الأرض وكأنها تميد تحت قدمي أنسيل حين توفي نك، ليمسي استقرارها الذي دام ملايين السنين موضع تساؤل. كما مرّت أيام بهت فيها السماء فجأة، كما لو أنها تلاشت إلى حدّ تحولت فيه إلى بياضٍ مبهر شديد الخواء والفضاعة لدرجة يصعب فيها على العين تحمّله. وها هي الآفاق البعيدة التي ألهمتّهما بامتدادها في يوم من الأيام توحي الآن بأن العالم لا حدود له، وأن بعض الأخطار التي لا يمكن تخيلها قد تأتي من خلفهما لتحقيق بهما وهما بلا حول ولا قوة.

أخبر كبير عن كربه، ولكن ليس عن عمقه أو عن خوفه الذي لا يمكن أن يتلاشى أبداً، وعانت بدورها أيضاً. في خضم اضطرابهما العاطفي غير المسبوق هذا يتوجب

عليه أن يحافظ على رباطة جأشه، ويؤدي دور المركب الذي يعبر بها من هذه الأوقات الحزينة إلى بر الأمان والسعادة.

بنى كل من أنسل وكليبر أملهما الوحيد لتجاوز هذه المحنة على العائلة التي خلفها ابنه وراه. التي تكونت من المرأة الخطرة التي أحبها نك بجنون، والحفيد الذي بالكاد عرفه أنسيل وكليبر. إذا كان خلاص العالم الآخر هو الله فإن خلاص هذا العالم تعلق بالناس الحقيقيين: لذلك تصبح الأيام أكثر صعوبة عندما تفقد أناسًا شكّلوا جزءًا لا يتجزأ من قلبك، أعادت تلك الرسالة التي ينتظرها من جين الألوان إلى حياته.

فكّر أثناء عبوره إلى الطريق السريع، بحركة المرور الخفيفة التي صادفها على المسرب المعاكس. راقب أي سيارة خلفه، متيقظًا من أي شخص يبدو غريبًا عن هذه المنطقة.

لم يحتاج أولئك الذين نصبوا أنفسهم أسيادًا للكون والذين بوسعهم أن يستخدموا ترسانة من التقنيات الحديثة أن يتعقبوه بأسلوب محققي الروايات والأفلام القديمة بما أن السيارة التي يقودها مزودة بجهاز تحديد مواقع. لكن إن وضعوا في حسابهم أن جين قد تزور هذه المنطقة لأي سبب من الأسباب، فلا بد أنهم زرعوها رجالًا لهم في الجوار ليلقوا القبض عليها.

اعتقد أنسيل وكليبر أن كل ما يُقال عبر الهاتف الثابت أو الخليوي يتم التنصت عليه بشكل مباشر أو يتم مراجعته لاحقًا. كما أصبحت مناقشان أي مسألة مهمة تحتاج إلى أن يُبتَّ فيها في الهواء الطلق.

سكن آل لونغرينز على بعد تسعة عشر ميلًا من مزرعة آل هوك، والتي تعتبر على مرمى حجر في هذا الجزء من تكساس. كانت أليكسيس في الرابعة عشرة من عمرها عندما توفيت والدتها جراء إصابتها بالسرطان، وسرّع والدها بموته من خلال إسرافه بشرب الكحول. ورث تشيس وأليكسيس مزرعة مفلسة، باعا المحصول وقطعة من الأرض، وحوّلوا العقار بقليل من المال وبكثير من الجهد والكد، إلى عمل مزدهر لتربية خيول عُرفت بأحصنة العرض الوطني، وهي سلالة هجينة من الحصان العربي الأصيل وحصان السرج الأميركي، وخيول تينيسي وولكينغ المخصصة للعروض، إضافة إلى خيول ستاندربريدس المخصص لسباق عربات الخيول.

عندما وصل أنسيل، كان تسييس جالسًا في مكتبه الواقع قبالة غرفة السروج في الإسطنبول الثالث. بدا شعره الأشقر وكأنه أبيض تقريبًا، اصطبغ وجهه بلون برونزي داكن جراء تعرضه الدائم للشمس في مكتبه، نهض من وراء مكتبه، تصافحا، وأغلقا الباب خلفهما.

خلع أنسيل قبعة الستستون⁽¹⁾ عن رأسه، لكنه لم يجلس من لهفته لسماع سبب اتصال جين به.

قال تسييس: "إنها تتنقل برفقة ثمانية أولاد".

اعتقد أنسيل لوهلة أنه لم يسمعه بشكل واضح: "هل قلت: أولاد؟".
"حررتهم من المكان الذي احتُجزوا فيه، إنهم جزء من تلك المشكلة التي تورطت بها، ستخبرك بالتفاصيل عندما تلتقيك".

كلاهما أصيب بالجزع والفرح في الوقت ذاته، وسأل أنسيل: "هل ستأتي إلي هنا؟".
"ليس إلى هنا، ولكن إلى مكان قريب. أملت أن يستقبل ليلاند ونادين ساكيت الأولاد، على أن يبقى الأمر طي الكتمان حاليًا".

تزوج ليلاند ونادين المولودين في المقاطعة في التاسعة عشرة من عمرهما وانتقلا إلى دالاس حيث عملا. من الحمق القول إن أحدهما أقل مكانة من الآخر في زيادة الأعمال. أصبحا في عداد أصحاب الملايين في الثلاثينات من عمرهما، وضاعفا ثروتهما عامًا تلو الآخر إلى أن بلغا السادسة والأربعين. سئما من دالاس ومن كسب النقود، فعادا إلى مسقط رأسيهما، واشترى مزرعة تعود لرجل محدود التفكير. حوّل مزرعة هذا الرجل إلى مدرسة من الطراز الرفيع ودار أيتام، متأثرين بما فعله ميلتون هيرشي ملك صناعة الشوكولاتة في بنسلفانيا.

قال تسييس: "أعتقد أن ليلاند ونادين سيستقبلانهم على الفور، إنهما لا يخيان طلب أحد على الإطلاق".

"ولكن هذا سيتغير عندما يدركان حقيقة أن تعاملهما مع جين يجعلهما شركين معها بعد فوات الأوان في حال اكتُشف الأمر في يوم من الأيام".

(1) علامة تجارية أميركية للملابس التراثية منذ عام 1865. تسوق القبعات والأحذية والملابس. (المترجم).

"حين يتم إثبات أن كل ما قيل عن جين محض افتراءات لعينة سنكون شريكين في تحقيق العدالة. على كل حال لم يثنني هذا الأمر عن المساعدة".

"حسنًا، هناك تاريخ يجمعك أنت ونيك".

"أليس ليلاند ونادين والدا نيك الروحانيين؟"

"نعم، إنهما كذلك".

"ألم يفقدا ابنتهما ذا الثلاثة أعوام بسبب مرض السحايا؟"

"أنت تعلم أنهما فقداه، وتعلم أيضًا أن اسمه ترافيس".

ابتسم تشيس قائلاً: "يخبرني حدسي أن الصفقة محسومة".

"متى تنوي جين التوجه إلى ذلك المكان؟"

"عند الساعة الثانية من بعد ظهر الغد، إن لم تصادفهم أي مشاكل إضافية. في حال رغبت بترك سيارتك في البلدة، فلنتق في مكان ما، سأقوم بإيصالك؟"

قال أنسيل: "إن تعلمت أي شيء من زوجة ابني، لن يؤدي هذا إلى قطع الحبل

على الإطلاق".

"أي حبل؟"

"أحاطنا عناصر مكتب التحقيقات الفدرالي أنا وكثير بحبل خفي لا يمكننا رؤيته، وحدهم من يستطيعون ذلك. الآن امتدت حلقات الحبل هذا إليك بسبب مجيئي إلى هنا، على الأقل إلى أن يقرروا أنك لست على صلة بجين، علينا أن نقص الحبل حتى تتمكن من الوصول إلى مزرعة ساكيت، حتى يفضي بهم تبعه إلى نهاية مسدودة".

"هل لديك أي فكرة عن كيفية القيام بذلك؟"

"إن أخبرتك فسيعيق ذلك قطع الحبل".

"هل عليك أن تحسب كل شيء بدقة، كما لو أن محتسبي الضرائب يعيشون في

جيبك؟"

"بل أسوأ منهم يا بني. جل ما يريد منك جامعو الضرائب هو تجريدك من كل ما كسبته في يوم من الأيام".

"أعتقد أن علي أن أصاب بجنون الارتياب من أي شيء".

"ربما هذه هي الطريقة الفضلى للعيش في هذه الأيام".

احتوت المساحات العامة والحدائق التي وفرها منتجع أيرون فرنس على عدد كبير من الكاميرات المركبة بشكل مخفي لتوفر الحماية دون أن يشعر الزوار بأي انتهاك لخصوصيتهم. نُقل بث الفيديوها إلى غرفة محصنة بلا نوافذ في قبو المبنى الرئيسي، حيث بوسع أي من التقنيين استعادة أي مشهد يريده عبر إحدى الكاميرات. وعرضها على شاشات عرض كبيرة قسمت إلى أربعة أقسام لبث عدة فيديوهات مباشرة في وقتٍ واحد.

فيما وقف بوث هندركسون يقلّب بين أصابعه البطاقة التي حملت رقم هاتف شركة برايفت أفير، عملت ستيشا أوديل بكدمع اثنين من التقنيين المعنيين بالمراقبة لاستعادة تسجيل الفيديو الذي يعرض الجولة التي اصطحبت فيها مارتن موسيز في اليوم السابق. لم يشأ أن يتّصل بالرقم الذي يحمل رمز أتلانتا الهاتفي والمدون على البطاقة قبل أن يشاهد مخطط الحفلات هذا، فلقد اكتشف مسبقاً أن الرقم المكون من عشر خانات الذي كتب بخط أنيق لم يكن مطبوعاً ولكنه مسطوراً بالحبر بخط اليد: فالأرقام ملطخة بالحبر. أيقن أنه سيتعرف إلى مارتن موسيز، بالرغم من أنه لم يسبق له أن التقى بشخص يحمل هذا الاسم من قبل.

قالت ستيشا أوديل: "ها هو ذا".

انضم إليها هندركسون على إحدى الشاشات فيما عمل التقني في محطة البث على اختيار واحد من أربعة مشاهد معروضة، وكبّرّها لتغطي كامل الشاشة. لم يكن مارتن موسيز سوى لوثر تيلمن.

شكّل الرجل الذي دفع ثمن الوجبة الخارجية عند منضدة المحاسب في مطعم يقع في روكفورد إيلينوي إحدى المفاجآت العديدة.

علّمت كل تلك التجارب التي خاضتها ريبكا تيلمن أن تتحلّى بالمرونة، ليس بما يخص مبادئها وإنما في ما يتعلق بالمفاجآت التي لا يمكن تجنبها، سواء كانت صغيرة أم كبيرة، التي هي نتاج هذا العالم الغامض، حيث تندر المعجزات والمآسي على حدّ

سواء. لكن غالبًا ما تعرقل تلك المستجدات الاعتيادية التي لا يمكن التنبؤ بها الخطط التي أعدها المرء لحياته بعناية كما لو أن القدر يضع العصي في الدواليب.

لم تتخيل في اليوم السابق تحت أي ظرف من الظروف أنها ستقود سيارة روب ستاسن المخصصة للسفر برفقة ابنتها جولي لمدة تسع ساعات متتالية قبل أن تتوقف ليلاً في روكفورد، إيلينوي، وأنها ستواجه في البلدة التي كان أحد آبائها المؤسسين في القرن التاسع عشر عبدًا اسمه لويس ليمن، وهي الآن زوجة مأمور أسود البشرة.

وقرّ النزول ذو الطوابق الثلاثة أماكن للإقامة عالية المستوى، تفتح الغرف الواسعة والنظيفة على ممر داخلي عوضًا من الوصول إليها مباشرةً من ساحة المرأب. دفعت تكاليف الإقامة نقدًا دون أن تستخدم البطاقة الائتمانية تمامًا كما نصحتها لوثر، بالرغم من ذلك توجب عليها أن تقدم رخصة القيادة لإثبات هويتها.

يمكن الوصول إلى غرف الإقامة من منطقة الاستقبال في الطابق الأرضي بواسطة ممر مزود بنوافذ، حيث تواجد مكتب الاستقبال إضافة إلى حانة ومطعم. عندما استقبلتهما المضييفة في المطعم حاملة بيدها قائمتي طعام، وهمت بإرشاد آل تيلمن إلى المائدة، جذبت جولي ذراع والدتها بقوة لدرجة آلمتها. نظرت ريبिका إلى ابنتها، أشارت جولي وهي تومئ برأسها وعينيها باتجاه شاب في بداية العشرينات من عمره يقف على مسافة لا تتجاوز الست أقدام منهما، يخرج المال من محفظته ليدفع ثمن وجبتين خارجيتين. قالت ريبिका وهما يتبعان المضييفة إلى مائدتهما: "لماذا فعلت هذا؟ سيخلف ذلك كدمة على ذراعي".

قالت جوليا: "لقد سبق لي أن شاهدته".

"ماذا؟ هل هو شخصية مشهورة أو شيء من هذا القبيل؟".

"شاهدته اليوم في المصرف قبل أن تغادر البلدة".

نظرت ريبिका إلى الرجل الذي حمل الوجبتين وهمّ بمغادرة المطعم: "لم يسبق لي أن صادفته".

قالت المضييفة التي وقفت إلى المائدة التي جلست كل من ريبिका وجوليا إليها متقابلتين: "ستحضر النادلة بعد وقت قصير".

قالت جولي بعد أن بقيتا وحدهما: "استمر بالتحديق إليّ طوال الوقت في المصرف هذا الصباح".

"يحدق الشبان إليك طوال الوقت يا عزيزتي، ولكن لا يعني هذا أنه سيقود السيارة لتسع ساعات ليحظى فقط بنظرة أخرى بالرغم من أنك جميلة وفاتنة".

لم تعد جولي تتحمل وهي بعمر السابعة عشرة أن يتم التعامل معها على أنها طفلة وهي التي لطالما تحلت بوعي يفوق وعي أقرانها.

أمالت رأسها وضيقت عينها وعبست بحاجبيها: "لا تستغيني يا أمي".

"أنا آسفة يا عزيزتي، لم أقصد ذلك".

"كنت غامضة معي في ما يتعلق بتفاصيل هذه الرحلة التي نقوم بها بواسطة تلك السيارة الغبية، لجمت فضولي ممتنعة عن السؤال، بالرغم من أنني أتحرق شوقاً لمعرفة إن كان الأمر لعلاقة بكورا وفندق فيلن وكل الهراء المرعب".

"لا تستخدمني تلك الكلمة يا عزيزتي".

"آسفة، كل تلك القذارة المرعبة. في جميع الأحوال، لو تسنى لي الإدلاء برأيي الشخصي، لكنت رفيقة سفر ممتعة في ظل هذه الظروف".

"لقد أضفت البهجة على كل ميل من هذه الرحلة".

بدت جولي مرتابة: "اشتم رائحة سخرية هنا، لكنني سأفترض حسن النوايا".

"شكراً يا عزيزتي".

"في الحقيقة، رأيته في المصرف. يعبى قسيمة إيداع أو يدعي القيام بذلك".

عرجتا على المصرف لسحب مبلغ أربعة آلاف دولار من مدخراتهم، لأن لوثر لم يرغب في استعمال بطاقتهم الائتمانية خلال هذا "التدريب الصغير" كما أطلق عليه.

اقترحت جولي: "ربما رأك وأنت تحمِلين كل هذا المبلغ".

لم تسحب ربيكا المبلغ عبر كوة المحاسب على سبيل الحذر، لأن مساعد المدير خدمها بشكل شخصي في مكتبه، حيث لا يمكن لأي زبون آخر أن يسمع قيمة المبلغ. "تم تسليمي المبلغ في ظرف عادي يا جولي من غير الممكن أن يرى أحد محتواه". استغلت التوقف للتزود بالوقود للقيام بتوزيع المبلغ على حقيبة يدها، وجيوب سترتها الثلاثة إضافة إلى حقيبة خصرها. "بالإضافة إلى ذلك قلت إنه حدق

إليك، ولم تكوني برفقتي وأنا أستلم المبلغ. قضيت كل الوقت عند رفّ الكتيبات التعريفية. تتفحصين الخيارات المتوفرة لخطط التقاعد، أمل أنك لا تخططين للتقاعد من المدرسة الثانوية".

"ربما سأقوم باختراع تطبيق ناجح لأصبح غنيةً مثل كريسيس في عمر الحادي والعشرين، وأعيش في نعيم مترف".

قالت ريببكا وهي تطالع قائمة الطعام: "سمعت الناس يرددون ذلك طوال حياتي، ولكنني لا أزال أجهل من كان كريسيس هذا".

"ملك ليديا منذ عام 560 حتى عام 546 قبل الميلاد. لقد كان فاحش الثراء".

"هل وُجد بلد اسمه ليديا؟".

"مملكة تقع في غربي آسيا الصغرى".

"لم يعلمونا ذلك في المدرسة عندما كنت صغيرة".

"هم لا يعلمونه لنا الآن، يا أمي، ولا حتى أي شيء مفيد، وبالتأكيد فهم لا يعلمونا التاريخ القديم أو التاريخ الحقيقي. لقد توجب عليّ أن أتعلم أي شيء يستحق المعرفة بنفسه منذ أن اجتزت الصف الرابع".

أتت النادلة إلى المائدة، لأخذ طلبات المشروبات ولتنصحنهما بتجربة طبق سمك الهلبوت.

قالت جولي بعد أن زودتا النادلة بطلباتهما: "أيا يكن الأمر، لم يحتاج ذلك الرجل لرؤية ما بداخل الظرف ليعرف محتواه".

تنهّدت ريببكا.

"ألا يحتمل أن الرجل الذي شاهدته في المصرف يشبه إلى حدّ كبير هذا الرجل الذي يطلب الوجبة الجاهزة؟".

"أرجوك يا أمي لا تنهدي في وجهي، هل تعتقدين أنني مجنونة تعيش في عالمها الخيالي المبهرج".

"يعجبني استخدامك للمصطلحات، لا لست كذلك. ولكن...".

"بدا الرجل الذي شاهدته في المصرف تمامًا كهذا الرجل، ومن المستحيل أن كليهما امتلك الوشم ذاته حول معصمه الأيسر بمحض الصدفة".

وضعت ريبكا قائمة الطعام من يدها: "وشم لماذا؟".

"أفعى مخيفة تأكل ذيلها".

"لماذا لم تذكرى أمر الوشم من قبل".

"رغبت في أن أتأكد إن كنت ستصدقيني من دون الحاجة إلى تقديم دليل قاطع على ما أقول. أنا لا أكذب يا أمي".

"أعلم أنك لا تكذبين يا حبيبتي، لم يسبق لك أن كذبت".

قالت جولي: "لا يتوجب على الرجل الذي يقوم بالمراقبة أن يطلب وجبتين؛ شراء وجبتين كبيرتين يدل على وجود شريك له".

"ربما سيتهي بك المطاف شرطية مثل والدك".

"من المحال أن أفكر بالانضمام إلى سلك الشرطة ونحن نعيش في عصر العاقبة الجدد المفعم بالعنف. إنه توقيت سيء للقيام بذلك".

"العاقبة. يعود ذلك إلى حقبة الثورة الفرنسية".

"أحسنت يا أمي، ما الذي يتوجب علينا فعله الآن".

بالفعل، ما الذي يتوجب علينا القيام به؟ فكّرت ريبكا: "سيعاود والدك الاتصال بي عند الساعة التاسعة. سيعرف ما الذي يتوجب علينا فعله. حتى ذلك الحين فلنستمع بوجبة العشاء".

"عظيم، رأيت التشنج برغر التي يعدونها. تبدو خارقة. كما كتب على قائمة الطعام أيضًا أنهم يقدمون بطاطا مقلية مقرمشة حسب الطلب. يحق لنا نحن الذين على وشك الموت، أن نلتهم الأخضر واليابس".

"لا تتهكمي على الموت يا جولي".

قالت جولي متصنعة الدهشة: "لكن يا أماه لا يوجد أي شيء آخر بنصف أهمية الموت لأتكم عليه".

10

تفاصيل الغرفة ابتداءً من السقف الذي يبلغ ارتفاعه ثماني أقدام، والذي ركبت عليه ألواح عازلة للصوت رمادية اللون، إضافة إلى الجدران والأرضية الخرسانية،

واختفاء النوافذ بشكل كلي، كل ذلك استحضر إلى ذهن بوث هندركسون أفكارًا عن الأقبية، ورفات الأموات الموضوع في توابيت، والمدافن السردابية، بصرف النظر عن أضواء الفلورسينت وأجهزة الحواسيب المرصوفة. رغم كل التوتر الذي يشعر به عزم على ألا يبدو مرتبًا وهو ينتظر تقنيي الأمن أن ينتهوا من المهمة التي أكلها إليهم.

اكتشفت ستيشا أوديل، والتي لا تدرك أنها معدلة كبقية الأشخاص الحاضرين، أن هندركسون قد فوّت وجبة الغداء ليقوم برحلته هذه، فطلبت الشاي المفضل عنده من المطعم إضافة إلى تشكيلة من الشطائر الصغيرة. وصلت هذه الأطعمة في الوقت المناسب، فتناول هندركسون خلسة خافضًا للحموضة، قبل أن يجلس إلى طاولة الخدمة المتقلة ليشرب الشاي ويتناول الطعام متظاهرًا باللامبالاة.

جعله الإشراف على عملية تحويل أيرون فرنس يشعر بالفخر بشأن الكيفية التي طبقت بها الخطة في حينه. دُهل لأن لوثر تيلمن قصد هذا المكان، وغمرته الحيرة حول السبب الذي دفعه للقدوم. فهذا المأمور الذي لا يتعدى كونه رجلًا ريفيًا أحرق، ساذج، تخرّج من جامعة من المستوى الثالث، ربما يظن أن رابطة اللبلاب ما هي إلا نادٍ نسائي للبيستنة، ولن يتمكن من حجز طاولة في أشهر مطاعم نيويورك حتى لو كانت حياته تعتمد على ذلك. هذا الرجل الجلف، الفقير، والذي ربما يبلغ ثمن كل الملابس في خزائنه أقل من ثمن البذلة التي يرتديها هندركسون، من المستبعد أن يكون مرشحًا للعب دور شارلوك هولمز المعاصر.

لم تطرح ستيشا أوديل أي سؤال عن مخطط الحفلات هذا مارتن موسيز الذي بدا هندركسون شديد الاهتمام به، بسبب الإيعاز إليها مسبقًا بتجنب التساؤل على أي شيء يقوم به هندركسون. لكن تقنيي الأمن طرحوا الأسئلة وهم يؤدون عملهم. التفّ على أسئلتهم بمزاعم مبهمة حول تورط مارتن موسيز في مكيده شريرة بالنيابة عن إحدى الشركات المنافسة لتيرا فيرما التي تملك المنتجع.

طمأن هندركسون نفسه في مواجهة هذه الأزمة إلى السلاسة التي سارت بها الأمور عندما تم تحويل أيرون فرنس، وإلى إيمانه المطلق أن مثل هذه التحولات لن تُبطل على يدي الساذج الأخرق لوثر تيلمن.

خضع هؤلاء المواطنون الذين يعملون في المنتج لعملية الحقن منذ ستة عشر شهراً، عندما عرض عليهم صاحب العمل تلقيحاً مجانياً ضد الزكام. موحياً بشكل ضمني أنه سيتم الامتناع عن الدفع لأي شخص يرفض اللقاح في حال تغيب عن العمل بسبب الزكام. تم برمجة 386 من أصل 604 من سكان القرية خلال أسبوعين بواسطة أجهزة تحكم نانوية بسبب عرض هذه اللقاحات بشكل مجاني على عائلات الموظفين وكل من يرغب من سكان البلدة. لاحقاً وخلال الشهرين التاليين، تم تخدير أولئك الذين لم تشملهم الموجة الأولى من قبل أفراد عائلتهم في اللحظات المناسبة خلال نومهم، ليصار لإدخالهم إلى رابطة المعدلين هذه. لم يحظ سوى سبعة أشخاص بالفرصة للمقاومة، ولم تقتضِ الضرورة سوى قتل اثنين.

أصبحت البلدة منشأة قيمة وسهلة الإدارة تتبع للمنتج ما إن تم تعديل جميع السكان باستثناء الأولاد الذين لم يبلغوا السادسة عشرة من عمرهم بعد. وتم تركيب عدة كاميرات في كل شارع من البلدة حتى لا تفوت على مالكي الناس والبلدة الجدد أي شاردة أو واردة.

بالإمكان مراقبة كل الفيديوهات التي تبثها تلك الكاميرات مباشرة من هذا المكان في حال حصول أي حادثة، ويتم حفظ التسجيلات لمدة ستين يوماً في حال طرأ أمر ما لاحقاً يستدعي التحقق منه.

في الوقت الراهن طلب هندركسون اكتشاف الأماكن التي قصدتها هذا المدعو مارتن موسيز في البلدة خلال اليوم السابق، بعد أن اصططحته ستيشا أوديل في جولة حول المنتجع. بعد مرور اثنتين وثلاثين دقيقة من البحث قال أحد التقنيين: "لقد وجدته".

ترك بوث هندركسون شطيرته وهب بسرعة من كرسيه ليشاهد الشاشة. تم تكبير الفيديو المخزن من كاميرا واحدة ليعرض على كامل الشاشة. جمّد رجل الأمن الصورة، حدد الوجه وكبّر الصورة. لوثر تيلمن.

أكد هندركسون: "نعم، إنه السافل لوثر تيلمن".

تمت إعادة الفيديو إلى الحجم الطبيعي. عرض التسجيل بمعدل ثلاثين جزءاً في الدقيقة. شوهد تيلمن وهو يخرج من معرض اسمه بيوكس-أرتس ليقف على الرصيف وسط مشاهد متقطعة للناس الذين يتحركون في فيديو تم تجميعه لأجزاء

مكونة من اثنتين، ربما فكر أنه خبير، في حين كُتِبَ على جبينه بشكل واضح أنه مأمور مغرور ضعيف التعليم ينحدر من بلدة صغيرة. بدا كما لو أنه يراقب شخصًا ما. تحرّك على الرصيف، واختفى خلف إحدى المساحات الخضراء الشاسعة. أمر هندركسون التقني: "جده".

ما هي إلا لحظة حتى عرض تقني الأمن فيديو آخر من كاميرا مثبتة على الجانب القصي من الشارع. لقطة بزواية أفقية على تيلمن وهو ينظر عبر النافذة الأمامية لإحدى المنشآت.

سأل هندركسون: "ما هو هذا المكان؟".
"مطعم جينوفيس".

استدار تيلمن من المطعم. رصدته عدة كاميرات وهو يسير حتى نهاية الحي، لينعطف عند الزاوية ويدخل إلى الزقاق ويلج بعدها إلى المطعم من الباب الخلفي.
"لم يفعل شيئًا كهذا؟ اعرض لي المشهد الداخلي".

وجد التقني رقمي الكاميرتين اللتين تغطيان المنطقة العامة للمطعم في الوقت والتاريخ نفسيهما. ظهر الفيديو على شاشة منقسمة. دخل تيلمن إلى الغرفة عبر المطبخ، اقترب من النادلة التي اصطحبتة إلى طاولة اختارها بنفسه.

تم تسريع الفيديو. طلب تيلمن الطعام، تناوله ثم غادر.
استدعى التقني اللقطات الخارجية ليرى إلى أين توجه الرجل بعد أن غادر جينوفيس. مشى تيلمن إلى إحدى الشجيرات المخروطية الزرقاء وانتظر.

غادرت امرأة المطعم. بالرغم من أن موعد الغروب لم يكن قد حلّ بعد إلا أن معالم وجهها لم تظهر بوضوح بفعل السماء المكفهرة التي أسدلت عتمتها.

تجاذب تيلمن أطراف الحديث معها، وتحركا معًا. توقف بالقرب من سيارة مركونة، وأخرج شيئًا ما من صندوق السيارة.

قال هندركسون: "حسّن صورة تلك السيارة في وقت لاحق وزودني برقم لوحة التسجيل إن أمكنك ذلك".

توجّه تيلمن والمرأة إلى الحانة. تناولت هي النبيذ بينما تناول هو الجعة، لم تتمكن أي من الكاميرات من التقاط صورة واضحة لوجهها.

تم تسريع الفيديو. لم يُد تيلمن أو المرأة التي برفقته أي اهتمام باحتساء الشراب. راجعا شيئاً يشبه الكتاب معاً، عندما نهضا ليغادرا المكان، ظهر وجهاهما بشكل مباشر في مواجهة الكاميرا.

قال هندركسون: "جمّد الصورة". حدّق إلى المرأة، ذات الشعر الكستنائي، والتي وضعت نظارة. لم يتمكن من تمييز لون عينيها. كانت ملفتة للنظر.. لكن يصعب تحديد هويتها.

احتاج إلى أن يستخدم كل من ستيشا أوديل والتقنيين الثلاثة لتولي مهمات تحتوي على قواعد بيانات حساسة تخص الأمن القومي، والتي لا يجدر بهم تذكر أنهم اخترقوها عند انتهائهم. لأنهم إن فعلوا ذلك فسيعرفون أنه شخص آخر غير المدير التنفيذي لشركات تيرا فيرما، وسيضطربون.

قال لهم: "لنشغل المنشوري معاً".

استجاب أربعتهم: "حاضر".

"ما أن أحرركم سيمحي من ذاكراتكم كل ما سنقوم به من الآن فصاعداً. ستحظون عوضاً عن ذلك بذكريات عن محاولتنا تعقب مارتن موسيز والمرأة التي ترافقه، هل تفهمون ذلك؟".

أجاب الأربعة: بنعم.

قال هندركسون: "فلنشر بالعمل". شرح لهم كيفية استخدام قواعد بيانات الوجوه الخاصة بوكالة الأمن القومي، وكيفية طلب التعرف إلى الوجه. "ابدأوا التنفيذ".

11

بالرغم من أن حماقة صفوة القوم قد تسببت بتقليص آفاقها المستقبلية وبالرغم من أن العديد من مواطنيها يعيشون مع نذر الخسارة الرهيبة والمآسي المدمرة إلا أن هذه البلاد تبقى عظيمة بقدر عظمة أراضيها الشاسعة، وروح سكانها الأصليين. لذلك فإن إدارتها تُعد بمثابة تجربة مرهقة ومشجعة في آن.

اكتشفت جين هوك في الوقت الذي بلغوا فيه أردمور، أو كلاهوما، القدرة القصوى للكافيين على كبح جماح النوم. لم تصدّق مطلقاً أنه لم يُخترع بعد علاج لألم

رأسها الذي يشبه ألم أبر تُغرس عبر صدغيها.

أبهرت أشعة الشمس عينيها، وشكّل طنين ضعيف ومريب، يشبه بكاء شيء ما ولد لتوه في عالم غريب، رافقت خلفيةً موسيقية مؤلفة من نغمة واحدة كل الأصوات الأخرى. لم يكن الأولاد الذين كان نومهم مضطربًا طوال الطريق من تينيسي إلى أركنساس بحال أفضل من جين، لكن أيا منهم لم يعترض.

أمضوا الليلة في غرفتي نزل عائلتي الحجم، في كل واحدة منهما سريران بحجم كبير وآخر مفرد قابل للطي. تشارك الصبيان الأربعة الغرفة مع لوثر، بينما تشاركت الفتيات الأربعة الغرفة مع جين.

جلب لوثر وهارلي وجبات سريعة من مطعم بيتزا يقع على الطرف المقابل من النزل ليحظوا بعشاء مبكر، فيما قصدت جين وجيني ماكينات البيع في النزل لتجلبا بعض المشروبات الغازية.

نامت كل فتاتين على سرير، بينما ستنام جين على السرير القابل للطي، حيث وضعت القراب والمسدس في متناول يدها تحت هذا السرير الضيق.

تاقت للنوم وهي تتناول الطعام وتساعد الفتيات على الاستعداد للخلود إلى الفراش، لم تشعر بالخوف من أعدادها الكثير. فأولئك الذين شهدوا تهريبها للأولاد الثمانية من أيرون فرنس مسحت ذكرياتهم عما رأوا، كما أنها اتخذت جميع الإجراءات الاحتياطية. ابتداءً من السيارتين غير القابلتين للتعقب اللتين تقودهما هي ولوثر. كما أن التقنيين الأركاديين، لا يتعدون كونهم حشدًا صبيانياً كالاسم الذي اختاروه لمجموعتهم المجنونة. ربما يتساءلون الآن إن اكتشفت الحقيقة حول أيرون فرنس من خلال الضغط على راندال لاركين وإن كان لها يد في اختفاء الأولاد. وأيا يكن الأمر لن يعرفوا حقيقة الأمر، ولن يتمكنوا من معرفة الدرب الذي سلكته.

ستحظى هي ولوثر والأولاد بنوم طويل ومريح. وفي الصباح سينطلقون برحلة سهلة تستمر لخمس أو ست ساعات حتى يبلغوا مزرعة ساكيت في أوستن. حيث سيوفر ليلاند ونادين مأوى للأولاد، وسيقدمون لهم المشورة، بالإضافة إلى أي علاج قد يحتاجون إليه، ويفتحون أمام أعينهم نافذة أمل.

احتوى الجذع الضخم لشجرة البلوط الهائلة الموجودة في الركن الشمالي الغربي من الساحة الخلفية على ما يكفي من الخشب لرصف أرضيات عشرة منازل، وفي أغصانها الهائلة ما يكفي لصنع خزائن كبيرة إضافة للأبواب والعتبات ورفوف مدافئ محتملة. وقرت وهي واقفة بجذورها الضاربة في الأرض أيضًا الظل والمساحة التي شعر آل هوك أنها تتيح لهما حيزًا يتحدثان فيه بجوٍ من الخصوصية الذي لم يعد منزلها نفسه يوفرها لهما بعد الآن.

سكب أنسيل عندما عاد من منزل تسييس لونغرين كأسين من النبيذ الأحمر، واصطحب كليير إلى الخارج ليبدو الأمر في ظاهره أنهما خرجا ليجلسا على مقعدين خشبيين مطليين باللون الأحمر تحت الشجرة ويراقبا غروب الشمس. هرعت طيور الزرزور لتأوي إلى شجرة البلوط وإلى ملاذاتها عند حواف الإسطبل هاربة من افتراس الطيور الليلية لها.

شارك مع كليير المعلومات التي نقلها له تسييس، ليقرر أن يغادرا عند الساعة الثالثة فجرًا قاصدين منزل ليلاند ونادين ساكيت. عاش عمال المزرعة الذين اعتمد عليهم أنسيل خارجها حيث يبدؤون بالتوافد إليها عند الساعة السادسة صباحًا تقريبًا. فيما مكث مدير المزرعة جوان سابا وزوجته ماري هنا في مسكن يبعد ثلاثمائة ياردة عن المنزل الرئيسي. اعتاد جوان أن يستيقظ قبل نصف ساعة تقريبًا من شروق الشمس، وسيكون بوسع أنسيل وكليير أن يتسلا خلسة في الليل من دون الخوف أن يتعقبهما أحد، لا سيما أنهما سيمتيطان حصانين ليصلا إلى وجهتهما.

وقف هندركسون للحظة متمسكًا خلف التقني في محطة العمل حابسًا أنفاسه، كما لو أنه تحول إلى تمثال من صوان. انقسمت الشاشة الكبيرة عموديًا إلى قسمين، احتوت وجهين رغم أنهما جميلان إلا أنهما يجسدان خطرًا حقيقيًا.

استسلم هندركسون لجنون الارتياب الخاص به، بعد أن شكّل مصدر إلهام لجنون الارتياب لكثير من الناس عبر السنوات. أكد برنامج التعرف إلى الوجوه تطابق

ملاحظ المرأة من الحانة في كل مليمتر وفي كل انحناءات الزوايا الدقيقة لوجهها مع النقاط الثماني والعشرين الموجودة في ملف الصور الخاص بجين هوك والذي احتوى آخر صورة التقطت لبطاقة شارتها.

إنها لعينة كفيروس متعدد الأشكال، كما أطلق عليها البعض. ربما انهار راندال لاركين بالكامل، وأخبرها بأمر أيرون فرنس. لكن هناك تفاصيل لم يكن لاركين يعرفها أصلاً، لسبب بسيط، وهو أنه لم يكن بحاجة إلى معرفتها. حيث يتم تقاسم التفاصيل في أوساط الأركاديين بناء إلى حاجتهم لمعرفة فحسب، تمامًا كما جرت العادة في المؤسسات الرسمية مثل وكالة الاستخبارات المركزية. لم يحتاج لاركين لمعرفة الجملة التي يتم من خلالها تفعيل آلية التحكم بالعناصر المعدلين - لنشغل المنشوري معاً- ولهذا السبب بالتحديد لن يستطيع أن يخبر جين بأمرها.

مع ذلك، فقد عرفت تلك الوضعية المحتملة بأمر هذه الكلمات. وها هي الآن قادرة على التحكم بأي من الأشخاص المعدلين، ليس فقط في أيرون فرنس، ولكن في أي مكان تجدهم فيه.

زفر هندركسون الهواء خارجاً لينطق كلمتين بدتا كأنهما كلمة واحدة، "يا للعنة!". جالت فكرة أخرى في خاطره: إن كانت جين تعلم بأمر غرفة الهمس، فسيتاح لها استعمال أحد الناس المعدلين في القرية للوصول للجميع وإصدار أمر يُطاع من قبلهم جميعاً. ماذا لو طلبت منهم عبر الهاتف مغادرة أيرون فرنس بشكل جماعي؟ ماذا لو أمرتهم بالتوجه إلى إحدى السلطات التي لا تدور في فلك نفوذ الأركاديين ليعلنوا هناك عبوديتهم بصوت واحد؟ أو ماذا لو أمرتهم بالاجتماع في تايم سكوير أو حتى في مكان أكثر شهرة للتدبير بديفيد جيمس ماكل، والإقرار بزرع تقنية نانو داخلهم بغرض التحكم فيهم؟

شعر بالدوار والغثيان كما لو أن كتلة متقرحة قد انفجرت في داخله، لتغمر معدته بالدماء، تاركةً دماغه يستجدي الحصول على الأوكسجين. من المؤكد أن إحصائها حتى الآن عن فعل أي شيء جدّي وخطير مع هؤلاء المعدلين الذين يبلغ عددهم ستمئة شخص يعود ببساطة إلى أنها لم تفكر بالأمر بعد. ربما علقت في خضم حاجة ماسة لتحرير الأولاد وإيصالهم إلى بر الأمان، ولم تجد الوقت الكافي ولا صفاء الذهن اللازم لتقدير حجم القوة التي تمتلكها.

هناك طريقة لتغيير الجملة التي يتم من خلالها فتح آلية الأوامر لتعليمات جديدة، وجعلها شيئاً غير لنشغل المنشوري معاً. لكن هندركسون يجهل هذه الآلية لأنه لم يعتبر نفسه بحاجة إلى معرفتها.

قال لستيشا أوديل والتقنيين الأيمنين: "اعذروني من فضلكم"، وكأنه مدين لهم بالكياسة التي لا يدين بها. فهم ينتمون الآن لطبقة أدنى منه بكثير، وهم كذلك حتى قبل أن يُعدّلوا، وهم الآن في حضيض أي طبقة اجتماعية يمكن تصورها.

تراجع قاصداً زاوية قصية من الغرفة المحصنة ليستخدم الهاتف. اضطر أن يطلب رقم إيفا كليتنر التي عملت مديرة للمختبر في فيرجينيا، ثلاث مرات، قبل أن يتمكن من إدخاله بشكل صحيح بسبب أصابعه المرتجفة.

شعر بوث هندركسون بالإحراج جراء ارتعاش صوته وهو يشرح لكليتنر بسرعة ضرورة استخدام غرفة الهمس لتغيير الجملة المستخدمة كمفتاح تحكّم بأسرع وقت ممكن وبأي وسيلة متاحة لإنجاز هذا الأمر، تحدث معها بصراحة لأن هاتفه مبرمج لتشفير كلماته، فيما بُرمج هاتفها لفك التشفير.

قالت له: "حظي العوام الصالحون في أيرون فرنس على آخر تحديث غرفة الهمس، لذا لن أحتاج أكثر من ساعة ونصف لإنجاز المهمة".
"ممتاز".

"لكن ماذا بشأن أولئك الكادحين؛ الموتى الأحياء الموجودين على لائحة هاملت، العاملون في المناصب المهمة، الذين يزودونا بفتيات أسباسيا؟ إنهم موجودون على امتداد البلاد. لم يحظ أيٌّ منهم بتحديث، ولا نعرف حتى إن كنا نريد تحديثهم أم لا. لقد قمنا بالتحديث كإجراء خاص بأيرون فرنس، وسيكون لزاماً علينا أن نتصل بهم في كل مرة واحداً تلو الآخر لتغيير جملة التحكم".

"يجب إنجاز الأمر مهما يكن الثمن".
"يستغرق إنجاز هذا الأمر أسابيع، حتى وإن أوليت المهمة لكل أولئك الذين أثق بهم".

"سيستغرق أسابيع؟ كم عدد الذين نتحدث عنهم؟".

"سنة عشر ألفاً - يشمل هذا العدد كل الطبقات مجتمعة".

ترفع هندركسون في هذه اللحظة عن الشعور بالخوف لأنه لم يعرف عنه سوى القليل خلال حياته. لم يكن ارتعاشه إلا بسبب مزيج من الغضب والغیظ سببته حسناء مشيرة متغطرة مثل جين هوك مدفوعة بمزيج من غريزتها الحيوانية وحظها الأعمى: "لن نحتاج إلى القيام بأي من هذا إن لاقت تلك الوضیعة الموت الذي تستحق".

"لماذا لا تحرص على تنفيذ ذلك؟".

"هذا ما سأفعله قريباً، نحن بصدد الاطلاع على ملفها في الوقت الراهن. في هذه الأثناء، علينا تغيير جملة التحكم للسكان المحليين هنا البالغ عددهم ستمئة شخص إضافة إلى كل الموجودين في منشآت أسباسيا الاربعة. هؤلاء هم المعدلون الوحيدون الذين تعلم بأمرهم. لاحقاً، وقبل أن تجد آخرين، ستكون إما في عداد الأموات أو المعدّلين".

14

عادت كل من ريبیکا وجولي تيلمن إلى غرفتهما عبر الممرات الداخلية في الطابق الثاني من النزّل بعد أن تناولتا وجبة العشاء. لم تضيئا الأنوار، لكنهما عوضاً عن ذلك استعانتا كل منهما بالأخرى للسیر عبر الظلام نحو إحدى النافذتين، حيث أبعدتا الستائر قليلاً ليتسنى لهما مراقبة مراب السيارات حيث تركتا في وقت سابق سيارة روب ستاسن.

همست ريبیکا: "إن تتبعنا كل المسافة إلى هنا في روكفورد فلا بد أنهما يراقبان السيارة. لكنني لا أرى أحداً يراقبها".

همست جولي: "لا بد أنهما محترقان في المراقبة، فإن استطعنا رؤيتهما فلن يكونا سوى أولاد وضيعات ميؤوس منهما".

"لا أرغب بسماع هذه الكلمة منك مرة أخرى يا عزيزتي".

همست جولي: "تقصدین میؤوس منهما؟".

في الوقت الذي دخلت فيه سيارة رانج روفر لتركن في مرأب السيارات، غمرت أضواؤها للحظة شاحنة مغلقة متوقفة في الظلام. كشف الضوء العابر عن وجود رجلين يجلسان في الظلام خلف الزجاج الأمامي.

"هل رأيتهما يا أمي؟".

"نعم، هل أحدهما هو من اشترى الوجبات السريعة؟".

"لن أراهن بمؤخري الجميلة على ذلك. لكن بوسعهما مراقبة سيارتنا الغبية تلك من المكان الذي يجلسان فيه. لذا أنا أميل إلى المنهج الأفلاطوني في هذه المسألة، لأقول نعم في حالتنا هذه".

"هل قلت المنهج الأفلاطوني؟ ماذا يقول؟".

"يقول إن الأفكار هي جوهر هذا العالم وليس الأشياء المادية. يمثل هذان الشابان في الشاحنة المغلقة تجسيداً لفكرة حقيقية راسخة".

"ما هي هذه الفكرة الحقيقية الراسخة؟".

"الشر. إنهما محض حثالة، مجرد مجرمين خسيسين. لا بد وأنهما زرعاً أجهزة تعقب في سيارتنا، لن نستطيع التملّص منهما دون أن يكشفانا. لقد انتهى أمرنا".

"أوافقك الرأي بالجزء الخاص بأجهزة التعقب، لكن ليس بالجزئية المتعلقة بانتهاء أمرنا يا عزيزتي".

"إن لم يكن أمرنا قد انتهى يا أمي، لماذا نهمس إذا؟".

همست ربييكا عوضاً عن أن تجيها على سؤالها: "سيتصل بنا والدك عند الساعة التاسعة، وسينخبرنا بما يجب علينا القيام به".

"نعم، ولكن تفصلنا عن التاسعة ساعتان من الزمن، ماذا لو أتيا لقتلنا خلال ذلك الوقت؟".

"ما كانا ليتعقبانا كل هذه المسافة إن كانا يريدان قتلنا؟".

"لم أقل فقط ليقوما بقتلنا، ربما سيسطوان على نقودك، بعد أن يغتصبانا عدة مرات، ثم يقتلانا".

"هذا نزلٌ هادئ رفيف المستوى يا جولي، سيكون ما ذكرته شديد الصخب".

"ليس إن امتلكا كلمات للمرور، وصواعق كهربائية، وكلوروفورم، وما يكفي من ضبط النفس كي لا يصرخا من الشوة وهما يضاجعانا. إنني اشعر بالخوف يا أمي، بالرغم م نأن ذلك لا يبدو عليّ".

بدلت ربييكا قصارى جهدها حتى لا تثير الرعب في نفس ابنتها، لكنها وصلت مسبقاً إلى استنتاج مفاده أن الرجل ذو وشم الأفعى المرسوم على معصمه هو أحد هذين

الرجلين الجالسين في الشاحنة المغلقة، وأنه من الأفضل أن تبادرا إلى توجيه صفة إلى هذا الثنائي بأسرع وقت ممكن. فبالرغم من أن لوثر لم يخبرها بأي شيء محدد على الهاتف في الليلة السابقة، إلا أنه أوضح بشكل قاطع أن ما حصل في فندق فيبلن هو جزء من شيء أكبر، وأنه هو وعائلته في خطر داهم لمجرد قيامه بواجبه خدمة القانون واضطباعه بالدور الذي قد يقوم أي شرطيّ جيد. توقّع حصول بعض الأخطار الطفيفة منذ يوم الجمعة حين قصد ذلك الوغد بوث هندركسون منزله. وها قد مرت الآن ثلاث ليالٍ منذ يوم الأحد حين خاطر بأخذ هاتفين يمكن التخلص منهما من غرفة الأدلة، حتى يتسنى لهما أن يبقيا على اتصال من دون أن يتنصت عليهما أحد وهو في كنتاكي.

ارتكبت ريبكا خطأ حين تركت السيارة بلا مراقبة أثناء وجودها في المصرف برفقة جولي. لا بد أنه وقتها زرع جهاز تعقب. من شبه المستحيل البحث عن جهاز الإرسال وإيجاده أثناء مراقبة الرجلين الجالسين في الشاحنة المغلقة لهما. من المؤكد أن لوثر سيخبرها حين يتصل بها في غضون ساعتين أن تنسى أمر السيارة، وتترك خلفها هذين الوغدين يراقبان سيارة مهجورة. لا حاجة بعد الآن لأن تنتظر اتصاله بها.

قالت ريبكا: "يخبرني المنهج الأفلاطوني بضرورة أن نلوذ بالفرار في الحال".

لم تعمدا إلى تفرغ حقيبتيهما قبل التوجه لتناول وجبة العشاء. ساعدت كل منهما الأخرى عبر الظلام، لتصطدما بالأثاث أثناء تحركهما بسرعة ورعونة من شأنها أن تدفعهما للضحك لو كانتا في ظروف غير هذه. أخذتا معطفيهما عن السرير، وحددتا موقع وجود أمتعتهما في المنطقة الواقعة خارج الحمام. خرجتا متسللتين من الباب إلى الرواق تصطحبان حقيبتي سفر وأخرى لمساحيق التجميل.

أطلت الغرف الواقعة على الجانب البعيد من البهو على مرأب سيارات جنوبي على الطرف المقابل للمكان الذي ركنا فيه سيارتهما شمالاً. استقلتا المصعد البطيء نزولاً إلى الطابق الأرضي وبدأتا صاممتين ونافذتي الصبر. غادرتا المبنى عبر الباب الجنوبي وسارتا عبر ثلاثة صفوف من السيارات المركونة واتجهتا نحو الشارع، تصاعدت أنفاسهما بإيقاع متسارع عبر برد الليل القاسي وأصوات المدينة الصاخبة.

كان الفندق يقع في منطقة تجارية مزدحمة للغاية، لذا عمدتا وهما تشقان طريقهما إلى الشارع إلى التستر بالأبنية التي حالت بينهما وبين الرجلين الجالسين في الشاحنة

المغلقة. أثناء سيرهما على الرصيف عبرتا أمام متاجر تجزئة، بعضها مغلق وبعضها مفتوح، ومرتا بالقرب من مطاعم وحانات صدح من بعضها صوت موسيقى حية كنوع من الترفيه اللافت للنظر لكن الخالي من البهجة الحقيقية. انطلقت الأم وابتتها في رحلة بحث عن مكان جديد تمضيا فيه ليلتهما.

ارتاحت ريببكا لأنهما أخذتا زمام المبادرة. لكن على الجانب الآخر، كُتب على وجه جولي وبالتأكيد في صميمها توقعات بوجود فرق شاسع بين الأمان، وإيجاد مكان تقيمان فيه. من السهل إيجاد هذا الأخير، لكن الأول ما هو إلا محض أوهام.

15

وقف هندركسون طوال الوقت بوضعية توحى بالثقة بالرغم من أنه شعر في بعض الأحيان أن شيئاً ما انخلع من مكانه داخل صدره، فيما شعر طوال الوقت أنه يقف على سلك فوق الوجوه المبعثرة لكل أولئك الذين عرفهم في حياته، وهم ينتظرون بترقب لحظة سقوطه لكي يتشفوا منه.

عمد التقني، الذي كلّف قبل عشرين دقيقة بمهمة معالجة صورة سيارة لوثر تيلمن المركونة، إلى توضيح صورة لوحة تسجيل السيارة. اتضح أن سيارة الشيفروليه تلك مستأجرة حيث تم الحصول عليها عبر عقد من مطار لويسفيل يوم الاثنين. وها هو التقني الآن يستدير في كرسيه ويقول لهندركسون: "وفقاً لوكالة تأجير السيارات يا سيدي، فإن سيارة الشيفروليه أُعيدت إلى المطار قبل فترة وجيزة، عند الساعة الخامسة وثلاثين دقيقة".

كل قدم مرتبة في المطارات تغطيها كاميرات يفوق عددها عدد كاميرات أي منشأة أخرى على امتداد البلاد.

علم هندركسون التقني كيفية التسلل إلى برنامج تنسيق الفيديو الخاص بوكالة الأمن القومي للحصول على صور للشخص الذي أوصل السيارة إلى لويسفيل كائناً من كان. اتخذت جين هوك إجراءات احترازية عبر ركن سيارتها في حي سكني على بعد شارع ونصف من الشارع الرئيسي في أيرون فرنس، حيث اعتقدت أن لا كاميرات مزروعة هنا.

تمكن تقني ثانٍ من تعقبها وهي تغادر الحانة مع المأمور عبر تتبع سلسلة من مشاهد الفيديو عبر كاميرات متعددة كما حدد نوع سيارتها من طراز فورد إسكيب سوداء اللون. انضحت لوحة تسجيل السيارة الخاصة بها عندما اندفعت خلال منطقة جيدة الإنارة وهي تقود السيارة عبر طريق ليكفيو بينما كان المأمور يتبعها بسيارته المستأجرة.

أخذ هندركسون بعين الاعتبار قيامه بوضع مواصفات السيارة ورقم لوحة التسجيل عبر شبكة المركز الوطني للمعلومات المتعلقة بالجريمة ليلبغ بذلك كل الوكالات المسؤولة عن حفظ الأمن في البلاد، لكنه تردد. قدّر أن تلك الوسيعة تعرف كيف تستفيد من المركز الوطني للمعلومات المتعلقة بالجريمة من دون أن تجذب الانتباه إليها، وأنها تتفحص قواعد البيانات بين الفترة والأخرى لتعرف إن أضيفت أي معلومات حساسة بشأنها، وما أن يحصل ذلك ستبادر على الفور إلى استبدال لوحتي السيارة التي كانت مسروقة على الأرجح بلوحتين جديدتين، وستعتمد إلى التخلص من سيارة الفورد إسكيب في أول فرصة متاحة.

زوّدت وحدات الشرطة والمركبات الحكومية الأخرى على امتداد البلاد بنظام مسح للوحات السيارات يعمل على نطاق 360 درجة ويجمع أرقام السيارات التي تمر بالقرب منها لحظة بلحظة - سواء أكانت متحركة أم مركونة - لترسل تلك القراءات بعد ذلك إلى قواعد البيانات الإقليمية على مدار الساعة. تحتفظ وكالة الأمن القومي بقاعدة البيانات المركزية لكل هذه الأنظمة. ففي حال مُسحت سيارتها من طراز فورد إسكيب أو سيارة الشيفروليه المستأجرة في أي وقت منذ أن غادرا أيرون فرنس فإن برنامج وكالة الأمن القومي سيتمكن من تزويده بالمعلومات المتعلقة بوقت ومكان حدوث ذلك.

بالرغم من أن هندركسون لم يكن أقل اضطرابًا من قبل، إلا أنه فكّر في سره، إنه عصر ذهبي مناسب لوجود رجال من أمثاله، يملكون القدرة للنظر إلى هذا العالم باستخدام عيني القادر اللتين تريان كل شيء، سواء أكانت أساليبهم قانونية أم لا.

جلسا متلاصقين في الشاحنة المغلقة الباردة التي أوقفنا عمل محركها خشية أن يلفت البخار المتصاعد من العادم الأنظار إليهما، بعد أن تناولنا وجبتي الطعام الباردتين، تنفسا هواءً ملوثاً برائحة الثوم والسجائر التي دخناها بين الفينة والأخرى. العمل السري في خدمة فكرة نبيلة، عندما تكون نزاهة المهمة أكثر أهمية من أي قانون إنساني أو طبيعي يحرمها، عندما يمتلك الشخص رخصة للقتل ولا يتوانى عن ارتكابه لا حباً بالوطن، مثل جيمس بوند، وإنما لغاية أعظم، مثل تحويل هذا العالم إلى مكان أقل فوضى، والحفاظ على البيئة من خلال السيطرة التامة على الدوافع البشرية المدمرة. حسناً، قد يبدو مثل هذا العمل أمراً سامياً بالنسبة إلى كثير من الناس مفعماً بالعاطفة، والغموض والمغامرة، محض لحظة مثيرة.

يتمنى حسان ذكاري أن يطابق عمله التوصيف العام له، وهو الشخص الذي يتوق للعالم الجديد القادم الذي لم يتوان عن القتل في سبيله، والذي حظي بمغامرات عظيمة، وأدرك مفهوم الرومنسية، لكنه فضل العلاقات الجنسية المجردة، والذي رأى الجهل والارتباك في العالم، ولكنه لم يلحظ أي غموض. يكون كل شيء برآقاً في الأفلام، لا يتوجب على البطل أن يتحمل شريكاً نتن الرائحة مثل كيرنان بيدل، ولا يتوجب على الرجال الذين يؤدون مهمة المراقبة أن يتبولوا خلف الحاوية في الليل البارد كي يبقوا قريبين من السيارة في حال احتاجوا أن ينطلقوا فجأة.

في هذه اللحظة، انحنى بيدل فوق المقود، يتكلم من دون توقف حول موضوع لا يثير اهتمام حسان ذكاري لا من قريب ولا من بعيد، بينما جلس هذا الأخير واضعاً حاسوبه المحمول في حجره. مخترقاً نظام الحواسيب في مقر الشركة التي تملك هذا النزل إضافة إلى مئات أخرى - مقرهم الرئيسي في أورلاندو، فلوريدا ذات المناخ الذي تحسد عليه - ليجد طريقه إلى الحاسوب الموجود في نزل روكفورد هذا، حيث يراقب حالياً نظام المفاتيح الإلكترونية الخاص بهم.

استبدل الكثير من الفنادق والنزل نظام مفاتيح إلكترونيًا بنظامها التقليدي، وأصدرت بطاقات دخول مغناطيسية عوضاً عن المفاتيح القديمة، لأن من شأن هذا الأمر أن يتيح لهم تغيير القفل الخاص بالغرفة في كل مرة يقيم فيها نزيل جديد. يسجل

نظام البطاقات المحدّث في هذه المؤسسة كل أوامر استخدام البطاقات، وكلّ أمر لفتح أو غلق غرفة أي نزيل، زاعمًا أن بإمكانه أن يطلق إنذارًا في حال تم استخدام أي جهاز إلكتروني غير قانوني كبديل عن البطاقة لفتح القفل - حيث تحمل البطاقة بصمة إلكترونية تميزها عن أي جهاز يستخدمه اللصوص - ولأسباب أمنية أخرى.

ظهرت على شاشة حاسوب حسان المحمول صفوف من المربعات المرقمة التي تمثل غرف النزلاء الذين يقيمون في النزل. لونت الغرف المقفلة باللون الأحمر، الذي يتحول إلى اللون أخضر عندما يتم استخدام بطاقة للدخول إلى الغرفة، يستمر ذلك إلى أن يغلق الباب ويتم قفله بشكل آلي. أما اللون الأزرق فيمثل قيام النزيل بفتح الغرفة من الداخل للخروج، ويبقى لون المربع أزرق إلى أن يغلق الباب ويقفل، حيث يتحول إلى اللون الأحمر من جديد.

ربط اسما ريببكا تيلمن في سجل النظام الحاسوبي بالغرفة رقم 212. عندما عادت كل من الأم وابنتها إلى الغرفة بعد تناول العشاء في المطعم تحول لون المربع الأحمر إلى الأخضر... ثم إلى الأحمر. قال حسان: "لقد عادتاً".

قطع بيدل حديثه المسترسل حول المسألة التافهة التي تشغل باله أياً كانت: "لماذا لا يوجد أي ضوء؟".

تقع غرفة المرأتين في الطابق الثاني لتطل على هذا الجانب من البناء تمامًا فوق المكان الذي ركنت فيه سيارتهما القديمة. هناك نافذتان في الغرفة، لكنهما بقيتا مظلمتين. قال بيدل بعد مرور نصف دقيقة: "هناك خطب ما".

ركنت الشاحنة المغلقة بعيداً إلى الخلف من المبنى في منطقة مظلمة نسبياً بين بقعتي ضوء صادرتين عن مصابيح مرأب السيارات.

التقط حسان منظرًا من المقعد المجاور له، وركّز عدسته على إحدى نافذتي الغرفة 212 ثم على الأخرى.

قال: "لقد أزاحت الستائر في الظلمة وها هما تنظران إلى الخارج".

قال بيدل: "هل تنظران إلينا؟".

"تنظران إلى شيء ما".

تقدمت سيارة رانج روفر نحوهما، أنارت الشاحنة المغلقة بأضوائها لتمر بهما. بعد لحظة أسدلت ستائر النافذة بشكل كامل في الغرفة 212.

قال حسان: "أعتقد أنهما لاحظتنا".

"كيف لهما أن تعرفا أصلاً أن عليهما البحث عنا؟".

قال حسان: "ربما شاهدتني إحداهما وأنا أجلب الوجبتين الجاهزتين وربما تعرفت إلي من المصرف في الصباح".
"من كان ليعرف أن دروبنا ستتقاطع".

أراد حسان طلب الطعام، إلا أن بيدل لم يثق بأي شخص لطلب وجبة العشاء له. شعر بيدل كما جرت العادة دائماً بالحاجة الملحة للتصريح عن الأمور البديهية: "لا تزال الغرفة مظلمة".

وضع حسان المنظار جانباً، وراقب المربع الأحمر الظاهر على شاشة الحاسوب المحمول.

قال بيدل: "إنهما تفعلان شيئاً ما في الظلام".

تحول المربع الأحمر الذي يشير إلى الغرفة 212 إلى اللون الأزرق بعد دقيقة. قال بيدل الذي استطاع ملاحظة هذه التطورات على الشاشة من الزاوية التي ينظر منها: "إنهما تغادran الغرفة".

تحول المربع الأزرق إلى اللون الأحمر، فشغل بيدل المحرك فوراً.

قال حسان بعد أن أغلق الحاسوب المحمول، ليضعه جانباً ويفتح الباب: "لا أعتقد أنهما ستستخدمان السيارة التي نراقبها، ربما ستسللان عبر الجانب الآخر من المبنى. سأتبعهما سيراً على الأقدام".

قال بيدل: "سأبقي هاتفي على أهبة الاستعداد".

قال حسان تغمره ملامح باهتة من الامتعاض الذي لم يستطع إخفاءه: "أجل، هكذا تسير الأمور بشكل طبيعي".

ترجّل في الليل قارس البرودة وهرع نحو النزل، دمعت عيناه من الهواء البارد الذي لسعهما. لم يسبق للمرأتين أن التقتا به، إنه ماهر في حرفة تعقب المشتبه به سيراً على الأقدام دون أن يُكشف أمره. إنه يكره الليل البارد، وقد خُلق ليعيش في الدفء.

لكن هذا الليل من شهر آذار في روكفورد هو أقل ما يفترض به تحمله ليساعد في خلق العالم الأفضل الذي سيعرف فيه الناس مثل هذه الأم وابنتها، مكانهم وإلا سيفنون من الوجود.

17

أملت جين أن تنام بعمق في الغرفة ذات الإضاءة الخافتة الصادرة عن مصباح وحيد غطي بمنشفة في نزل في أردمور، حيث استلقت الفتيات الأربع المنهكات يرقدن بلا حراك كما لو أنهن مخدرات. لكنها ذابت عوضًا عن ذلك في عوالم استحضرها عقلها الباطن وهي مستلقية لوحدها في السرير القابل للطوي. جابت شوارع المدينة في مشهد ليلى ينذر بالخطر، وهي تبحث عن نك، بدا كل مقيم فيها كما لو أنه شخصية كئيبة عدائية مكونة من مادة مظلمة، ومن ثم وجدت نفسها في مصنع لا حدود له من دون أن تتمكن من إيجاد مخرج من المتاهة المكونة من الآلات المهجورة وعقود من النفايات التي بُعث منها راندال لاركين مرارًا وتكرارًا ليُحمل نحوها على أمواج من الجردان، ثم أطلق قناص النار من أعلى التل نحو السهل المقابل حيث تم اقتياد قطيع كبير من الخيل، فصرخت الحيوانات حين جُرحت وتلوت في غشاوة مريعة من الدماء والغبار المتصاعد، وقفت جين على قدميها في ظل الاندفاع المحموم للخيل، باحثة عن شيء ما في خضم هذه الفوضى، تحولت الخيول إلى مهور، مهور إكسمور، ليظهر أمامها فوق الأرض التي وطأتها الحوافر شكل خيالٍ أردي بطلق ناري عن صهوة جواده ليسقط ويُدْهَس ويُمزق. أو شكت تقريبًا أن تعرف إلى الخيال المحطم والممزق الذي تراه عبر الغبار، كانت شبه قادرة على رؤيته، تقدمت عبر الفوضى، اقتربت من الخيال، استمرت بالاقتراب دون نهاية.

18

اكتشف هندركسون المعلومات التي يريدتها في قاعدة بيانات وكالة الأمن القومي. لقد توجهها غربًا. اتجهت تلك الوضيعة الشرسة برفقة المأمور الساذج إلى جنوب أيرون فرنس نحو تينيسي في وقت متأخر من يوم الثلاثاء ثم انعطفا باتجاه الغرب.

قرأت سيارة دورية شرطة على طريق تينيسي السريع من جهة الشرق لوحة تسجيل سيارة الفورد إسكيب بالعدسة الموجهة نحو الغرب خارج ممفيس بتسعة أميال عند الساعة 02:28:14 من صباح يوم الأربعاء. وقرأت لوحة تسجيل سيارة الشيفي التي كانت في إثر سيارة الفورد عند الساعة 02:28:17.

تم تحديد موقعهما التالي إلى جنوب غرب لبتل روك. حيث مسحت سيارة شرطة طرقات تابعة لولاية أركنساس أثناء دخولها إلى الطريق السريع 30 تلقائيًا لوحة تسجيل سيارة الفورد إسكيب الأمامية عند المخرج المجاور لهوت سبرينغ قرابة الساعة 4:36:24 من صبيحة يوم الأربعاء، لتعبر سيارة الشيفي المستأجرة بعد ثلاث ثوان.

الأمر الذي بقي لغزًا بالنسبة إلى هندركسون هو كيف تعرف هوك وتيلمن إلى بعضهما، ولماذا ترافقا في أيرون فرنس. وها هو الآن لغز جديد ينسج شباكه مع اللغز الأول: ما الذي ينيوان فعله في هوت سبرينغ أو أيًا كان المكان الذي يقع بعده؛ هل يقصدان الاستقرار هناك، أم ينيوان المضي خارج الطريق السريع من الآن فصاعدًا؟

تم تأسيس برنامج قراءة لوحات التسجيل التلقائي في المدن والضواحي الرئيسية والطرق السريعة التي تربط الولايات بشكل أفضل من المناطق الريفية والطرق الفدرالية والحكومية وفي المقاطعات الأصغر. لذا فإن تعقبهما الذي بدا مبشرًا قد أفضى به إلى الخيبة حين أخبره التقني الأمني أنه لم تعد تظهر أي قراءات أخرى للوحة تسجيل سيارة الفورد بعد تلك التي سجلت في هوت سبرينغ في أركنساس قبل ست عشرة ساعة.

سُجلت قراءتان لسيارة الشيفي المستأجرة لاحقًا في هوت سبرينغ. الأولى عند الساعة 8:06 صباحًا. حيث يندمج الطريق أي-30 مع الطريق أي-40 في محيط لبتل روك. فيما سجّلت الثانية عند الساعة 2:25 بعد الظهر. على بعد ثلاثة أميال إلى الشمال من طريق ناشفين السريع 65، يقودها شخص ما نحو مطار لويسفيل حيث تم استئجارها ليعيدها قبل قليل، عند الساعة الخامسة والنصف.

ها هو الآن التقني الثالث الذي بحث عن صورة الشخص الذي أعاد السيارة إلى لويسفيل في تسجيلات الفيديو الخاصة بالمطار يظفر بمراده. باستثناء أن الرجل الظاهر على الشاشة في المرأب الخاص بمكتب التأجير هو رجل أبيض البشرة وليس أسود، لم

يكن لوثر تيلمن. كان ضربًا من العبث معالجة وجهه عبر برنامج التعرف إلى الوجوه بالنظر إلى شعره الأشعث المتدلي ولحيته الطويلة على نمط رجال الجبال إضافة إلى النظارة الشمسية التي وضعها. ظهر على الشاشة وهو يغادر المجال الذي تغطيه الكاميرا. لا يوجد أي فيديو للسيارة التي استقلها أثناء مغادرته.

غمرت هندركسون مشاعر قاسية، تركزت حول الغضب، إضافة إلى الإحساس بخذلان الناس الذين اعتمد عليهم ولم يكن هوي دارنيل القابع في مينيسوتا آخرهم. اتصل هندركسون بهاتف الآيفون الخاص بهوي بعد أن مشى مبتعدًا عن التقنيين الأمنيين وستيشا أوديل الذين بقوا متصلين به وخاضعين لسيطرته بانتظار أوامره التالية. قال دارنيل: "دارنيل يتحدث".

هناك نبتة ياسمين

t.me/yasmeenbook

"هذا أنا، أين أنت؟".

"أتولى نوبة المراقبة لتيلمن".

"هل تقصد المأمور؟".

"أجل، لوثر تيلمن".

سأله هندركسون: "أين هو الآن؟".

"في المنزل. بالرغم من أن زوجته وابنته غادرتا البلدة باستخدام سيارة السفر الخاصة بنائب المأمور. يتولى كل من حسان ذكاري وكيرنان بيدل أمرهما، يقيانها تحت المراقبة في نزل في روكفورد".

سأله هندركسون: "أين تقع روكفورد هذه؟".

"في إيلينوي. قادتنا طوال النهار للوصول إلى هناك. لا نعرف لماذا قصدتا المكان".

"ربما توجهتا للقاء لوثر".

"لكن لوثر هنا في المنزل".

"هل أنت متأكد؟".

صمت دارنيل قبل أن يجيبه: "كان هنا في وقت سابق".

"ذلك قبل أن يطير إلى كنتاكي يوم الاثنين. اليوم الأربعاء، لذا أظن أنك محق، كان هنا في وقت سابق. قبل يومين".

اختار هوي دارنيل أن يصمت مجددًا.

"هل تعلم ما الذي أريد منك أن تفعله يا دارنيل؟".

"أعتقد أنه يتوجب عليّ التوجه إلى المنزل".

"رائع. اذهب إلى المنزل، اقلبه رأسًا على عقب. ابحث عن أي شيء من شأنه أن

يفسّر سبب توجه لوثر إلى أيرون فرنس في كنتاكي. هل تفهم؟".

"نعم يا سيدي".

ابحث عن أي إشارة تدل على تواصله مع جين هوك، أو إن كان على معرفة

مسبقة بها، أو يعرف شخصًا على صلة بها. أنت تعرف من تكون جين هوك أليس

كذلك؟".

"نعم يا سيدي، الجميع يعرفون من تكون".

ابحث عن أي شيء آخر مثير للاهتمام، حتى وإن اضطرت ألا تنام إلى أن تجد

شيئًا يساعدي".

"ماذا لو لم أجد شيئًا مما ذكرت، وعدت حاوي الوفاض".

أجابه هندركسون: "هذا الخيار ليس متاحًا".

"تركت الزوجة والابنة الأضواء منارة في جميع أرجاء المنزل".

"ماذا يعني ذلك؟".

"حسنًا، بدا الأمر كما لو أن أحدًا ما تواجد هناك حين حلّ الظلام".

"هل تخلق الأعذار لنفسك؟".

"كلا يا سيدي، أنا أوضح الأمر فحسب".

أنهى هندركسون المكالمة، وقف والشرر يتطاير من عينيه، أراد أن يعتقد أن كل

أركادي يسمو في أضعف الإيمان عن النشاط من العامة. لكن امتلاك أي رجل للعقيدة

الفكرية الصحيحة لا يعني بالضرورة استحقاقه للعالم الأفضل الذي يتصوره. سيتم

حقن هوي دارنيل قريبًا بآليات التحكم المستخدمة لأولئك الموضوعين على لائحة

هاملت ويرسل بعيدًا لينتحر.

عاد هندركسون الآن إلى التقنيين الأمينين الثلاثة الذين انتظروه برفقة ستيشا أوديل،

أمرهم أن يخرجوا من الموقع الإلكتروني الذي اخترقوه بطريقة غير قانونية بناء على

إرشاداته. أكد عليهم أن جل ما سيتذكرونه أنهم بحثوا ليعرفوا المزيد عن مارتن موسيز اختصاصي التجسس على الشركات وتبعه بعد مغادرته المنتجع في اليوم السابق. فرغ من مراده، ثم أنهى الوصول إلى برنامج التحكم الخاص بهم بقوله *إلى اللقاء*. أجابوه بصوت واحد: *"إلى اللقاء"*، ليعودوا إلى واجباتهم الأمنية التقليدية كما لو أنه لم يطرأ أي شيء غير اعتيادي.

قالت ستيشا أوديل: *"هل ترغب في أن تقصد أي مكان آخر يا سيد كونغريف؟"*. عمّلت لوقت تجاوز بكثير وقت انصرافها المعتاد من العمل، لكن بقي هناك شيء واحد يرغب به قبل أن تقلّه إلى المروحية التي لاتزال بانتظاره على الجانب الآخر من البلدة: *"لنذهب إلى مكتبك آنسة أوديل"*.

حظي موظف الاستقبال الليلي بمكتبه الخاص. عمّت الظلمة الجناح المخصص للآنسة أوديل في منطقة الاستقبال، حيث غادرت مساعدتها منذ وقت طويل. تبعها إلى مكتبها، وأغلق هندركسون الباب وقال: *"لنشغل المنشوري معاً"*. أجابته بعد أن خضعت لتحكمه مجدداً: *"حاضر"*. *"قفي هناك وتعري"*.

ربما مرّ شيء من السخط في عينيها بالرغم من أن ملامحها بقيت هادئة، بعد ذلك حلّت أزرار قميصها النسائي.

جلس بوث هندركسون على أحد كراسي الزوار المريحة. أخرج هاتفه المحمول ليتصل بالرقم المخصص لما بعد ساعات العمل العائد لمارشال أكيرمان المشرف على منظمة متطوعين لغد أفضل غير الربحية التي شكّلت أحد مشاريع ديفيد جيمس مايكل.

أخبره هندركسون بتفاصيل الوضع الراهن المتعلق بسيارة الفورد إسكيب في هوت سبرينغ عندما أجاب على المكالمة، *"ستحتاج وتيلمن إلى سيارة واحدة فقط إن عمدا إلى ترك الأولاد الثمانية خلفهم في مكان ما من أركنساس. ستقوم على أغلب الظن باستخدام سيارة الفورد. ضع شخصاً ليتحقق من برنامج وكالة الأمن القومي كل عشر دقائق. أخبرني على الفور ما إن يظهر أي تسجيل جديد للوحة المسجلة في كاليفورنيا والتي تحمل الرقم"*. استدعى رقم السيارة من ذاكرته.

"اعتبر الأمر منتهياً" تابع أكيرمان سائلاً إياه: "هل سمعت بما حصل يوم الجمعة الماضي في المستودع حين قتلت لاركين؟".

"لاذت بالفرار قبل أن تصل أنت إلى هناك".

"هذا ملخّص موجز فحسب. لقد تركت الوضيعة قبلة حارقة موقوتة، حاولت أن تشعلنا جميعاً، عَجَّ المكان بالجرذان المسعورة".

"نعم سمعت بهذا الأمر أيضاً".

قال أكيرمان: "ما أن تقع يدي عليها حتى أطعمها جرّداً ثم أحرقتها بالنار، أقسم بالجحيم أني سأفعل".

أكّد له هندركسون: "لن يعترض أحد على ذلك". أنهى المكالمة، وخاطب ستيشا أوديل على الفور: "كلا، تجرّدي من كل شيء. أريدك عارية تماماً".

أطاعته ليظهر عليها الإحراج بالرغم من أنها خاضعة لتحكمه.

تفاجأ هندركسون من تصرفاتها. وهو الذي يزدرى النساء اللواتي لسن من سويته، لاسيما أن علاقاته الغرامية تميل للارتباط باللواتي يعلنونه درجة واحدة في السلم الاجتماعي على الأقل. وقعت ستيشا أوديل، حتى قبل أن يتم حقنها، بمرتبة اجتماعية أدنى منه بمقاييس أي نظام تقسيم طبقي معترف به. مجرد كادحة من الطبقة الوسطى تفتقر إلى الذكاء والذائقة اللازمين لترتقي عن بداياتها. وها هي الآن تبلغ الحضيض بعد أن أصبحت واحدة من المعدّلين، ترتقي عن الحيوانات بدرجة واحدة فقط وبالتأكيد هي أدنى بمرتبة واحدة من العبيد. من الحري به أن يشعر بالقدارة وهو يجلس هناك مصدرّاً التوجهات لها بأن تركع على قدميها فيما تنحني نحوه لإرضاء رغباته وهي تنفذ ما يأمرها به. لكنه مرّ بيوم مليء بالإحباط، وعليه أن يفرغ فيها كل إحباطه هذا قبل أن يقوم برحلته إلى العاصمة واشنطن.

اعتبر أن ما يقوم به هو أقرب فعل إلى الانتهاك بوسع مخيلته أن تستوعبه، فقد اعتبر ستيشا كائناً بدايئاً تنتمي تقريباً إلى فصيلة مختلفة. هذا الأمر مختلف عن الفتيات في أسباسيا اللواتي صُممن بشكل لا يُصدق وجُهزن لإرضاء الرغبات المتطرفة من دون أن يتذكرن أي ماضٍ أو يأملن بأي مستقبل، كما أنهن لا ينضوين تحت أي شريحة في البنية الطبقيّة بناء على سيرتهن الذاتية وقدراتهن الذهنية، إنهن شهيات بكمالهن

وخضوعهن الخيالي كما لو أنهن خرجن للتو من حلمٍ شبق. لكن ستيشا تمتلك ماضيًا ومستقبلًا، حتى ولو في حدود ضيقة للغاية، كما أنها تمتلك مشاعر وأفكار لم تخضع للتحكم. بوسعه أن يأمرها كما يفعل مع أي من فتيات أسباسيا، ولكن من المؤكد أنها ليست خاضعة بشكل دائم، دائمًا هناك احتمال ضعيف بأن تقوم إنسانة بدائية مثل ستيشا بالعض وهو أمر يثير هندر كسون.

19

استلقى الصبيان الأربعة على سريرين كبيرين الحجم غافلين عن العالم كما لو أنها المرة الأولى التي ينامون فيها في حياتهم، وكما لو أنهم يرتاحون ويوفون دين آلاف ليالي النوم غير المسدد قبل حلول الصباح. انجذب لوثر إلى السرير القابل للطي كما لو أنه أكثر الأسرة التي رآها في حياته إغراءً، وكان سيغظ في نوم عميق لو لم يكن عليه إجراء مكالمة مع ريبكا عند الساعة التاسعة. قصد الحمام كي لا يقلق راحة الأولاد، أغلق غطاء المرحاض، وجلس عليه. استخدم هاتفه المؤقت للاتصال بها فأخبرته أن سيارة روب ستاسن أوصلتهما إلى روكفورد، لكن ليس بالسرية التي ترغبان بها. وأنهما حجزتا قبل قرابة الساعة والنصف غرفة في فندق عتيق الطراز على بعد بضعة شوارع من المكان الذي هجرتا فيه سيارتهما. قال لوثر الذي شعر بالجزع عندما علم أنهما ملاحقتان، لكنه شعر بالفخر لمبادرتهما إلى تضليل من يراقبهما: "كيف ستتدبران الوصول إلى شيكاغو في الوقت المحدد غدًا؟".

أجابته ريبكا: "لا أحبذ استخدام محطة الحافلات أو محطات القطار".
"وأنا أيضًا لا أحبذ استخدامهما".

"لقد كذبت على روب ستاسن، حيث أخبرته أنني سأقصد ماديسون لأساعد الخالة تاندي على الانتقال للعيش مع أمي. لذا اعتقدت... لم أرغب بالاتصال بأمي لطلب المساعدة، سيكون هذا مكشوفًا للغاية. لكن أيًا من يكون هؤلاء الرجال لن يتمكنوا من تعقب كل الهواتف، أليس كذلك؟ لذا اتصلت بالخالة تاندي، هل قمتُ بالشيء المناسب؟".

"أعتقد ذلك، توجّب عليك القيام بشيء ما".

"أخبرتني أنني وجوليا في روكفورد، وأن سيارة التويوتا تعطلت، وطلبت استعارت سيارتها، فهي تمتلك سيارتين، خاصة أنها لم تتبع سيارة العم كالفين".
تقع ماديسون في ويسكنسون على الطرف المقابل للحدود ولا تبعد أكثر من ستين ميلاً من روكفورد.

قال لوثر: "لم تخبرنيها عن سبب وجودك في روكفورد أليس كذلك؟".
"اختلقت قصة، وتبين لي أن للخالة تاندي خليلاً".

"ألم تبلغ الثمانين من عمرها؟".

"لا تزال شابة في التاسعة والسبعين، أما خليلها فهو في السبعين، إنها تحب الارتباط بمن يصغرها سنًا. ستقود سيارة كالفين الدودج، وسيتبعها خليلها بسيارتها، ليعيدها بها إلى المنزل، سيكونان هنا في غضون نصف ساعة".

قال لوثر: "لقد تصرفتِ على نحو ممتاز".

"إن الزواج برجل جامح مثلك جعل أعصابي فولاذية".
ابتسم قائلاً: "أنا قضية عويصة".

"لن تعرف كم هي عويصة يا حبيبي. حسنًا، ماذا سنفعل بعد أن نصل إلى شيكاغو في الغد؟ إلى أين ستتجه بعد ذلك؟ أين أنت الآن؟".
"لا أزال أسير على الطريق، غدًا مساء سأعرف وجهتنا".
"أحتاج إلى رؤيتك يا لوثر".

"وأنا بحاجة إلى رؤيتك أكثر من حاجتي إلى أي شيء آخر. أحبّك، هل تتذكرين ذلك المكان الذي قصدناه في العطلة، حيث حملتِ على الأرجح بتويولا".
"كيف لي أن أنسى ذلك".

"اقصدي ذلك المكان في الغد، بحوزتك رقمي وبحوزتي رقمك، لكنني في حال حصل خطب ما سأعرف أين أجلك. كيف حال جوليا؟".

"إنها فارة من وجه العدالة بالفطرة، لن تتمكن أي فرقة مطاردة من إيجادها، وهي ترغب بالتحدث إليك".

قالت جوليا عندما أخذت الهاتف: "أبي؟".

"أهلاً يا جميلتي".
 "لم تنادني بهذا اللقب منذ دهر".
 "لم أقصد به أي إساءة".
 "لم أشعر بأي إساءة. أجبني بصراحة يا أبي، هل كل شيء على وشك الانهيار؟".
 "ما الذي سينهار يا عزيزتي؟".
 "البلاد، العالم، الحضارة، التجربة الإنسانية".
 "تلك سنة الحياة، كل شيء ينهار يا عزيزتي، لكنه دائماً يبني من جديد".
 "اعذرنني، ولكن ذلك يشبه كومة من روث البقر، أنت أفضل من هذا يا أبي".
 "أنت محقّة. اسمعي، لن ينهار كل شيء. هناك مكائد شريرة قيد التنفيذ، وسيتهي الأمر بعواقب سيئة لأولئك الذين يسعون خلفها كما هي الحال دائماً".
 "هل سنكون على ما يرام؟ أنت وأمي وأنا وتويلا؟".
 هذه الفتاة أذكي بكثير من أن يتم إقناعها بكلام مكرر تافه: "كل ما أستطيع قوله يا جولي أنني سأبذل قصارى جهدي ليكون الجميع بخير".
 "جيد، حسناً، لم أرد أن أسمع منك أكثر من هذا، أنا أحبك يا أبي".
 "وأنا أيضاً يا جولي".

بالرغم من التعب الذي يشعر به، إلا أن لوثر لم يأو إلى الفراش مباشرة بعد إنهاء المكالمة، بل وقف بالقرب من المغسلة، ونظر إلى انعكاس صورته، لكنه لم ير نفسه، رأى عوضاً عن ذلك ريببكا وجولي وتويلا، تجلّت وجوههن بشكل حيّ في ذاكرته كما لو أنهن تجسدن فعلاً في المرأة، استحضرهن تحت وطأة حبه الشديد. تلا صلاة مقتضبة لكي ترعى السماء وتحفظ هؤلاء النساء الثلاث العزيزات على قلبه، لأنه لم يكن واثقاً أن بذل قصارى جهده سيكون كافياً لأجلهن.

20

كفلت ثلاث أوراق نقدية من فئة المئة دولار بإجراء عامل الفندق لاصطحاب حسان ذكاري وكيرنان بيدل إلى الغرفة المجاورة للغرفة التي استقرت فيها ريببكا وجولي تيلمن لقضاء الليلة. أظهرتا شارتيهما العائدين للأمن الوطني بشكل متزامن مع

عرض النقود عليه، لكن لم يبدُ أن شارتيهما أقتعتهما إلا كذريعة تسمح له بقبول النقود. اسمه جيرري هير، بدا اسم جيرري هير بالنسبة إلى حسان وكأنه اسم شخصية من الرسوم المتحركة، في الحقيقة أوحى مظهره بذلك: برزت أسنانه بشكل طفيف، وارتعش أنفه كأنف الأرنب، وتلون بياض عينيه باللون الزهري، أما أذناه فكانتا كبيرتين لدرجة أنه يمكن أن تستخدمهما لسحبه من أي قبعة ساحر هذا إن اتسعت أي منها له. عاد إليهما متوترًا بشكل يفوق الوصف بعد أن مرّت خمس عشرة دقيقة من تركهما لشأنهما في الغرفة، ليعاود الكرة مرة أخرى بعد خمس عشرة دقيقة أيضًا، مصرًا في كل مرة أنه لم يعتقد أنهما سيستغرقان أكثر من خمس دقائق، وليترك في نفسيهما الانطباع أن الثلاثمئة دولار تلك غير كافية بالنسبة إليه ليجازف بعمله لأجلها، ليتقاضى بناء على ذلك مئة دولار إضافية في كل مرة، مدعيًا أن مكتب الاستقبال قد يؤجّر الغرفة في أي لحظة أو أن عاملًا آخر من الفندق قد يظهر حاملاً حقائب نزلاء آخرين. لكن من المؤكد أن هذه الغرفة التي تقع في خرابة من نجمتين ستبقى خاوية بعد أن تجاوز الوقت هذه الساعة من مساء يوم الأربعاء. الحسنة الوحيدة التي أنقذته هو أنه همس واشتكى إلى بيدل الذي بقي على مسافة مناسبة من حسان.

في خضم كل قلق الأرناب المشوب بالذنب هذا، أنزل حسان بصمت، نسخة مقلدة عن لوحة ليلية النجوم للفنان فان كوخ ذات الإطار الخشبي والمزخرف بتكليف بطلاء ذهبي مزيف لا يتناسب البتة مع العمل الفني، الذي علّق على خطافين على الجدار الفاصل بين غرفتهما والغرفة التالية. أزال بحذر أحد الخطافين ومسمارًا كبيرًا من المكان الذي علّق إليه. أدخل بأقصى ما أمكنه من هدوء، ميكروفونًا طويلًا ذار رأس رفيع مدبب، في الفجوة التي خلفها المسمار دافعًا إياه عميقًا، فعميقًا، حتى شعر بأن رأسه قد ارتطم بجدار غرفة الفندق المحاذية. وضع السماعة المتصلة بالميكروفون في أذنه اليمنى ليشغل بعد ذلك مضخّم الصوت عالي الجودة المقترن مباشرة والذي بوسعه رفع جودة الصوت المسموع وصولًا إلى مئة ألف ضعف القوة التي تصل فيها ذبذباته.

طلب عامل الفندق ثلاثمئة دولار أخرى عندما عاد في زيارته الثالثة. أطفأ حسان مضخّم الصوت، وهمس لبيدل بشأن عامل الفندق: "اقتل هذا السافل الوضيع إن لم يخرس ويقبل بمئة دولار كتسوية أخيرة".

قال بيدل لجيري هير وهو يلوح بورقة من فئة المئة دولار: "أنت تعرف أن العم سام غارق بترليونونات من الديون، لم يعد يملك نبعًا لا ينضب بعد الآن".
لم يأخذ عامل الفندق قصة شارتي الأمن الوطني تلك على محمل الجد، كما يأخذ الآن بجدية مطلقة أمر تهديده بالموت، ليقف شاحبًا ومتوترًا كأرنب أليس بجمود منقطع النظير طاويًا يديه أمامه ليبدو كما لو أنه اتخذ وضعية الصلاة، اتسعت عيناه وهو يعصُّ على شفته السفلية بأسنانه العلوية البارزة.

هكذا استطاع حسان الاستماع إلى ربيكا أولاً ثم إلى جولي وهما تجريان محادثتهما الهاتفية مع لوثر تيلمن. تمكن أن يسمع طرفًا واحدًا من المحادثة الهاتفية، لكنه استطاع أن يحصل على كمية لا بأس بها من المعلومات المفيدة مما قالته المرأة للمأمور، ومن الحديث الذي دار بين الأم وابنتها بعد انتهاء المكالمات.

بعد بضع دقائق، اتصل حسان بهوي دارنيل في مينيسوتا، من إحدى زوايا جهو الاستقبال في الطابق الأرضي ليلبغه بالتقدم الذي أحرزاه ويتلقى توجيهاته.
امتنع هوي بشكل غريب عن إعطائه أي توجيهات: "وما أدراني أنا؟ يجب أخذ أي توجيهات تتعلق بهذا الأمر حصرًا من هندركسون، اتصل به لتتحقق من أوامره".
سأله حسان: "كيف تريدني أن أتصل به وأنا لا أعرف حتى رقم هاتفه".
"لماذا لا تعرفه؟".

"إنه يزودنا به بناء على قاعدة المعرفة حسب الحاجة، أليس كذلك؟".
قال هوي: "حسنًا أنت الآن بحاجة أن تعرف. هل في متناول يدك قلم وورقة؟".
"كلا، لكنني أستطيع أن أحفظه، تفضل"، قال حسان بعد أن أخذ الرقم: "هل تعتقد أن بوسعي الاتصال به الآن في هذا الوقت المتأخر؟".

"بوسعك الانتظار حتى حلول عيد الميلاد إن ظننت أنه الوقت المثالي، ولكن برأيي -والذي لا يتعدى كونه هراء لعينًا عديم القيمة- من الأفضل أن تتصل به الآن".
قال حسان بعد تردد: "هل أنت على ما يرام يا هوي؟".

"أنا ممتاز، يا حسان. بلغت الحدود القصوى من التألق، بلغت القمة، أنا برج بيزا المائل. بلغت القمة، أنا الموناليزا".

صمت حسان للحظة، ثم قال: "حسنًا، سأتصل به فورًا".

استمتع بوث هندركسون، وهو يجلس على الوسائد الوثيرة في غولفستريم 5، بتناول وجبة عشاء متأخرة مكونة من ديك مطهو قديم بأسلوب أنيق من قبل مضيف يعمل في مكتب التحقيقات الفدرالي رغم أن الرحلة ممولة من ميزانية وكالة العدل، وهو على ارتفاع بضعة آلاف من الأقدام فوق سطح الأرض حيث الغلاف الجوي رقيق للغاية لدرجة لا يدعم فيها وجود أي أثر للحياة، ويبدو تقدم الزمن المتوحش الذي لا يكل ولا يمل أمرًا ينطبق فقط على الحشود التي تتصارع على امتداد سطح الأرض.

هناك طبق جانبي رائع من الفاصولياء الخضراء والفوتشيني ألفريدو، وامتاز النيذ الأبيض بالبرودة المناسبة مانحًا الإحساس بالانتعاش والمذاق الرائع لدرجة لم يسأل هندركسون عن اسمه، خوفًا من أن ينتمي إلى علامة غير مميزة فتضيع معرفته إحساسه بتناسق الأطعمة على نحو تام.

بالرغم من أن المسافة من لويسفيل إلى واشنطن لم تكن طويلة بما يتيح له الاستمتاع بوجبة عشاء وتحلية يتبعهما تقديم النيذ المعتق منذ خمسة وأربعين عامًا، إلا أن هندركسون تدبّر أثناء تحليقه بالمروحية من أيرون فرنس إلى لويسفيل مع الطيار خطة جديدة للطيران تأخذ مسارًا نحو واشنطن يمر عبر أتلانتا وجورجيا. سيؤدي التأخر بالتبليغ عن اتباع هذا المسار غير التقليدي للرحلة إلى مشاكل في التحكم بحركة المرور الجوية حيث ستخلى مسارات الطيران المدني من الرحلات التجارية ليتسع المجال الجوي لمرور مسؤول منخرط في مسألة عاجلة تخص الأمن القومي.

بينما كان هندركسون يستمتع بالرشفة الأخيرة من كأس النيذ في الفترة بين الوجبة الرئيسية و طبق التحلية المكون من كيك الليمون ومثلجات بنكهة الحبق، تلقى اتصالاً من حسان ذكاري الذي عرف من يكون لكنه لم يعرف كيف حصل على رقمه الخاص، ربما عن طريق هوي دارنيل.

باقتضاب، شرح حسان التطورات المتعلقة بكل من ريببكا وجولي تيلمن، وسرد له موجزًا عن الاتصال الهاتفي الذي أجراه معهما المأمور، ليقول بعدها: "ستصل سيارة الخالة إلى مرأب الفندق في غضون فترة وجيزة يا سيدي. بوسعنا أنا وبيدل أن

نزرع فيها جهاز تحديد مواقع وتتبعهما وصولاً إلى شيكاغو فضلاً عن أي مكان آخر تقصدانه انطلاقاً من هناك".

"لن يكون ذلك ضرورياً. لقد أخبرتني بالفعل كل ما أحتاج إلى معرفته، وهو وجهتهما في شيكاغو، سأبقيهما تحت المراقبة".

"كما تشاء يا سيدي".

"لقد أحسنت صنيعاً يا حسان".

"شكراً يا سيدي".

"بعد هذه الليلة الطويلة من العمل، سأطلب منك تنفيذ مهمة أخرى إن كنت تستطيع".

"أنا دوماً رهن إشارتك يا سيدي".

"من خلال اطلاعي على سجلك الوظيفي، أعلم أنك لا تتوانى عن إزالة العقبات ومحاسبة المقصرين عند الضرورة".

قال حسان: "عند الضرورة، لا حاجة للتردد".

"ما سأطلبه منك في غاية الضرورة وبناء عليه لن تحتاج إلى التردد. ليعد بيدل إلى مينيسوتا. أما أنت، فستجد مروحية تنتظر في مطار روكفورد لتحلّق بك إلى ميلووكي، وهناك ستنتظر سيارة رباعية الدفع، قدها بأقصى سرعة ممكنة لتكن أمام منزل آل تيلمن عند الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، ستجد هوي في وسط إن لم يكن في الربع الأول من المهمة التي كُلف بها".

"ما طبيعة هذا العمل يا سيدي؟".

"تمشيط المنزل بشكل دقيق، بحثاً عن أي رابط يجمع تيلمن بجين هوك. أخبر دارنيل ما إن تصل إلى هناك أني أرسلتك لتساعده".

"حسنًا يا سيدي".

"ما رأيك بالسيد دارنيل يا حسان؟ لا تعطني إجابة منمقة، أعرف أنك رجل بارع ومتبصر، أريد أن أعرف رأيك بصدق من دون زيادة أو نقصان".

أجاب حسان: "إنه يُكثر من معاورة الخمر".

"لندخل الآن في صلب الموضوع، ما إن تصل إلى منزل تيلمن ستجد خزانة لحفظ الأسلحة في غرفة مكتبه، رأيته بنفسه، افتحها وخذ منها مسدساً مناسباً، وأزل من دربنا

الشوكة التي تدعى هوي دارنيل. يُفضل أن تطلق رصاصتين على مؤخرة رأسه كما يحصل أثناء الإعدام. سنختم قصة مفادها أن المأمور تيلمن انضم إلى فريق جين هوك ليقتل أحد أفضل رجال الأمن الوطني".

"هل المأمور في الأرجاء يا سيدي؟"

"لا يهم ذلك يا حسان. عندما تقتضي الضرورة ستتوافر أدلة على وجوده أثناء ارتكاب الجريمة، ولكن في البداية عليّ أن أعرف إن وجد أي دليل في المنزل يربطه بهوك".

"سأجده إن توفر يا سيدي".

"أعرف أنك ستفعل يا حسان".

وصل المضيف الآن حاملاً التحلية والقهوة بعد أن حرص على عدم الاقتراب من هندركسون وهو يتحدث عبر الهاتف: "هل يسير كل شيء وفق ما يروق لك حتى اللحظة يا سيدي؟"

أكد له هندركسون: "بمتهى الروعة، عظيم. أخبرني، هل ما شعرت به صحيح أن الطائرة اتجهت إلى الشرق والشمال الشرقي قبل قليل؟"

"نعم يا سيدي، نحن نحلّق في هذه اللحظة تقريباً فوق كولومبيا، كارولاينا الجنوبية".

"أفترض أن بوسع الطيار أن يتدبر تأجيل الهبوط بما أن النبيذ قد قدّم في مكان قريب من واشنطن".

أجابه المضيف: "بكل تأكيد، بوسعنا أن نبقي بوضع الانتظار في مطار ريغن الدولي إن رغبت بذلك".

"سأعلمك".

جلس هندركسون الآن وحيداً يتناول تحليته ويشرب فنجان القهوة، مستمتعاً بتذكر القلق الذي غمره - وحتى التوتر - أثناء وجوده في قبو الأمن في المنتجع عندما اكتشف وجود جين هوك في أيرون فرنس. بدت لبرهة كما لو أنها تجسيد لقوة ما خارقة للطبيعة تجلّت هنا على شكل لحم ودم لفرض قانون الطبيعة على حساب كل ما يخص الأركاديين، وكأنها تجسّدُ للآلهة في وجه شيء لا يمكن لأي حيلة أو سلاح ردعه.

ولكن الآن يجري تعقبها إلى أركنساس من دون أن تدري، وسترد قريباً قراءة آلية أخرى للوحة التسجيل، وسيقترَب أكثر من معرفة وجهتها. إنها ذكية. لكن بالرغم من ذلك ما من شخص يستطيع الهروب لوقت طويل من أعين الدولة الحديثة.

ارتكبت جين خطأها الثاني عندما اصطحبت المأمور تيلمن معها. إنها أفضل عندما تعمل بمفردها، فهي كأنتى ذئب تعرف كيف ترتحل في ظلال القمر حتى أثناء النهار. إنها مفترسة تعمل بشكل منفرد، ولكن الأخطاء التي قد يرتكبها أي فرد من القطيع الذي تهرب برفقته سيوقع بها في وقت أقصر بكثير مما ستوقعها أخطاؤها الخاصة. ها هو هندركسون يضع الطوق حول زوجة وابنة تيلمن من دون أن تعرفا به، ولم يعد هندركسون بحاجة لهم شمل العائلة حتى يصبح المأمور في قبضته، ولن يطول الوقت حتى يظفر بجين هوك بعد المأمور.

لم يعد التوتر الذي سبق له أن شعر به عندما أحس أنه والأركاديين ليسا على الجانب الصحيح من التاريخ سوى ذكرى، فهم ليسوا على الجانب الصحيح وحسب بل سيعيدون كتابة التاريخ الذي سبقهم، وسيمحون من السجلات الحقائق والفلسفات التي يجدونها غير مناسبة، وسيكتبون المستقبل الذي سيكون التاريخ للأجيال اللاحقة، سيكتبون وبالتفصيل يوميات هذا التاريخ، وسيستمررون بالكتابة إلى الأبد، لم يعد بمقدوره جعل الظنون توهن عزيمته بعد أن أعاد الإمساك بناصية الحقيقة.

عندما يزول الدوار لن يكون هناك أي تركيبة شافية أكثر فعالية من نشوة جنسية، وعشاء شهوي، ونبذ ممتاز، وطائرة أنيقة تُحلق بينما العالم أسفلها يقبع في قبضة الليل.

22

عند الساعة 4:20 من فجر يوم الخميس، جلست جين على سريرها القابل للطوي بعد أن أمضت تسع ساعات متواصلة من النوم المريح مدلية قدميها خارج السرير، مشدودة الأعصاب وصاحية بشكل كامل كما لو أنها استيقظت على وقع طلق ناري. تضمن الجزء الأخير من الحلم الذي راودها أدلة على شيء ما فاتها استيعابه في تلك البلدة من كنتاكي.

لم تأخذ بعين الاعتبار أثناء سعيها المحموم لتحرير الأولاد من أسرهم أن الاحتياطات المعتادة التي اتخذتها قد لا تكون كافية في وجه ظروف غير اعتيادية في أيرون فرنس لا سيما في ظل الروع الذي أصابها من الحالة التي وقع بها سكان تلك البلدة. صحيح أنها أمرت أحد العاملين بتدمير كل تسجيلات الفيديو الأمنية في تلك المدرسة المزيفة، ولكن ماذا لو أن المدينة نفسها مليئة بكاميرات تفوق بضع كاميرات خاصة بحركة المرور؟ لا بد أن كل متر مربع من أيرون فرنس مُراقب على مدار الساعة نظرًا لأهمية وظيفتها كمركز تعديل، لا سيما إن أخذت بعين الاعتبار أن الأركاديين يدرسون تجربة التحكم الكامل ليستفيدوا منها ويطوروا تطبيقها في المستقبل. إذا كانت الكاميرات موزعة في كل الأرجاء فهي لم تلاحظ ظهورًا مبالغًا لها، ولكن في هذه الأيام هناك كاميرات تجمع بين الدقة العالية والحجم الصغير ويمكن دمجها بخبث في البيئة المحيطة بها بما يحول دون ملاحظتها.

ركنت سيارتها الفورد إسكيب في شارع سكني هادئ حيث لا أثر لكاميرات لتلتقط صورتها وهي تدخل أو تخرج منه. لكن ماذا لو تعرّفوا إلى مركبتها؟ خصوصًا أن المسح الآلي للوحات تسجيل السيارات أصبح ميزة تزداد انتشارًا في العديد من مركبات الشرطة. طالما أنهم لا يعرفون السيارة التي تستقلها ولا رقم لوحة تسجيلها ستمكن من الانتقال بحرية ولن يلاحظها أحد.

انتعلت حذاءها فحسب، حيث إنها أوت إلى الفراش في الليلة السابقة دون أن تنزع عنها بنطال الجينز، وسترتها الصوفية، والقراب الذي دست فيه المسدس، أو السترة الرياضية. خرجت من الغرفة لتقصد حديقة مسقوفة بالمظلات خافت الإضاءة بعد أن أوصلت الباب لتترك خلفها الفتيات الأربع يغططن في نوم عميق. اتصف ليل أو كلاهما بالبرودة، إضافة إلى الصفاء والهدوء.

تفحصت مرآب السيارات الذي كان مظلمًا أكثر مما تحبذ بينما بدت أشكال ظلال السيارات مثل صف من المخلوقات الضخمة التي تشبه الخنازير وهي تقنات من المعلف. مرّت شاحنة تسليم ببطء في الشارع تحمل اسم وشعار شركة ألبان. هل مرّت ببطء مثير للريبة؟ حتى شاحنة تسليم الحليب أصبحت تسترعي حرصًا شديدًا في زمن لم يعد ظاهر الأشياء كجوهرها. راقبتها وهي تختفي عن مجال الرؤية وهي تنصت

مترقبةً أن يتوقف انخفاض صوت الضجيج الصادر عن المحرك ليزداد ارتفاعاً فيما تعود الشاحنة إليها. لكن الصوت تضاعل بعدها حتى اختفى تماماً.

ليس هناك شيء على الطرف القصي من الشارع ليعزف لحن الخطر على أوتار حدسها. قصدت سيارتها الفورد القريبة، وهي واثقة أن الأولاد في أمان، أخرجت أدوات من أسفل مقعد الركاب الأمامي، عبارة عن: مفك براغ، ومفك براغ متصلب الرأس، وكماشة، ومفتاح ربط، حيث وضعت كل أداة في جيب منفصل من حقيبة معدات قابلة للطي. في حين وضبت المطرقة بشكل منفصل. عملت ببطء وصمت على حلّ البراغي التي تثبت لوحتي التسجيل الأمامية والخلفية المعلقة إلى سيارة الفورد متحاشية أن تجذب الانتباه إليها، ووضعت اللوحتين داخل السيارة.

سيعرضها إبقاء السيارة دون لوحات تسجيل إلى خطر إثارة انتباه دوريات الشرطة. لكن ما أن يخرجوا من أردمور، سيغادرون الطريق أي -35 ويجدون لأنفسهم ملاذاً آمناً خارج مجال المراقبة. استخدمت الكماشة والمطرقة لتغيير اللوحة الأمامية، لجعلها تبدو ملتوية بفعل حادثة طفيفة، رغم أن هدفها في الحقيقة هو تشويهاها بحيث تُضلل أي جهاز ذي قراءة مستوية، كذلك تستطيع مزج بعض الطين لتلطخ به الجهة الخلفية من سيارة الفورد مع التركيز على لوحة التسجيل الخلفية. قد تبقيهم هذه الحيل سالمين حتى يبلغوا مزرعة ساكيت. لكن من شأن أي رجل أمن أن يكشف مكيدتهم ما أن يلقي نظرة على كلتا اللوحتين الأمامية والخلفية.

عندما عادت جين إلى الغرفة وجدت الفتيات مستغرقات في نومهن، فاستغلت الفرصة لتكون أول من يستحم ويغير ملابسه. استحمت بسرعة، لأنها لم تستطع أن تسمع أي شيء سوى وقع ارتطام نقاط الماء على جدران وأرضية الحمام، حيث بدأت مخيلتها بدلاً من ذلك بنسج قصة حول اختطاف الأولاد ومن ثم الاعتداء المفاجئ عليهم بشكل دموي.

23

في وقت متأخر من صباح يوم الخميس، وقفت ربيكا منتظرة عند بساط تفريغ الأمتعة في مطار أوهير الدولي في شيكاغو برفقة جولي، عندما ظهرت تويلا بقامتها

الطويلة والنحيلة وسط جموع المسافرين، مرتديةً فستانًا أزرق ياقوتيًّا ذا دبابيس، زينت كنفه كشاكش أخفت الأزرار وحملت معطفها على ذراعها، بدت متألقة خبرة وثقافة كما لو أنها عارضة أزياء مشهورة في الخامسة والعشرين من عمرها تقريبًا بدلًا من أن تبدو طالبة جامعية في التاسعة عشرة. منحتها الابتسامة التي اعتلت محياها ما إن رأتهما جمالًا إضافيًا.

مع ذلك، لاحظت ريبكا أن الناس يغمزون لتويلا وتيقنت من وجود أحد يدي بها اهتمامًا مبالغًا فيه بالرغم من سعادتها برؤية ابنتها البكر ورغبتها بتصديق أهن سيشققن عباب العاصفة الحالية معًا إلى برِّ الأمان. لكنها لم تكن خبيرة في تقييم الجموع لتعرف أيًا من هؤلاء الأشخاص يثير الريبة وأيهم لا. عانقت تويلا أمها، وقبلتها: "اشتقت إليك كثيرًا".

لكن تويلا اشتاقت بكل كيائها إلى جولي. تعانقتا، واستغرقتا بحماسة في مزيج من الحديث والضحك، علّقت كل منهما على شعر الأخرى وملابسها، لتستخدما في أغلب الأحيان سخرية مليئة بالمحبة، اعتادتتا استخدامها منذ أن بلغتا.

كادت ريبكا أن تنسى كم تشابه هاتان الأختان. ربما لم تكونا توأمًا من حيث مظهرهما الخارجي، فلكل منهما أسلوبها الفريد، لكنهما متشابهتان في اندفاعهما وذكائهما، وبما أنه لا يفصل بينهما سوى عامين، لطالما كانتا مقربتين من بعضهما مثل توأم. تمحور شغف تويلا حول الفن، فقد تمتعت بموهبة قويّة لدرجة حازت في عامها الدراسي الثاني على منحة دراسية من أصل ثلاث مع إمكانية الإعفاء من رسوم التعليم كاملة بعد ذلك، بينما كرّست جولي نفسها للأدب.

التفتت تويلا إلى والدتها وهي تلف إحدى ذراعها حول جولي: "قلت لي أن أترك كل شيء من يدي، وآتي في الحال، وأن الأمر طارئ. يا لهذا اللغز العظيم! يا لها من تراجيديا! أتحرّق شوقًا لأعرف ما الأمر. أخبريني".

"ليس هنا يا عزيزتي، فلنمض في طريقنا أولًا".

"هل يتعلق هذا الأمر من قريب أو بعيد بتلك المجنونة الفظيعة في الفندق السيدة غندرسن؟ لم يكن والدي على سجيته أبدًا عندما اتصل بي في الأسبوع الماضي. بدا يائسًا، واستمر بالحديث عن وقوع بوسطن في الطرف الآخر من العالم، رغم أنها ليست

كذلك، إنها على مرمى حجر وحسب. لن أستطيع ببساطة الذهاب إلى الجامعة في ميلووكي أو لا قدر الله في سانت كلاود. إن لم يوجد أي سبب آخر غير أنهما ليستا المكانين اللذين ظفرت بمنحة دراسية فيهما.

"في البداية، أي من هذه الحقائق تعود لك يا عزيزتي؟".

وصلت تويلا وبرفتها حقيبة واحدة كبيرة تماثل تمامًا حقيبة جولي، فقبل عدة سنوات جلب والداها لكل واحدة منهما مجموعة مماثلة من حقائب السفر مكونة من ثلاث حقائب. بعد أن التقطن الحقيبة من بساط نقل الأمتعة، وصلن بعد فترة قصيرة إلى سيارة الدودج التي تعود للخالة تاندي. انتقلت جولي إلى المقعد الخلفي مفسحة المجال لتويلا كي تجلس في المقعد الأمامي.

بقيت ريببكا قلقة أثناء مغادرتهم المرأب المؤقت، تحققت مرارًا وتكرارًا من مرآة الرؤية الخلفية. لكن إن كان هناك من يراقبهن، فلا بد أن أعدادهم كبيرة، ويملكون أسطولاً من وسائل النقل، انطلاقاً من أن السيارات استمرت بالتغير خلفهن. ولن يحتاج مطار دوهن بالطبع أن يراقبوهن عن كثب في حال تم زرع أجهزة تعقب إلكترونية في السيارات. هذا صحيح، لكن من المستبعد أن يكون هاتف الخالة تاندي مراقباً أو أن أحداً ما قد علم أنها أحضرت السيارة إلى روكفورد في الليلة السابقة.

حرصت ريببكا وجولي على الرحيل من روكفورد قبل أن يلاحظ الرجلان اللذان يراقبان النزول أنهما هجرتاها. كما أنها استخدمت الهاتف المؤقت عند الاتصال بتويلا لاستدعائها إلى شيكاغو عوضاً عن ميلووكي، إضافة إلى اتخاذها إجراءات كفيلة بضمان الحيلولة دون تنصت أحدهم على هاتف الفتاتين أو مراقبتهما. مع ذلك، استولت مرآة الرؤية الخلفية على اهتمامها، وأدركت أن تويلا لاحظت ذلك.

قالت تويلا ما إن وجدن لأنفسهن مخرجاً من زحام المطار، واتجهن نحو الطريق السريع أي-90 الذي يربط بين الولايات: "هذا ليس طريق المنزل، لماذا نتجه إلى المدينة؟".

قالت ريببكا: "لسنا متجهات إلى المدينة، بل سنسلك هذا الطريق لنصل إلى الطريق السريع أي-91 فحسب، ومن ثم سنتجه شمالاً".

"إلى أين؟".

"سنقصد مكانًا مليئًا بالذكريات الجميلة التي تجمعني بوالدك، سترين عمًا قريب".

"هل سيبتظرننا والدي هناك؟".

"كلا يا عزيزتي، سيتصل بنا لاحقًا ليعلمنا بالخطوة التالية".

"ما هي الخطوة التالية؟ أين هو الآن؟".

"لم يخبرني بعد".

استدارت تويلا إلى اليسار نحو أختها التي تجلس في المقعد الخلفي خلف مسند رأسها: "أعرف أنه من المحال أن يكون والدانا جاسوسين متخفيين بغطاء سرّي طوال حياتنا وهما الآن فاران من وجه العدالة. يحصل هذا في مسلسلات التلفاز وحسب، والحياة ليست مسليلاً تلفازياً، هل تملكين أي فكرة عما يحصل؟".

قالت جولي: "ما أعرفه هو أننا نعيش في مستنقع غميق من الغائط، ولكنني لا أعرف لمن يعود هذا الغائط، ولا لماذا سقطنا فيه، حتى أمي لا تعرف".

24

مع عدم وجود شاطئ شاحب على مرمى النظر، لمع البحر الأخضر الكبير في شمس الظهيرة، فالعشب حل محل الماء، ولم يكن المد يتأثر بالقمر بل بالنسيم العليل. جالت كلاب الصيد السعيدة والرشيقة في الأرجاء، تصطاد الجرذان، بين أمواج العشب، والمناظر الطبيعية الخالدة الشاسعة والهدوء منحت جين إحساساً بالسلام، بالرغم من أن الجرذان ربما لم تشاركها مزاجها. بعد أن اشترى ليلاند ونادين ساكيت المزرعة التي تبلغ مساحتها 600 فدان، أعادا بناءها ووسعها إلى منزل ومدرسة ساكيت ذات الدرجة الأولى، حيث يقيم فيها الآن 139 طفلاً. فهما يعتقدان أن الأولاد الذين ليس لديهم آباء يستحقون أن يكبروا في مكان ساحر كهذا للتعويض عن فقدانهم والديهم، احتفظت عائلة ساكيت بفكرة البنية الغربية؛ كانت المدرسة تشبه مدينة البراري المثالية التي تعود إلى حوالي عام 1880.

كانت هناك مهور وخيول، بحيث يمكن لكل طفل أن يتعلم ركوب الخيل، فلا يجدر بالطلاب أن يكونوا متعلمين جيدين فحسب، بل متمرسين بالأرض وتقاليدها.

للحيلولة دون تعرف الموظفين إلى جين، قاد الزوجان ساكيت إحدى حافلات المدرسة لمقابلتها هي ولوثر عند مدخل المزرعة، على بعد ميل من مبانيها. في اليوم السابق، أوضح لهما تشييس لونغرين شروط تسليمهما الأولاد الثمانية: أولاً يجب أن لا تُدرج أسماء الأولاد في السجلات المدرسية، ويجب الحيلولة دون أن يراهم الأخصائيون الاجتماعيون عندما يزورون المدرسة. تم تدريب الثمانية لإخبار الأولاد الآخرين أنهم كانوا ينتقلون من ملجأً للأيتام على وشك الإغلاق في أوكلاهوما. لا يمكن الكشف عن حقيقة ماضيهم حتى إلى عائلة ساكيت وذلك إلى أجل غير محدد. لقد تفوقت شكوك ليلاند ونادين على اقتناعهما بأن كل طفل محتاج أرسل إليهما عبر روح الابن الذي فقدها بسبب التهاب السحايا عندما كان في الثالثة من عمره.

بقي كل من هارلي هيغنز والأولاد الآخرون من أيرون فرنس مع جين ولوثر أقل من يومين كاملين، لكنهما كرها فكرة الانفصال عنهما. ركعت جين لتسريح شعورهم وتقيلهم، وأخبرتهم أن لوثر سيقى معهم أو سيعود قريباً عندما تستقرّ بعض أعماله. وهي أيضاً ستعود ذات يوم. في هذه الأثناء، لن يصبح الناس الطيبون في هذا المكان الخاص غرباء بالنسبة إليهم أبداً، كما كان الحال بالنسبة إلى أهلهم، وأملت أن تكون وعودها صادقة.

عندما انتهت جين من تحضير الأولاد، قادهم لوثر إلى الحافلة، وأكد لهم أنه المأمور الخاص بهم، والذي سيعتني بهم على الدوام. أسرع هارلي عائداً إليها، أخذ بيدها وشد عليها بقوة، حاول أن يقول شيئاً إلا أنه لم يستطع. قبلت جينيه واحتضنته وقالت: "أعرف. أعرف يا عزيزي"، وأخذت بيده إلى الحافلة.

25

بسبب خطر الحريق المحتمل، انتصبت حظيرة القش، وهي عبارة عن مبنى معدني طويل مموج معزول ضد حرارة الصيف، في نهاية ممر ثانوي على بعد أكثر من ربع ميل من منزل عائلة ساكيت. في نهاية موسم الحصاد، كانا يخزنان في الحظيرة ألفي بالة، بالرغم من أن المخزون سيكون الآن قد وصل إلى نصفه تقريباً. في سيارة من طراز كرايسلر، تبع لوثر سيارة الفورد الخاصة بها إلى حظيرة القش، حيث ركنها على

جانب الجدار الشرقي في ظلال بعد الظهر. تم ربط اثنين من الخيول بسرجهما إلى سورٍ هناك.

"لوثر، أود قضاء بعض الوقت بمفردي مع والديّ زوجي".
"بكل تأكيد. خذي الوقت الذي تحتاجين إليه".

في الداخل، كُدست البالات عاليًا في كل مكان، حيث يتدفق الهواء عبر القش، وتدفق الضوء من المصايح التي لا تبعث الحرارة مثل شعاع في حلم، حيث طفت قطع من القشر الجاف وجزيئات الغبار على شكل مجرّاتٍ مصغرة.

كان والدانك ينتظران. أنسيل، والدنك يحب جين كما لو أنها ابنته، أم كليبر فما كانت أم جين لتكون مختلفة عنها لو أنها لم تُقتل، لم يسبق لها أن رأتهما منذ جنازة نك. فاجأها سيل العاطفة المتدفق: الحب، والشكر العميق على وجود هذين الشخصين الطيبين والقويين في حياتها، والحزن على الخسارة التي يتشاركانها معها، والوحدة الخارقة التي نشأت من المعرفة بأنها ستحرم منهما عما قريب، والخوف...

عندما تحدثا واتجها نحوها، رفعت يدها لطلب الانفراد بنفسها لحظة. أدارت نصف جسدها بعيدًا عنهما، وحاولت السيطرة على نفسها، وكبح دموعها، وذكّرت نفسها أن ما تخشاه لن يحدث هنا، وعليها أن تخفف من ارتياها في الوقت الحالي.

استدارت إليهما مرة أخرى وقالت: "شغلا المنشوري معي".

"شغلا ماذا؟" سألت كليبر، ولم يقل أي منهما: حسناً.

26

انتظر لوثر مع الحصانين خمس عشرة دقيقة. عندما فتحت جين الباب وقادته إلى الحظيرة، رآهم جميعًا يجهدون بالبكاء، حتى المزارع، الذي بدا وكأنه محفورٌ من خشب بلوط تكساس وأقسى من حجر الأساس.

كان تقديرهما لأرملة ابنتهما عاليًا لدرجة أنهما اعتبرا صديقها بمثابة أخ لهما. قبلت كليبر خد لوثر، وصافح أنسيل يده بكلتا يديه. لقد عبرا عن امتنانهما لما فعله لوثر، كما لو أن جين أخبرتهما أن دورها كان صغيرًا جدًّا في إنقاذ الأولاد، وأنه هو من حملها وحملهم على ظهره وأخرجهم من كنتاكي.

إن أراد في يوم من الأيام أن يتحدث عما حدث عند لقائهما، فسيحدث عن الاهتمام الذي أبدياه بزوجته وابنتيه، فسألاه عنهن وأين هن، والطريقة التي ابتدعها ليوصلهن إلى برّ الأمان. عندما توجه إلى الحظيرة، لم يكن لديه سوى فكرة مبهمة عن الطريقة التي قد يجمع بها عائلته مرة أخرى في هذا العالم الذي أصبح مظلمًا جدًّا في غضون أسبوع. ومع ذلك، قدّم ليلاند ونادين ساكيت عشاءً مبكرًا وضعاه على قماش زيتي أحمر وأبيض فوق بالات القش التي كانت بمثابة مائدة، وبحلول الوقت الذي وصلوا فيه إلى التحلية، كان الأشخاص الستة قد توصلوا إلى خطة.

27

كانت السماء تصيغ آخر 90 دقيقة من الضوء عندما غادر أنسل وكليز مزرعة ساكيت، قاصدين منزلهما، فهما لن يبلغاه قبل حلول الظلام. عندما تحركت جين لتبتعد عن مجال رؤية والديّ زوجها، التفت لوثر أيضًا: "لذا أعتقد... سان دييغو".

"أذهب إلى بادريس، إنها مدينة جميلة".

"ابن أوتيس فوتشر مقال البناء؟"

"الاسم ويلسون فوتشر. أريد أن أعرف عن قوانين البناء".

"لكن في سان فرانسيسكو".

"قال أوتيس إن ويلسون قام ببعض الأشياء هناك أيضًا".

"إذا كان باستطاعتك الانتظار بضعة أيام، عندها سأتمكّن من مساعدتك".

"لا يمكنني الانتظار، بالأحرى لن أنتظر. على أي حال، من الأفضل أن تحضر

عائلتك بأمان إلى هنا ما دمت تستطيع ذلك".

"بمجرد أن أفعل ذلك، ستعرفين كيف تجديني".

نظرت إليه وابتسمت وهي تربتُ على ظهره: "في حال أصدرت قرارًا يجعلك

الاسم الثاني على لائحة المطلوبين في أميركا، فلن تكون قادرًا على الخروج والتجوال،

خاصة وأنك شخص ضخم الجسد وأسود البشرة، فلا يمكنك ببساطة وضع شعر

مستعار أشقر، وبعض الماكياج، والتحرك من دون أن يلاحظك أحد".

"أحلق شعر رأسي، وأطلق لحيتي، وأتصرف بجنون قليلاً وارتيدي كما يرتدي رجال العصابات".

"أحضر عائلتك يا لوثر. ربما إذا أصبحت أصلع، وملتحياً، وشريراً فذلك سيكون كافيًا تقريبًا كتغيير في حال احتجتُ لك في المستقبل".

شعرت بشيء يزحف على يدها اليسرى، ورأت خنفساء بحجم قطرة الندى ولدت في العالم في وقت مبكر جدًا في هذا الفصل، تحمل ظهرها برتقالي اللون ذا النقط السوداء وهي تنتقل من مفصل في يدها إلى آخر.

قال لوثر: "إذا شقة ديفيد جيمس مايكل في الطابق التاسع؟".

"إنه مول البناء، ويملك الطابق التاسع بأكمله، مساحة أربع شقق مفتوحة على بعضها. وكما أعلم، الطابقان الثامن والعاشر هما جزءٌ من نظامه الأمني".

"عاليًا في الهواء. كيف ستصلين إلى هناك؟".

"بطريقة أو بأخرى".

وصلت الخنفساء إلى برجمة السبابة الوسطى، وواصلت استكشاف جانب يدها عبر

الفراغ بين الإبهام والإصبع، فما كان من جين إلا أن حركت كفها لتتابع تقدم الحشرة.

سألها لوثر: "ماذا تعتقدين أن باستطاعتك الحصول منه؟".

"فيديو اعتراف. أسماء شركائه المتأمرين".

"طلبٌ باهظ، من رجل لديه تلك الرؤية الكبيرة المجنونة. إنه يمتلك العالم الآن، ولكنه سيجعل نفسه إله الجميع".

"لا أتوقع منه أن يكون سهلاً".

"سيستغرق تحطيم رجل كهذا واثق من نفسه إلى هذا الحدّ وقتًا، إن تمكنت من

الوصول إليه، لن يكون لديك وقت طويل".

"سأحصل على ما يكفي".

توقفت الخنفساء على الجهة الخارجية من راحة يد جين، كما لو أنها تمسح

الطريق أمامها وتدرس احتمالات راحة يدها.

قال لوثر بعد قليل من الصمت: "أنت تخيفيني بعض الشيء الآن".

"أشك في ذلك".

"أعني، أنا خائف عليك. أعرف أن لديك المهارة للقيام بما تسعين إليه، لكنك تحتاجين أيضًا إلى بعض الحظ. كان لديك الكثير من الحظ في هذا، لكن الحظ لا يرافق المرء على الدوام".

"لنفترض أنك ستصلين إلى الطابق التاسع ثم يسير كل شيء على نحو خاطئ".
فجأة فردت الخنفساء جناحيها، فقالت جاين: "عندها سأطير".

28

في ظل هذه الظروف، لم تكن جولي تيلمن تتوقع أن يكون يوم الخميس أحد الأيام الرئيسية في حياتها. ولكن عندما أصبح ذلك اليوم سيئًا للغاية لم يكن وفقًا للطريقة التي توقعتها.

قبل الدخول إلى الفندق، جالت ريببكا بابتيتها عبر بضعة أحياء سكنية في ليك فورست حيث القصور الأنيقة وأشجار البلوط القديمة الضخمة. تحدّثت مطوّلاً عن المشي لمسافات طويلة كانت قد اعتادت القيام بها برفقة زوجها في صيف بعيد عندما كان الضوء بلوريًا والظلال مخملية، عندما تنبثق طيور العنقاء من الرماد وتولد من جديد، أو على الأقل هكذا بدا الأمر لجولي.

بالنظر إلى أن رجلًا شرييرًا يضع وشم أفعى على ساعده ورفيقه المخيف قد تبعانها إلى روكفورد، وأنهما تسكعا بالقرب من سيارة العمدة تاندي، التي لا تزال تعبق بشذا عطر العم كالفين بعد ثلاث سنوات من وفاته، لم تبدُ ذكريات الأم وحينها غير مناسبة بل غريبين تمامًا.

من كل هذا، وضعت جولي ثلاثة افتراضات. أولاً، أن والدتها ووالدها يعيشان حالة حب عميق وبشغف، حيث شعرا بحرارة حبّهما عندما أمضيا أسبوعًا في ليك فورست ذات مرة. ثانيًا، أن الحفرة التي وجدت الأسرة نفسها فيها الآن أعمق وأكثر ظلامًا مما كانت والدتها قد تركتها. ثالثًا، بالرغم من أن والدتها كانت رائعة عند التعامل مع الأزمات، فهذه الأزمة ضغطتها إلى حدّ يفوق قدرتها على التعامل معها، لذلك لجأت إلى الحنين لتذكير نفسها أنه إذا كان هناك أيام أفضل في الماضي، فقد يكون هناك أيام أفضل في المستقبل.

بحسب الدليل السياحي، وما وضحته الأم، لم تكن منطقة ليك فورست في إيلينوي على تواصل كبير مع المجتمعات حولها. كانت عالمًا من الثروة غير المتبجحة، والقصور الجميلة التي بنيت على عدة عقارات، والغابات المنظمة التي يتم الحفاظ عليها بعناية مثيرة للإعجاب، ونادي البولو في الصيف.

الفندق الوحيد في ليك فورست كان ديرباث، حيث بقي الأم والأب في ذلك الأسبوع السحري عندما شكلت مجموعات من الحمائم الطائرة كلمة "الحب" في السماء، وحوّلت الماء إلى نبيذٍ كلّما رفعوا الكأس إلى شفاههما. بُني الفندق في العام 1929، حيث يقدم غرف عامة جميلة والطعام الأشهى. كانت الغرف ضيقة إلى حدّ ما وقديمة، كما قالت الأم، ومكلفة للغاية بالنسبة إلى ميزانيتها المحدودة، ومع ذلك، كانت العطلة في غير موسمها، وكانت الغرف متاحة، وموظفو الفندق رائعين، بل أسطوريين.

في الرابعة والنصف مساءً، اصطحبهن عامل الاستقبال إلى غرفتين متجاورتين، إحداهما لجولي وتويلا، وواحدة للأم. كان الأب سيتصل عند الخامسة، وبعد ذلك سيذهبن لتناول العشاء ويتظاهرن أنهن مرتاحات البال وغير مكترثات مثل ماري بوبينز.

بالرغم من أن الباب الذي يربط بين الغرفتين كان مغلقًا، سحبت تويلا جولي إلى حمامهما الصغير، وأغلقت ذلك الباب قبل أن تقول: "ما الذي يجري هنا بحق الجحيم؟ لم تتصل بهاتفي بل بهاتف شيري، شريكتي في السكن، وأخبرتني عبر هاتفها كيف عليّ التوجه إلى شيكاغو، وأخبرتني بضرورة استخدام هاتف شيري لإجراء الحجز - أوه، وطلبت مني التأكد من أن أحدًا لا يتبعني إلى مطار بوسطن. ما سبب كل هذه السريّة؟".

"واو، توي، إن الكلية توسع أفاقك".

"لا تتلاعبى بأعصابي، جو. أخبريني ما الأمر".

تجهّم وجه تويلا: "أخبريني. ما الذي تعرفينه".

"حسنًا، حسنًا. لكنني لا أعرف أكثر منك، أعلم فقط ما حدث بالأمس في

روكفورد. أمي هي..."

كانت نغمة رنين هاتف تويلا الذكي مكتومة داخل حقيبة يدها، التي وُضعت على المنضدة بجانب الحوض.

قالت جولي: "أمي لا تريد أن تستخدم هاتفك. نحن نستخدم فقط الهواتف المؤقتة".

عند سحب الهاتف من الحقيبة، والتحقق من هوية المتصل، قالت تويلا: "عليّ الإجابة على هذه المكالمة. إنه صديقي".

"لديك حبيب؟ لم يسبق لك أن أخبرني".

"اخرجني، اذهبي، اخرجي من هنا"، أمرتها تويلا، وفتحت الباب لتدفع شقيقتها عبر غرفة النوم، وأغلقت باب الحمام.

سمعتها جولي تقول: "أهلاً". ثم أطبق صمّت: "حسنًا". صمّت آخر عمّ المكان.

"نحن في ليك فورست، وهذا المكان يسمى فندق ديرباث".

إذن لا بد أنّ تويلا أدارت ظهرها للباب، وأخفضت صوتها. تمكّنت جولي من سماع كلمة بين الحين والآخر.

لم تكن مكالمةً طويلةً، وعندما فتحت تويلا باب الحمام، قالت جولي: "لماذا أخبرته أين نحن؟".

"كنت تسترقين السمع".

"لا أستطع منع نفسي من السمع عندما نكون على بعد خطوتين. لماذا أخبرته أين نحن؟".

"لِمَ عليّ ألا أفعل ذلك؟".

"طلبت منك أمك ألا تخبري أحدًا".

"أوه، عزيزتي جولي، أنت لا تفهمين".

"ما الذي لا أفهمه؟".

سحبها تويلا نحو الحمام مرة أخرى، وأغلقت الباب، وقالت: "أنت لا تفهمين الوضع بين الرجال والنساء".

"حسنًا يا ذات الشفتين المتقدتين، لقد كان لي أحبّاء من قبل". ذكّرتها جولي.

"إنها المدرسة الثانوية، يا جولي. الأمر مختلف كثيرًا عندما تخرجين إلى العالم".
"كيف يختلف الأمر؟".

"سترين يومًا ما". التفت تويلا إلى المرأة: "يا إلهي، تبدو عيناى مثل عيني مصاصي الدماء. أحتاج إلى بعض القطرات".

سألته جولي: "ما اسمه؟".

أخرجت تويلا قطرة العينين من حقيبتها، وسألته: "من تقصدين؟".
"العشيق. الرجل. الحبيب".

رمشت تويلا بسرعة وهي تقطر في إحدى عينيها. بدا كما لو أنها تأخذ بعض الوقت للتفكير. ثم قالت: "تشارلز".

"تشارلز ماذا؟".

"ستخبرين أمي، لست مستعدة لإخبارها بعد، ما كان يجدر بي أن أخبرك حتى باسمه الأول".

بينما قطرت تويلا في عيناها الأخرى، قالت جولي: "أوه، تبا. أنت تخفين اسمه الأخير لأنه متزوج".

"إنه ليس متزوجًا".

"أنتِ تواعدين رجلًا متزوجًا".

"لا".

"تبا. أنتِ حامل".

وضعت تويلا القطرة جانبًا، وراقبت انعكاس صورة أختها في المرأة بدلًا من أن تلتفت نحوها، وقالت: "أنتِ تتصرفين مثل الأولاد جو. إن كل شيء مأساوي معك. أنا لست حاملًا. وهو ليس متزوجًا". شغلت مروحة الحمام.

"سوف يتصل أبي بأمي خلال دقائق. ثم سنخرج لتناول العشاء". فتحت الباب.
"هل تريدان الاغتسال أولاً أم أغتسل أنا؟"

"لا أحتاج إلى الاغتسال. أنا بالفعل منتعشة إلى أقصى الحدود".

دفعت تويلا شقيقتها بلطف إلى الوراى نحو عتبة الباب، وقالت: "إذاً امنحيني بعض الخصوصية، من فضلك. لم أنس أنك لم تخبريني بما تعرفين. أريد تقريرًا كاملاً

لاحقًا". وأغلقت الباب بينهما مرّة أخرى.

هناك شيءٌ خاطيءٌ. كل تلك الأشياء عن كونها متعشّة لأقصى حد - هي مجرد ميكيدة، ومحاولةٌ للإلهاء بحيث يمكنها التفكير وابتكار شيءٍ مضحك، إنها إحدى ميزاتها. فهي لن تفوّت فرصةً كهذه. تويلا القديمة لن تفعل هذا. إنها ليست تويلا التي أعرفها. يرجح أنها كانت تواعد رجالًا متزوجًا، وكانت حاملًا، وعلى وشك أن تموت من مرض السرطان. شيءٌ من هذا القبيل.

أخذت جولي حقيبتها بقلتي، وهي لا تزال تشعر بالألم من وصف أختها لها بالطفلة، ووضعتها على السرير وفتحتها لتخرج منها وشاحًا كشميرًا تدثر به من برد المساء. لبرهة وقفت في حيرةٍ من أمرها، تبحث في الملابس التي لم تكن لها وفي حقيبة شفافة من البلاستيك متوضعةً بجانب مكان إغلاق الحقيبة لاحظت محتويات الحقيبة البلاستيكية الناعمة المسجلة لديها: أربع محاقن تحت الجلد.

شعرت جولي كما لو أن بعض الأشباح في الغرفة مدّت يدها الباردة المتشكلة من الطاقة الروحية داخل جسدها لتمسك قلبها. وغير مصدقة، لمست الحقيبة. كان الأمر حقيقيًا، لم يكن متخيلاً، وبارد الملمس. لِمَ إذا كان باردًا؟

فتحت الحقيبة ذات المشبك، وأخذت علبة المحاقن، ورأت صندوقًا معدنيًا بحجم سبع بوصاتٍ مربعة، وربما بعمق خمس بوصات. كان الصندوق أكثر برودة من المحاقن. بدا من الصعب فتح غطاءه محكم الإغلاق حتى بعد أن سحبت جولي المزلاج الصغير. بين الصندوق وغطائه ما يقارب نصف بوصة من الصفائح العازلة الكثيفة، ربما كانت الأبعاد الداخلية ستة في ستة في أربعة، وعند تعرض محتويات الصندوق للهواء ارتفع بخار باردٌ من حزمة بلاستيكية مخرومة ملأت النصف السفلي من العبوة.

تمتت جولي: "ثلجٌ جاف؟".

توضعت على الحزمة تسعة قطع من صفائح العزل الفضية، كل منها بحجم الإصبع. التقطت واحدة منها، وكانت باردةً جدًا لدرجة أنها كادت أن تحرق أصابعها. كان لكل قطعة لاصق فيلكرو صغير جدًا في نهايتها. فتحتة، وانزلت إلى كفها أمبولة زجاجية مختومة تحتوي على سائل أصفر كهربائي قاتم اللون.

داخل الحمام، سُمِع صوت تدفق ماء المرحاض.
أعدت جولي الأمبولة إلى قطعة صفيح العزل، ووضعت القطع في الصندوق،
وأغلقت الغطاء، وشبكت المزلاج.

المياه تجري في حوض المغسلة، تويلا تغسل يديها.
دست جولي الصندوق في الحقيبة، ووضعت المحاقن فوقها، وشبكتها مع
الأشرطة المتقاطعة، وأغلقت الحقيبة. وضعتها على الأرض.
ووضعت حقيبتها الخاصة على السرير وفتحتها.

سواء كان تشارلز الذي لا لقب له، متزوجاً أم لا، وسواء جعل تويلا حاملاً أم لا،
إلا أن جولي متأكدة الآن أن تويلا تتعاطى المخدرات. لم تكن تتعاطى مخدرات
خفيفة مثل الماريجوانا، والتي هي سيئة بالرغم من أنها خفيفة، بل المخدرات التي
ستضعها على شكل خطوط. مثل الهيروين أو شيء من هذا القبيل. يبدو أن تويلا قد
ذهبت إلى الكلية وصادفت الرفاق الغلط.

أيًا كان تشارلز، وسواء متزوجاً أم لا، فقد أثر بشكل سيء عليها وهذا ما
أدى لإدمان تويلا على المخدرات. كانت جولي مترددةً، ومحبطة، وأسقط في
يدها.

لم يعد صوت المياه الجارية يُسمع من الحمام. لكن الباب لم يُفتح. قد تستغرق
تويلا ساعاتٍ لتعديل ما كياجها وإعادة وضع أحمر الشفاه.

تساءلت جولي إن كان عليها دخول الغرفة المجاورة، وإخبار والدتها بما وجدته.
لا، يجب أن لا تتصرف بسرعة. في كثير من الروايات، وضعت الشابات أنفسهن في
ورطة حقيقية بسبب تصرفهن بشكل طائش، نتيجة الجهل أو سوء الفهم.

جلست جولي على حافة السرير، ووضعت مرفقيها على فخذيها، ووجهها بين
يديها، محاولةً التفكير بما يجب عليها القيام به. عادةً، عندما كانت تويلا تستعد
للخروج، كانت تغني أغنية، لكنها لم تغنِ الآن.
هناك خطب ما.

كان هناك خطب ما في كل شيء.

في نصف الساعة الأخير من ضوء النهار، وعدت السماء الغربية الواسعة بغروب ملون تتخلله غيوم مشتتة وخفيفة.

على الطريق السريع رقم 10، قادت جين هوك بأقل من السرعة القصوى المسموح بها بخمسة أميال، فهي لم ترغب بلفت الانتباه إليها، بالرغم من أنها تحوز كل ما هو مطلوب لإخراجها من أي ورطة محتملة.

قبل عدة أميال، أعطتها نادين ساكيت كوبًا من القهوة السوداء الساخنة، وكيًا من البسكويت منزلي الصنع المغطى بالسكر، والذي لم تكن ترغب في تناوله. انبعثت من البسكويت رائحةٌ لذيذة، ومن القهوة أيضًا، بدت سيارة الفورد إسكيب مكانًا مستكينًا تقريبًا، وملاذًا صغيرًا بعيدًا عن عالم عدائي.

كانت تريد الوصول إلى نوغاليس، أريزونا، لتبديل السيارة عند إنريكي دي سوتو بأخرى من الطراز الخارجي نفسه لكن بمحرك جامح تحت الغطاء، ولا تحتوي على نظام تحديد المواقع وتمتلك لوحتي تسجيل جديدتين.

فصلتها أربع عشرة أو خمس عشرة ساعة أخرى من القيادة عن نوغاليس. وهذا يعني أنه يجب عليها أن تنام الليلة، فهي لم تتوقع أن تتفاوض مع إنريكي قبل وقتٍ متأخرٍ من صباح يوم السبت.

بعد حلول الظلام، وعندما ستصل إلى سونورا، ستسلب إحدى السيارات المتوقفة لوحتها، وتضعهما على سيارة الفورد، وستحظى بقدر أكبر من راحة البال أثناء رحلتها إلى نوغاليس.

عندما تغير حظها، كانت الشمس معلقة عند الأفق، برتقالية يتخللها احمرار كصفار دموي، بدت وكأنها ترتجف كما لو أنها ستنفجر عندما تستقر على الصخور المنخفضة المكسورة والمسننة في هذا المشهد الحزين. خرجت سيارة دورية للطرق السريعة من الشرق في مسرب أسرع من مسار سيارتها، من دون أن تطلق صفاراتها ولا الإشارة الضوئية المثبتة على سطحها. كان الشرطي ينوي تجاوزها، لكنه غير رأيه، وخفض سرعته بشكل مفاجئ، وقاد سيارته خلف سيارة الفورد.

لم تزد سرعتها أو تخففها، فسار خلفها قرابة الميل.

ربما تم تزويد المركز الوطني لمكافحة الجريمة بوصف لسيارتها، بعد أن التقطت صورها بواسطة كاميرا مرور في أيرود فرنس. أو ربما أثار الطين على لوحة الترخيص اهتمامه. حتى لو لم يتمكن من قراءة اللوحة، قد تكون امرأة وحيدة في سيارة فورد إسكيب سوداء كافية لتذكره بالقاتل والخائن الأكثر ملاحقةً في أميركا، مما سيدفعه لطلب الدعم قبل أن يقدم على فعل شيء.

لم تجرؤ أن تنتظر وتأمل أن يتجاوزها ويمضي في طريقه. من الأفضل التعامل مع شرطي واحد من التعامل مع اثنين أو ثلاثة. تركت الفورد تتجه نحو المسرب الأسرع، ثم أمسكت بالمقود وانحرفت بشكل حاد، مبتعدةً عن الطريق السريع، نحو مسرب التوقف الاضطراري. اصطدم المصد الأمامي الأيمن بقوة بحاجز الحماية، فتوقفت السيارة. انتقلت إلى وضع الركن لكنها تركت المحرك قيد العمل.

خفت سيارة الشرطة سرعتها بمحاذاة الرصيف، وتوقفت خلفها على بعد ثمانٍ أو عشر أقدام.

دست جين يدها في كيس البسكويت، وقسمت واحدةً كبيرةً نصفين، وحشتها في معها. انتزعت كأس الترمس من حامل الكأس وملأت فيها بالقهوة.

عندما يوقفك عناصر دوريات الطرق السريعة، لا يجبّدون نزلوك من السيارة إلا إن طلبوا منك ذلك. خرجت فجأةً من الفورد، تاركةً الباب مفتوحًا.

عندما انتبهت أنه يراقبها من خلف مقود سيارته، انحنت وأفرغت جزءًا من معجون الكعك والقهوة السميكة على الأرض. بصقت آخر ما تبقى من الخليط الرطب، وتقيأت، ومسحت فمها بكم سترتها. استدارت ووضعت يدها اليسرى على الفورد كما لو أنها تستند عليها، وتحركت نحو القسم الخلفي من السيارة.

بدأت إشارة سيارة الشرطة بالوميض الآن، كي تتعد المركبات المتجهة غربًا عن المسرب البطيء.

تظاهرت بتغيير رأيها بشأن الاقتراب من سيارة الدورية، وبدلاً من ذلك صعدت إلى المقعد الخلفي للفورد، وتركت ذلك الباب مفتوحًا أيضًا.

إن كان شكل السيارة ولوحة ترخيصها الموحلة أعطيا الشرطي فكرةً دفعته لتخيل سيناريو معين، فهي احتاجت إلى حرف مسار الأحداث الذي تنبأ به كي تجعله يتبع

السيناريو الخاص بها بدلاً من ذلك.

استلقت على المقعد ووجهها نحو الأسفل، سمعته يخرج من سيارته.
بعد لحظة، تحدث إليها من خلال الباب المفتوح ويده اليمنى ممسكةً بقبضة سلاحه: "هل من مشكلةٍ يا سيدتي؟".

منبطحةً، ورأسها في الجهة البعيدة، تحدثت بغم مُثقل ذي لكنةٍ قريبة من لكنة تكساس، لكنها حاولت ألا تبالغ: "ابتعد ودعني أنم".
"أريد منك أن تجلسي وتحدثي إليّ قليلاً، سيدتي".
"ستقسو عليّ بالكلام. دعني أغفو قليلاً".
"لا تجعللي الأمر أصعب عليكِ أكثر من اللازم. أتصغين إليّ الآن؟".
"لا أصغي إلى أحد".

قال شيئاً ما، لكن شاحنةً كبيرةً مرّت، وحجبت بهدير محرّكها وقرقعة مطاط عجلاتها على الإسفلت كلماته.
هبّ الهواء الذي حركته الشاحنة الكبيرة عبر الباب المفتوح فقالت جين عندها:
"تَبًا، سأتقياً مرةً أخرى".

زحفتُ فوق المقعد الخلفي، وفتحت الباب من جهة الراكب بسرعة.
قال الشرطي: "مهلاً، مهلاً، انتظري عندك".
خرجت من السيارة، وانحنت، ووقفت وظهرها له، وأصدرت صوت تقيؤ. ترتّحت جانبيًا، ثم أسندت ظهرها على السيارة، وانزلت إلى الأسفل وجلست على الأرض.
لم يعجبه ترك البابين الخلفيين مفتوحين. كانا بمثابة كارثةٍ مرورية، ولم يرد أن يترك المحرّك قيد العمل، لكنه لا يستطيع المخاطرة بالتعامل مع أيّ من ذلك.
عندما التفّ حول الجزء الخلفي من الفورد، ساحقًا الحصى تحت حذائه، ربما كان يتبع البروتوكول، ويده اليمنى على مسدسه، أو ربما اتخذ الإجراء الاحتياطي وسحب سلاحه.

جلست وبسطت ساقها ودلت رأسها، ولم تنظر إليه، لأن الثمالي الذين يتجنبون التواصل البصري كانوا في العموم أقل عدوانيةً ممّن يحدقون إلى العيون.
قال: "هيا، الآن، يا سيدة. أنت لا ترغبين في مقاومة رجل شرطة".

قالت: "أيها الرجل... أتؤمن بيسوع؟".

"نعم أؤمن بيسوع يا سيدتي، ولا تخشي شيئاً إن تعاونت معي".

قالت: "أنا أؤمن بيسوع، لكنه غاضبٌ مني كثيراً، ولديه كل الحق في أن يكون كذلك".

"يسوعٌ لا يغضب يا سيدتي، إنه يريدك أن تتعاوني، ويريد منك النهوض والتحدث إليّ الآن".

"أهذا صحيح؟ أجل، لكن ليس بمقدوري أن أرفع نفسي".

"أأنتِ على وشك التقيؤ مجدداً؟".

عندها دفعت برأسها إلى الخلف، ونظرت إليه، وقد ارتسم على ملامح وجهها أكثر مشهد حزين أمكنها تمثيله: "أتمنى لو أنني أقدر ألا أتقيأ مجدداً، لكن يبدو أنه لا يمكنني التوقف".

كان وجهه مضاءً بنور غروب الشمس، وكان وسيماً، ربما كان في الثلاثين. في جيب زيه الداكن ملصق تجنيد لشرطة تكساس للطرق السريعة، وساقا بنطاله مخططتان بالأزرق مع لون أحمر عند الحافتين، وعلى قميصه كفتيتان بالأحمر والأزرق، وقد اعتمر قبعة راعي بقر، وتدلى قراب مسدسه من حزامه الجلدي.

"لم لا تمسكين بيدي وتنهضين؟".

"سيدتي الشرطي، أتفكر في التصرف بقسوة معي؟".

"أنتِ لا تحتاجين إلى القسوة، بل أن تستفيقي من الثمالة. هيا بنا، الآن".

كرهت أن تفعل به ما أضمرت فعله. كان شاباً ويجب أن يحتفظ بشيء من الثقة في قلبه، على الأقل تجاه النساء الثملات المثيرات للشفقة، إن لم يكن تجاه باقي الناس؛ ثقته هذه جعلته لا يتعامل معها وفقاً للتعليمات. لم يُعجب حين أنها ستكون من سيشعل الشك الدائم في عقله، أمسكت بيده متظاهرةً بالحرص وهي تنهض.

ربما استرق النظر إلى حمالة صدرها من تحت سترتها وربما أدرك أنه لم يشم رائحة كحولٍ أو قيء، لكن لسبب ما، قال: "أوه، تَباً".

ربما كان لينجح في الابتعاد عنها لو أنها لم تكن قد فكت الصاعق اليدوي من حزامها. صعقته من خلال قميصه، فسقط إلى جانب السيارة كما لو أن كل مفاصل

جسمة انحلت، وخرج كل مفصل كروي من مكانه، فانزلت قبعته وتدرجت بجانب حاجز الطريق.

انحنت جين إلى الأسفل وصعقته ثانية، هذه المرة على رقبتة. سحبت القنينة البلاستيكية الصغيرة من جيب سترتها الداخلية، ورشّت أنفه وفمه بالكلوروفورم. توقف عن الارتعاش وفقد وعيه. أحضرت قبعته، وأمالتها فوق وجهه لاحتجاز بعض الأبخرة، تاركةً نصف فمه وذقنه مكشوفين.

30

ارتفع معدل ضربات قلبها بشكل طفيف، فعمدت إلى تخفيضها من خلال التنفس البطيء والعميق، لم يكن لدى جين سبب للخوف. فالأسوأ لم يحصل، وستنتقل الأمور الآن من أزمة طفيفة إلى أخرى.

تلوّت السماء بين الأزرق الداكن في الشرق إلى السماويّ والذهبي في الغرب، شرائط السحب المبعثرة توهجت كالأعلام المشتعلة، فبدت الأرض حمراء مثل ساحة معركة مروّعة، وبدت الظلال الممتدة والمتناثرة مثل المقاتلين الجرحى المحتضرين...

حجبت سيارة الفورد الشرطي المصاب عن مجال الرؤية. في الغالب، اقتصرت حركة المرور في تلك الساعة وفي هذا المكان النائي على سائقي الشاحنات وغيرهم ممن يقودون وفق جداول زمنية محددة، لا تسمح بوقت لإشباع فضولهم.

كان المسافرون غير الرسميين متحصنين في الليل، ويكرهون المغامرة في الأراضي القاحلة الخالية من السكان تقريبًا بعد حلول الظلام. ومع ذلك، كان غريبًا رؤية سيارة الشرطة وسيارة الفورد المتوقفة دون وجود واضح لشرطي بما يكفي لإلهام أحد السامريين الشجعان للتوقف للمساعدة.

بالإضافة إلى المسدس وقراه، جُهّز حزام سلاح الشرطيّ بحافظة للمخازن الاحتياطية وحامل علبة الرذاذ وحامل الأصفاد. أخذت جين الأصفاد.

كان الشرطي ضخماً بما يحول دون تحريكها إياه لمسافة كبيرة. جرت مسافة قدمين، حتى تمكنت من رفع ذراعه الأيمن وتقييده إلى مقبض باب الراكب الأمامي لسيارة الفورد.

عندما فحصت نفسه، لم يكن يعاني من صعوبة تنفسه، لذلك رسته بمزيد من الكلوروفورم، وأمالت القبعة على وجهه.

ذهبت إلى باب السائق المفتوح، مدّت يدها إلى الداخل، وأوقفت عمل المحرك، وأخذت المفاتيح. أغلقت الباب في الوقت الذي مرّت فيه شاحنة ذات ثمان عشرة عجلة، مطلقة خلفها وابلاً من الحصى والغبار والدخان.

توجهت نحو الباب الخلفي المفتوح، وجلست على المقعد الخلفي، وأحضرت حقيتي النقود وأونصات الذهب المغلفة بالبلاستيك من تحت المقعدين الأماميين، لم تكن تعرف قيمة أونصات الذهب، لكن الأموال التي أخذتها من منزل بريتولد شينيك في نابا، قبل أكثر من عشرة أيام، كانت 160 ألف دولار من فئة المئة.

شعرت بشيء من الراحة عندما أدركت أن مخترع عملية زراعة الدماغ كان يدفع جزءاً من ثمن اعتدائه على النظام العالمي الجديد الذي كان يحلم به.

بعد إغلاقها الباب الخلفي، التفت نحو طرف الباب الآخر لسيارة الشرطة وفتحتة. ووضعت الحقيبة على المقعد الأمامي. كان المفتاح في موضع التشغيل، وراديو الشرطة يصدر بصوت المرسل الذي لم يبدِ انزعاجه. في رحلة ثانية إلى سيارتها، نقلت جين حقيبتها، ووضعتهما في الجزء الخلفي من سيارة الشرطة.

لم يكن معظم السائقين المارين مهتمين بما يكفي لخفض سرعتهم وإلقاء نظرة عليها. أما القلة الذين تباطأوا لبرهة، فعادوا للإسراع مذكّرين أنفسهم أنه في هذا المناخ الاجتماعي الحالي، ربما يُشهر بأولئك الذين جاءوا للدفاع عن الشرطة أو أسوأ. مرحبا بكم في المجتمع غير المتحضر.

أحد أولئك الذين شعروا بالذنب لعدم التوقف، قد يتصل بدورية الطريق السريع، أو يتصل بإحدى محطات الراديو لبدء خط من الثرثرة حول ما رآه. لم تسمح لنفسها أن تسمع دقائق الساعة، ولكن ساعة ما كانت تدق رغم ذلك.

ذهبت إلى جانب الشرطي مرة أخرى، أخذت نبضه، واستمعت إلى نفسه، وقررت أن تتركه كما هو. وقد تبخر الكلوروفورم سريع الزوال من وجهه. حتى مع استمرار احتفاظ القبعة ببعض الأبخرة، من المتوقع أن يستيقظ خلال عشر دقائق أو نحو ذلك.

لم يعجبها أخذ شارة النجمة لكنها أخذتها على أي حال. لن تنزع سلاحه وتتركه بلا دفاع. لذا تركت مسدسه في قرابه. لكنها أخذت مفتاح سيارة الفوردي من أحد جيوب سترتها، ورمته به عبر حاجز الحماية على طرف الطريق، نحو الظلام الدامس، فحرمته من أي فرصة لاستخدام السيارة. عادت إلى سيارة الدودج، وجلست خلف المقود، نظرت بسرعة إلى عناصر التحكم، بما في ذلك قفل نظام باناسونيك الرقمي، والحاسوب من طراز توفبوك، وطابعة الاستدلال الرقمية.

عندما ظهرت فجوة كبيرة في حركة المرور تتيح لها الانطلاق، انطلقت على الطريق السريع نحو الغرب. شغلت كلاً من الإشارة الضوئية المثبتة على السطح وصافرة الإنذار. كان التسارع ممتازاً. سجل عداد السرعة 100 متر في غضون ثوانٍ معدودة فقط.

القسم السادس

الطابق التاسع

انطلقت جين بسرعة 110 أميال في الساعة، ثم زادت من سرعتها... هناك في الظلام اللامتناهي، يرقد رفات أعداد لا تُحصى من الشعوب التي تعود إلى فتراتٍ قديمةٍ جدًا في التاريخ. قد تعود إلى فترات لم يكن للشعوب أسماء، وربما عرفت القبائل عن أنفسها بالرموز، هناك في السهول الجافة والمستنقعات الضحلة حيث نما العشب رقيقًا كأنه شعور الموتى، على المنحدرات البركانية حيث قلما أزهر نبات سوى نبات الكانديلا الشمعية، حيث الظلام الدامس أخفى أدنى الأضواء ولم تجد النجوم شيئًا لتعكس فيه نورها، حتى أن الفراغ البدائي يكمن تحت مراقبة الكاميرات في مدارها، تلك العيون الآلية للأقمار الصناعية. وإذا كان هناك أي أمل مستقبلي في الحرية، فإنه يكمن في حقيقة مثيرة للسخرية؛ أن التكنولوجيا عالية الكمال في هذا العصر كانت تُدار من قبل بشر غير معصومين عن الخطأ قد لا يسيطرون عليها تمامًا إلى أقصى قدر ممكن، وسوف يجدون أنفسهم معرضين لقراصنة القبة البيضاء الذين يمكن أن يستخرجوا بيانات المعارضة عن عروق الإجمام والفضيحة.

عبر ذلك الظلام الدامس، سابت جين ألوانًا من الأحمر والأبيض والأزرق، وشلالات من الألوان عبر المركبات المازة بها، بالرغم من أن الأرض التي كانت تتدثر بملاء الليل وراء الطريق السريع بقيت مقاومةً لانعكاس خط الضوء.

لم تكن تعلم أن دوريات الطرق السريعة في تكساس تتطلب اتصالاً دوريًا بين كل شرطي دورية ومرسل للتأكد من أن رجالها كانوا آمنين وموجودين أثناء الخدمة. كما أنها لم تعرف أنهم يتبعون كل سيارة من سياراتهم بواسطة النظام العالمي لتحديد

المواقع، مكلفين شخصًا بصفة دورية بمراجعة رسم حاسوبي للمكان الحالي للوحدات داخل مقاطعة معينة أو ولاية معينة.

إن غياب معرفتها بمثل هذه الأمور ربما يتسبب في القبض عليها أو قتلها. إذا زادت من سرعة سيارة الدودج إلى 120 غير مبالية بعواقب انفجار إطار السيارة، سيكون باستطاعتها الوصول إلى حدود تكساس شمال إل باسو قبل أن تصل دوريات الطرق السريعة في تكساس وتمنعها من التقدم. حتى مع مثل هذه السرعة، ستحتاج إلى أكثر من أربع ساعات حتى تصل إلى هناك، وبالرغم من أنه يمكنها توفير ساعة أو أكثر عبر التحول إلى الطريق السريع الرابط بين الولايات رقم 285 في ستوكتون ومحاولة العبور إلى نيو مكسيكو جنوب مالاغا، إلا أن مسألة الوقود تقف حجر عثرة أمامها.

بعد عشرين دقيقة، وعندما أصبحت على بعد أربعين ميلًا من سيارة الفوردي التي ربطت الشرطي بها، أطفأت صفارة الإنذار، وخففت ضوء الإشارة، وأبطأت من سرعتها إلى خمسة وستين ميلًا في الساعة. وبقيت على الجهة اليمنى من الطريق. كانت تعرف ما تريده، لكنها لم تخاطر بذلك على الطريق السريع بكل ازدحامه فهي لا تريد لأي شخص أن يرى أين ذهبت عندما تركت سيارة الدورية. قبل فترة وجيزة من إبطاء سرعتها كانت في الوسط، ورأت علامة توقف للاستراحة على بعد ستة أميال أمامها. كانت الاستراحة أفضل أمل لها لأنها لم تكن مقصودة إلا نادرًا. أطفأت كاميرا المراقبة الخاصة بالسيارة.

قبل أن تصل إلى الاستراحة بربع ميل، سارت خلف سيارة مرسيدس بيضاء من طراز إي 350، وعندما أعطى السائق إشارة انعطاف إلى اليمين وخفف سرعته لم تعرف إن كان الحظ يتسم لها أم لا، ربما كان بحاجة لاستخدام المرافق العامة أو كان متوترًا من فكرة وجود شرطي يتسكع خلفه. بدا لها السائق وحيدًا في السيارة، إلا إذا كان هناك شخص آخر مستلقٍ على المقعد الخلفي. تركت جين الطريق السريع في أعقابها، وأعدت تشغيل إشارة الشرطة، من دون الصافرة.

فعل الشيء الصحيح، فلم يتوقف عند جانب الطريق، وإنما قاد إلى مكان ركن السيارات في الاستراحة، حيث لم يكن من سيارة سوى سيارته.

يضم بناء الاستراحة الإسمنتية المراحض التي وُضع فوق كلِّ بابين منها مصباحٌ. وهناك أربعة مصابيح لإنارة الطريق، لكن في هذه الضواحي النائية، بدت الاستراحة أبعد شيء من كونها للراحة فقد بدت مكانًا تذهب إليه لتموت ميتةً عنيفةً. في حال وجود أي كاميرات مرتبطة ببقية الاستراحة - ولم تكن تعتقد أن هناك أيًا منها - فالإضاءة السيئة جدًّا جعلتها عديمة الجدوى.

ركنت السيارة إلى جانب سيارة المرسيدس، وأطفأت المصابيح الأمامية حتى لا تكون مكشوفة بالكامل أمام ضوئها عندما تخرج من السيارة. تركت الضوء المتقطع بهدف إبقاء جو التوتر الذي تضفيه هذه الأضواء بحيث لا يخاف السائق من إطفاء الأضواء الأمامية للسيارة.

ترجّلت ومشت نحو سيارة المرسيدس في الوقت الذي أنزل فيه السائق زجاج نافذته. بسرعة أظهرت الشارة التقليدية التي تمثل نجمة أمام وجه السائق، فقط لإبقائه في حالة عدم استقراره، ثم وجّهته نحوه مسدس الكولت وصاحت: "اخرج من السيارة".

كان على الأرجح في أواخر السبعينات من عمره. شعره أبيض ومنحسر، وأذناه كبيرتان بملامح مطاطية كما لو أنّ الجاذبية الأرضية سحبتها لتشكّل وجه مهرج كئيب. بالرغم من أنه لم يكن سمينًا، إلا أنه ربما كان يملك في شبابه مظهرًا مرحًا، سانتا من الوزن الخفيف.

قال: "أنتِ لستِ شرطية".

"بالإضافة إلى أنني لست شرطية، فأنا لستُ صبورةً أبدًا. اخرج من السيارة".

تراجعت لتجنب الباب، وهو يُفتح، ووضعت المسدس بين يديها في وضعية تصويب، فبالرغم من مظهره الودود لم تستبعد احتمال أن يكون خطيرًا. أقل الناس توقعًا هم الذين يتمكّنون من القيام بأفعال فظيعة في عالمٍ حيث لم يمحِ التقدّم أعباء كآبة الماضي فحسب، بل دروسه القيّمة أيضًا.

خارج السيارة، وقف الرجل الذي يقدر طوله بخمس أقدام وسبع بوصات، ويزن حوالي مئة وأربعين باونداً. متعلًا حذاءً رياضيًا أسود وأبيض. ويرتدي بنطالاً رماديًا باهتًا، وقميصًا بنقشة هاواي رُسمت عليه أشجار النخيل الزرقاء أمام خلفيةٍ ذهبيةٍ.

ويطوق أحد معصميه بسوار من حَبَاتِ ملونة. بدا وكأنه محاسب متقاعد من بروكلين يحاول إعادة اكتشاف نفسه مثل جيمي بافيت باروثيد.

سألها: "هل ستقتليني؟". بالرغم من أن الخوف لم يكن بادياً عليه. قالت: "لم أخطط لقتلك"، حيث قلقت من أن التهديد بالقتل قد يسبب له نوبة قلبية. "لكنني سأؤذيكَ إذا حاولت العبث معي. أنا بحاجة إلى سائق". قال: "أنا سائقٌ جيد. وأقود منذ خمسة وستين عامًا. أنا...".

"أنت جيد بما فيه الكفاية. هناك بعض الأمتعة في سيارة الدورية. ابدأ عملك بنقلها إلى سيارة المرسيدس".
"لماذا لا تنقلينها أنت؟".

"لأنني يجب أن أبقى المسدس مصوبًا نحوك".
هزّ كتفيه غير مبالي.
"أسرع، تبا".

أحضر إحدى الحقائق من المقعد الخلفي لسيارة الدودج: "هذه الحقبة ثقيلة، كما تعلمين".

تطلب الأمر استخدام كلتا يديه لرفع مقبض الحقبة، وسحبها نحو سيارته كما لو أنه يسحب نصف طن من الحديد: "لم أعلم أنني سأقلّ راكبًا مع أمتعة. فصندوق السيارة مليءٌ بأمتعتي الخاصة. هل يفني المقعد الخلفي بالعرض؟".
"لا تثرثر".

بينما كان يصارع مع الحقبة الثانية خارج سيارة الدورية، بقيت جين تراقبه بطرف عينها وهي تطفئ الإشارة الضوئية والمحرك. سحبت الحقبة من المقعد الأمامي ووضعتها في سيارة المرسيدس.

يبدو أن العمر قد أذبل ذراعيه لتصبحا مثل ذراعي صبي في التاسعة من عمره. "هل هذا الشيء ثقيل أم ماذا؟ يمكن أن يموت شخصٌ بسبب وزنه".

احتضنت مسدسها وقالت: "أعطني هذا". أخذت الحقبة منه، ووضعتها في الجزء الخلفي من سيارة المرسيدس، وأغلقت الباب.
قال لها: "من المؤكد أنك تتمرّنين كثيرًا".

"ألديك سلاحٌ في السيارة؟ لا تكذب عليّ. كل شخصٍ يكذب عليّ يندم".
"لديّ وسادة البروستات".
"وسادة ماذا؟".

"وسادة طريّة ذات فتحةٍ في المنتصف".
"كيف يعتبر ذلك سلاحًا بحق الجحيم؟".
"ربما يمكنني لفّه حول رقبتك وتثبيتته".
"هل أنتٌ جادٌ؟".
"كنت جادًا".

بالرغم من أنها شعرت بالسخافة وهي تفعل ذلك، فقد سحبت مسدسها مرة أخرى. "اصعد أيها العجوز. انطلق، انطلق، انطلق".

جلس خلف المقود، وهو يعدّل وضع وسادة البروستات، بينما استقرت جين في مقعد الراكب إلى جانبه، ممسكة المسدس بيدها اليمنى، مشيرةً إليه.
شغل محرك السيارة، وأثار المصابيح الأمامية وسألها: "هل يجب أن أعرف إلى أين نحن ذاهبون؟".

"سنعود إلى الطريق آي-10 في الغرب".

"هذا هو المكان الذي كنت فيه". عندما كان يسير في مسار الخدمة نحو الطريق السريع قال: "ليس لي حقّ بأن أعطيك أفكارًا، ولكن لماذا لا تأخذين سيارتي وتركينني هناك؟".

"أنت سائقي، لكنك أيضًا وسيلة تسوّري، ربما يبحثون عن امرأةٍ وحدها. الآن نحن اثنان. في حال أوقفنا أيّ شرطيّ، ستقول إنني ابنتك".

"كم تبلغين من العمر. عشرين عامًا؟".

"وما علاقتك بعمرِي؟".

"أنا عمري واحدٌ وثمانون عامًا. من الأفضل أن تكوني حفيدتي".

"حسنًا، أنا حفيدتك".

"ما اسمك؟".

"لا يهملك ما هو اسمي".

"في حال سألني الشرطي، ألا يجب أن أعرف اسم حفيدي؟".

"حسنًا، أنت على حق، اسمي أليس".

سار على الطريق السريع، قاطعًا مسافة عشرة أميال تحت حدّ السرعة، طلبت منه أن يقود فوق الحدّ عشرة أميال أخرى.

نفذ ما طلبته منه، ولكنه قال: "إنك بالفعل في عجلة من أمرك".

"لا يمكنك أن تتخيل".

"ماذا حدث لذلك الشرطي، الذي أخذت سيارته؟".

"لم أقتله".

"لم أفكر بأن فتاة جميلة مثلك يمكنها أن تقتل".

"ماذا؟ أتغزل بي؟".

"لا تكوني عصبية. لم أتغزل بأحدٍ منذ ستين عامًا. كم سنقطع مسافةً نحو الغرب؟".

"بعد إل باسو نحو نيو مكسيكو".

"إنها طريقي على كل حال، بعدها سأتابع إلى سكوتسديل".

"حسنًا يمكنك أن تأخذني إلى نوغاليس".

"إن كنا سنعبّر هذه المسافة الطويلة، وإذا أخذنا بعين الاعتبار أننا لن نجد على طريقنا سوى محطات الوقود، سيتعين عليك القيادة لبعض الوقت".

"ماذا؟! أتقصد أن أقود وتقوم أنت بتصويب المسدس إليّ؟ فقط حافظ على

سرعتك".

صمت لبرهة قبل أن يقول: "اسمي برنارد ريغويتز. يمكنك مناداتي جدي بيرني".

تنهدت قائلة: "لن ينتهي هذا بشكل جيد".

نصحتها قائلاً: "إنّ التفكير السلبي يجلب نتائج سلبية".

عندما اجتازا سونورا، وجدت أن خزان الوقود كان ممتلئًا حتى ثلاثة أرباعه. على

الأرجح أنه قد ملاءه قبل صعودها. سيتمكنان بسهولة من الوصول إلى فورت

ستوكتون، وربما حتى فان هورن، قبل أن يكونا بحاجةٍ للتزود بالوقود، وبعد ذلك

سيكون الطريق سهلًا إلى نيو مكسيكو، ما لم يكن هناك حاجز على خط الولاية، أو

قبل.

قالت: "ماذا يفعل رجلٌ بعمرِكَ، في منطقة كهذه وحيداً في الليل؟".
"أحب أن أنام في النهار، وأقود في الليل. إن ذلك يهدّئني، يتحمّم عليّ الآن القيادة بمفردي، بعد أن فقدت ميريّام. لقد تزوجنا منذ 61 عاماً، حين كنا في التاسعة والعشرين، ولم نفرق يوماً واحداً أبداً".

قالت جين: "تباً".

"هذا صحيح، سواء صدّق الآخرون ذلك أم لا. لم نفرق أبداً حتى العام الفائت".
قالت: "أنا متأكدةٌ من صدقك، ما كان يتوجب عليّ أن أصوب سلاحي اللعين إلى أرمل في الواحد والثمانين؟".

"لا تقلقي بشأن ذلك يا أليس. اعذريني في حال بدا ذلك عاطفياً، ولكنك جلبت بعض الألوان إلى سنةٍ من اللون الرمادي".

"نعم، ولكن من الممكن أن أتسبب بقتلك، وأنا لا أريد ذلك".
ذَكَرَها قائلاً: "التفكير السلبي يجلب نتائج سلبية".

2

لم يكن مطعم ماكدونالدز في ليك فورست يشبه أي مطعم ماكدونالدز في أي مكان آخر. لا أقواس ذهبية، ولا بلاستيك مبتذل. بل مدفأةٌ رخامية، وأثاثٌ جميل، وموسيقى كلاسيكية على نظام تشغيل الصوت. بدا الأمر كما لو أنهم ذهبن لتناول العشاء في عالم غريب موازٍ للعالم الذي يعشن فيه، وكأن العالم الذي يعشن فيه لم يصبح غريباً بما فيه الكفاية في الآونة الأخيرة.

طوال العشاء، بدت تويلا كعادتها، على الأقل بالنسبة إلى الأشخاص العاديين. لم تلاحظ الأم أي شيء على ابنتها، ولكن جولي كانت على بينة من الاختلافات الطفيفة بين هذه الفتاة وأختها التي كبرت معها. بدت تويلا التي أمامها، وكأنها ترزح تحت جبل من الهموم، ولم تكن حاضرة الذهن.

في عدة مناسبات أوشكت جولي على إفشاء السر، أمي، ألا ترين كيف أصبحت مشوشةً وكأنها مجنونة، أنها تتعاطى المخدرات، ألا ترين أنها تحقن نفسها؟ يجب أن نتدخّل الآن.

لكنها لم تفعل ذلك، ولم تعرف لماذا لم تقدم على فعل ذلك إلى أن طلبين التحلية، عندها أدركت أنها تدين لتويلا بمواجهة صريحة قبل إخبار والدتهما. لطالما كانتا مقربتين جداً إلى أن ذهبت تويلا إلى الكلية، وحتى بعد ذلك، عندما كانتا تجتمعان معاً، كما لو لم يمر أي وقت منذ آخر لقاء بينهما. حتى الآن، ربما يمكن لتويلا أن تدافع عن نفسها. إنها فرصة ذهبية. لم يكن هناك أسباب وجيهة للإدمان، بل مبررات فقط.

هذا ما قاله أبوها، ومع ذلك، فهي تدين لتويلا ببعض المراعاة قبل أن تفشي سرها. لم تكن ليلة جيدة للدراما العائلية والأرق الذي سيتبع مواجهة كهذه، فهن سيستيقظن باكراً في الغد.

تحدث والدها إلى والدتها عبر الهاتف، وطلب منها أن تتوجه إلى إنديانا بولس، وهي رحلة قد تستغرق بين ثلاث إلى ثلاث ساعات ونصف الساعة، إن بدأنا المسير قبل ذروة الزحام في صباح شيكاغو. كان يفترض بوالدتهما أن تهاتف والدهما ما إن يصلن إلى إنديانا بولس، حالما ينتقلن من الطريق إي-65 إلى إي-465. بحلول ذلك الوقت سيرفن المكان الذي يجب أن يقصدنه حتى يقابلهن شخص ما. ليس أي شخص، بل شخص ثقة. كان كل شيء غامضاً، ولكن ما الذي لم يعد غامضاً هذه الأيام؟

ربما كان من الأفضل تأجيل مواجهة تويلا إلى أن تجتمع العائلة مرة أخرى. في الوقت الذي انتظرت فيه تويلا التحلية، تساءلت الوالدة إن كانت دورات المياه مختلفة عن دورات مياه مطاعم ماكدونالدز الأخرى بما أن كل شيء آخر كان مختلفاً، وتساءلت جولي عن الأمر أيضاً، لذلك ذهبتا للقاء نظرة. تمتّ جولي أن يكون هناك شيء مرح في حمام النساء؛ مثل صندوق مفتوح من الفضة بقيمة عشرة آلاف دولار في المكان الذي توضع فيه المناديل الورقية، يحمل الأحرف الأولى من اسم رونالد ماكدونالد، إلا أنه لم يكن مختلفاً جذرياً عن دورات مياه مطاعم ماكدونالدز الأخرى، على الأقل ليس بأي شكل من الأشكال التي تثير المرح.

بعد أن تناولن التحلية، أدركت جولي فجأة في الوقت الذي كانت فيه والدتها تدفع الحساب أن ما رآته وما ظنت أنه مخدرات قد لا يكون مخدرات. حسناً، لقد كانت

بالتأكيد مخدرات، لكنها قد تكون ذات وصفة طبية ومشروعة تمامًا. ربما تعاني تويلا من مشكلة صحية خطيرة تتطلب منها حقن دواء غريب يتوجب حفظه مبرّدًا في صندوق من الثلج الجاف. شعرت جولي بقلبها يغرق، شعرت بذلك حقًا، وكأنه حجر في صدرها، بمجرد أن فكرت أن مرض تويلا قد يكون مميتًا، وإن لم يكن مميتًا قد يؤدي لمعاناة طويلة تؤثر على حياتها.

ولأنهن كن بحاجة إلى النوم، لن يكون هناك مواجهة هذه الليلة، ولكن ربما بإمكان جولي الاستفسار بمهارة، من خلال طرح أسئلة غير محرّجة، وستدرك حقيقة الأمر من خلال ردود أفعال أختها على أسئلتها. إذا لم تفعل ذلك، وإذا لم تحصل على بعض المعلومات عن حقيقة وضع أختها ومدى وخامة حالتها، فلن تستطيع النوم بأي شكل من الأشكال.

3

وفقًا لما رواه بيرني ريغويتز، لم يسبق له ولميريام أن سافرا بالطائرة إلى أي مكان لأنه كان يخاف الطيران، لكنهما زارا تسعًا وأربعين ولاية بالسيارة. لقد ذهبا إلى بعض الولايات أكثر من مرة، ولم يذهب مرّة ثانية إلى أي ولاية لم يرغب بزيارتها مرة أخرى، باستثناء ولاية داكوتا الشمالية، بالرغم من أن لويس لامور ولد في داكوتا.

رزق وميريام بطفلة واحدة، تدعى ناسيا، إنها تبلغ من العمر الآن الثانية والخمسين وتعيش في سكوتسديل مع زوجها، وهو رجل لطيف يدعى سيغيف. أرادا أن يأتي بيرني للعيش معهما، لكنه بالرغم من محبته لهما، رفض الفكرة، لأنهما كانا يريدان منه أن يتوقف عن القيادة من ساحل إلى آخر، وهذا ما سيجعله وحيدًا في هذا العمر، وهو لا يريد التوقف عن القيادة، لأن ميريام لم تكن ملقاة في قبر بارد في نيويورك. لا، بل كانت في كل مكان ذهبا إليه في الماضي، وإذا بقي يقود على الطرقات التي سلكهاها معًا فهذا يعني أنه سيبقى مع ميريام.

وقعت جين في حب الجد بيرني في مكان ما شرق فورت ستوكتون، قبل وقت قصير من توقفهما هناك للتزود بالوقود عند الساعة العاشرة إلا ربعًا. تولت أمر ضخ الوقود، بينما دفع بيرني بواسطة بطاقته الائتمانية، ودخلا إلى المطعم معًا للحصول

على بعض قطع الهوت دوغ الحارة، والتي تناولاها على الطريق، مع ثلاث طبقات من المناديل الورقية على حجرهما ليسقطا عليها ما أسماه الفتات المتساقط. ظهرت حواجز الطرق - أو واحد منها - على بعد ستة وأربعين ميلاً غرب فورت ستوكتون، قبل المخرج 212 إلى ساراغوسا.

مرّ وقتٌ على انتهائهما من تناول الهوت دوغ، وتناولوا بعد ذلك الفول السوداني الأحمر وكانا يشربا ماونتِن ديو الخاص بالحمية عندما أنزل بيرني نافذته لشرطيّ دورية الطرق السريعة التابعة لشرطة تكساس، وسأله عما إذا كانت المشكلة هي الإرهابيين. شعر بالسعادة عندما عرف أنها لم تكن إرهابية، وأخرج رخصة قيادته، ثمّ قدّم حفيدته أليس وقال للشرطي إنه يشبه إلى حدّ كبير شقيقه ليف، ولكن بالطبع عندما كان ليف في الخامسة والثلاثين، أي قبل أربعين عامًا. عندما سُمِحَ لهما بالمرور عبر نقطة التفتيش وبعد أن اجتازاها، قالت جين: "هل كان الشرطيّ حقًا يشبه أخاك ليف؟".

قال بيرني: "ليس لديّ شقيق يدعى ليف، لديّ أخ يدعى شيم، ولكنني لم أستطع استخدام اسمه لأنه لن يفاجئني إذا علم شرطيّ بأمر شخص يُدعى شيم ريغويتز". "أستطيع أن أرى لماذا أردت ميريام الذهاب إلى كل مكان معك".

"أنتِ رفيقة سفر جيدة، أنستي، وأنتِ تؤدين دور أليس بشكل صحيح. قد يعتقد الشخص أن لديك الكثير من الخبرة في هذا". "أتمنى لو لم تكن لديّ تلك الخبرة".

"بالمناسبة، هذا شعر مستعارٌ جيد، لم ينتبه له الشرطيّ أبدًا".

كذبت جين قائلةً: "أنا لا أضع شعرًا مستعارًا".

"أنستي، لقد جمعتُ أموالِي من الشعر المستعار، وكلّ من الشعر الطبيعي وأفضل الألياف الاصطناعية. إلبغنت ويف - هذا هو اسم الشركة - التي كانت تباع باروكات الشعر على امتداد الساحل الشرقي، في أربع عشرة ولاية ومقاطعة كولومبيا. لا يمكنك خداعي بشأن الشعر المستعار".

"أسفة على المحاولة. اشترت هذه الباروكة وأربعمائة أخرى من الناس الذين يبيعون هويات مزيفة، ورخص القيادة، وعدسات لاصقة تغيّر لون العين، وربما أشياء أخرى لا أريد أن أفكر بها".

"في المرة القادمة التي تقابلينهم، أخبرهم أن بيرني ريغويتز من شركة إيليجت ويف يقول إن لديهم منتجات من الدرجة الأولى".

قطعا بضعة أميال في صمت، حيث قالت جين وهي تشرب آخر عبوة من شراب ماونت ديو: "لم تسألني مما أنا هاربة".

"لم ولن أفعل أيتها المفتحة، لا أريد أن يخيب ظني إذا لم تكوني رائعة كما أتصور".

4

في غرفتهما في فندق ديربات، تناوبت الأختان على استخدام الحمام. جلست جولي في السرير، متكئة على اللوح الأمامي، عندما ظهرت تويلا في ثياب نوم بيضاء حريرية مع رسم علبة حساء لأندي وار هول على القميص. بينما سحبت أختها الأغطية على جانبها من السرير المزدوج الكبير قالت جولي: "هل يمكنني أن أسألك شيئاً بشرط أن تعديني أن تكوني صريحة بشكل تامّ معي؟".

"متى لم أكن صريحةً معك؟".

"حسنًا، هل هناك من خطب ما في حياتك؟".

تنهدت تويلا وهي تدخل الفراش وقالت: "تشارلز ليس متزوجًا، ولست حاملاً".

"لا أعني أيًا من ذلك".

تجهّم وجه تويلا: "حسنًا، ما الذي تعنيه؟".

"أنتِ لستِ مريضةً أو أي شيء؟".

"هل أبدو مريضةً؟ أعتقد أنني أبدو جيدةً جدًا".

"رائعة. آمل أن أبدو بقدر جمالك عندما أكون في سنك".

قالت تويلا: "أشكّ في ذلك، أعتقد أنني قد أخذت جينات أمي، وأنتِ أخذت جينات أبي".

هنا كانت تويلا على طبيعتها.

قالت جولي: "حسنًا، أنا قلقةٌ عليكِ فقط، هل كل شيء على ما يرام هناك في بوسطن".

"تبددين الآن مثل أبي، عندما يقول بوسطن في الطرف الآخر من العالم".
"إذن أنت بخير؟".

"لم أكن أفضل حالًا. اخلدي إلى النوم يا جو. أمامنا يومٌ طويلٌ غدًا".
بدلًا من إطفاء مصباح المنضدة، نقرت تويلا عليه على ضبط الضوء الخافت.
كانت تحمل مجلة.
سألته جولي: "ألن تنامي؟".

"لن أبقى مستيقظةً. أريد فقط أن أقرأ هذا المقال لأنني لم أنتهِ منه على متن الطائرة".
انزلت جولي عن لوح السرير الأمامي، واتكأت على جانبها الأيسر، وأولت
ظهرها لتويلا. انتظرت سماع صوت تقليب الصفحات. لكنها لم تسمع شيئًا. لم تكن
تويلا قارئةً بطيئةً. انتظرت جولي سماع الصفحة قلب.
وخلال انتظارها، غطت في النوم.

5

ينام بيرني معظم اليوم، حتى يتاح له أن يقود في الليل، ويسترجع ذكرياته مع
ميريام، قادت جين منذ الساعة الرابعة وعشرين دقيقة هذا الصباح، عندما استيقظت في
الفندق في أردمور، ولاية أوكلاهوما وبحلول الساعة الحادية عشرة وخمس وثلاثين
ليلة الخميس، عندما وصلا إلى فان هورن في تكساس، لم تستطع التوقف عن التثاؤب.
قال بيرني: "نامي، نامي. البوم مثلي يجب أن تكون مستيقظًا. إذا احتجت إليك،
سأوقظك".

إذا اتضح لجين أنه لا يمكنها الوثوق به، فلن ينفعها حدسها، خاصة وأن التعب
أنهكها، أمالت الجزء الخلفي من مقعدها إلى أقصى حدّ، وأغمضت عينيها.
قال لها: "هل يمكنك النوم وأنا أستمع إلى بعض الموسيقى؟".
"حاليًا، يمكنني النوم تحت صوت نيران المدفعية".
"سأبقي الصوت منخفضًا".

تلاعب بأدوات التحكم بالقرص المضغوط، وعندما سُمعت الموسيقى، قالت جين:
"لورنس ويلك وأوركسترا الشمبانيا. هل تحب موسيقى الفرقة الكبيرة، هذا جميل؟".

"أنا لا أعرف تمييز فرقة كبيرة من غيرها".

"ديوك إلينغتون، آرقي شو، بيني غودمان. أشياء عظيمة".

"كانت ميريام تحبّ مشاهدة لورنس ويلك على شاشة التلفاز فيما مضى. أعرف أن موسيقاه مبتدلة".

"الأمر هكذا، لا شيء يخجل منه. لقد أعطى الناس ما يريدونه، ولم يكن لديه ميزة".

"هل تعزفين الموسيقى؟".

كانت على وشك القول، يمكنني أن أعزف على البيانو. لكنها كانت متعبة جدًا لتثق بنفسها وقدرتها على إجراء المحادثة. "ليلة سعيدة، جدي".

لم تكن أحلامها غير سارة، ومليئة بالفقاعات. عندما استيقظت بعد ساعة أو نحو ذلك وصوت ويلك منخفض تمامًا مع أغنية وقت إزهار التفاح، كانت السيارة متوقفة. جلست، والقلق يساورها. كانت السيارة مركونة على كتف الطريق السريع.

لم يكن بيرني في السيارة. كانت بحاجة للحظة لتحديد مكانه في الظلام، كان على بعد خطوات قليلة من الطريق، موجّهًا ظهره لها، وهو يتبول.

عندما عاد إلى السيارة ورآها مستيقظة، قال: "أسف. إن البروستات كالبطيخ. إذا كنت بحاجة إلى مرافق للسيدات، سنملاً الوقود في إل باسو خلال أربعين دقيقة".
"لا، أنا بخير".

أغمضت عينيها بينما أخذت علبة مناديل مسح اليد من المعدات في صندوق وحدة التحكم ومزقتها ليفتحها. كانت برائحة الليمون.

في الوقت الذي غطت فيه في النوم، تساءلت إن كانا قريبين بما فيه الكفاية من إل باسو لأن خدمة الهاتف الخلوي جيدة. لكن لو كان هاتفه معه عندما خرج من السيارة، بمن اتصل؟ فهو لم يسلمها إلى الشرطة عند الحاجز عندما سنحت له الفرصة.

كان عليها أن تثق به، جنون الارتياب الخاضع للسيطرة كان آلية للبقاء على قيد الحياة، أما جنون الارتياب الذي لا يخفّ فكان مظلة تنزلق نحو الجنون.

نامت جين كالمخدرة نومًا هادئًا خلال التوقف لملء الوقود في إل باسو.

في وقت ما من الليل، كانت جولي تيلمن نصف مستيقظة، تعاني من الإرهاق، وكانت غرفة الفندق هادئةً. ركّزت سمعها على تنفس تويلا في السرير بجانبها لكنها لم تسمعه. كان المصباحُ مطفأً. وبما أنهما لم تغلقا الستائر عند النوافذ بقي توهج القمر والأشعة المحيطة من أضواء الشوارع واضحةً، فللمعت مسحةٌ خفيفةٌ من الضوء على سطح كل شيء، كما لو أن شبح رجل أعمى قد أتى للمطاردة عن طريق لمس كل شيء لم يكن على قيد الحياة.

لو لم تكن تويلا ترتدي بيجامة بيضاء جذبت الضوء الباهت لما رأتها جولي جالسةً على الكرسي مقابل السرير. قد تكون تويلا نائمةً، بالرغم أن وضعيتها تبدو لشخص في حالة تأهب غارقاً في الكآبة، وقد أخفى قناعٌ من الظل وجهها. وإذا كانت عيناها مثبتتين على جولي، فلا يوجد لمعانٌ أو انعكاسٌ يؤكد تحديقها.

كان هذا المنظر مشابهاً للموت بسكون الغرفة لدرجة أن جولي لم تكن مقتنعة بأنها مستيقظة فعلاً. أغمضت عينيها وفتحتهما مرة أخرى، والجالس على الكرسي لم يطفُ ويطر بعيداً، فتأكدت أنها لم تكن تحلم. لكن الإرهاق أثقل كاهل جولي، وأغلق جفنيها، حتى أنها لم تجد إجابة على سؤالها هل كانت نائمة أم مستيقظة؟

استيقظت جين على صوت هدير محرك، وهي تعاني من تشنّجٍ في رقبتها وطعمٍ حامضٍ في فمها، لا أثر لصوت لورنس ويملك. فتحت عينيها بينما شقت أشعة الشمس طريقها عبر المراعي الخضراء المنخفضة بين سلسلتين جبليتين، تتبع بأشعتها المنحدرات البركانية نحو الحواف المكسورة والتي خفت حدتها ملايين السنوات من الحت والتآكل مشكلةً مستنقعات وغابات.

أمضى بيرني ريغويتز وقتاً جميلاً وهو يعبر نحو إل باسو عبر الزاوية الغربية الجنوبية لنيو مكسيكو في أريزونا، قاطعاً حوالي ثلاثمئة ميل في أقل من أربع ساعات. في الوقت الذي عدلت فيه جين وضعية الكرسي لتصبح مستقيمةً، قال بيرني: "لقد نمّت مثل هريرة صغيرة مليئة بالكريما".

"أجل، أشعر كأنني قطة بقيت تعارك طوال الليل".

"لنقل أننا سنتوقف في ويلكوكس لملء الوقود وتناول الفطور، ولنقل إنك ستتولين القيادة من هناك، بذلك يمكننا أن نصل إلى نوغاليس بحلول الساعة العاشرة أو الحادية عشرة".

قالت وهي تدلك الجزء الخلفي من رقبتها: "لست متأكدة من جزئية أنا. خطتي كانت تقتضي أن أضعك في مكان ما على الجانب الجنوبي من توكسون، وأقود تلك الساعة الأخيرة إلى نوغاليس لوحدي، قبل أن يصبح تقرير سرقة السيارة الذي قدمته مصدر قلق".

تدلت ابتسامته بين طيات وجهه الذي يشبه المهرج الحزين، ولكنه قال بعد ذلك: "ما هذه الترهات! ألسنا شركاء هنا أم ماذا؟".

"لم نكن شركاء أبدًا يا بيرني".

"حسنًا، ما العلاقة التي تربطنا، أجيبيني؟".

"علاقة بين خاطفة ومخطوف".

"هل جننت؟ هل أبدو مختطفًا بالنسبة إليك؟ طلبت مني إيصالك، وأنا أوصلتك، هنا رابط يجمعنا ولا يمكن القول إنه رابط بين خاطف ومخطوف".

"الرجل الذي في نوغاليس خطير".

"أنا على دراية بالخطر. طوال حياتي، كانت مصلحة الضرائب تحاربني".

قالت وهي تسحب مسدسها: "يبدو أنك نسيت هذا".

"مرة أخرى مع مسدس؟ لقد تجاوزنا موضوع الأسلحة، يبدو أنك لم تلاحظي ذلك".

فكرت في الأمر مرة أخرى وقالت: "هذا الرجل في نوغاليس ينتظر قدومي يوم السبت وحدي. عندما تتعامل معه، لا يريد ممن يتعامل معهم أن يحضروا أجدادهم معهم. يجب أن أتصل به، وأقدم موعد الاجتماع، لكنني أحتاج إلى قصة أخبره إياها. لا يمكنك أن تكون بيرني ريغويتز، ملك الشعر المستعار".

"لم أقل أبدًا أنني ملك. هذا شيء مبتذل. سنكون في ويلكوكس بعد أربعين دقيقة. هناك يقدمون أفضل الطعام الغربي، ونحن سنخلق قصة على الفطور اتركي أمر التأليف لي".

فكرت لدقائق في الوضع الذي ينتظرها في نوغليس. إذا أخذت المرسيدس إلى هناك من دون بيرني، ستضطر أن تتركها لإنريكي لشحنها إلى المكسيك عندما تغادر بسيارتها الجديدة. أصبحت على معرفة جيدة ببيرني ولا تريد أن تسرق سيارته وتبادلها مع إنريكي. قالت: "هل لديك قبعة؟".

"بالتأكيد. إن كان لدي رأس فلدي عدة قبعات".

"إذا كان لديك قبعة تعمل، سيصبح لدينا قصة".

"هل القصة هي قبعة؟".

"تعتمد القصة على الهيئة التي تبدو عليها عندما تعتمر قبعة، ويعتمد كل شيء على أن تفعل ما سأقوله لك بالضبط".

"هل سأسبب لك المتاعب؟ لا أود ذلك، هل سيكون هذا ممتعاً؟".

"لن يكون الأمر ممتعاً، لكنه سيكون مثيراً للاهتمام. ويمكن أن ينتهي بنا المطاف بمصيبة".

8

قضت تويلا جزءاً من الليل على الكرسي، لكنها كانت في السرير عندما استيقظت عند الساعة الخامسة صباح يوم الجمعة.

كان الإزعاج القليل الذي سببته كفيلاً بأن يوقظ جولي، التي شاهدت بعينين شبه مغمضتين أختها وهي تأخذ حقيبتها عن المنضدة وتذهب إلى الحمام. كانت تويلا هادئة، ولكن بالنسبة إلى محاسنها، لطالما كانت فتاةً صاخبةً، وأكثر ضجيجاً من الآن. واللطافة التي أظهرتها حين نهضت من السرير، والتقطت حقيبتها، وأغلقت باب الحمام كانت خارجةً عن المألوف كما لو أنها تنوي الخداع.

نهضت جولي عن السرير بهدوءٍ أكثر من تويلا، انسلت بخفة حوله، ووضعت أذناً واحدة على باب الحمام في الوقت المناسب لتسمع نغماتٍ خفيفةٍ في الوقت الذي ضغطت فيه أختها رقماً على لوحة مفاتيح هاتفها.

أيًا كان الشخص الذي اتصلت به، لا بد أنه أجاب، ولم تعرّف عن نفسها قبل أن تقول: "كان يفترض بي أن أتصل بك هذا الصباح، ولكنني لا أستطيع تذكر السبب".

بعد صمتٍ قصير، قالت: "حسنًا". أطبق صمت آخر. "سنذهب إلى إنديانا بولس لمقابلة شخص ما. لا أعرف هويته أو مكانه، ستتصل والدتي بوالدي عندما نكون على وشك الوصول إلى هناك".

تلت ذلك برهة من الصمت: "حسنًا، نعم، سأفعل. فقط ثانية واحدة".
في الحمام، فتحت تويلا صنبور مياه المغسلة. لا يزال باستطاعة جولي أن تسمع شقيقتها تتحدث على الهاتف، ولكن صوت تدفق المياه في وعاء الخبز منعها من فهم ما كان يُقال.

هذا ما سعت إليه تويلا عندما فتحت الصنبور أساسًا، فهي لم تكن تغسل يديها وتجري محادثة هاتفية في الوقت نفسه. وأيا كان الشخص على الطرف الآخر من المكالمة، فقد طلب منها القيام بذلك.

ابتعدت جولي عن باب الحمام، وجلست على الكرسي الذي شاهدتها أختها أو لم تشاهدها وهي نائمة في الليل.

من دون معرفة شيء سوى اسمه الأول، لم تحب جولي شخصية تشارلز هذا. أي نوع من الأحباء يريد أن تقدم فتاته تقريرًا عن عائلتها بطريقةٍ سرية كهذه؟ ولأي سبب؟ ولماذا قد تفعل تويلا ذلك؟

قررت جولي أن الوقت قد حان لتفتح حقيبة تويلا مرة أخرى، وتخرج المخدرات والمحاقن، وتذهب إلى والدتها وبحوزتها البرهان. مع كل الدلائل التي توضح تفاصيل سلوك تويلا الغريب والمثير للفضول، ولكن في الوقت الذي أغلقت فيه تويلا صنبور المغسلة، وفتحت صنبور الحمام، قررت جولي أن وقت الذهاب إلى والدتها لم يحن بعد.

سبعة عشر عامًا من الحب الأخوي والمنافسة الطيبة فقط، سبعة عشر عامًا من الضحك، والأحلام المشتركة، وساعات طويلة من الأحاديث التي نسجت تلك الرابطة التي إن لم تكن مقدسة فهي بالتأكيد مبعجة ونقية وحقيقية، رابطة لا يمكن أن تكسر أو تتزعزع بسهولة. إنها تدلين تويلا بفرصة إعادة النظر مهما يكن الشيء الذي تفعله. عندما وصلن إلى إنديانا بولس، وتلقت الأم مزيدًا من الإرشادات من الأب، بدا على تويلا التوتر رغبةً أن تذهب إلى مكانٍ خاصٍ لإجراء مكالمة هاتفية، فتوجب على جولي الإخبار عنها.

سيكون فعل الإبلاغ عن تويلا شيئاً فظيماً، شيئاً سيضر بعلاقتهما، لكنه لن يكون شيئاً بقدر إدمان تويلا على بعض المخدرات الغريبة، والإبلاغ عن تحركات بقية أفراد العائلة لأسباب لا أحد يعرف هدفها.

9

إنريكي دي سوتو بائع سيارات لا يعاني أي مشكلة بشأن مكان عمله، فهو حافظ على صالة عرضه الخاصة في سلسلة من الحظائر في مزرعة خيول قديمة بالقرب من نوغاليس، أريزونا. لم تكن الحظائر قديمة كما بدت، فقد أقدم إنريكي ورجاله على تعتيقها كي تبدو بهذا الشكل ليوحي الأمر بأن العقار يعود إلى عائلة سكنته منذ أجيال. طليت الحظيرة الأمامية بلون رمادي مطعمٍ بقشرة سوداء وبنية أوحث أن الخشب قد فسد، وقد ظهرت عليه بقع شبيهة بالأكزيما نتيجة تلاشي طلاءٍ أحمرٍ لعصرٍ بعيدٍ من الازدهار. بما أن أي شخص من ذوي السلطة ممن ليس على قائمة الابتزاز الخاصة بإنريكي لن يتوقف ليلقي نظرة، فقد تم تخزين أسوأ مجموعةٍ من التحف في الجنوب الغربي في هذه الحظيرة الأقرب إلى طريق مقاطعة كما لو أن عائلة سوتو، كانت مجموعةً من المكتنزين المتوهمين الذين يعتبرون كلمتي تحف وخرده مرادفين لبعضهما، وحيث أن زبائنهم شاركوهم ذلك الوهم. في الوقت الذي وقفت فيه جين داخل الممر الكبير مع المالك، في انتظار السيارة الجديدة التي سيتم إحضارها، حدق إنريكي بدهشةٍ إلى الرجل المسن الجالس خلف مقود المرسيديس.

اعتمر بيرني ريغويتز قبعةً مستقيمة الحواف مع شريطةٍ على شكل تاج مسطحٍ على جانبها، وهذه القبعة ذات الشكل الخاص لاقت شعبيةً لدى بعض الرجال القساة على الأقل منذ أيام الحظر في بدايات القرن التاسع عشر. كان محرك سيارة المرسيديس يعمل، ومكيف الهواء قيد التشغيل، والنوافذ مغلقة، وبيرني يحدق مباشرةً إلى الأمام، وقد ارتسمت على محياه نظرة قاسية، كما لو أنه يوجد في مكان دون مستواه، ويعتبر كل الأمور الإجرامية التي جرت أو ستجري في هذا المكان مجرد أمور تافهة. قال إنريكي: "بالطبع، سمعت بعض الأشياء عن ماير لانسكي. من الذي لم يسمع عن ماير لانسكي؟ أكبر زعيم عصابةٍ يهودي على الإطلاق. يسمونه شيئاً مختلفاً في سلسلة أفلام

العرا ب تلك. لكن هذا الرجل، ليس ماير لانسكي. لأن ماير لانسكي مات قبل أن أولد".

"أنا لم أقل إنه ماير لانسكي. لست من هواة القيام بسحرٍ أسود على الميتين من رجال العصابات. قلت لك إنه أكبر من ماير لانسكي".

إنريكي رجل لن يتوانى عن القتل إن دعت الحاجة، لكن لديه وجه صياني جميل وحضور غير مخيفٍ يسهل التحدث إليه كما لو أنه فارس. بدا جليًا أن أنريكي أحب فكرة أن رئيس جريمة كبيرة يمكن أن يكون صغيرًا ككتلة من اللحم والتجاعيد معتمراً تلك القبعة الخاصة منتظرًا بصرامةٍ في سيارة مرسيدس.

"لكني لم أسمع عن رئيسٍ جديدٍ للعصابة اليهودية".

قالت جين: "لن تسمع، وهو ليس جديدًا، ريكي. هل يبدو لك جديدًا؟ لقد كان ملكًا وراء الكواليس طوال أربعين عامًا".

"ما اسمه؟".

"لن ترغب في معرفة اسمه. فهو لا يريدك أن تعرف حالما تعلم اسمه... لن تحل بك إلا النكبات. الخطأ الكبير الذي ارتكبه لانسكي وأولئك الرجال الحكماء هو رغبتهم بالشهرة، وأن يكون لديهم معجبون، وأن يكونوا مرهوبي الجانب. ولكن هذا الرجل يعتقد أن الشهرة تجلب المتاعب".

نظر إنريكي إليها شزراً، كأنه لا يصدقها وقال: "أنت تعبين معي؟ كيف يمكن له أن يقوم بأعماله، ولا أحد يعرف اسمه؟".

"لم أقل إن أحدًا لا يعرف اسمه، لا يعرف اسمه إلا من هم ضمن دائرة ضيقة من الأشخاص ممن يتعاملون معه".

"لا يسافر رجل مثله من دون بعض المسلحين أليس كذلك؟".

"ماذا تعتقد أنني أفعل؟".

"نعم. حسناً. لكن إن كان هو من تقولين، فماذا يفعل هنا؟ أيريد أن يشاركني فطيرتي؟ ليكن واضحًا لن أسمح لأحد بذلك".

"اهدأ يا ريكي. لا أقصد إهانتك هنا، فما من داعٍ لتصب جام غضبك علي. لكن هذا الرجل لا يرى في عملياتك الصغيرة ما يستحق الاهتمام، إنها هراء بالنسبة إليه، فهو

لا يبرم صفقات إلا بعشرات أو مئات الملايين، إنه هنا لأنه معي، فنحن نقوم ببعض الأعمال معاً، ويجمعنا احترام متبادل وتاريخ قديم".
"تاريخ قديم؟ كم عمرك... خمسة عشر عامًا؟".

ضحكت ووضعت يدها على كتفه، وشدت قبضتها قائلةً: "إنك تعرف كيف تدوب مقاومة الفتاة يا ريكي. التاريخ القديم بيننا يعود إلى خمس سنوات. اسمع، أنت تعرف من أنا أليس كذلك؟".

"الجميع يعرفونك هذه الأيام. مع ذلك أتمنى لو أنك لم تتخلي عن مظهرك القديم. لقد أحببت مظهرك القديم".

عندما ألقى القبض على ماركوس بول هيدسمان، القاتل المتسلسل، في سيارة مسروقةٍ ابتاعها من إنريكي، حاول خيانة هذا المتخصص في المركبات، وبما أن مكتب التحقيقات الفدرالي كان مشغولاً جداً ليتابع أمر دي سوتو، فوجئ إنريكي أنه بقي يعمل من دون مضايقة. وعندما جاءت إليه جين للمرة الأولى من أجل شراء سيارة - كانت الفورد إسكيب ثاني معاملتهما - أعطته انطباعاً بأنها تخلصت من ملفه، وأنه سيبقى رجلاً حرّاً. كان إنريكي يعلم عن نقص العاملين في مجال إنفاذ القوانين والعبء الزائد للملاحقة القضائية التي تتطلب قاعدة الفرز بهدف اختيار الجرائم التي يعاقب عليها. وبدلاً من ذلك، كان يحب أن يعتقد أن عميلةً جميلةً من مكتب التحقيقات الفدرالي قد أعجبت به لدرجة أنها أعمت عين القانون عن وجوده.

قالت: "اسمع، أنت تعلم أن كل شرطي في البلدي يبحث عني، برأيك لماذا لا يستطيعون إلقاء القبض على فتاةٍ بمثل عمري، فتاةٍ هاربةٍ وحدها؟".

حدق إنريكي مرة أخرى في الرجل الجالس في المرسيديس: "لأن لديك صلات ومعارف مثله".

"أحسنت".

"أين سيارة الفورد إسكيب التي بعثك إياها منذ أقل من ثلاثة أسابيع؟".

"أصبحت على قائمة المسروقات، ركنتها على طرف الطريق السريع في تكساس وقد كبلت شرطياً إلى بابها. أوقفني، لذا اضطررت إلى تقييده بهدف إبطائه بينما أخذت سيارة الدورية الخاصة به في جولة".

ابتسم إنريكي وهو يهز رأسه: "يا فتاة، أنت تقودين بسرعة متوجهة نحو جدار إسمنتي".

"إن التفكير السلبي يجلب نتائج سلبية".

"لكن التفكير الإيجابي لن يجعل من الإسمنت ورقًا مقوى".

وصل رجل يقود سيارة فورد إكسبلورر ذات لون رمادي.

سألته: "هل تحتوي على محرك ثاندر؟".

فتح إنريكي غطاء محرك السيارة. وقال، هل تعرفين ما الذي تنظرين إليه؟ محرك شيفروليه 502 مصمم لهذا الغرض، بقوة سبعمئة حصانٍ أو أكثر، إنها بقوة وحش".

"كان عليك القيام بعمل للحصول على كل ذلك".

"انتزاع نظام الملاحة، أوراق نظيفة، قطع سياراتٍ جديدةٍ من دون تحسيناتٍ، قد يدفعون لي ستة وأربعين ألفًا".

أغلقت غطاء المحرك: "إلا أنها لم تكلفك شيئًا".

"لقد دفعت ألفًا وأربعمئة للرجل الذي عمل على تحديثها. أربعمئة أخرى لإيصالها إلى المكسيك لتحصل على فرصة أخرى. ومن ثم التحسينات".

"أغلب تلك التحديثات أخذت من قطع مسروقة لم تكلفك شيئًا".

"لا تساوميني كثيرًا. أنت تعلمين، العمل ليس مجانيًا".

"لقد ساومنا بالفعل يا ريكي. أنا لا أحاول إعادة المساومة".

فتحت حقيبتها، وأعطته ثمانية وعشرين ألفًا من فئة المئة دولار، إنه المبلغ الذي اتفقا عليه خلال محادثتهما الهاتفية.

"الأوراق والمفاتيح داخل السيارة. بالإضافة إلى معطر جو صغير، على شكل جرو صغير، ورائحة الزهور تخرج من مؤخرته".

"إن خدمة الزبائن التي تقدمها لا مثيل لها على الإطلاق".

عندما استدارت نحو باب السائق، أمسك بذراعها وقال لها، لنفترض أنني أفعل شيئًا لطيفًا لك... هل ستخبرين اليهودي عنه؟".

"يعتمد الأمر على ما إذا كنت أراه شيئًا لطيفًا".

عد ثلاثة آلاف من النقود التي أعطته إياها، وأعادها إليها قائلاً: "هذا حسم صغير إكرامًا للرجل".

قالت وهي تضع المال في حقيبتها: "هذا كرم منك يا ريكي".
"أخبريه عني".
"سأفعل".

بينما كانت تفتح باب السيارة وتهم بدخولها، خاطبها قائلاً: "حاولي الحفاظ على هذه السيارة أكثر من ثلاثة أسابيع. لا يمكنك إنفاق تلك المبالغ الهائلة على السيارات. يجب عليك أن تستمعي إلى ديف رامسي على الراديو، ابدئي بخطة الميزانية تلك".

10

بالنظر إلى مسار الأحداث الأخيرة، اكتشفت جولي تيلمن أنهم ينحدرن نحو أخطار مروعة. في الواقع، كانت زاوية المنحدر وانزلاقه يرتفعان باضطراد. أحست باندفاع متزايد أغضبها.

لم يخرجن باكراً من ليك فورست كما كان مفترضاً، ولم يتفادين ساعة الذروة في شيكاغو تماماً، بل توقفن من أجل تناول الفطور في بلدة تسمى ميريلفيل، حيث طلبت جولي الوافل مع الكريمة المخفوقة والشراب المحلى والزبدة، بالإضافة إلى كوبٍ من حليب بالشوكولاتة. لم يسبق لها أن تناولت طعاماً بمثل هذا السوء، لكنها في مزاجٍ لا يمكن إلا للسكر والدهون الحيوانية معالجته.

يبدو أن الجميع كن في مزاجٍ سيئ هذا الصباح. بالنسبة إلى تويلا، التي إما أدمنت بعض المخدرات الغريبة أو أنها تحارب مرضاً يهدد حياتها باستخدام الأدوية، وقد تكون حاملاً بطفل، فهي عالقة بشباك - ويتلاعب بها - تشارلز سي تشارلز، من عائلة تشارلز ذات السمعة السيئة، ولذلك لم يكن هدوؤها وتشوش أفكارها مدعاةً للدهشة. بطبيعة الحال، شعرت الأم بالقلق لعدم معرفتها مكان الأب، لأنها تهرب مع ابنتيها من أشخاص لديهم وشم لأفعى تأكل ذيلها، وربما لأن حياتهن لن تعود كما كانت مرةً أخرى، وهذا ما يفسر لماذا أصبح جبينها الناعم مجعداً بخطوطٍ مستمرةٍ مثل سروالٍ قصير واسع الحواف ولم تعد تهتم بتمضية الوقت بمحادثاتٍ عابثةٍ.

كانت الرحلة شاقّة، لكنهن وصلن إلى مدينة إنديانا بولس الأسطورية، وفي تمام الساعة 10:51 صباحًا، استخدمت تويلا الهاتف المؤقت لإدخال الرقم الخاص بوالدها ثم سلمته إلى والدتها وهو يرن، حتى لا تحرق والدتها القانون بتهمة حمل هاتفٍ نقالٍ أثناء القيادة. وكما اتضح، فلم يعرف والدها حتى الآن متى سيقابلن الشخص الذي أرسله. كان كل شيءٍ في حالة اضطراب. لذلك أراد منهن الذهاب إلى فندق كورتيارد ماريوت على طريق فورتشن سيركل للحصول على غرفةٍ في حال تمكن من التسجيل المبكر في الفندق، وهناك سيبتظرن أن يتصل بهن جيمس بوند أو شخص ما يشبهه. وإذا لم تكن هناك غرفة متاحة لتسجيل الدخول المبكر إلى الفندق، يمكنهن تمضية الوقت في الردهة أو المطعم حتى يتم الاتصال بهن.

يقع فندق كورتيارد ماريوت بالقرب من المطار، وهو فندق صغير لطيف يتألف من أربعة طوابق، وكانت هناك غرفة متاحة لتسجيل الوصول المبكر، وقد أخذ مكتب الاستقبال المبلغ نقدًا بدلًا من بطاقة الائتمان. قال الأب إن على الأم التخلي عن سيارة الدودج الخاصة بالخالة تاندي، وهذا جلب الراحة لجولي، لأنها كانت غارقة حتى عظامها في رائحة عطر العم كالفين ورائحة سجادة السيارة العفنة. حمل عامل الفندق حقائبهن إلى الغرفة، وكان لطيفًا بما يكفي لتأجيج خيالها لصنع مستقبل لا ينطوي على السفر اللامتناهي بين كر وفر وفقًا لتوجيهات والدهما. ولكن بعد مغادرته بوقتٍ قصير، بدأ يراودها هاجس حول خطرٍ جسيمٍ محددٍ، لم يلبث أن سيطر عليها.

قالت تويلا إنها بحاجةٍ لاستخدام الحمام، واتجهت نحوه حاملَةً حقيبتها، فقالت جولي: "لم لا تتركين هاتفك هنا؟".

قالت تويلا: "هاتفِي؟".

"نعم، هاتفك. لا يتوجب عليك الاتصال بشارلز لإخباره بمكاننا، فهو لا يحتاج إلى معرفة ذلك. وعلى أي حال، ليس من المفترض أن نرمي فتات الخبز مثل هانسل وغريتل".

حدقت تويلا إلى جولي كما لو أن الأخيرة قد فقدت صوابها: "فتات الخبز؟".

"أنت تعلمين ما الذي أقصده". التفتت إلى والدتها. "أمي، في حياة تويلا رجل شرير يدعى تشارلز، إنه حقًا رجل ملتوي، وعلى الأرجح جعلها تدمن المخدرات".

استقرت نظرة تملؤها الحيرة والقلق على وجه الأم لدرجة أن جولي تمتت لو لم تقل هذا أبدًا. ثمة شيء يثقل كاهل والدتها بقلق آخر، ولكن لا تراجع بعد الآن.

قالت الأم: "جولي، ما الذي أصابك؟ رجل شرير؟ مخدرات؟ إن وجدت في العالم بأجمعه فتاة حسنة التصرف أكثر منك، فهي أختك".

"أوه أُمي. أتمنى لو كان ذلك صحيحًا، أتمنى ذلك بالفعل". التقطت جولي حقيبة تويلا ووضعتها على السرير، في ذلك الوقت طلبت منها تويلا ألا تفتح الحقيبة، لكنها فتحتها على أي حالٍ بأسلوبٍ درامي: "إنها إبر للحقن تحت الجلد يا أُمي".

إلا أنها لم تجد أثرًا للمحاقن أو الصندوق المعدني العازل. فتحت جولي الغطاء الذي يقسم الحقيبة وكشفت النصف الآخر، والذي بدا أنه لا يحتوي على أدلةٍ تدين أختها.

نظرت تويلا إلى أختها نظرةً مليئةً بالألم والتشويش، وهو أمر مخادع لحد كبير، حقًا كان شيئًا مخادعًا.

قالت جولي وهي تبعر ملابس أختها، باحثةً عن الإبر وصندوق الأدوية المعزول المبرد بالثلج الجاف، وهي واثقة أن موضعها قد تغير: "جلست توي على الكرسي ذي الذراعين الليلة الماضية، في الظلام، وراقبتني وأنا نائمة. أعلم أنك كنت تراقبيني يا توي. والآن أعلم أن سبب مراقبتك لي هو معرفتك بأنني وجدت مكان المخدرات".

قالت تويلا وقد بدا أنها في حيرةٍ من أمرها: "أُمي، ما خطبها؟ لماذا تفعل ذلك؟". قالت جولي وهي تنتقل إلى الجانب الأول من الحقيبة باحثةً بين الملابس أيضًا: "أنا أفعل ذلك لأنه الفعل الصحيح. أين أخفيتها يا توي؟ افتحي حقيبة يدك. إنها حقيبة كبيرة. دعينا نرى ماذا يوجد في الحقيبة".

قالت الأم: "أنت تبالغين يا جولي. اجلسي يا عزيزتي، وهدئي نفسك". "أنا لا أبالغ يا أُمي. أنا لا أبالغ أبدًا، ولم أبالغ أبدًا في حياتي".

اقتربت تويلا من السرير، وقلّبت حقيبتها رأسًا على عقب. وفتحت أقسامها جميعًا. فسقطت محتوياتها على الملاءة. "انظري يا جو. هل ترين؟ لا وجود لمحاقن،

لا وجود لمخدرات. إلا إذا كنت تعتبرين قطارة العين مخدرًا". حملت الحقيقة وقالت:
"خذي، هيا، خذيها، تأكدي من عدم وجود شيء فيها".
قالت جولي: "لقد علمت أنني وجدتها. ولذلك تخلصت منها في ليك فورست.
إني أحبك توي. أنا فقط أحاول مساعدتك".

"أنا أصدق أنك تحاولين ذلك يا عزيزتي. أصدق أنك تحاولين مساعدتي، لكنني
لست بحاجة إلى المساعدة، ولا أفهم من أين يأتي كل هذا".
"لقد جلست الليلة الماضية تشاهدينني وأنا نائمة. لماذا تراقبينني؟ لأنك علمت
بأنني وجدت المخدرات والإبر".
أنا لم أراقبك يا جو. لقد نمت كالحجر".

شعرت جولي أنها على وشك التقيؤ. شعرت بالصدمة من قدرة تويلا على
الكذب بتلك الجرأة، والتي بدت فعالة جدًا. "كالحجر إذاً. أليس كذلك؟ نعم، مثل
حجر بلارني. كل هذا الكذب يجعلني أتقيأ. أنت تشعرينني بالاشمئزاز يا توي، ما
الذي تحاولين القيام به هنا، أنت حقًا تثيرين قرفي".

أحضرت الأم علبه كوكاكولا من البار الصغير وسكبت كوبًا: "خذي يا جولي.
اجلسي، وهدئي من روعك". وساعدتها على الجلوس على كرسي ذي ذراعين:
"اشربي هذا يا عزيزتي، اشربي كي تهدأ أعصابك".
أخذت جولي الكوب، وعبست ناظرة نحوه وقالت: "من يشرب الكولا لتهدئة
أعصابه؟".

ذكرتها أمها: "أنت قلت إنك على وشك التقيؤ. والجميع يعلم أنه يمكن للكولا
أن تهدئ معدة مضطربة".

قالت تويلا: "خذي نفسًا عميقًا يا جو، اشربي الكولا، وبعد ذلك ستحدث،
وسأجيب عن جميع أسئلتك. إن هذا بأكمله مجرد سوء تفاهمٍ سخيف".

فجأةً سمعت جولي نفسها تتنفس بقلبي، وشعرت بأنفاسها تتسارع وتقطع، إنها
تستهلك الهواء بإفراطٍ مثل طفل خائف، وهي لا تدرك المعاناة التي تبديها. في الواقع
لم تكن خائفةً، بل قلقًا على تويلا، ومحبطةً من إدراك تويلا لشكوكها ومحاولتها
لإخفاء أو تدمير الدليل. لكن المدمنين هم من أكبر المخادعين على المستوى

العالمي، يخذعون أنفسهم ويخدعون الغير. الجميع يعلمون هذا.

قالت جولي وهي تحاول أن تكون هادئة وعقلانية بالرغم من انفعالها الشديد: "اجعلي تويلا تكشف ذراعيها يا أمي. سترين آثار الإبرة عليهما، اطلبي منها أن تريك".
قالت الأم: "أنت تخيفيني الآن يا جولي. ليس من عادتك أن تتفوهي بأشياء فظيعة مجنونة عن أختك".

قالت تويلا: "لا بأس يا أمي. انظري، انظري إلى هنا. سحبت كم سترتها الأيمن إلى الأعلى، متجاوزة مرفق يدها بكثير. كان جلدها ناعماً وأملس. ولا توجد علامات لحقن ذاتها. "انظري هنا". ورفعت كم سترتها الأيسر. بشرة لا تشوبها شائبة. "كل هذا مجرد سوء فهم سخيف. اهدئي يا جو، اشربي الكولا، سنتحدث عن الأمر، وسنحله".
جلست الأم على ذراع الكرسي، وهي تمسد شعر جولي بيدها: "أرجوك يا عزيزي، دعينا نتصرف برشد هنا. اشربي الكولا واهدئي، وسوف نعمل على حل الأمر".

حثت جولي كثيراً على شرب الكوكا كولا، أكثر بكثير من المعتاد. وخلال لحظات أصبحت هادئة، وتماكنت نفسها كرجل محكوم بحبل يلتف حول رقبتة وباب خفي تحت قدميه ولديه بضع ثوانٍ للتفكير في طريقة للإفلات من حبل الجلاد. جلست الأم على ذراع الكرسي، إحدى يديها الآن على كتف جولي. ووقفت تويلا أمام الكرسي، تلوح أمامه. وهي تحديق إلى كوب الكولا الغازية، وكذلك فعلت الأم. كما لو أن الكوب هو الكأس المقدسة والكولا هي النبيذ الذي سيتحول إلى دم.
قالت جولي: "أوه، تباً".

رفعت الأم نظرها عن الكوب، وكذلك فعلت تويلا.
نهضت جولي كالبرق عن الكرسي، وسكبت الكولا في وجه أختها...

11

كما تم الاتفاق، فقد تبعت جين بيرني ريغويتز إلى ضواحي توكسون، على بعد أقل من ساعة من وكالة السيارات غير المألوفة التي يديرها إنريكي دي سوتو، حيث ركنا سيارتهما جنباً إلى جنب في مرأب السوبرماركت. وقاما بنقل حقائب جين وحقية الظهر الخاصة بها من سيارة المرسيديس إلى الفورد إكسبلورر.

قالت: "من الأفضل أن تخلع تلك القبعة، أو قد يقبض عليك شرطي ما بتهمة
ترؤسك لعصابة".

"من كان يدري أنني يمكن أن أبدو مثل قاتل متحجر القلب؟ اكتفيت من موضوع
التقاعد، لدي الآن مهنة جديدة أنني أجد التشخيص".
"أنت شخصية بحد ذاتك، وهذا أمر مؤكد".

تعانقا، ثم قبلته على خده، وطلب منها أن تنتظر، فهناك شيء يريد أن يعطيها إياه.
أعطاها رقم هاتف الآيفون الخاص به، وعنوانه في بروكلين، وعنوان ابنته في
سكوتسديل، ورقم هاتف ابنته، واسم ورقم ابن أخته، وهو أخصائي في علاج اللثة، في
حال احتاجت في أي وقت إلى عملية زرع أسنان، وبطاقة من مخبز في سكوتسديل لأن
خبزهم (شالاه) الفرنسي أشهى من أن تتخيل، بالإضافة إلى واحدة من صور ميريام
التي حملها في محفظته بينما كان يسافر عبر البلاد مرافقاً روحها.

بعد عناقٍ آخر، ركبت جين سيارة الإكسبلورر، وأغلقت الباب، وانحنى بيرني إلى
النافذة المفتوحة: "أشعر حقاً كما لو أنك حفيدتي يا أليس، وأخبريني بصدق: هل
ستكونين بخير؟".

"لدي فرصة في ذلك يا بيرني. ما الذي يملكه أحدنا غير تلك الفرصة؟".
"مهما يكن الأمر الذي ورطت نفسك به، أتمنى أن تخرجني نفسك منه قريباً.
وبالنسبة إليّ، أنت تستحقين أكثر من فرصة، أنت تستحقين الأفضل".
ترددت قليلاً ثم قالت: "أحقاً لا تعرف من أكون؟".

"هل يجب أن أشاهد الأخبار، أو أقرأها؟ هاه! إنها مجرد أكاذيب أو أشياء محبطة
أو أنها أكاذيب محبطة. لست بحاجة لمعرفة لك لأعرف من أنت حقاً".

12

... سكبت جولي الكولا في وجه تويلا ودفعتها إلى الخلف على سرير غرفة
الفندق.

نهضت الأم عن ذراع الكرسي وصرخت: "جولي، توقفي عن هذا!"، وأمسكتها.
خلّصت جولي نفسها، وذهبت نحو الباب.

كان هناك قفل ذو مزلاج، وسلسلة للأمان على الباب. قبضت الأم على يد جولي بإحكام محاولةً منعها من فك السلسلة. "نحن فقط نريد الأفضل لك يا عزيزتي. إن هذا في صالح الجميع، إنه حقاً كذلك".

لم ترفع جولي يدها على والدتها في حياتها. حتى الآن، لم تتخيل أبداً وضعاً حيث تهاجم فيه إحداهما الأخرى.

وجدت نفسها ضعيفةً بلا دفاع أمام الحب، غير قادرةٍ على توجيه ضربةٍ. أبعدت الأم جولي عن الباب، وضغطتها عليه، وثبتها هناك. لم يعبر وجه الأم عن الغضب، بل فقط عن القلق.

"لا بأس يا عزيزتي. أنت لا تفهمين ما الذي يجري، ولكن الأمور ستكون على ما يرام. هل سأفعل أي شيء لإيذائك يا حبيبتى؟ بالطبع لن أفعل هذا. لقد أحضرتك إلى هذا العالم، وأريد كل شيءٍ جيدٍ من أجلك. فقط الأفضل".

فصلت عدة بوصاتٍ بين وجهيهما، واختلطت أنفاسهما. نظرت جولي عميقاً باحثةً في عيني أمها. لم تستطع رؤية شيءٍ مختلفٍ في تينك العينين، لا أثر للتهديد فيهما. قالت جولي وهي تشعر بالفرع إزاء سماع صوتها يرتجف: "أنا فقط أود الخروج لأمشي قليلاً". كانت تلك والدتها، إلا أن جولي أحست بخطر إظهار ضعفها. "أنا فقط بحاجةٍ لأستنشق بعض الهواء النقي، وأصفي رأسي".

"يجب علينا البقاء هنا يا عزيزتي، في حال اتصل بنا صديق والدك. وعلى أي حال، لا يمكنني السماح لك بالذهاب في نزهة وحدك، فتاة صغيرة جميلة في مدينةٍ غريبةٍ". مسحت تويلا الكولا عن عينيها. ورفعت حقيبة أمها على السرير، وقالت: "اسمعي كلام أمنا يا جو. لا أعلم لم انقلبت ضدي فجأةً، ولكنك تعلمين أن أمنا تقف إلى صفك".

قالت الأم: "عزيزتي جولي، أنت ترتجفين مثل ورقة شجرٍ. ما الذي يحدث داخل خيالك المجنون هذا بحق السماء؟ لنعد إلى الكرسي ولتجلسي، وسأحضر لك كأس كوكا كولا أخرى".

قالت تويلا وهي تفتح الحقيبة: "كان عليك أن تشربي الكولا البارحة في ماكدونالدز، تلك التي طلبتها مع التحلية".

ابتسمت الأم وهي لا تزال تضغط جسد جولي على الباب وقالت: "كان ذلك سكرًا كثيرًا، كولا مع التحلية! هذا ما قلته. وأنت على حق بالطبع".
إذًا من المؤكد وجود مهديٍّ ما في الكولا.

قالت تويلا: "عندما عدت من الحمام مع أمي، شربت كوب القهوة بأكمله، لو أنك شربت الكولا بدلًا منه، لما كنت مضطربةً جدًا الآن".

ابتسمت أمها. كانت أنفاسها دافئة ذات رائحةٍ طيبة. وقد ذكّرت جولي برائحة الخبز الطازج. وبدا صوت والدتها ناعمًا ومطمئنًا: "تويلا على حق يا عزيزتي. لماذا أصبحت مضطربةً هكذا؟ هل ترين، أنا لست مضطربةً. لم يكن هناك داعٍ لكل هذا يا حبيبتي. لنعد ونجلس على الكرسي ونحترم بعضنا بعضًا".

أخرجت تويلا إبر المحاقن والصندوق المعدني العازل من حقيبة والدتها. ووضعتهما على ملاءة السرير.

سألت جولي: "ما الذي سيحدث لي؟".

قالت الأم وهي تضحك ضحكةً ناعمةً، تطغى عليها العاطفة كما لو أن عدم فهم ابنتها الصغيرة كان شيئًا لطيفًا: "يحدث لك؟ لن يحدث لك شيء يا عزيزتي. أنا أحب الحس الدرامي الذي لديك. سوف تصبحين كاتبةً عظيمةً يومًا ما، كاتبةً عظيمةً حقًا".

"ماذا بشأن تلك الإبر إذًا؟".

"أنت تأخذين لقاحًا ضد الإنفلونزا كل سنة، أليس كذلك؟".

"هذا لا يتعلق بالإنفلونزا. إنه ليس وقت لقاح الإنفلونزا، وعلى أي حال، فالطبيب هو من يعطي اللقاحات".

بدا صوت والدتها مهددًا ومنطقيًا وهي تقول: "اووه، ليس فقط الأطباء يا جولي، الممرضات تعطي اللقاحات. وأحيانًا يعطيها الصيادلة. يمكن للأشخاص بأقل قدرٍ من التدريب إعطاء اللقاحات في المخازن الكبيرة، أماكن كهذه. وقد أخذت لقاحًا للإنفلونزا في مخزنٍ كبيرٍ يا عزيزتي، وقلت إنه لم يكن مؤلمًا أبدًا. هل تذكرين هذا؟ بالطبع تذكرين. وأنت على حق حبيبتي، فهذا ليس له علاقة بالإنفلونزا. إنه شيء أكثر أهمية من لقاح إنفلونزا سخيّف".

كلما تفوهت أمها بكلمةٍ أخرى، ابتعدت أكثر عن كونها أمها. لم يوجد سوى كلمةٍ واحدةٍ لوصف الوضع الذي بدت عليه الآن: متملقة. مستدرجة. كانت تحاول بجهدٍ تهديئةٍ جولي، عبر إضافة طبقاتٍ كثيرةٍ من الطمأنينة.

قالت جولي: "أشعر بالدوار". وقفت بتصلبٍ تشد كتفها بينما تضغط أمها عليهما نحو الباب. تراجعت، وشعرت فجأةً بالضعف: "أنا بحاجةٍ للجلوس". "كلنا نحتاج للجلوس يا حبيبتي. لنجلس ونحاول حل الأمور". ذهبت تويلا لتحضر عبوة كوكاكولا أخرى من البار الصغير.

قالت جولي وهي ترتجف: "حسنًا، لنجلس بينما تخبريني ما الذي يحصل".

أفلتت الأم جولي بينما لا تزال تثبتها على الباب بثقل جسدها. ابتسمت وقالت: "ها قد عدت جولي التي أعرفها". وعندما نظرت إلى عيني جولي باحثةً عن أي تعبيرٍ، وضعت يدها على وجه ابنتها وأخذت تمسدها مظهرًا المودة والعاطفة، سواء كانتا حقيقتين أم لا.

كرهت جولي ما أقدمت عليه، لكنها لم تتراجع فعضت يد والدتها. عضتها بقوةٍ حتى أحست بطعم الدم، فصرخت أمها من الصدمة والألم. تراجعت الأم إلى الخلف، فلحمتها جولي على معدتها بقوةٍ وأسقطتها على ركبتيها بجانب السرير.

كانت محفظة أمها على المنضدة القريبة. أمسكتها جولي، استدارت نحو الباب، وفكّت سلسلة الأمن، وفتحت الباب، وأغلقتة بقوةٍ خلفها، وشرعت تركض. كانت غرفتهن في الطابق الثالث. حيث توجد سلالم عند طرفي الممر. لا وقت للمصعد الآن.

عندما فتحت جولي باب بيت السلم، سمعت وقع خطوات تركض خلفها. نظرت إلى الوراء. إنها تويلا.

كانت تنزل على الدرج مسرعةً، وبدت كأنها تبتعد وتصغر كلما اقتربت، تزيد الخطوة تلو الأخرى كما لو أنها تنزل سلمًا لا نهاية له. كانت جولي في حالة. لم تمر بها من قبل. مزقتها المشاعر المختلطة؛ خائفة ولكنها في الوقت نفسه تبكي بحزن لأنها

فقدت والدتها وأختها بطريقةٍ ما - كيف ولماذا ولأي سببٍ؟ - شعرت كأنها تحترق من العار لأنها آذت والدتها، لكنها فخورة بشدة بنفسها لأنها هربت. كان العالم متذبذبًا إلى درجةٍ كبيرةٍ منذ أن قتلت كورا غندرسن نفسها وأشخاصًا آخرين في الفندق، ولكن خلال الأيام الثلاثة الماضية أصبح كل شيءٍ متذبذبًا بشكلٍ أسرع من أي وقت مضى، والآن خضع العالم فجأةً إلى تحوّلٍ قطبي كلي، شمالًا جنوبًا، الزاوية الجديدة من الدوران الرهيب لنهاية العالم.

شعرت جولي كما لو أن القشرة الأرضية تنزلق بشكلٍ مدمرٍ بين قدميها لتشكل وضعيةً أخرى، قاراتٍ جديدةٍ كليًا تتصادم وتتداعى على بعضها، ومعها تتداعى جميع أعمال الإنسانية لتتحول إلى أنقاض، وتسونامي يبلغ ارتفاعه ميلًا يخرج بسرعةٍ من أعماق البحار، مجازيًا إن لم يكن حرفيًا.

بينما كانت قدماها تصطدمان بظهرها، وقلبها يخفق بشدةٍ، ركضت إلى الطابق الأرضي، وفتحت باب الخروج الاضطراري، وأسرعت على طول الممر، وركضت نحو الردهة، فتحت حقيبة والدتها، وأخذت منها هاتفها المؤقت.

سمعت أختها تناديهما بالقرب منها، وعندما دخلتا إلى الردهة صاحت تويلا: "ساعدوني، فليساعدني أحد ما، ساعدوني لأوقف أختي! إنها تهلوس، إنها تتعاطى المخدرات".

توقفت جولي، واستدارت وهي تلقي محفظة الأم، وضربت بها تويلا مباشرةً على وجهها. تعثرت تويلا وربما سقطت، لكن جولي لم ترغب في رؤية ذلك. ركضت نحو المدخل الأمامي، وعندما تحرك الناس محاولين اعتراضها، صرخت عليهم وشتمتهم، صرخت بشدة لدرجة أن لعابها تطاير في الجو. لم يسبق لها أن شتمت، لكنها تشتم الآن، وصرخت بالشتائم، كما لو كانت بالفعل شخصًا مجنونًا يتعاطى المخدرات، ولكن ما من شيء يههما الآن سوى الهرب، وعندما أدركت وجود دمٍ على ذقنها، دم والدتها، صرخت في الحشد قائلةً: "سأعضكم".

قالتها حين شعرت بأن الشتيمة لم تأتٍ بمنفعةٍ. من خلال المدخل الأمامي، ركضت من دون توقف إلى الخارج حيث البرد، وأخذ قلبها يخفق بشدة لدرجة أنها شعرت بالاهتزاز مع كل نبضةٍ، كما لو أن هزاتٍ قويةً تجعل لحمها وعظامها يرتجفان

على طول خطوط الصدع في جسدها، بينما تحرق أنفاسها حنجرتها. حين تجرأت أخيراً ونظرت إلى الخلف، لم يكن أحد يلاحقها، لكنها تابعت الركض.

13

لم تتمكن جين من فعل أي شيء حتى الآن. ستذهب لتلاحق ديفيد جيمس مايكل حيث سيكون بالفعل، وهو بلا شك في الطابق التاسع من مبناه في سان فرانسيسكو، ولكن ليس اليوم، ولا غداً. قلة النوم، والإجهاد المفرط، والكثير من المشاعر التي بذلتها تركتها ترتجف، بعضلاتٍ متوترة، وعينين محببتين، وتفكيرٍ مبهم.

حجزت غرفة في فندق توكسون حيث قضت أطول حمامٍ في حياتها، وتركت الماء الساخن يخرج بعض الأوجاع منها.

بعد أن ارتدت ملابس نظيفةً جديدةً، أخذت من محفظتها رخصة قيادةٍ باسم ميليندا جون غارلوك، واستبدلت بها أخرى باسم إليزابيث بينيت. أزال الشعر المستعار الأحمر والنظارة المزيفة، وارتدت السترة الممزقة كثيراً من طراز فوغ. وثبتت خاتم أنف على منخرها الأيمن، على شكل أفعى فضية بعين ياقوتة صغيرة، وطابقت العينين الزرقاوين مع أحمر الشفاه. مرحباً بك يا ليز بينيت.

بعد إلقاء مفتاح الغرفة على السرير، غادرت غرفة الفندق من دون أن تنام هناك. بعد ساعة، في كازا غراندي، في فندق بيست ويسترن سويتس، أبرزت ليز بينيت رخصة قيادتها إلى مكتب الاستقبال عوضاً عن بطاقة الهوية، ودفعت نقداً مقابل جناحٍ صغيرٍ مع سرير بحجم ملكي مزدوج.

14

يقع فندق كورتبارد ماريوت قرب مطار إنديانا بولس الدولي، كما يوجد عدة فنادق أخرى في المنطقة.

لم ترغب جولي في الذهاب إلى أي منها، لأن أمها وأختها - ومن يعلم من هم الذين يمكن أن تستدعيهم - قد يبحث عنها الآن. ولكنها لم تعلم أي مكانٍ آخر

يمكنها الدخول كأنما تنتمي إليه، ولذلك اختارت أكبر فندقٍ، بستة طوابق على بعد ميلٍ من ماريوت.

جلست على كرسي مريح في الردهة، غير مواجهةٍ للباب بشكل مباشر ولكن مع رؤيةٍ كاملةٍ للمدخل، مستعدةٌ للهرب إذا رأت وجهًا متحبيبًا مع تعابيرٍ مخيفة. كانت تحمل الهاتف المؤقت، وقد كتبت أمها عليه بقلمٍ حبر غير قابلٍ للمحي رقم والدها المؤقت في حال نسيته.

حاولت جولي التفكير بما كانت ستقوله لوالدها، تاهت الكلمات التي يمكنها أن تقنعه بأن الاتهامات التي قد تبدو جنونيةً هي حقيقة، أمسكت الهاتف بإحكامٍ بكلتا يديها. لم يكن هذا مجرد هاتف خلوي، بل رابطتها الثمينة بماضٍ مستقر، بمن تبقى من عائلتها، بأي أمل تجرأت على التفكير به. في هذه المدينة التي لم تطأها قدمها من قبل، كانت وحيدةً من دون أي مال، ومن دون بطاقة هوية. لقد تركت حقيبتها في الغرفة في فندق ماريوت، وركنت سيارة الخالة تاندي الدودج في فندق ماريوت، لكنها لم تمتلك مفتاحها. على أية حال، لم تجرؤ على العودة إلى هناك خوفًا من أن تكون أمها أو إدارة الفندق قد اتصلا بالشرطة. ركضت عبر البهو مثل المجانين، مهددةً بعض الناس، لذا ربما تريد الشرطة وضعها تحت المراقبة في المستشفى. سيخندرونها في المستشفى على الأرجح. وإن خدرت ستصبح عاجزة عن فعل شيء. وعندما ستستيقظ، ستكون تويلا وأمها هناك، ولن تعرف ما إذا كانتا قد حققتا أم لا بينما كانت نائمة. كلا، هذا خطأ. قد تعرف في وقتٍ ما، ولكن بعد فوات الأوان، ولن تتمكن من إنقاذ نفسها. وبعدها ستصل بشخص ما بذات الطريقة التي اتصلت بها تويلا، وستفعل كل شيء بغيبض أمرها بأن تفعله. الشيء الذي تحمله في يديها لم يكن مجرد هاتف بل تعويذة قادرة على إخراجها من الظلمة الحالية إلى النور مجددًا، فقط إن تمكنت من استجماع قواها والتفكير بما ستقوله لأبيها.

يذاها تلفانه بإحكام، رنّ الهاتف. شهقتُ وارتعشت في كرسيها، وكادت أن تصرخ من المفاجأة. كادت أن تسقط الهاتف وأجابت بعد الرنة الثالثة: "أبي؟".

لحظة تحدثها، أدركت أن والدتها قد تذكر هذا الرقم، وربما يكون المتصل والدتها أو تويلا. ربما بطريقة ما لحظة إجابتها، تمكنا من معرفة موقعها. التعويذة السحرية قد تعمل في كلا الاتجاهين.

لكنه كان أباه: "جولي؟ هل هذه أنت يا فتاة؟".

ستنتهي صلاحية الهاتف، سينقطع الاتصال، بالتأكيد ستحدث مصيبة قبل أن تتمكن من وضع الكلمات الصحيحة معًا ونطقها. لكن لم تحدث مصيبة، وبعد قليل من التردد، قالت جولي: "أبي، لماذا فعلت كورا غندرسن ذلك الشيء الفظيع؟ هل حقنها أحدهم بمخدر أو شيء من هذا القبيل، هل أمروها بفعل ذلك؟".

تردد الأب أيضًا، وظنت جولي أن الاتصال قد انقطع بالفعل، لكنه قال: "ما الخطب يا ابنتي العزيزة؟ من أين لك هذه الفكرة؟".

كان الناس يعبرون البهو جيئةً وذهابًا - عمال الفندق مع عربات الأمتعة، الضيوف - ولكن لم يعر أحد جولي تيلمن أدنى انتباه. لم يجلس أحد على كراسي البهو القريبة الأخرى.

تدفقت الكلمات كسيل غير مستقر: "شخص ما حقن تويلا، وأنا لا أعرف من أو لماذا، ولكن كان لدى تويلا حقن وأنايب، كانت في حقيبتها، وحقنت أمني أثناء نومها، خدرتها وحقنتها، وبعدها حاولنا حقني، فاضطرت لعض أمني وضربها بقوة". بدأت جولي بالبكاء: "أبي، كان الأمر فظيعةً جدًا، اضطرت لعضها، كانت أمني، ولم تكن كذلك، عضضتها، كان أسوأ شيء على الإطلاق".

أصببت بالانهيار، وخسرت الفرصة لإقناعه، وتكلمت بصخب كالأولاد. قال الأب: "يا إلهي". وعرفت أنه حسبها فقدت عقلها. وأردف: "رباه" مرة أخرى في أبشع طريقة. قالت: "هذا حقيقي، يا أبي، يبدو الأمر غير منطقي لكنه حقيقي حقًا، رجاءً صدقني". ارتجف صوته. كانت العاطفة تخنقه: "جولي، يا إلهي، أنا أصدقك"، بالرغم من متابعته الكلام، بدأ في البكاء، هو الذي لم يبك بسهولة أو ربما لم يسبق له أن بكى، عندها أيقنت جولي بعد كل تلك الشكوك أن حياتها تغيرت بشكل تام وإلى الأبد.

15

قال والدها أن شخصًا ما في إنديانا بولس جاهز لمقابلتهن، وقد اتجه للتو نحو فندق ماريوت، واضطر للاتصال فورًا وإرسال ذلك الشخص إلى جولي عوضًا عن الفندق. ثم أدرك أنه عندما استيقظت الأم صباحًا وكانت مختلفة، ربما أعطت رقم

هاتفه للأركاديين أيًا كانوا. ولم يعلم ما إذا كان لديهم القدرة على العثور عليه عن طريق هاتفه الخلوي بمجرد أن يعرفوا الرقم؛ لكنه لم يستطع المجازفة، دمر الهاتف بمجرد أن أنهى المكالمة، واستخدم هاتفًا آخر للاتصال بالشخص على الطريق. كما أنه لم يعرف - رغم استخدامه خطأً مسبق الدفع - ما إن كان الأشخاص الخطأ يستمعون في هذه اللحظة، لم يعتقد أنهم كذلك، لكنه لم يرد أن يذكر اسم الشخص المتجه لجولي أو يعطيها وصفًا له. اكتفى بالقول للشخص المناسب، الشخص الذي أرسله، سيعرف جولي لأن جولي كانت في السابعة عشرة، جميلة، متوسطة الطول، وسوداء البشرة. وستأكد جولي أن الشخص الذي جاء إليها يمكن الوثوق به إن أخبرها بشيء لا يعرفه أحد سواه وأبيها.

انتهت محادثتهما السريعة، وذهب والدها قبل أن تدرك جولي تمامًا أن الهاتف في يدها لم يعد قادرًا على الوصول إليه، لأنه أقفل هاتفه المؤقت ودمره. أصبحت معزولة أكثر مما كانت عليه قبل دقيقتين فقط. الآن لم يعد بإمكانها الاتصال بأحد. لا جدتها، ولا الخالة تاندي في ماديسون، وربما أصبحنا مثل أمها وتويلا. لم تكن جولي متأكدةً من إمكانية الوثوق بهما.

مرت الدقائق الخمس التالية كما لو أنها دهر، وتوترت عند وصول أي شخص جديد إلى الفندق. أحببت مطالعة جميع أنواع الكتب، وقرأت الكثير من روايات التجسس، لكنها لم تجد التخفي والغموض، فهي انفعالية جدًا.

الشخص المناسب، الصديق، تبين أنه آخر شخص توقعته جولي. شقراء، ترتدي قميصًا أبيض وسترةً دنيم سوداء وبنطال جينز أسود. من الصعب تحديد عمرها؛ ربما كان أربعين أو خمسين. حذاؤها الأسود من الجلد المدروز بشكل متقن والمطعم باللون الأزرق الفاتح، وضعت أقرطًا من الألماس المتدلي حتى في وضوح النهار. اتجهت نحو جولي مباشرةً، التي وقفت أثناء اقترابها منها، وفي لهجة شبيهة بلهجة أهل تكساس، قالت: "عزيزتي، عندما كنت فتاةً صغيرة، اعتاد والدك اختلاق قصصٍ مضحكةٍ لك فقط، قصص عن فأرٍ برتبة مأمور اسمه ويسكرز".

أعجبت جولي بالمرأة، وكانت لتثق بها حتى لو لم تعرف بشأن المأمور الفأر ويسكرز.

"كيف حالك يا صغيرتي؟".

"أنا في حالٍ يُرثى لها. خائفة، حزينة، مسمتزة، ولكنني صامدة".

قالت المرأة: "أنا وأنت، سنصمد معًا. أنا نادين ساكيت. والدك في منزلنا في تكساس، وسنأخذك إليه. ولكن الخطط تغيرت فجأة، لذلك سنسلك طريقًا ملتفًا. عندما نركب سيارة الأجرة، لن نذكر أسماء، وكل ما سنقوله لن يكون صحيحًا، أفهمت يا عزيزتي؟".
"نعم. فهمت".

وصلت نادين في سيارة أجرة، لكنها لم ترد أن تغادر المكان فيها. خرجتا من مدخل جانبي. دون أن تستخدم الرصيف على طول الشارع، عبرتا من أراضي هذا الفندق إلى موقف للسيارات في فندق مجاور. وفي المكان الجديد، أوقفت نادين سيارة أجرة، واستقلتاها عبر مركز المدينة نحو مبنى المؤتمرات.

من هناك مشتتا إلى ويستن إنديانا بولس، أكبر وأجمل فندق رآته جولي على الإطلاق. بالرغم من أن نادين لم تكن نزيلة، إلا أنها استعانت بطريقة ما بالبواب في حجز سيارة خاصة، وقبل مضي نصف ساعة كانتا على الطريق في سيارة كاديلاك إسكالايد.

"كنا ذاهبين لنأخذكن جميعًا، أنت، وأمك، وأختك، إلى المطار هنا ثم إلى خارج البلاد، ولكن عندما حدثت هذه الأمور الفظيعة، لم يعد بإمكاننا ذلك. لعل الأشرار لا يجوبون المحطات حتى الآن، لكن لاحقًا سيشهدون جميع التسجيلات، محاولين اكتشاف أين ذهبت وبصحة من. لذا أنا وأنت، سنقود إلى سانت لويس، حوالي أربع ساعات عكس اتجاه الرياح. بحلول ذلك الوقت، ليلاند وكيلسي سيكونان بانتظارنا هناك مع طائرة خاصة، وسنحلق بعدها".

بالإضافة إلى كل ما حدث في هذا اليوم، فإن السرعة والثقة اللتين تعاملت بهما نادين مع الوضع الحالي ساعدتا في طمأنة جولي وتشويشها قليلًا أيضًا: "من هما ليلاند وكيلسي؟".

"ليلاند هو الوغد الذي تزوجني عندما كنت في التاسعة عشرة، أما كيلسي بودين فأرسل إلينا في المزرعة عندما كان في الرابعة عشر من العمر، كان صارمًا كحانوتي مصابٍ بالإمساك عندما قابلناه في البداية. في تلك الأيام، لم يكن الفتى يستطيع التمييز

بين البغل والحصان والمهر، وظن نفسه متبلد العقل، وكانت هذه أسوأ الأكاذيب التي زرعتها العالم في رأسه. إنه في الثالثة والعشرين الآن، ويعمل ملاحًا مع ليلاند في كل مرة يحلق. ربما سيعجبك كيلسي الشاب. أعلم أنه سيعجب بك، فما من شاب يمتلك قلبًا وعينين لا يمكنه الإعجاب بك".
"لديك طائرة خاصة؟".

"عزيزتي، لا تتوقعي رؤية طائرة ضخمة كقصر سماوي. إنها مجرد طائرة ليارجيت قديمة، تتسع لاثني عشر راكبًا، لكنها طريقة مريحة للتنقل".

بالنسبة إلى جولي، تلك الرحلة إلى سانت لويس كانت مثل القيادة من مقبرة بعد جنازة ما، تميزت بالحزن والكرب والقلق بشأن المستقبل، لكن أيضًا مثلت قليلاً الانخراط في رحلة هاري بوتير الأولى من منصة تسعة وثلاثة أرباع في محطة كينغز كروس إلى مدرسة هوجورتس. كانت نادين شخصًا متحدثًا؛ تحدثت عن نفسها وعن ليلاند، وعن منزل ساكيت والمدرسة، وكذلك عن مجموعة متنوعة مبهرة من الأشياء الأخرى، ودفعت جولي للتحدث عن نفسها، أكثر مما فعلت منذ زمن طويل. ومع ذلك، وحتى وصلتا المحطة الخاصة في مطار سانت لويس الدولي وصعدتا على متن ليارجيت وحلقتا في السماء، لم تستطع جولي تذكر أكثر من جزء مما قالته أي منهما. عندما أصبحت حياتها بين أيدي السيد ساكيت وكيلسي بودين، سيطر الإنهاك على جولي. ولأنها لم تنم منذ ليلتين، ظنت أنها لن تنام جيدًا مرة أخرى، نظرًا لما يمكن أن يحدث لك في نومك. ومع ذلك، غطت في نوم عميق بينما عبرتا السماء باتجاه تكساس.

16

في كازا غراندي، البلدة التي يقطنها خمسون ألف نسمة، وجدت جين مطعمًا نبهه جيد. شربت كأسين من كابرنيت ساوفينيون وأكلت فيليه مينيون، وكانت واثقة من مظهرها الذي يشبه إليزابيث بينيت، فشعرت بالأمان.

احتوى الفندق ذو النجوم الثلاثة تلفازًا يعرض قنوات فضائية، والتي لم تكن مهمة بها، ومذياع سيربوس. ضبطته على إذاعة الموسيقى الكلاسيكية، حيث استمعت إلى عزف غلين غولد على البيانو لمنوعات غولديبرغ لباخ.

خلطت بعض الفودكا والكولا، وجلست على الأريكة، وحملت ثلاثة أشياء بين يديها. القلادة التي أعطاها إياها ترافيس لجلب الحظ، خاتم زفافها الذي لم تعد قادرة على وضعه في إصبعها في العلن. صورة صغيرة لميريام ريغويتز، زوجة بيرني التي فقدتها قبل عام. تلونت موسيقى غولد الرائعة بكل من الفرح والمعاناة، شاقّة طريقاً إلى القلب عبر العقل، مسيطرة على فكر المستمع وعواطفه، حتى أصبحت تلك الجوانب من التجربة الإنسانية، المتناقضة أغلب الوقت، موحدة وشفافية.

بينما أطربت الموسيقى جين، بدت مأسورة بصورة ميريام، قرأت ذلك الوجه الصافي والرقيق كما لو أنه رواية، موحياً لها بقصص ليس بإمكانها معرفة إن كانت حقيقية. أدركت أنها ستعيش الآن من أجل أمثال ميريام في العالم، وقد تموت لأجلهم: الناس الذين أمضوا حيواتٍ كاملة غير مكترئين بالشهرة أو المعتقدات التي أثارَت من يصفون أنفسهم بالنخبة.

على امتداد القرون، ميريام وبيبرني والملايين من أمثالهما كانوا ينابيع المجتمعات الحرة والمدنية، وهذا ما جعل أمثال ديفيد جيمس مايكل يحتقرونهم ويتوقون لقمعهم. لطالما كانت الحرية والمدنية عائقين في وجه السلطة المطلقة والتمجيد الذي قد يطلبه ذوو الهيمنة من الآخرين.

لم ترد شرب كأس فودكا آخر. خلعت ملابسها، استلقت في السرير، وأطفأت نور المصباح. مسدسها تحت الوسادة التي يستحيل لزوجها وضع رأسه عليها، استلقت في الظلام وتحت عرش الموسيقى. ربما هي امرأة وُلدت في الحقبة الخاطئة، ربما كان الماضي ليناسبها أكثر، امرأة بعيدة عن الحاضر في أكثر من معنى واحد. أثناء النوم، لم يكن الوقت موجوداً ليضايقها. ما من ساعة حسابٍ لتفزعها، للمرة الأولى لا طفل في خطر.

17

ذهبت جين يوم السبت إلى المكتبة في كازا غراندي، واستخدمت حاسوباً للبحث عن مراجع حديثة تذكر ديفيد جيمس مايكل. من الواضح أنه حرصاً على أمنه الشخصي، لم يعلن إلا في اليوم السابق أنه سيحضر احتفالاً خيرياً يوم السبت التالي في سان فرانسيسكو لاستلام جائزة إنسانية.

شكت بأن ظهوره في الحفل كان طعمًا يُقصد به أن يجذبها إلى ذلك المكان، لتفحصه تحسبًا لاحتمال أي اعتداءٍ عليه. وستأكد من أنها لن تتجول على مقربةٍ من ذلك المكان. أمضت بضعة دقائقٍ فقط في المكتبة، ومن هناك قادت سيارتها ثلاث ساعات إلى يوما، أريزونا، حيث أمضت الليلة.

في الحادية عشرة صباح يوم الأحد، وصلت إلى سان دييغو، واستخدمت هاتفًا مؤقتًا للاتصال بالرقم الذي أعطاها إياه أوتيس فوتشر.

عندما أجاب رجل ما، لم تعرف جين عن نفسها: "أعتقد أنك كنت تتوقع اتصالي منذ الأربعاء".

"متى تريدان أن نتقابل؟".

"في أقرب وقت ممكن".

"الساعة الثانية". أعطاهما عنوانًا في لاجولا.

في أحد أرقى أحياء سان دييغو، كان لاجولا مجتمعًا راقياً ذا شوارع مشجرة ومحالٍ جذابة. في المنطقة العلوية، يمكن للمساكن أن تكلف الملايين.

كان ثمن منزل وبلسون فوتشر يقدر بمليون دولار، وربما مساحته خمسة آلاف قدم مربعة من الإنشاءات المعاصرة الرقيقة. شيد البناء على تلة مدرجة، لم يكن جزءًا من الصف الأمامي باهظ الثمن، ولكن عند الشارع الثالث من جهة المحيط.

عندما قادت سيارتها بجانبه، لم تر شيئًا مشبوهًا. أوقفت سيارة إكسبلورر الرياضية في شارع موازٍ وعادت سيرًا على قدميها إلى المنزل.

بالرغم من أن أوتيس فوتشر قد أوضح أنه سيقتلها إن عادت إلى مجتمعه في ذلك الوادي في أركنساس، إلا أنها لم تقلق كثيرًا حيال خطر وجودها في منزل ابنه. بالنظر لطريقة تفكير أوتيس، كان كل منهما يستغل نقاط ضعف النظام، وكانا حليفين إلى حد ما، لكن رغم ذلك وجب عليها تذكر أنه كان جزءًا من الطبقة الحاكمة لأنه رشى السياسيين، أما هي فكانت متمردهً حقيقية. إن حدثت أي أزمة، سيتخلى عنها.

رنت الجرس، والرجل الذي أجاب كان مختلفًا تمامًا عن والده. طويل، ممشوق، ذو شعرٍ أسود كثيف. ملامحه كانت حادةً جدًا ليعتبر وسيماً، لكنه كان جذاباً، في سن الأربعين تقريباً.

أغلق الباب خلفها، وقال: "لا أريد توريط زوجتي في هذا، ستبقى في الخارج حتى الخامسة. عليك المغادرة قبل عودتها".
"مفهوم".

"أخبرني أبي عنك. لو لم تبرئي أخي من تلك القضية لما كنت لأفعل هذا مطلقًا".
"لا ألومك".

"أشك أن أبي يفقد عقله، ويتحول إلى شخصٍ حساس نتيجة تقدمه بالعمر".
"أؤكد لك أنه عاطفي كمطرقة ثقيلة".

ازدادت ملامح الرجل حدة، كوجه عمودٍ طوطمي نحتته الفؤوس. وقال:
"أيفترض أن يكون هذا مضحكًا؟".

أجابت: "ما يفترض أن يكون هو تقييم صائب. انظر، كلما تجادلنا أقل، رحلت في وقت أبكر".

"هذا صحيح، على أي حال".

قادها عبر منزلٍ يهيمن عليه اللون الأبيض، وتتخلله خطوط رمادية رقيقة، مؤثت بشكل عصري، وتملأه قطع الفن التجريدي كسلاسل من شيفرة ثنائية طبعها حاسوب على الورق.

كان مكتبه المنزلي الفسيح في أدنى الطوابق الثلاثة. خلف النوافذ الممتدة من الأرض للسقف، أطلت المنازل في الشارعين السفليين على المحيط، والذي بدا وكأنه رتب مع السماء لإكمال ديكور هذا المنزل.

علقت على الجدران لوحات مؤطرة من بعض مشاريع ويلسون فوتشر، احتوت طاولتان طويلتان كل منهما على حاسوب، طابعة، ماسحة ضوئية، كتب وعدد من المجلدات ذات الحلقات. بينهما ممر عمل بعرض خمس أقدام أتاح لفوتشر بإدارة كرسيه إلى إحدى الطاولتين التحرك نحو الأخرى في حركة واحدة سريعة وقدم كرسيًا آخر ليجن، جلسا أمام أحد الحاسوبين. "إذا هناك مبنى، وتريدون معرفة ما يحويه".
"أيمكن خداع النظام وإخفاء الأثر؟".

نظرته الباردة جعلت كلامه يفيض. قال: "ما الذي أقحم نفسي فيه؟".

"لا شيء خطير، إن كنت ماهرًا في التضليل".

بعد صمت ربما فكر أثناءه أنه كان من الأجدى به رفض طلب والده فقال: "يمكن التسلسل من خلال مكانين خارجيين. إذا لزم الأمر في وقت لاحق، يمكن إغلاقهما كما لو أنهما لم يوجدًا".

قالت جين: "لن تكون فكرة سيئة".

أعطته موقع المبنى المكون من عشرة طوابق الذي سيكون نهاية رحلتها وربما نهايتها.

عندما أنشأ فوتشر مسلكه الملتوي، بدأ باستخدام غوغل ستريت فيو. تبين له أن للمبنى المستهدف طابع حدائي: زوايا دائرية، حجر جيرى شاحب، أبواب ونوافذ من الفولاذ المقاوم للصدأ وعناصر زخرفية. فوق المدخل الأمامي، حُطت كلمتا فار هورايزنز بأحرف من المعدن المصقول.

تراجعت الطوابق الثلاثة العليا حوالي خمس عشرة قدمًا فوق الطوابق السفلية لإفساح المجال لشرفاتٍ طوقية. ارتكز المبنى عند قمة شارعه في منطقة حيث أغلب العمارات كانت ذات ستة طوابق أو أقل، كي تحظى الطوابق العليا الثلاثة بإطلاقات أخاذة.

قال فوتشر: "إنه يقع في حي راقٍ، لكنه في الوقت ذاته مبنى استثنائي متعدد الاستعمالات من الواضح أن الطوابق العلوية سكنية. ولكن إن كان هذا اسم شركة عند المدخل، فإن الطوابق السبعة الدنيا هي مكاتب. ويبدو أن كلاً من الشرفات الطوقية لا تحوي فواصل، لذلك فإن جميع الشقق في كل مستوى مفتوحة على بعضها، وهو تصميم سيء للغاية".

قالت جين: "شقة واحدة فقط في الطابق التاسع. لا شيء في الثامن أو العاشر. هذان الطابقان هما حاجزان أمنيان للتاسع".

عادت إليه تلك النظرة الباردة مرةً أخرى. هذه المرة لم يكلف نفسه عناء نطق الكلمات.

إن لم تخبره جين، سيبحث عن تاريخ المبنى بعد مغادرتها. "أيعني لك شيئاً اسم ديفيد جيمس مايكل؟"
"اللعة".

"إنه يقيم في الطابق التاسع عندما يكون في سان فرانسيسكو."
"وأنت تريدين إيجاد طريقة لتجاوز نظامه الأمني."
"لن أتجاوزهُ، أريد عبوره."
"لماذا؟".

"لتصوير فيديو اعترافه بسلسلة من الجرائم الكبرى التي ستسبب إمبراطوريته
وتقوده إلى حبل المشنقة".

انزلق فوتشر بكرسيه نحو النوافذ الكبيرة وحقق إلى البحر، كما لو أنه يأمل أن
يلوِّح له قبطان سفينة الحكمة بنصيحة.

قالت جين: "لديّ حتى الآن معظم ما أحتاجه. هناك فقط بعض الأشياء التي عليّ
معرفتها".

"مايكل ناشط بيئي كبير. أظنك تعرفين هذا".

"سمعت أنه يهتم بالأمر".

"نعم، إنه يهتم".

"يتبرع بالكثير من المال".

"ويسترجع أكثر بكثير. يستخدم ابن الوضيعة أصدقاءه في الحركة البيئية لتخريب
مشاريع منافسيه في مرحلة التصريح. وبمرور بضع سنوات، تقوم شركة أخرى ببناء
شيء مماثل تقريباً لما تم رفضه، ومن خلال طريقةٍ ملتوية أو أخرى، يمتلك هو جزءاً
منه، إن لم يمتلك المشروع بأكمله".

"أنت واحد ممن أفسد مشاريعهم، صحيح؟".

أبعد فوتشر نظره عن البحر وحقق إلى عينيها. وسألها: "ما الذي تريدين معرفته؟".

قالت - مكررة ما أخبرها به راندال لاركين - "أربعة مصاعد، ثلاثة لا تتجاوز

الطابق السابع. الرابع يخدم الطوابق من الثامن إلى العاشر فقط".

"أنت بحاجة إلى مفتاح خاص لاستعماله؟".

"نعم. وعند دخول القمرة، لن يعمل المصعد إلا بواسطة العين المحفوظة لعدد
معين ممن سمح لهم باستعماله. إذا لم أكن من المصرح لهم، تقفل عليّ القمرة،
وأحتجز في الداخل حتى وصول الشرطة".

"إذا المصاعد ليست جيدة بالنسبة إليك".

"ثم هناك سلمان، واحد عند جانبي المبنى".
أوماً: "وفقاً لمتطلبات السلامة".

"لكنهما يصلان فقط إلى الطابق السابع".

قال فوشر: "من المستحيل التصريح بذلك من قبل قسم الإنشاء. ولا حتى لمايكل".

"لقد قيل لي إن هناك درجًا مخفيًا. هل يسمح قانون البناء بذلك؟".

قال: "في الأبنية ذات الطابع الأمني هناك نظام إلكتروني خاص، وفي بعض الأحيان في الأبنية الراقية يكون لديها نظام معماري خاص".
"أتقصد كغرفة هلع؟".

"غرفة هلع، أجل، وأحياناً هناك طريق سري للهروب من المبنى، ربما إلى القبو.
أو حتى طريق عمودي، ثم أفقي نحو القبو في المبنى المجاور، والخروج من هناك".
"أيمكن لغرفة هلعٍ أو الدرج السري أن يكونا في المخططات التي قدمت لإدارة المدينة؟".

"لا". حوّل انتباهه إلى غوغل ستريت فيو على الشاشة، وخفت حدة ملامحه. بدا وكأن نوعاً من الحماس الصياني قد سيطر عليه. فقال: "لكن عادةً ما يطلب اصطحاب الشرطة في جولةٍ داخله بعد الإنشاء، حتى يعرفوا موقع الباب الخلفي في حال وقوع حادثة طوارئٍ مثل احتجاز رهائن. ومع ذلك، في كثير من الأحيان، ليس هناك التزام بذلك".

"الرجل الذي أخبرني ببقية المعلومات... عرف أن هناك درجًا مخفيًا، لكنه لم يعرف موقعه. أيمكنك العثور عليه؟".

ضغط بأطراف أصابع يده اليمنى على الشاشة التي تظهر ستريت فيو، كما لو أن بمقدوره حل اللغز بقدره ذهنية. "كل مبنى يحوي فراغات، مساحات حرجة لا يمكن استخدامها في مخطط الطابق العام. يقومون ببناء جدران حولها، فلا يمكن إدراك وجودها. عادةً ما تكون صغيرة، وغير متواصلة عبر هيكل البناء الكامل. إن أجدت قراءة المخططات يمكنك تحديد فراغٍ مستمر من أسفل البناء إلى أعلاه أو من طرف

إلى آخر، وسيكون هو الدرج المخفي أو الممر المخفي".

"هل يمكنك الوصول إلى المخططات في قسم بناء المدينة؟ أفترض أنهم يطلبون من المقاول تقديم نسخ إلكترونية".

هز رأسه وقال: "إن كان ذلك ممكناً، فلا أظنك تريد اتباع هذه الطريقة للحصول عليها. قواعد بيانات المدينة، نظامهم بأكملهم، قمامة حكومية. سيعوقنا، وسيقودنا إلى الجنون. هناك طريقة أخرى".

"إذا استحصل لي على ما أحتاجه؟".

جلس على كرسيه مجدداً، ودار دورة كاملةً وابتسم في وجهها: "لو أن أحداً بالأمس أخبرني أنني سأحصل على فرصة للمساعدة في إسقاط ديفيد جيمس مايكل، لضحيت بخصيتي اليمنى مقابل ذلك".

قالت جين: "ما من داعٍ لذلك".

18

اتصل ويلسون بزوجه، وطلب منها ألا تعود إلى المنزل قبل الساعة السادسة. سيحتاج وجين لأكثر من الساعات الثلاث التي كان قد حددها. كانت هناك آلة صنع قهوة في مكتبه، فقامت جين بإعداد كوب ثقيل، كلاهما شربها سوداء ومن دون سكر.

أحضر ويلسون طبقاً من كعكات زوجته بالشوكولاتة والليمون. لم تكن جين تحب الكعك، لكن اللحظة بدت مناسبة لتناول الكعك إن كان هناك لحظة مناسبة لذلك، فضلاً عن أن الكعك كان لذيذاً.

وبدلاً من اختراق أرشيف إدارة المباني في سان فرانسيسكو، ذهب ويلسون إلى موقع إلكتروني يسمى إمبوريس، الذي صمم ليبدو كمزود لبيانات الإنشاء للمباني ذات القيمة العامة والاقتصادية العالية. ومن هناك أعيد توجيهه إلى الشركة التي طرحت مخططات المبنى المعني وإلى جميع المقاولين المشرفين الثانويين الذين وظّفهم المقاول الرئيسي.

قال ويلسون: "استعان ديفيد جيمس بأفضل المقاولين، وهذه ليست إحدى الشركات التي امتلك حصّةً منها، على حدّ علمي".

احتفظ المقاول بالأرشيف الإلكتروني، وكان ويلسون واثقًا أنه سيتمكن من الولوج إليه في غضون دقائق، لأنه قضى ساعات في قرصته في الماضي، واستعان بفيروس حصان طروادة لإحداث ثغرة تتيح له الوصول إليه بسهولة في المستقبل.

قال لجين: "لقد سبق لي أن نافستهم في إحدى المناقصات. يخفضون التكاليف بطرقٍ تتسبب بتدمير منافسيهم. احتجت لمعرفة كيفية ذلك". بدا وكأنه يقرأ تعابير وجهها وابتسم ابتسامة حزينة. "نعم، أعتقد أنني لم أسقط بعيدًا عن شجرة أوتيس كما يروق لي التفكير أحيانًا".

خارج الجدار الزجاجي، نسج نول السماء تدريجيًا غيومًا متشظية قاتمة بينما استدار وجه الكوكب بعيدًا عن الشمس، واسود البحر إثر انعكاس تلك الغيوم. "أسفل المبنى هناك ثلاثة طوابق من مراتب السيارات. الطوابق فوق أرضية، السبعة الأولى عبارة عن مئة واثنى عشر ألف قدم مربعة من المساحات المكتيبة. وبسبب الشرفة الطوقية، بلغت مساحة الطوابق العليا الثلاثة أكثر بقليل من سبعة وعشرين ألف قدم".

بعد كثير من التفحص ودراسة المخططات، وجد ويلسون سلسلة متجاورة من الفراغات بمساحة ستة أو سبعة أقدام مربعة، وسط الجدار الجنوبي تمامًا، امتدت طوليًا من السقف إلى المستوى الأول من مستويات مراتب السيارات تحت الأرض".

قال: "قد يكون درجًا حلزونيًا، إلا أنه كبير بما فيه الكفاية ليتسع لدرجٍ متعرج تتخلله مساحات صغيرة للاستراحة".

"كيف يمكن الوصول إليه؟".

"يبدو أنه ينتهي خلف خزانة إمداد من نوع ما. أفضل ما يمكنني تخمينه هو أن الخزانة ستحوي رفوفًا للتخزين، ورافعة خفية ستتحرك أحد الرفوف بعيدًا لإفراح المجال للعبور".

"باب سري".

قال: "تمامًا مثل إنديانا جونز".

"سيكون هناك جهاز إنذارٍ عند الباب. هل من طريقة تمكنني من إيقاف عمله؟".

"إن كان الباب مخفيًا بشكل صحيح، فلن يرغبوا بوضع إنذارٍ عليه. جهاز الإنذار يربط نظام الأمن المعماري الخاص بهم بنظام الأمن الإلكتروني، لذا إن نجح أحد القراصنة البارعين في اختراق الأخير، فمقدوره العثور على الأول. وبذلك لن يعود مسار الهروب السري سرّيًا بعد ذلك".

"ماذا عن الكاميرات هناك؟".

"إذا كنت تستطيعين مراقبة السلم الخفي من خلال الكاميرات الأمنية، فبمقدور القرصان فعل ذلك أيضًا، ومعرفة أين أنت أثناء هروبك. تزداد فرص بقاء المنفذ أو الممر الخفي سرّيًا إن كان تصميمه بسيطًا. عادة يصمم بحيث لا يمكن العثور عليه، على الأقل ليس عن طريق الصدفة، لذلك الشخص الوحيد الذي سيستخدمه هو الذي يعرف كيف يعثر عليه".

عند الغسق، هب نسيم رقيق من فوق الماء وصعد التل، وصرقت أوراق النخيل كما لو أن الأشجار تنوح على انسحاب الضوء.

قالت جين: "أظن مما قيل لي أنني أستطيع دخول إما الطابق الثامن أو العاشر عبر تلك السلالم، لكن ليس التاسع. ينبغي نسف الباب في الطابق التاسع بحزمة من متفجرات سي فور. من الصعب الوصول متخفيةً إلى أي مكان بعد ذلك".

"يعيش ديفيد جيمس مايكل في التاسع، أليس كذلك؟ قلت إن الثامن والعاشر حاجزان أمنيان ماذا يعني ذلك بالضبط؟".

"لا تريد أن تعرف. أنوي الدخول من الطابق الثامن إن نجحت بالخروج منه على قيد الحياة، أحتاج طريقة للوصول إلى التاسع من الثامن. طريقة ما لن يتوقعها".
نظر ويلسون إليها بصمت للحظةٍ طويلة. ثم قال: "كل ما يذاع عنك في الأخبار هراء، أليس كذلك؟".

"معظمه. اضطررت لقتل بعض الناس دفاعًا عن نفسي. وفي الأخبار، لا يسمونه أبدًا دفاعًا عن النفس".

"ما الهدف من كل هذا بحق الجحيم؟" رفع يداً محاولاً إسكات نفسه. "نعم، حسنًا... لا أريد أن أعرف". أرجح كرسيه مرة أخرى نحو الشاشة. "لنرى إن كان بإمكاننا أن نجد لك ما تحتاجين إليه".

بحلول ظهر يوم الاثنين، كانت جين قد حصلت على مسدسين جديدين من جون وجودي وايت، اللذين استخدموا اسمي بيت ولويز جونز، اللاجئين السوريين اللذين لم يريا سوريا على الأرجح، واللذين عاشا في بيت ريسيدا مع العديد من التماثيل في الحديقة، وكانا جدين فخورين لأحفاد غير موجودين. كان المسدسان من طراز هيكلر أند كوش بحجم صغير وبمخزين يتسع كل واحد منهما لتسع رصاصات مع تسليم ذخيرة شبه أوتوماتيكي مما جعل الإمساك بهما سهلاً وكانا مزودين بكاتميين للصوت. كما حصلت على مخازن احتياطية وصناديق من الذخيرة.

بالرغم من إمكانية خسارتها لحرية الحركة نتيجة العتاد الزائد، اشترت أيضًا حزام غولد أند غودريتش لحمل الأسلحة ذي لصقات قماشية لحمل مختلف القطع، بالإضافة لبعض الأسلحة لتعلقها عليه.

بدلاً من بذلة رياضة زهرية ضيقة، ارتدت لويس ممثلة الجسم واحدةً بنفسجية. وضعت طلاء الأظافر الأصفر بدلاً من الأخضر. ازدادت الأقرط الماسية الست قرطاً سابعاً.

قبل أن تغادر، وقفت جين عند المدخل، ولم تستطع كبح نفسها من قول: "بيرني ريغويتز من إليغنت ويف يقول إنك تبيعين شعراً مستعاراً من الطراز الرفيع".

وبين سحبتين من سيجارتها قالت لويس: "الشعر الروسي".

"أهذا صحيح؟".

"أفضل شعراً في العالم".

"لم أكن أعرف ذلك".

"لكننا لا نستخدم الشعر القادم من تشيرنوبيل".

"بسبب الحادث الذي وقع في محطة الطاقة النووية؟".

نفثت لويز سحابة من الدخان. وأخرجت بلسانها شيئاً عالقاً بين أسنانها، تفحصتها وقالت: "لم يكن حادثاً. لم تكن مجرد محطة لتوليد الكهرباء".

مظهر المرأة المتيقنة أوضح أنها لم تكن فقط تكرر ما كتب في مجلات الشائعات.

"إن لم تكن مجرد محطة لتوليد الكهرباء ولم يكن حادثاً، ماذا كانت؟".

ضيق عينيها السوداءين، ولمع فيهما أثر روح شديدة القسوة والبرودة حتى أن البذلة الرياضية المبهرجة وطلاء الأظافر الصارخ والأقراط المتعددة لم تعد قادرة على إضفاء الهزلية لمظهرها. وأجابت: "تشير نوبيل! لا يعني لك شيئًا. اذهبي. اذهبي حيث تريد. ترغيبين بالموت، إذا اذهبي وموتي". ثم أغلقت الباب في وجه جين.

20

ليلة الاثنين، الساعة العاشرة. مكثت جين في نزل في سان فرانسيسكو، في منطقة لم تكن بهذا البؤس قبل عشر سنوات، لكنها تمر الآن بفترة تدهور. الأكياس والحقائب المكومة والممتلئة بالمتلكات عديمة القيمة، مجموعات المشردين - مدمني الكحول والمخدرات والمتخلفين عقليًا، بالإضافة إلى أولئك الذين كانوا أصحابًا لكن فقراء - سدت المداخل المظلمة للمتاجر المتفرقة، والزوايا الضيقة في حديقة صغيرة مجاورة، والمساحات الضئيلة بين صناديق القمامة في الأزقة. صدحت صفارات الإسعاف والشرطة وتلاشت في سماء الليل، كما يتلاشى الضحك.

بعد أن قررت الاستلقاء مرتديةً ملابسها، أيقظ بكاء طفل صغير جين عند الساعة الحادية عشرة. كان صوتًا منخفضًا ومستمرًا، وليس صراخًا حادًا، بل تعبير عن البؤس والحزن الكامن الذي وجب أن يهدئه أحد البالغين بالكلمات واللمسة المحبة، لكن النحيب لم يتوقف.

في البداية، ظنت أن الصوت جاء من غرفة مجاورة لها. عندما أنصتت بالقرب من الجدارين الغربي والشرقي، لم يبدُ أن ذلك هو الحال.

تمشت، وازداد تمللمها، أخيرًا ارتدت حزام الكتف الأحادي، وفوقه سترة رياضية لتخفي مسدسها. غادرت غرفتها ووقفت في الممر الإسمنتي المتشقق والملوث والذي خدم الجناح الطويل المكون من الغرف الرثة التي اصطفت كالنزانات الخاصة بأولئك الذين لم يُحاسبوا على جرائمهم واختاروا سجن أنفسهم. عبرت النزل جيئةً وذهابًا، وشكوى الطفل البائسة علت دائمًا في مكان آخر. تركز انتباهها على حافلة فولكس فاغن قديمة في زاوية من مرأب السيارات، ذات نوافذ مزودة بالستائر. ومع ذلك، عندما اقتربت منها، لم تكن مصدر صوت بكاء الطفل.

توقف النحيب، فانتظرت عله يعود ثانيةً. لا أصوات بشرية، فقط ضوضاء آلية هنا وهناك. كما لو أن عصر الإنسانية انقضى، تاركًا مدينةً جميع سكانها من الآلات. بقي الطفل صامتًا.

عادت إلى غرفتها. خلعت سترتها وحزام الكتف. ترافيس. تساءلت إن كان بمقدور الأم عندما تكون في ظروف صعبة أن تسمع طفلها يبكي على بعد مئات الأميال.

فكرت في لويز سوداء العينين في ريسيدا، والتي بدت كعجيرة تقرأ القدر في عيني جين: "ترغبين بالموت، إذا اذهبي وموتي".

أرادت فقط النوم الآن والعدالة لاحقًا. لم ترد الفودكا لكن النوم لن يأتي من دونها. حضّرت مشروبها.

لم ترد الموت. طبعًا لا. ما رآته تلك المرأة في عينيها كان جزعًا. خوفًا مطبقًا وقلقًا مما انتظرها في الطابق الثامن من مبنى فار هورايزونز، ما أخبرها راندال لاركين أنه يقبع هناك. لا التدريب الشاق في كوانتيكو ولا سنوات التجارب الأصعب كانا كافيين لتحضيرها لمثل هذه المواجهة.

ربما بكاء الطفل الذي سمعته هو بكائها الذي يعود لسنوات خلت، يوم وجدت أمها ميتة في حوض الاستحمام غارقة بدمها.

21

ركنت سيارتها في الجهة المقابلة من الشارع لفار هورايزونز، وراقبت الموظفين القادمين للعمل صباح الثلاثاء. وسجلت أرقام لوحات ترخيص السيارات لأولئك الذين تنقلوا بمفردهم.

عرفت من راندال لاركين أنه تم تعيين موقف مرقم لكل موظف يدخل المرأب بعد أن يمسح قارئ ضوئي لصاقة ثلاثية الأبعاد مثبتة على الزجاج الأمامي للسيارة. وتوجب على الزوار طلب إذنٍ للدخول قبل 24 ساعة.

لاحقًا في مكتبة ما، وباستخدام حاسوب عمومي، فتحت سجلات إدارة المرور باستخدام رمز للشرطة، وحددت هوية أصحاب تلك السيارات، وأخذت العناوين

المدونة على استمارات تسجيلهم.

بحلول الظهر، كان لديها مرشحان. عاشت سارة لورا شوين في منزل من طابقين في سوساليتو وتأتي إلى العمل عبر جسر غولدن غيت. أما هنري والدلوك فعاش في باسيفيكا، جنوب المدينة. طبقاً لأفضل ما فهمته من صفحتيهما على الفيسبوك ومواقع التواصل الاجتماعي الأخرى، لم يكن أي منهما متزوجاً أو يقيم علاقة، وكلاهما استخدم تطبيقات المواعدة.

امتلاك هنري منزلاً عائلياً أشار إلى خصوصية أكبر من شقة مؤلفة من طابقين، وهذا ما قاد جين إلى باسيفيكا لاستكشاف المكان. شيّد المبنى على بقعة كبيرة ومنسقة تنسيقاً رائعاً، وكان آخر منزل في الشارع، ومثاليًا لما تبحث عنه.

بعد تناول العشاء في وقت مبكر في مطعم، عادت إلى حي هنري وركنت سيارتها رباعية الدفع على بعد شارعين من الشارع الذي عاش فيه. حاملةً حقيبتها، مشت نحو منزله الجميل، ورنّت الجرس عند الساعة 5:15. فلم يجب أحد.

في حوض لنباتات البلسم الحمراء إلى يسار الدرجات الأمامية، ظهرت لافتة لشركة أمنية بمساحة قدم مربعة تحذر أن المبنى محمي.

المساكن المجاورة تقع جهة الشمال أو الجنوب، وللبوابة الجنوبية قفل ذو مزلاج. عبرت البوابة، وتبعت ممشى بين المرأب و جدار المبنى مغطى بتعريشة من غصينات الياسمين. عند الباب الجانبي للمرأب، جلست على الممشى، وتفحصت الشارع بجانب البوابة، وانتظرت.

عند الساعة 6:11، بعيد حلول الظلام، تبعت ضوضاء المحرك أضواء مصابيح أمامية. دخلت سيارة ممر المرأب، لم تتمكن جين من رؤيتها من حين تجلس. هدر باب المرأب، وانطلق التنبيه. دخلت السيارة وانزلق الباب إلى الأسفل.

صمت جرس التنبيه بينما كانت السيارة لا تزال تعمل. لا بد أنه أطفأه بهاتفه. عندما وقفت جين على قدميها، كانت أنوار المنزل قد أضيئت، لقد تحكّم بها هنري أيضاً من هاتفه.

أوقف عمل المحرك، أغلق باب السيارة. وصفر أثناء توجهه من سيارته البي إم دبليو 740 آي سيدان إلى الباب الموصل إلى المنزل.

عندما سمعت إغلاق الباب الداخلي، فتحت جين الباب الجانبي للمرأب بالقوة. لم تحتج لملقط فتح الأقفال. فقد فتحت المزلاج البسيط بإحدى بطاقات رخص القيادة الخاصة بها.

استمر المصباح مؤقت الإضاءة فوق باب المصعد بإصدار ضوءٍ خافت. رُكنت إلى جانب البي إم دبليو سيارة كورفيت حمراء اللون طراز 1960. كان المرأب نظيفًا ومرتبًا.

مثل معظم الناس الذين يمتلكون أنظمة أمن، لم يشغل هنري جهاز الإنذار المحيطي أثناء وجوده في المنزل، وكان هذا جيدًا بالنسبة إلى جين، وسيئًا بالنسبة إليه.

أهمل أيضًا إقفال الباب بين المنزل والمرأب، فدخلت إلى غرفة غسيل، ثم إلى رواق في الطابق الأرضي.

عمّت الأضواء المطبخ، وعلت ضحكات جمهور عندما شغل التلفاز. صعدتُ إلى الطابق العلوي، وهي تحمل حقيبتها، مكثت في ظلام غرفة النوم الإضافية في أبعد مكانٍ من الجناح الرئيسي.

بعد العشاء، شاهد هنري فيلمًا بصوت عالٍ اهتزت له الجدران. ربما عن رجال اليبين عمالقة، أو غزاة فضائيين. بالنظر إلى منشوراته على فيسبوك، واستخدامه لخدمة المواعدة، وأمسيته الوحيدة، شعرت ببعض التعاطف معه. مع ذلك، نوت تقيده وأخذ سيارته.

عندما خلد إلى النوم عند الساعة العاشرة، شغل النظام الأمني. أعلن الصوت المسجل: "تم تفعيل الوضع المنزلي".

لقد فعل الإنذار المحيطي وليس كاشفات الحركة. ما من سبب للافتراض أنه سيرتاب فجأة أثناء الليل، لكنها أوصدت الباب بكرسي مستقيم الظهر قبل أن تتمدد على السرير. مجهدّة من التفكير بالمصيبة التي تنتظرها في الطابق الثامن، لم تقلق بشأن النوم بعد هنري.

استيقظت مرارًا وتكرارًا، قبل أن تنهض عند الساعة 4:01 بعد منتصف الليل، أزال الكرسى من تحت مقبض الباب، وتوجهت إلى الرواق.

ألقي القمر من إحدى النوافذ ضوءاً خافتاً مثاليًا لعملية مطاردة. توقفت عند الباب المفتوح للجنح الرئيسي. شخر هنري بهدوء.

أضاءت مصباحها اليدوي، ودخلت. كان مستلقيًا ووجهه إلى الأعلى. ارتعش عندما ضغطت على قنينة ورشت منها، رشت الجزء السفلي من وجهه بالكلوروفورم. رفرفت عيناه، لكنه انتقل بعد ذلك إلى نوع آخر من النوم. لم يكن يرتدي سوى ملابسه الداخلية القصيرة، وبالرغم من أنه كان يزن قرابة مئة وخمسين باوندًا إلا أنها أخرجته من السرير وجرته من ذراعيه.

عندما استعاد وعيه، جلس عاريًا في حمام غرفته عديم النوافذ، المعزول مثل أي مكان في المنزل. قُيد معصماه ببعضهما بعدة لفات من الشريط اللاصق وثبتا بفخذه اليسرى بمزيد من الشريط اللاصق. كُبل كاحلاه بالأربطة بالبلاستيكية السمكية، والتفت سلسلة من تلك الحلقات القوية حول قاعدة المرحاض رابطة إياها بالأغلال. وطوقت عنقه برباط بلاستيكي وربطت سلسلة من تلك الأسلاك طوق الرقبة بأغلال الكاحل. وكمّ شريط لاصق شفتيه، وتدلّى بنطاله الداخلي على مقبض الباب، حيث أمكنه رؤيته.

تخلص من تأثيرات الكلوروفورم أسرع مما توقعت جين، ولم يستطع تخيل كيف وصل إلى حيث هو. طهرت الصدمة والخوف والعار رأسه، وغطى العرق جبينه وشفته العلوية.

قالت جين وهي تقف عند المدخل المفتوح: "هل أنت معي؟".
أصدر صوت تأكيد من خلال شريط لاصق.
"فقط للتأكد، سأعطيك بضع دقائق أخرى. حياتك في خطر، ومن الإنصاف التأكد من أنك تفهم".

خلال تلك الدقائق، لم تتركها عيناه أبدًا.
"حسنًا يا هنري، سأشرح لك الأمر. ربما كنت مجرد عامل في شركة فار هوراينز، أنت لا تعرف ما السبب الذي جعلك في الوضع الذي أنت فيه، سأعطيك فائدة الشك. هذا هو السبب في أنك لم تمت بالفعل. أتفهم؟".
أومأ برأسه.

"أحسنت. الآن سأخذ سيارتك إلى فار هورايزنز، وأقوم ببعض الأعمال. عندما أعود، سأحررك دون أن تُصاب بأذى. أنت فقط يمكن أن تودي بنفسك إلى الموت يا هنري. هل تعلم كيف تعمل هذه الأربطة البلاستيكية التي أقيدها بها؟".

هز رأسه. ثم أوماً به، واستهجن.

"سأشرح لك. يمكنك شديداً قدر ما تريد، لكن لا يمكنك فكها. يمكن شديداً ولكن لا يمكن إرخاؤها، مثل السقطة. إنها بسيطة كبساطة شارع سمس. أتفهمني؟".

أوماً برأسه.

"متعلم سريع. ممتاز. الآن يا هنري، لقد تركت مساحة إصبع بين القيود حول رقبتك وجلدك. مساحة ضيقة ولكن ليس كثيراً. ومع ذلك، إن كافحت لتحرير نفسك من الشريط اللاصق أو الأصفاد، فأنا أوصلتها بالقيود، لذا ستجعل حركتك القيود أكثر إحكاماً حول حلقك؟".

أوماً برأسه.

"هذا جيد جداً. لهذا السبب نحن بحاجة إلى تعلم أشياء جديدة يا هنري. ليس فقط معرفتها، ولكن تعلم تطبيق المعرفة بشكل صحيح. لذلك إن لم أحذر من هذا الأمر، هنري، فقد تبذل جهداً شاقاً لدرجة أن القيود ستحفر بشكل مؤلم في جسمك قبل أن تدرك ما الذي يحدث. إذا كافحت بشدة أكثر... حسناً، ماذا سيحدث بعد ذلك؟ هل سيتحسن وضعك أم سيتدهور؟ ما رأيك؟".

حاول قول سيتدهور من خلال الشريط اللاصق.

"نعم، هذا صحيح. لقد قطعت شوطاً طويلاً في مثل هذا الوقت القصير يا هنري. سأنزع الشريط اللاصق عن فمك. إن صرخت من أجل المساعدة، فسأؤذيك بشدة، ولن يسمع أحد صراخك على أي حال. هنري، هل أنت قادر على تخيل ما أعنيه بإيذائك بشدة؟".

أوماً برأسه.

"أحسنت. لنرى ما إن كنت ذكياً كما تبدو". نزع الشريط اللاصق عن فمه.

أخذ هنري نفساً عميقاً، ارتجف أثناء الزفير، وأطلق سلسلة من الكلمات. "أنا محلل مراقبة التكاليف، أبرم الصفقات مع المزودين، لا أعرف ما الذي تقومين به،

بحق الجحيم، أنا لا أفهم شيئاً".

حدقت إليه بصمت. ثم قالت: "لم آت إلى هنا لأطلب وصفاً لوظيفتك. هل انتهيت من مبررات الذات؟".
"أنا فقط أقول..."

صمت عندما أخرجت أحد أسلحتها؛ مسدس هكلير أند كوش كومباكتس من الحزام المزدوج تحت سترتها الرياضية.
"فقط أجب عن أسئلتني بصدق، وسوف تكون حيواناً أليفاً للمعلم، هنري. ألدريك خادمة منزل؟".

"نعم".

"ما هي الأيام التي تأتي فيها؟".

"الأربعاء. اليوم، الساعة التاسعة. لهذا السبب لن ينجح هذا. لقد اخترت اليوم الخطأ".

"في صفحتك على فيسبوك يا هنري، أنت تتفاخر أحياناً بأسلوب حياتك. أنت سلس جداً في ذلك، وتجعله مسلياً، وربما لا تفكر حتى في أنه تفاخر، بالرغم من أن هذا ما هو عليه. أنت تدعو مدبرة المنزل خادمة. مما قرأته، تأتي مرتين في الأسبوع: الاثنين والخميس. هل تغير جدولها يا هنري؟".

تردد. "لا".

"ونحن في أي يوم؟".

"الأربعاء".

"حسناً، لقد كذبت عليّ كذبتك الأولى، هل تعرف ماذا سيحدث إذا كذبت عليّ مرة أخرى يا هنري؟".

"أجل. أظن ذلك".

"ماذا سيحدث؟"

"سوف تؤذيني".

انتظرت.

فأضاف "بشكل سيئ للغاية".

"هذا أفضل. أعلم أنه عندما تصل إلى بوابة المرأب في فار هوراينز، يمسح قارئ ليزر الملصق على الزجاج الأمامي لسيارتك. ثم تفتح البوابة. في أي من المستويات الثلاثة تركن؟".

"الأول. الفراغ الثالث والعشرون. الرقم على الحائط. عندما تمرين عبر البوابة، جهة اليمين، سيكون الفراغ إلى يسارك".

"ها هو الصبي الجيد الذي عرفت أنه يمكنك أن تكونه. أعطيتني خمس إجابات دون أن تجعلني أطرح خمسة أسئلة. بروتوكولات الدخول آلية. ولكن هل هناك حارس في المرأب أيضًا، شخص سيتأكد إن كنت أنت من في السيارة؟".

"لا. البشر عرضة للخطأ. التكنولوجيا موثوقة أكثر. لدينا كاميرات في المرأب، ولكنها لتسجيل الفيديو فقط. الطريقة الوحيدة للصعود من المرأب هي عبر المصعد، ويتطلب المصعد من جميع الصاعدين فيه ذكر أسمائهم".

"جهاز التعرف إلى بصمة الصوت؟".

"أجل. بالإضافة إلى ذلك، يتم مسح وجهك. من خلال برنامج التعرف إلى الوجوه، لن تستطيعي الذهاب إلى أي مكان من المرأب. ستنتهي مهمتك قبل أن تبدأ، كان عليك القيام ببحث أفضل. ليس هناك فائدة من كل هذا الهراء".

"سنرى". وضعت المسدس في قرابه. التقطت لفافة من الشريط اللاصق من الأرض، ولفتها حول رأسه ثلاث مرات، ما أدى إلى إغلاق فمه. "أرى أنك تبدو بمظهر أفضل هكذا".

22

خلال الليل، ضربت عاصفة هوجاء ساحل ولاية أوريغون، جامعة الرطوبة من البحر، حتى بدت السماء كأنها بحر يبحث عن شاطئ ليقتمحه. على تلالها الأسطورية، شمخت أبراج سان فرانسيسكو، مشرقة وفخورة قبل العاصفة المنتظرة. وحده الوقت سيظهر إن كانت عصية على الغرق بصفتها أتلانيس الجديدة، أم ستكون بابل التي بنيت على أسس ظن أنها صخرية. لم يسبق للشوارع المنحدرة أن أزعجت جين هوك، ولكن في ضوء يوم منذر بالشر في انتظار الغرق، بدا أن كل تسلق يؤدي إلى هبوط،

وهدد كل انجراف بأن يصبح هبوطاً، بالرغم من أنها لم تكن تخشى بالطبع لا المدينة ولا منحدراتها.

في اليوم السابق، وصل موظفو فار هوراينز على دفعتين، الأولى عند الساعة الثامنة، والثانية عند التاسعة. لقد حددت توقيت تقدمها فنزلت إلى الممر من الشارع عند الساعة 9:10، عندما كان هناك عدد قليل من الناس الذين لا يزالون في المرأب. لم تر الليزر الذي يقرأ ملصق الزجاج الأمامي، لكن البوابة انفصلت عن أفعالها الإلكترونية وانفتحت، فقادت السيارة إلى أعلى الطوابق تحت الأرضية الثالثة.

كان الفراغ رقم 23 شاغراً، فكرنت فيه.

عندما خرجت من سيارة البي أم دبليو، علمت بوجود شخصين فقط، كلاهما يتجهان نحو المصاعد دون أن ينتبها إليها.

كان الهواء البارد ذا رائحة خافتة من الجير في الجدران الخرسانية والأرضية والسقف، وكانت أبخرة العادم العالقة أكثر نفاذة.

المساحة البارزة في منتصف الحائط الجنوبي، الذي حدده ويلسون فوتشر لها، كانت محاطة بفراغين لركن السيارات. استسلم القفل بسرعة لمقطع فتح الأقفال. وضعت خزانة خلف الباب يبلغ طولها ست أقدام طويلاً وأربع أقدام عرضاً. أضاءت المصباح، ودخلت، وأغلقت الباب.

على يسارها ويمينها، رأت رفوفاً بعمق قدم وضعت عليها علب كبيرة من مواد التنظيف والمواد المانعة للتسرب. غطت ألواح ممتدة من الأرض إلى السقف أربع أقدام من الجدار الخلفي بين الرفوف المرافقة، علّق عليها مكانس ونصف دزينة من أدوات الصيانة. يبدو أنه لم يتم فتح أي من العلب، لأنه لم يكن هناك أي بقع عليها. كانت المكانس والأدوات الأخرى جديدة، بدت الخزانة قليلة الشبه بتلك التي يستخدمها موظفو الصيانة وكثيرة الشبه بتلك التي تستخدم لعرض المنتجات وبدا جلياً أنها تمويه للغرض الحقيقي منها.

بعد قليل من التفكير، أزلت المكانس والأدوات الأخرى ووضعتها جانباً ودرست الجدار. كانت العلاقات التي تُحمل عليها الأشياء المختلفة من الفولاذ المقاوم للصدأ، أما الأذرع الحاملة لها فقد ثبتت في الجدار. حاولت إزالتها. لكنها

بدأت محكمة التثبيت. من العلاقات الثماني، بدأت اثنتان شبيهتين بمقابض الباب. استدار واحد 360 درجة إلى اليسار. وصدر صوت نقرة. العلاقة بجانب الأولى استدارت بزواوية 360 درجة إلى اليمين. وصدر صوت نقرة. أصدر محرك صوتاً، فانحرف الجدار، وأثار الضوء الظلام.

خطت على بداية درج. لم يكن حلزونيًا. بل ذو اتجاهين. لم يُغَطَّ هذا الجانب من الجدار الزائف بالألواح، وضم مقبضاً على شكل ذراع تُسهل الخروج. أغلقته، وسمعت القفل يتعشق، حرّكت المقبض، ففتح الباب، وتركته يغلق مرة أخرى. غُطيت أرضية الهبوط، ودرجات السلم، والمداس بمادة مطاطية شاحبة رمادية اللون لتبقي صوت الخطوات مكتوماً. طليت الجدران والسقف باللون الأبيض، وجاء الضوء من الألواح المرصعة في الأعلى.

الأماكن الوحيدة التي يمكن إخفاء الكاميرات فيها كانت وراء عدسات لوحات ضوء الفلوريسنت، لكنها كانت مغطاة بشدة. من الواضح أن ويلسون فوتشر كان على حق عندما قال إن نظام الأمن الإلكتروني والنظام المعماري لن يتداخلا.

كانت قد وضعت كاتمًا للصوت على المسدسين. سحبت الآن أحدهما، وبدأت تصعد الدرج بشكل جانبي، ظهرها إلى الجدار الخارجي، حتى تحصل على نظرة أفضل كلما صعدت درجة. إنها تقبض على المسدس بكلتا يديها، وذراعاها ممدودتان. عم الصمت المكان كأنه مادة تملأ الدرج مثلما يملأ الماء البئر.

لا يوجد أي خصم على مدى نظرها. لكنها كانت في متاهة الوحش، وشيء أسوأ من مجرد مينوتور⁽¹⁾ مع شهوته للحوم البشرية يتظرها.

مجموعتان من الدرج ومساحة واحدة للاستراحة في كل طابق. ما من باب خروج في الطابق الأرضي، ولا في الطابق الثاني، ولا في الطابق الثالث. مع تقدمها أصبحت أكثر يقيناً بأن هذا الدرج هو المهرب السري لديفيد جيمس مايكل وقت الأزمات.

كانت تتحرك من زاوية إلى أخرى بحذر وهي تصعد على الدرج، استراحة تلو الأخرى.

(1) في الأساطير اليونانية، المينوتور هو مخلوق أسطوري تم تصويره في العصور الكلاسيكية برأس وذيل ثور وجسم رجل أو كما وصفه الشاعر الروماني أوفيد "رجل جزء وجزء ثور". (المترجم)

الإضاءة موزعة بشكل مثالي إلى حدّ أنها لم تلقِ أي ظل. انكشفت بعض الأحلام في مثل هذا الصمت الخالي من الظلال. دقات قلبها الإيقاعية أكدت أنها لم تضع في النوم.

عندما وصلت إلى الطابق الثامن رأّت أول باب، باب أبيض في جدار أبيض. إن كان راندال لاركين يعرف ما تحدث عنه، فلن يكون هذا المخرج مقفلاً. أي شخص يجد هذا الدرج المخفي، سواء عن طريق الصدفة أو عمدًا، كان مرحبًا به لفتح هذا الباب، وأخذ فرصته خلفه.

استمرت في الصعود إلى الطابق التاسع لتتأكد من أن الباب كان مهمًا كما قيل لها. كان أكبر بقليل من الأبواب العادية، بلاطة صلبة من الفولاذ لا تقل هيبةً عن باب قبو البنك، محاطة بإطار من الفولاذ المصبوب من قطعة واحدة. كان الجدار الذي وجد فيه الباب بسماكة قدمين من الإسمنت المسلح، معزّرًا أيضًا بمصفوفة من الألياف المعدنية، قادرة على تحمل انفجار ضخّم.

كشفت كل هذه الإجراءات المتطرفة التي اتخذها ديفيد جيمس مايكل لحماية نفسه عن جنون ارتياب يتناسب مع شهوته الاجتماعية للسلطة. لكن هل كان الأمر جنون ارتياب حقًا، بما أنها وصلت إلى هنا من أجل إجباره على الاعتراف بجرائمه وتدميره؟ أم أنها كانت تحفظًا فقط؟ قد يكون الرجل مجنونًا ولكنه متحفظ في جنونه. عندما كان يأمل في تحويل العالم كله، وإعادة كتابة التاريخ كله حسب رغبته، وجعل نفسه إلهاً بين البشر، كان من الحكمة أن يتوقع وجود شخص يقاوم، كما كان الأمر على مدى التاريخ، بالرغم من أنه في كثير من الأحيان أولئك الذين قاوموا الاستبداد نتيجة تضافر العزيمة مع الصدفة.

لم تصعد إلى الطابق العاشر، لأنها كانت متأكدة من أنها ستري بابًا مثل الذي رأته في الطابق الثامن. نزلت من الطابق التاسع وعادت مرة أخرى إلى الطابق المستهدف. وقفت وقد أولت ظهرها إلى الحائط بجانب باب عادي مثل أي باب شاهدته على الإطلاق، ومع ذلك كان مدخلًا إلى الفوضى، حيث أصبحت شياطين الخرافات القديمة حقيقية، حيث لم يكن هناك من سبيل سوى العنف، حيث يجب الحكم على أفعال الجميع وحتى الصالحين وفقًا لمقدار دم الآخرين الذي تسفكه.

العدو الأول الذي ستقبله سيكون الريشوس. سماهم بريتولد شينيك، مخترع آلية قيادة تقنية النانو، ريشوس تيمناً بريموند شو، في رواية ريتشارد كوندون المرشح المنشوري. لقد سبق لها أن واجهت أمثالهم، في مزرعة شينيك التي تبلغ مساحتها سبعين فداناً في وادي نابا، في اليوم الذي نال فيه هو وزوجته البغيضة الموت الذي استحقاه.

وفر الريشوس الحماية في المزرعة. كانوا متساوين مع فتيات أسباسيا، فُككت ذكرياتهم وشخصياتهم بواسطة شبكات من آليات التحكم المنسوجة عبر أدمغتهم، اختزلت آليات الدم والعظام لغرض واحد مبرمج. كانت فتيات أسباسيا رشيقات ولا يقاومن مثل سو كوبي، حيث تم تنزيل كل تقنية من تقنيات الإغواء والمتعة الجنسية فيهن إلى جانب أمر أن يكن خاضعات في جميع الأوقات. بينما كان الريشوس آلات قتل بدلاً من ذلك، لا يولون أهمية لسلامتهم، ولا يهابون شيئاً لأن مفهوم طبيعتهم البشرية الفانية أزيل من عقولهم عندما برمجوا لقتل أي شخص يطلب منهم أسيادهم قتله.

وفقاً لأقوال راندال لاركين - والتي تم تأكيدها بالمخططات التي استعرضها ويلسون مع جين - احتوى الطابق الثامن على شقتين صغيرتين بجانب ثمانية آلاف قدم مربعة من المساحة غير المستخدمة.

سكن أربعة من الريشوس إحدى الشقتين ولم يتركوا هذا الطابق أبداً، قضاوا أيامهم في التمرين ولعب ألعاب البطاقات البسيطة التي برمجوا ليجدوا فيها التحفيز المناسب.

في الوقت الحالي، أعادت جين المسدس إلى قرابه، وانتزعت قبلة ضوئية، وهي عبارة عن قبلة تفجير كانت أداة أساسية في ترسانة سوات، والتي حصلت عليها في ريسيدا. عبرت الباب، وأمسكت مقبض الرافعة بيدها اليسرى.

ترافيس مختبئ، نك في القبر، إذا فلتجعل الأوغاد يدفعون ثمن ذلك. دفعت الباب الذي نشط الأضواء في المساحة خلفها، فَعَلَّت القبلة، وألقته بقوة نحو الجزء الخلفي الذي سمته المخططات "المساحة غير المستخدمة"، وتراجعت، وأغلقت الباب ساجبة إياه نحوها لحماية نفسها من آثار القبلة اليدوية.

تخطى ضوء القبلة الشق بين الباب والعضادة، من المؤكد أن ديفيد جيمس قد سمع الانفجار في الطابق التاسع، إن لم يكن الصوت قد سُمع من قبل أولئك الموجودين في طابقين أسفل هذا الطابق. بعد أن أرجحت الباب إلى الداخل حملت مسدسًا، شعرت جين بالاهتزازات المتبقية في أسنانها والتي لا تزال تزعج عظام الريشوس الأربعة وتعرقل رسائل الأعصاب لفترة وجيزة.

خفضت جسدها ودخلت بسرعة، كانت هناك مساحة فارغة إلى جانبيها، وكانت إحدى الشقتين بعيدة على يسارها - جدار فارغ طويل قد يكون باب بلاطة معدنية - والشقة الأخرى بعيدة إلى جهتها اليمنى، حيث رأت بابًا عاديًا مفتوحًا. بينها وبين تلك الشقة كان هنالك ثلاثة من الريشوس الأربعة، ركضوا نحوها بعد أن نبهتهم عندما فتحت باب الدرج: رأت أحدهم مستلقيًا على جانبه أرضًا وقد ألقى سلاحه، بينما ركع آخر على الأرض وبدا مرتبكًا إلا أنه لا يزال ممسكًا بسلاحه، أما الثالث فاندفع نحوها. كانت هناك من أمامها وخلفها نوافذ تطل على الشرفة التي تحيط بالمبنى، ووراء الشرفة، كانت المدينة تواجه سماء العاصفة المخيفة.

تدلى فوق رأسها من السقف الذي يبلغ ارتفاعه أربع عشرة قدمًا تنسيق هندسي من قضبان قطرها بوصتان على ارتفاعات مختلفة، وهنا كمن الخطر الأكبر.

23

انحنت جين نصف انحناء، وتفحصت الوضع أثناء تحركها... أطلقت ثلاث رصاصات، مستهدفة الرجل الراكع، ولم تمنحه أي فرصة لأنه لم يكن رجلًا بل كان شيئًا راعيًا سبق له أن كان رجلًا ذات يوم. لا مكان هنا للتعاطف أو الشفقة، لأن أيًا منهما لن يؤدي سوى إلى مقتلها. حتى عندما كان الراكع ينزف حتى الموت، سقط أرضًا وهو يطلق الرصاص من مسدس أو توماتيكي مكتوم الصوت، مطلقًا محتويات مخزن، ربما ست عشرة طلقة، مصوبًا إلى الأعلى، مخففًا بسبب تشوشه بفعل القبلة. ارتدت الرصاصات عن القضبان الفولاذية المصقولة في الأعلى، وارتطمت بالنوافذ السميكة المضادة للرصاص، تاركة علامات على الزجاج، وتناثرت على الأرضية الخرسانية: انطلقت عشرات الرصاصات في شتى الاتجاهات. تراجع الريشو المتقدم وهو يضع

مخزنًا جديدًا. ربما مرت الآن عشرون ثانية. استقامت جين، وتحركت بجراً، ولكنها لم تركض، بل مدّت ذراعيها، وركّزت على الرجل الذي أمامها والرجل الكبير. لا، إنه شيء. اثنتان من طلقاتها الأربع نحتتا جزءاً من رقبتة، حطمتا وجهه وقتلتاه، مشهداً مربعاً سيحول أحلامها كوايس إلى الأبد. استعاد الريشو الذي سقط أرضاً بفعل القبلة وعيه وأوشك أن يستعيد سلاحه، عندما أطلقت نحوه الرصاصتين المتبقيتين في مسدسها. لم تصبه الأولى ولكن الثانية جرحت ساقه وحطمت عظم فخذه، فنظر إليها وبدا وجهه شاحباً، ولم يظهر أي تعبير عن ألم أو غضب أو خوف لم ير من تعابير على وجهه سوى فراغ رهيب، يمكن وصفه على أفضل نحو بملامح غبية لرجل آلي.

عندما فرغ مسدسها من الرصاص، التقتطت مسدس ذلك الشيء بيدها اليمنى، وقتلته بثلاث رصاصات كانت أكثر مما تحتاج إليه. كانت تتحرك بسرعة كبيرة لدرجة أنها لم تشعر بالخوف حتى هذه اللحظة، إنها الآن في قبضة الخوف، وتطلق الرصاص كما لو أن الرصاصات ضمانات لبقائها. مات ثلاثة من الريشوس، وبقي واحد - ولكن أين هو؟ - مع كل ثانية تمر بدأت الميزة التي منحتها إياها القبلة الضوئية تتلاشى، وبدأ قلبها يخفق بسرعة مع توقع توقفه المفاجئ.

في الخارج، كانت السماء تلمع كما لو أنها لحظة انفجار هيروشيما، ضوء ساطع يشع على النوافذ، يبدو مشرقاً بما فيه الكفاية لطباعة ظلها إلى الأبد على الحائط. جعل هدير الرعد المبنى يهتز، كما لو أن صوته قد جاء من أعماق الأرض غير المستقرة. سمعت جين في أعقابه، صوت دمدمة خفيفة جعلت عمودها الفقري يتجمد وكأن العاصفة فوق المدينة لم تكن تكفي، ثم رأت الريشو الرابع عند مدخل الشقة، على بعد عشرين قدمًا تقريباً، رجل بطول ست أقدام ونصف تقريباً، ضخماً ومتجهماً ويبدو خطراً، كما لو أنه تجميع مجنون لأجزاء من جثث لا تُعد ولا تُحصى موصولة ببعضها وتحركها العاصفة. كان يحمل مسدساً في إحدى يديه، وجهازاً في الأخرى، ربما كان جهاز تحكم عن بعد. أشار إلى الطرف الأبعد من المساحة غير المستخدمة. بدا أن الريشو ينظر إلى ما وراء جين بدلاً من وجهها. أدارت رأسها لترى ما الذي كان ينظر إليه، مصدر الدمدمة الذي سمعته كان باب الشقة الأخرى - التي يجب أن تُدعى قفصاً أو سجنًا - حيث كان يفتح في مساره المعدني.

لو كان الخيار بيدها، لكانت جين قد رحبت بحيوانات القيوط، سواء أكانت مسعورة أم لا، في أي عدد تقريبًا، بدلًا مما واجهته في ساحة القتل في الطابق الثامن.

قبل أسابيع، في مزرعة بريتولد شينيك في وادي نابا، بالإضافة إلى الريشوس، ساهمت حيوانات قيوط في حفظ الأمن زرعت في أدمغتها في وقت مبكر هذه التكنولوجيا كتجربة، يمكن التحكم بحيوانات القيوط عن طريق أوامر بث الموجات الصغرى. بالرغم من أنها عاشت معظم الوقت كحيوانات عادية، إلا أنه يمكن استدعاؤها للهجوم بشراسة كبيرة.

استلهم ديفيد جيمس مايكل الفكرة للتأثير على نوع مختلف من الكائنات ووضعها في الخدمة في الطابقين الثامن والعاشر من مبناه. قبل سنوات، أصيبت الأمة بالذعر والخوف من القصة الإخبارية لشمبانزي أليفة هاجمت بغضب المرأة التي تسكن في الجوار، وعضت أصابعها، ومزقت وجهها، وشوهتها بطرق لا يمكن تصورها، تاركة إياها عاجزة وفي غيبوبة، كل ذلك في أقل من دقيقة. الشمبانزي التي كان الناس يعشقونها في الأفلام والتلفزيون بسبب تصرفاتها الغريبة واللطيفة، كانت في الغالب شمبانزي صغيرة. ولكن الشمبانزي الذكر كامل الحجم، يزن مئة وعشرين رطلاً، ويمتلك ذراعين طويلتين رياضيتين وبارعتين، وهو أسرع بكثير من أسرع رجل وأقوى من إنسان بضعف حجمه. على عكس الغوريلا، كانت الشمبانزي حيوانات آكلة للحوم، وهي تأكل كل شيء من التوت إلى الحشرات إلى الحيوانات الصغيرة. كما عرف بو عندما كتب "جرائم القتل في مشرحة التوبة" - الذي ظهر فيه إنسان الغابة - كان المخلوق الذي ذاق الدم أكثر عرضة لسفك الدماء، وفي بعض الرئيسيات، ليس فقط في البشر، كانت هناك قدرة على الغضب، والعنف، والوحشية التي جعلت أفضع زوار الكوايبس يبدوون بالمقارنة كأشرار أفلام الكرتون.

ربما لم يفتح جهاز التحكم عن بعد الذي استخدمه الريشو الرابع فقط باب القفص، ولكنه فعل أيضًا أمر هجوم في برامج الشمبانزي. لقد تضاعفت قدرتها الفطرية على العنف - إلى أي حد؟ - من خلال آليات التحكم المزروعة.

انطلقت ثلاثة وحوش شعشاء في الفراغ الطويل، من دون الصرخات الصاخبة والشائعة بالنسبة إليهم، انطلقت بصمت غريب، كما لو كانت منخرطة في مسرحية إيمائية تتطلب قواعدها أن تكون صامتة.

قفزت الشمبانزي على ثلاثة أعمدة رأسية، وصعدت بسرعة يداً تلو الأخرى إلى غابة القضبان الاصطناعية المعلقة على ثلاثة مستويات في جميع أنحاء الغرفة.

الآن وبعد استحضار الثلاثي الشرير، ألقى الريشو المتبقي جهاز التحكم عن بعد جانباً، وتقدم نحو جين من مدخل شقته، مثل غولم⁽¹⁾ ضخم وراسخ نهض من الطين ليأخذ شكله الحالي، ظلّه يطير منه مراراً وتكراراً كلما ظهرت صاعقة في سماء العاصفة. أطلق الريشو العديد من الطلقات من مسافة بعيدة جداً، لكنه تراجع بسرعة، وارتدى حزاماً من المخازن الاحتياطية. لم تقدم هذه الغرفة الشاسعة شيئاً قد تختبئ جين خلفه.

كان قلبها يقفز بشدة بسبب صوت العاصفة، وحاولت جين ضبط نفسها كما تعلمت في كوانتيكو، أطلقت الرصاص من مسدس أحد الريشوس المقتولين، ورأت أنها أصابت الغولم في كتفه اليمنى، ألقت المسدس وانتزعت مخزناً احتياطياً من حزامها، ووضعت في الهيكل بينما كانت القضبان فوق رأسها تنقر وتصدر صوتاً بتأثير من وزن الشمبانزي التي تتأرجح وتتقدم عليها.

كانت الحيوانات سريعة للغاية، غيرت اتجاهاتها بشكل متهور وغير متوقع، لدرجة أنها شكت بأنها قادرة على قتل أي واحد منها إن لم يكن قتلها جميعاً. أما الريشو الذي لا يزال على قيد الحياة، بالرغم من إصابته، فظل يتقدم نحوها حاملاً سلاحه بيده اليسرى، وفي الوقت الذي أطلقت عليه النار، أصابها الغولم بطلقة، لم تكن ترتدي سترة واقية من الرصاص، لأنها كانت تحد من حركتها عندما تريد أن تناور، شعرت بألم شديد في جانبها الأيسر، أعلى وركها وأسفل قفصها الصدري، شعرت بحرارة ناجمة عن تمزيق الطلقة للحم، للحظة منعها الألم من التنفس، فتراجعت خطوتين غير متوازنتين إلى الخلف، وظل داخلي جعل بصرها يتلاشى لكنه زال فوراً.

(1) الغولم كائن بشري الشكل من صنع الإنسان، تنفخ فيه الروح بطريقة خارقة للطبيعة في الأساطير اليهودية. (المترجم).

بشكل انعكاسي، مدت يدها اليمنى تحت سترتها الرياضية، ولكنها سحبتها على الفور، ومسحت راحة يدها المملطخة بالدماء ببنطال الجينز. كانت تنزف. لا مشكلة فلم تكن المرة الأولى التي تُجرح فيها، ولم يكن الجرح مميّناً، لا تزال واقفة على قدميها، ولا تزال قادرة على تحمل الألم، قبضت مجدداً بكلتا يديها على المسدس، في تلك الأثناء قفز أحد الشمبانزي من الغابة الاصطناعية.

ربما كان أي شكل بشري هدفاً مبرمجاً، وهذا ما جعل الشمبانزي لا يميز بين الصديق والعدو، وربما جعل الدم من جرح الكتف الحيوان مسعوراً. لأي سبب من الأسباب، سقط المخلوق على آخر ريشو، وجهاً لوجه، لف ساقاه حول الغولم، وأمسك بيديه، وبدا أنه عض وعض قبل أن يتعد ويصعد إلى قضيب عمودي آخر. إن لم تكن مخدوعة بالمسافة والضوء المرتعش، اعتقدت جين أن الريشو، الذي ينهار ويموت، قد حرم من كلتا عينيه.

25

الشمبانزي تتدلى بصمت من قضيب إلى آخر، غياب أصواتها وصرخاتها، أضفى مزيداً من التهديد أكثر من أي شيء آخر، كانت أجسادها مغطاة بشعر أسود، وكانت تتوسط وجوهها الباهتة أعين كستنائية تتوهج في ضوء الغرفة وتتحول إلى الأحمر في ومضات ضوء العاصفة المفاجئة...

عندما مالت جين جهة اليسار، أثناء تراجعها من وسط الغرفة الكبيرة، أشعرها الضغط على الجرح باستكانة الألم لفترة وجيزة، كانت مكشوفة من كل الجهات، أرادت أن تدير ظهرها إلى الحائط، بين نافذتين كبيرتين، وكانت في منتصف الطريق عندما قفز شمبانزي آخر من أحد المستويات الثلاثة للقضبان وسقط إلى جانب الريشو الذي قتله عندما دخلت. قفز الشمبانزي على ظهر الجثة، وصفع رأسه عدة مرات وقفز متجاوزاً إياه. في تحريض صامت، أمسك الشمبانزي الريشو ودحرجه، ودحرجه مرة أخرى، كما لو كان غاضباً لأنه لم يستجب. أمسك الشمبانزي بوجه الغولم ورفع رأسه الذي لا حياة فيه وألقى به أرضاً، كما لو كان شيطاناً وصل من عالم جهنمي مع تعليمات عاجلة لجمع الأرواح، ولكنه وجد، أنه لا روح تصاحب هذا الشيء الميت

الذي يشبه الرجل، ولكنه ليس رجلاً. أمسك بشعر الريشو، ولفه، وانتزعه من جذوره ومعه قطعة من الجلد الذي يغلف الجمجمة.

أدى هذا الأداء الشنيع إلى إصابة جين بشلل لم يحصل لها من قبل، عندها أدركت فجأة أن وقوف الشمبانزي فوق الجثة يجعل منه هدفاً سهلاً. ضغطت على أسنانها لتخفف ألم جرحها، رفعت سلاحها، وأطلقت أربع رصاصات، أصابته منها ثلاثة. مد ذراعيه الطويلتين كما لو أنه يتعارك مع حشد من الحشرات الطائرة حوله، صرخ مرة بينما كان ألم الموت ينزع برنامج التحكم منه، وانهار على الريشو الذي كان يعذبه.

علا صرير وصوت القضبان دفعة واحدة عندما استجاب الشمبانزيان المتبقيان لموت الثالث، وأخذوا يترجحان بشكل أسرع عبر الغابة الفولاذية، شكلان داكنان ورشيقان يتحركان في آن معاً. قوتها ورشاقتهما الهائلتان، والثبات الذي ترجحا وانتقلا به من قبضة إلى أخرى كان مرعباً.

ضغطت جين ظهرها على الحائط بين النافذتين، حيث لمعت العاصفة على الزجاج. لقد أطلقت أربع من الرصاصات التسع. أخرجت المخزن، وأسقطته في جيب سترتها، والتقطت واحداً آخر ووضعت في المسدس.

كانت تتعرق، وترتعش، وتشم الألم بصمت، مسحت العرق عن عينيها بكم معطفها، وتبعت الشمبانزين بأفضل ما يمكنها، لم تستطع دائماً أن تبقيهما في مجال رؤيتها في الوقت نفسه، وتساءلت إذا كانا سيرهقان نفسيهما، وبالطبع عرفت الجواب: إنهما لا يتحركان وفقاً لرغباتهما، بل البرنامج هو من يتحكم بهما، وسيظلان يقومان بحركاتهما البهلوانية هذه حتى ينهار جسدهما أو يتشاركا في تشتيت انتباهها ومهاجمتها.

كانت تتوقع ما ستجده في الطابق الثامن، ولكن بالرغم من أنها قرأت عن هذه الحيوانات وسرعتها، وفهمت قدرتها على العنف، إلا أنها استهانت بها، ولم تتخيل كيف ستحد من فوضى هذه الحيوانات ومن حركتها.

حتى وإن أطلقت وابلأ من الطلقات صوب النوافذ فسيتبعها الشمبانزيان إلى الشرفة، وعندها لا تظن أنها ستكون قادرة على ملء مخزن مسدسها مجدداً بالسرعة

الكافية، أما إذا حاولت الخروج من الباب الذي دخلته، فسيقبض عليها، أما الدرج فلم يكن خيارًا، لأنهما سيتعقبانها وسينزلانه أسرع منها.

وقفت والمسدس في كلتا يديها، ولكنه قريب من جسدها، نظرت إلى السقف، وفكرت بطريقة ما، ووجدت حلاً. كان العالم متاهة من الألغاز والأحجيات، لكنه عالم ذو تصميم منطقي لم يطرح لغزًا ليس له إجابة، دائمًا هناك إجابة، وكل ما عليها هو العثور على تلك الإجابة.

لدقائق قليلة لمعت السماء أكثر من أي وقت مضى، ودوى الرعد كما لو أن غطاء الكوكب قد تصدع على نطاق واسع من خلال قوة عنصرية هائلة وانطفأت الأضواء.

26

في هذا الصباح الكئيب، جاء ضوء النهار بشكل خفيف تحت امتداد شرفة الطابق التاسع، وسقط بشكل ضعيف على النوافذ السميكة في الطابق الثامن لدرجة أنه لم يكشف عن أي شيء داخل النوافذ أبعد من عشر أو اثنتي عشرة قدمًا من الغرفة الضخمة. الأرضية الخرسانية شاحبة مثل كسرات الجليد الرقيقة. طالما أن البرق مستمر، كان يكشف بشكل عابر عن الشبكة المتدرجة من القضبان العلوية، ولكن مع كل ميض، سقطت الظلال الهندسية من تلك الأعمال الفولاذية، وفي تغيير الألوان الوامض بالأبيض والأسود، لم تستطع جين رؤية مكان القردين في أي لحظة.

مع انحسار كل دوي من الرعد، كان بإمكانها سماع أيدي القروذ تترجح إلى قبضة جديدة، واهتزاز وصرير القضبان، ولم يكن لديها أدنى شك في أن الحيوانات كانت تتحرك بشكل أسرع وبعنون صامت لَمَح بشدة لهجوم وشيك. لم تستطع تحمل أن تمسك سلاحها بكلتا يديها، ولن تتمكن من التصويب وفقًا لتدريب كوانتيكو خاصتها. سحبت سلاحها الثاني وبذلك أصبحت تحمل مسدسًا في كل يد، وحدقت مباشرة إلى الظلام، وفكرت غاضبة.

ربما قرأت أصوات تحرك القردين بشكل أفضل على مستوى أعمق مما فعلت بوعي، لكنها قررت أن بساطتهما الحيوانية يجب أن تؤثر على استراتيجيتهما أكثر من البرنامج الذي وجههما إلى القتل. كان البرنامج عبارة عن تحكم كلي. ومع

ذلك، عملت غريزتهما على نطاق ضيق، مترابطة كما كانت عبر كل خلية في الدماغ وكل ليف من العضلات والعظام. أمرهما البرنامج أن يقتلا، وأخبرتهما الغريزة كيف. قد يتضمن الهجوم المحنك تقدم أحدهما من الجانب وهو يصرخ محطماً صمتهما، بينما يهاجم الآخر من الأمام مباشرة بعد هذا الإلهاء، فيرفعها ويلقها على الحائط، فيحطم وجهها ويمزقه بمخالبه الحادة ويديه القويتين، لكنهما ليسا بتلك الحنكة.

مدت ذراعيها على وسعها كما لو كانت مثبتة على صليب، وصوّت سلاحاً على الجانبين، وضغطت قليلاً على الزنادين. وحدقت إلى الضوء الشاحب على يمينها، ضغطت على أسنانها، مستعدة لتلقي هجمة من أحدهما أو كليهما، مما سيضمن الفشل والوحشية والموت المروع، وكأبة العالم الخارجي. في الغرفة المظلمة حولها، ومض سيف من البرق، ظنت أنها رأت شكلاً يندفع من قضيب متوسط إلى آخر، وبين ومضات الضوء والرعد الذي تبعها، سمعت هسهسة، تعبير الغضب الوحشي الصامت تقريباً. في كوانتيكو، كانت الأولى على فصلها في مجال الحرية، وهي قوية بما يكفي للضغط على زناد مسدس تدريبي أكثر من تسعين مرة في دقيقة، ولكنها الآن تفوقت على أفضل ما بوسعها القيام به، أفرغت المسدسين.

سمعت صرخات ألم وجيزة، لكنها لم تستطع أن تتأكد إن كانت صرخات مخلوق أم اثنين. إن ظل أحدهما حيّاً، فهي بحاجة إلى تغيير وضعيتها وإعادة تعبئة مخزنها في أسرع وقت ممكن.

عادت إلى الجدار، انزلقت وجلست على الأرض. أسقطت المسدس بين ساقيه المنفرجتين. أخرجت المخزن من الآخر. انترعت مخزناً جديداً من حزامها. وضعت في المسدس. هذه المرة أمسكت المسدس بكلتا يديها.

ألواح طويلة من الزجاج على يمينها ويسارها، تشكل نافذة باهتة من الضوء على الأرضية الخرسانية. إلى يمينها، كتلة ثابتة ومكومة في ضوء النهار الخافت. شمّت رائحة كريهة من براز الكتلة الذي سال إثر صدمة الموت. على يسارها كان هنالك شكل مشابه للضوء الباهت...

نظرت إلى السواد على يسارها، حيث يمكن أن يكون هناك غولم مبتسم يتقدم نحوها، أصابعه الطويلة ملفوفة على قضيب سفلي، ويداه تمسكان بالقضبان فوق رأسه، في الوقت الذي يراقبها وينوي لها الشر. أبقّت المسدس بالقرب من جسدها، موجهة إياه نحو اليسار والأعلى.

ظهر القرد من الظلام أمامها مباشرة، بسرعة كبيرة عبر الأرض وبين ساقها، يصفق بغضب، رأت وجهه فجأة على بعد بوصات من عينها، عينين صفراوين كستنائيتين كما لو كان الضوء الطيفي يلمع من الداخل. صرخت، وصفق القرد بشراسة أكبر، بصق الدم، من الواضح أنه أصيب. هاجم ملتقًا بسرعة أفعى، أمسك رأسها بيد واحدة، مزق شعرها، ولوّح صارخًا صرخة انتصار.

في الوقت الذي أمسك القرد بشعرها المستعار، أطلقت جين النار عليه في وسط صدره، أطلقت جميع الرصاصات التسع في المخزن، وبدا أن المخلوق قد ارتد إلى الخلف وابتعد، كما لو أن أحدًا أرجع دمية يتحكم بها عن بعد.

27

خلف النافذة، تضاءلت المباني المظلمة أسفل التل على بعد حيين، وربما ثلاثة، ولكن الأضواء تالأت في المناطق المنخفضة التي اجتاحتها الأمطار وعلى التلال الأخرى التي ضربتها العاصفة. اقتصر انقطاع الكهرباء على الحي المخدم بواسطة محولة الكهرباء أو أي مرفق آخر قد ضربه البرق.

أصبحت اللدغة الأولية للجرح والتي تشبه جرح شفرة الحلاقة، أخف ويمكن تحملها.

عندما وضعت مخزنًا جديدًا في كل مسدس، ووضعت أحدهما في جيبيها، وقفت جين في الضوء الذي عبر الزجاج السميك، وحدقت إلى المدينة الرطبة اللامعة. شعرت كما لو أنها كانت متوازنة على جرف غادر بين مخلوقين؛ أحدهما وجد منذ الأزل والآخر ولد في أوقات التغيير الطوبأوية هذه. لم تستطع إلا أن تفكر في إدغار آلان بو مرة أخرى، والمياه الكثيرة لمدينته في البحر، حيث "ذهب الجيد والسيئ والأسوأ والأفضل إلى راحة أبدية".

بعد مرور مد التغيير القادم، لن يكون هناك راحة في العالم الجديد، بل سلام الخضوع أو الموت، والرعب الهادئ الذي يحافظ على سكوت الفئران في وجود القط الباحث ذي الأنياب. على مر التاريخ، مات كثيرون في هذه المدينة، وسيموت كثيرون، ربما سيموت آخرون أقرب مما يتوقعون. ولكن في الوقت الحالي، بقي أسوأ الأسوأ على قيد الحياة فوقها، وهو خطأ يجب تصحيحه.

حملت مسدسًا في إحدى يديها، وقلّمًا ضوئيًا في الأخرى، وشقت طريقها بين الجثث المتناثرة إلى الشقة حيث أقام الريشو الأربعة في حرمان يُرثى له. الفرش على الأرض كانت أسرتهم الوحيدة، لم يكن هناك من مطبخ بل ثلاجة ومايكروويف فقط، بالإضافة إلى زاوية مخصصة للدش، ومرحاض، ومغسلة من أرخص الأنواع في مبنى يمتاز بأناقته. لا كراسي أو أرائك، أو تلفاز. بل طاولة بسيطة وأربعة كراسي، حيث كانوا يأكلون أو يلعبون ألعاب الورق اللامتناهية التي أمضوا بها الوقت مثل محركات متوقفة تنتظر أن يطبق الضغط على مسرعاتهم، ما من أحد حي هنا، دماغ كل واحد من هؤلاء الرجال كان رائعًا من كل النواحي، ولكنه شوهه بلا رحمة، فتحولوا من رجال إلى آلات للقتل مصنوعة من لحم وعظام.

خلعت سترتها الرياضية، ووضعتها على أحد كراسي طاولة اللعب، وسحبت قميصها المشبع بالدماء من الجينز لتفحص جانبها الأيسر بواسطة ضوء شعاع قلم الضوء. لم تر المكان الذي اخترقته الرصاصة، كانت لتدخل عبر كتلي الدهون الجانبية لو كانت لديها دهون. نحتت الرصاصة قرابة ثلاث أو أربع بوصات من جلدها، بعمق نصف بوصة. لا نزيف شرياني. بل تدفق ثابت للدماء، ولكنه مقبول لأنه من الشعيرات الدموية الممزقة. يمكن أن تكون حرارة الرصاصة قد كوت جزءًا من الجرح. قد تفقد نصف لتر من الدم قبل أن ينتهي الأمر، لم يكن فقدان هذا القدر من الدماء ليودي بحياتها، ولكن ما تخشاه هو الالتهاب، ولكن لا يجدر بها التفكير في هذا الأمر الآن.

ثنت قميصها لتضغط به على الجرح، ثم أعادت ارتداء سترتها الرياضية. مع كاميراته المعطلة، افترض ديفيد جيمس ما بكل أنها قتلت. لكنه قد لا ينتظر حتى تأتي الكهرباء ليتأكد. قد يتصل بشخص ما ليأتي إلى الطابق الثامن ويتحقق، لم يكن لديها متسع من الوقت، إن لم يكن وقتها قد نفذ أصلاً.

في أحد أركان الشقة، وضعت القلم الضوئي على الأرض بحيث ينعكس شعاعه عن الجدار الأبيض، وهذا يوفر إضاءة ضعيفة ولكنها كافية. وضعت المسدس في قرابه، وسحبت سكين دريوال.

حدد ويلسون فوتشر ممرًا من الطابق الثامن إلى التاسع، وهذا ما سمح لها بتجاوز باب القبو إلى شقة ديفيد جيمس مايكل. باستخدام السكين، قطعت لوحًا من الحائط الجاف يبلغ عرضه قدمين وطوله أربع أقدام ووضعته على الأرض. التقطت القلم الضوئي وتفحصت الفجوة: فراغ تمديدات بالحائط يبلغ عمقه أربع أقدام وعرضه سبع أقدام مكون من الخرسانة المصبوبة في مكانها من ثلاثة جوانب، جمعت فيه أنابيب من المياه الصاعدة والنازلة التي خدمت الطابقين العلويين، بالإضافة إلى حزمة منفصلة من الأنابيب البلاستيكية التي تحتوي على كابلات كهربائية، ونظام الألياف الضوئية ونظام الصوت، وما إلى ذلك.

أربع من الأقدام السبع تركت للأنابيب المستقبلية، تاركة مساحة كبيرة لدخيل مصمم على الصعود من الطابق الثامن إلى التاسع.

بعد تثبيت القلم الضوئي على معطفها، انزلت جين بين الدعائم الجدارية التي أرفقت بالجدران، واستدارت لمواجهة الغرفة التي غادرتها لتوها، واستخدمت الأخشاب - قطع خشب أفقية تربط دعائم الحائط للتعزيز - بمثابة درجات سلم لتسلق الفراغ، خلف الجدار.

حتى الآن لم تتأثر بالألم بقدر ما كان دافعًا لها، بدت كما لو أنها في مسابقة لإثبات أنه مع قوة الإرادة يمكنها التغلب على محنة الجسم.

بشكل حتمي، تُحدث قطع الجدار الجافة بعض الضوضاء، ولكن بما أنها تشق طريقها إلى الأعلى فالضوضاء التي أحدثتها كانت أخف، لكنها شككت في أن يسمع ديفيد جيمس مايكل أي شيء أكثر هدوءًا من قبلة يدوية. خففت الخرسانة السمكية بين الطوابق معظم الأصوات، وغطت العاصفة الضوضاء. إلى جانب ذلك، عندما تصل إلى وجهتها، كانت ستخرج إلى خزانة مليئة بألواح قواطع كهربائية وإلكترونيات خدمة الهاتف، في زاوية الشقة الأبعد عن مناطق المعيشة الرئيسية.

لكن إن كان حدس الملياردير، الذي تعطلت كاميراته بسبب انقطاع الكهرباء، أنبأه أنها نجت، فلن يخاطر بالرحيل عبر الدرج السري خوفاً من مقابلتها. على الأغلب أنه محمي خلف الباب المدعم الخاص به، وواثق للغاية أكثر من أي وقت مضى.

في الطبقة الخرسانية السميكة التي كانت بمثابة سقف الطابق الثامن وأرضية التاسع، اختفت روافد الصرف وأنابيب المياه فيها. مرت من خلال الفراغ المفتوح إلى المستوى التاسع، حيث انحرفت الخطوط الفرعية للأنابيب المساعدة الأخرى بعيداً عبر الجدران الجافة.

استندت إلى الأخشاب، واستخدمت سكين الحيطان الجافة لإحداث فتحة في خزانة الخدمة. وضعت القلم الضوئي فوق اللوحات الكهربائية وصناديق شركة الهاتف.

شكرا لك ويلسون فوتشر.

من جيب حزامها، سحبت واحدة من الأشياء التي اشترتها في ريسيدا، وهي كاميرا جسم باترول أيز يستخدمها العديد من أقسام الشرطة، وثبتها على الحبل. وعلقته حول رقبتها. كان وزن الجهاز حوالى ست أونصات فقط. بفضل عدستها ذات الزاوية الواسعة، يمكنها التقاط ساعات من اللقطات عالية الدقة والصوت عالي الجودة. سحبت أحد المسدسين، أطفأت القلم الضوئي ووضعت في جيبيها، وفتحت باب خزانة الخدمة.

لم تكن شركة الطاقة لتستبدل المحول الذي أصابته الصاعقة بهذا الوقت القصير؛ ولكن كان هناك ضوء في شقة ديفيد جيمس مايكل الضخمة. من الواضح أنه موصول بمولد مخصص لتوفير الطاقة في مثل هذه الحالات الطارئة. توجهت للقضاء عليه.

28

جين في المخبأ العالي، تسعة آلاف قدم مربعة من العظمة حيث قام شخص مجنون بأفعال الآلهة العادية عندما لا تدمر عالمًا وتبني آخر...

كانت الظروف الرثة التي عاش وفقها الريشو دليلاً على احتقار ديفيد جيمس لأبسط إبداعاته. شككت في رغبته بمشاركة مساحته الشخصية مع أي منهم، وبالتأكيد لن يحتفظ بقرء مبرمج هنا في الطابق التاسع.

إذا كان هناك خدم - مدبرة منزل، طاهية، خادم - سيكونون مثل مواطني أيرلندا فرنس، سمح لهم بدرجة من الاستقلالية الواضحة، ولكنهم مع ذلك يخضعون لتحكم مشدد. لم يكن ليحلب خادمين ذوي إرادة حرة إلى مكانه الخاص، طالما يستطيع الحفاظ على خصوصيته من خلال تزويد منازلهم بخدم من أنصاف الزومبي. كان استعبادهم دائماً، إن قتلهم في سبيل الوصول إلى سيدهم، فإنها بعملها هذا حررتهم. تبين أن هناك ضيفا أو اثنين...

حسناً، من المرجح أن يكون أي ضيف أركادياً. كان عليها أن تتصرف وفقاً لما تقتضيه الظروف.

على طول ممر قصير، بعد مطبخ، سارت برشاقة عبر بعض الغرف الكبيرة، كانت الغرف مزودة بديكورات من الأرت ديكو، ومؤثثة بجودة متحف. هنا في مسكن واحد، كانت هناك تحف وقطع فنية تعادل قيمتها عشرات الملايين - وحتى الآن ليس هناك أي علامة على وجود ساكن.

بدا لها غريباً أن الرجل الذي يريد قلب الماضي، وإعادة كتابة التاريخ، وإنشاء مستقبل منفصل عن كل ما هو سابق، صمم لنفسه ملاذاً، تنقله تفاصيله إلى العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين، ربما رأى في الماضي أموراً لم تتحقق، وهو يسعى لتحقيقها الآن.

في الوقت الذي كانت تعبر فيه بين المفروشات والتحف التي تليق بمتحف أكثر مما تليق بشقة، شعرت بشيء من الارتباك، ربما لأن هذه الأنافة الصارخة والتي كلفت جهداً ومالاً كبيرين ورتبت بطريقة مدروسة تتناقض بشكل مقلق مع رعب طابق الريشو والقردة والعنف الدموي. أصابها طنين أذني متقلب وغير ثابت، نغمتان متذبذبتان إلكترونيتان أو ثلاث ترجح معاً، ثم تتلاشى إلى الصمت، كأنها الموسيقى التصويرية لتشويشها.

كما هو الحال في الطابق الثامن، كانت النوافذ هنا من الزجاج السميكة المضاد للرمصاص. ضوء الصباح الرمادي، والمطر الغزير، ومنظر المدينة باللون الرمادي كما

لو أنها لونت بقلم رصاص قَدَم خلفية مناقضة لألوان الديكورات البراقة والدافئة.
عندما دخلت الغرفة الكبيرة بكراسيها الستة، ظلت تسمع أصوات أداء الطبيعة:
الدمدمة الدورية للعاصفة، واندفاع حبال المطر المتدفق، وطققة قطرات المياه تحت
امتداد الطابق العاشر لتتجمع على بلاط شرفة الطابق التاسع.

كانت الأبواب المزدوجة لهذا السطح العميق مفتوحة على مصراعيها. كأنه نزل
من السماء على تيارات العاصفة، ظهر ديفيد جيمس مايكل عند تلك العتبة ودخل من
الشرفة.

شعرت برغبة جامحة لتقول، *هذا من أجل نيك*، وتطلق النار على ذلك اللقيط، في
الحال. كانت ستفعل ذلك لو لم تكن بحاجة لشهادته.

ابتسم: "سيدة هوك، مثابرتك وقدرتك على التحمل رائعة. مرحبًا بك في منزلي
المتواضع، سأقدم لك مشروبًا، ولكن ذلك يبدو بمثابة إفراط في المجاملة، مع الأخذ
في الاعتبار أنك تودين رؤيتي ميتًا".

"الموت جيد. لكن الأفضل أن تتعذب في السجن".

ربما لم يكن بمفرده على الشرفة. لم ترَ أحدًا من خلال النوافذ العالية، ولكن
كانت هناك مناطق لم تستطع رؤيتها.

"أنت لا تبدين على ما يرام، سيدة هوك. ثمة دماء على سترتك".

بعد أن ضغطت زرًا لتنشيط كاميرا الفيديو باترول آيز التي تدلت من رقبتها،
أمسكت مسدسها بكلتا يديها.

سألها: "أتريدين أن أستدعي المسعفين؟".

"لا يا سيد مايكل. سأستدعيهم عندما تحتاج إليهم".

إلى جانب كرسي روهلمان، هناك كرسي بركير كبيرة تعكس ضوءًا من مصباح
تيفاني المستوحى من شكل اليعسوب بدرجات صفراء تتراوح من العنبر الداكن إلى
الأصفر الليموني.

أغراه التوهج الدافئ. إنه شاب وسيم ذو مظهر شاب يبلغ من العمر أربعة
وأربعين عامًا، شعره أشقر مموج، وقف هناك منتعلاً حذاءً رياضيًا وأرتدى جينزًا
وقميصًا، مستعرضًا صورته المفضلة كروح حرة، ملياردير بلا ذرائع. بالطبع ربما كان

الحذاء من تصميم توم فورد، والجينز من ديور للرجال، والقميص من ديفيد هارت، أي ما يقارب مجموعه ثلاثة آلاف دولار، إذا لم تحتسب ثمن الملابس الداخلية. مجرد وجودها معه في الغرفة نفسها أشعرها بالقرف، خاصة عندما نظر إليها كما لو أنها تعمل في أسبانيا.

"أخبرني عن الأركادين يا سيد مايكل".

"يبدون مثل فرقة من الدرجة الثانية. ماذا يعزفون؟ موسيقى رقص قديمة من الثمانينات؟".

"أنت ساقط متعجرف، أليس كذلك؟ لكنك ستحدث".

"كيف ستعجلين التحقيق يا سيدة هوك؟ تصعقيني باستخدام التيزر، تخدريني بالكلوروفورم، تعريني، تربطيني بالقيود، وتهدديني بقطع قضيتي؟ هل هذا ما تعلمته في كوانتيكو؟ إنه بالكاد يبدو دستورياً". وضع يده على أذنه. "هل تسمعين هذا؟". لم ترغب في مجاراته بلعبته.

وبدلاً من الإجابة عن سؤاله، قالت: "اجلس على هذا الكرسي".

كرر: "هل تسمعين هذا؟ إنه نداء المستقبل. إنه مستقبل لا تفهمينه ولا دور لك فيه".

لم تكن تفضل شيئاً أكثر من أن تقتله، سواء باعتراف أو من دونه.

"السيدة هوك، أو يجب أن أقول الأرملة هوك؟ لا، ربما سيؤلمك أن أدعوك على هذا النحو. فقط جين. جين، لأنني أعرف نوعك بشكل جيد جداً، أنا متأكد من أنك تؤمنين بوجود ضمير. صوت داخلي صغير يميز الصواب من الخطأ".

قالت: "لأنني أعرف نوعك جيداً جداً، أنا متأكدة أنك لا تعرف ذلك".

ابتعد عن الكرسي، نحو أريكة سو أي مير المصنوعة من الخشب المائل والمذهب والكراسي المتطابقة المنجدة بنسيج أوبيسو، تبعته بعينها على الأبواب المفتوحة نحو الشرفة، منتبهة لأي حركة في مكان آخر من الغرفة الكبيرة، قررت جين في الوقت الحالي السماح له بفعل ذلك بالنحو الذي يريده، إن كان الأمر سيؤدي إلى كشف الحقائق بسرعة أكبر من الاستجواب. لقد كان نرجسياً، ولا شك أنه اعتقد أنه سيستطيع إقناعها بصوابية رأيه، وأنه حتى لو لم يتمكن من كسبها، فإنه سيتغلب عليها

بشكل غير متوقع، فقط لو أن القدر سيحول مسار الأحداث، وسيثني العالم بنفسه، لضمان نتيجة موأية لديفيد جيمس مايكل.

لم يجلس على الأريكة ولا الكراسي، بل وقف محددًا إلى سلسلة من تماثيل فرديناند بريس الموضوعة على طاولة القهوة من تصميم رولمان: راقصات برونزية الطلاء على قواعد من الرخام والعقيق، وجوهها وأطرافها منقوشة من العاج الملون.

نما طنين جين بصوت أعلى، ومسحت الغرفة كما لو أن بعض الموسيقيين كانوا يجلسون في زاوية، يعزفون الثيرمين. ولكن بالطبع كان الصوت داخليًا، وتلاشى مرة أخرى.

قال ديفيد جيمس مايكل: "عند تحسينها إلى الكمال في غضون عام أو عامين، ستستقر غرسات النانو النهائية بشكل مريح للغاية داخل الجمجمة بحيث لن يكون لديهم أدنى شك في أن إرادتهم الحرة في فعل الشر قد تم تقييدها. ستبدو قراراتهم وتصرفاتهم وكأنها من اختيارهم، وستصحح قيمهم وأخلاقهم بمهارة بحيث يبدو أن كل تغيير في الرأي كان ناتجًا لمنطقهم".

قالت: "وأنت - أنت فقط - من سيقدر ماهية الشر، وما هو أخلاقي وما هو ليس أخلاقي، وماهية القيم الصحيحة".

حتى اللحظة التي نظر إليها، لم تعتقد أن ابتسامة يمكن أن تنقل مثل تلك الشفقة المسمومة، مثل هذا الازدراء. ومع ذلك، ظل صوته ناعمًا ومعقولًا حيث استمر بالتحدث بهذا اللامنتطق: "انظري إلى العالم بكل فظائعه يا جين. بكل فوضاه؛ الحرب والظلم، التعصب والكرهية، الحسد والجشع رموز الحق والباطل التي صممتها وأيدتها الإنسانية. هل أفلحت يومًا يا جين؟ أليست جميع الرموز مضللة بطريقة أو بأخرى، وبالتالي لا يمكن الوثوق بها؟".

ابتعد عن جناح سو ومير، وأولاها ظهره، وذهب إلى خزانة جانبية من خشب الأبنوس ماكاسار مطعمة بالصدف، والتي كانت محاطة بالنوافذ. وقف وهو ينظر إلى صورة تمارا ليمبيكا معلقة فوق اللوحة الجانبية: رجل يرتدي ملابس أنيقة مصور على خلفية ناطحات السحاب، وكلها تم تقديمها بأسلوب الفنان، باردة وتصويرية وقوية.

قال: "إن أولئك الذين منحوا مثل هذا الضمير المزروع لن يزعجهم الشك أو الذنب أبدًا، لأنهم سيعرفون أنهم يفعلون الأمر الصائب والأفضل. لن يعرفوا القلق أو إرهاق الروح. لن يبقى هناك شيء في العالم للخوف منه".

تعبت يداها، أخفضت جين مسدسها: "أنت تصيغها بعبارات منمقة، لكنها تبدو دنيئة وقذرة لشخص يعلم عن فتيات أسباسيا، والريشوس، وبالقسوة التي تطبقونها". رفعت المسدس مرة أخرى. "اجلس مكانك، بحق الجحيم".

عاد إلى الكرسي بجانب مصباح تيفاني دراغونفلاي، لكنه لم يطعها: "ما من قسوة في ما نقوم به يا جين. العالم مليء بالأشخاص التي لا تقدم حياتهم ولا تؤخر. إنهم يتجولون بوجودهم الذي لا معنى له، غالبًا بيأس. نختار أولئك الذين لا هدف لهم وغير السعداء، ثم نزيل أسباب عدم رضاهم ونعطيهم الهدف. أما في حالة زوجك، فنحن نزيل أولئك الذين يشكلون تهديدًا للمستقبل كما يجب أن يكون إذا أرادت الجماهير أن تحظى بفرصة الرضا".

كما كان الحال من قبل، وضع الملياردير إحدى يديه على أذنه، ووقف كما لو كان يستمع إلى شيء غير مسموع لها. "هل تسمعين القدر يهمس، يا جين؟". ضغطت على الزناد، لم تصوب عليه ولكن على الكرسي العتيق، تمزق تنجيد الكرسي، وانبعث خيط من الدخان صادر من ثقب الرصاصة. "اجلس وناقش معي تفاصيل ما قمت به، أو سأحطم ديكورك الثمين ثم أحطمك إربًا إربًا بأكثر طريقة مؤلمة يمكنني تخيلها. ولدي مخيلة حية".

لا تزال يده على أذنه، قال: "ألا تسمعين الهمس يا جين؟ كل هذا الهمس في غرفة الهمس؟ إن لم تسمعيه بعد، فسوف تفعلين قريبًا".

بعدها أولاهها ظهره، ومشى إلى أبواب الشرفة المفتوحة. مشت خلفه، وقالت: "توقف مكانك".

قال: "تعتقدين أن الضمير الإنساني ضروري لوجود الحضارة واستقرارها. حسنًا، أقترح تثبيت شيء من هذا القبيل حيث لا يوجد الآن. بمعنى ما، نحن حلفاء".

بدلًا من أن يتوقف، اندفع عبر خمس عشرة قدمًا من الشرفة. قفز فوق السياج الفولاذي المزخرف، وثب قفزًا من أعلى تسعة طوابق من الهواء الفارغ إلا من المطر.

وصلت جين إلى السياج في الوقت الذي كان فيه ديفيد جيمس مايكل يقفز بالهواء، للحظة كان كعب حذائه الرياضي في متناول يدها، وتوقعت حيلة بهلوانية منه، مظلة سريعة الانتشار. لكن لم يكن هناك حيلة، فقط شكله الجاهز للغوص، ذراعاه الممدودتان اللتان تحاكيان النسر. وقفت جين مقطوعة النفس، مستندة على السياج، وهي تشاهد السقوط، وبدا وكأن قلبها توقف أيضًا، بحيث وقفت في حالة موت مؤقت، غافلة عن البرد وتساقط المطر عليها، لا صوت مسموع ولا رائحة قابلة للكشف، لا حواس تعمل باستثناء حاسة البصر. من سطح الطابق التاسع إلى الشارع، من خلال مئة قدم أو أكثر من الجاذبية التي لا مفر منها، مصعوقًا بوميض من البرق، هوى الملياردير مثل أي فقير معدم. بدا وكأنه ارتطم بالدرجات الأمامية لفار هوراينز برأسه، كأنه دمية محشوة من القش لرجل قذف من الطابق التاسع كخدعة.

دق قلب جين بشدة، وأصبح التنفس باردًا ورطبًا، اطمأنت أنها لا تعاني من الصمم عندما اندلعت أمامها موجة من أصوات المدينة، بما في ذلك صرير المكابح حيث تفاعلت حركة المرور في الشارع أذناه مع تأثير القافز.

أعادت المسدس إلى قرابه، وابتعدت عن السياج، وركضت إلى الشقة، مرت عبر ثروة اللوحات والتحف، ليس إلى القاعة التي احتوت على مصعد ديفيد جيمس الخاص، ولكن إلى الباب الفولاذي الذي يفتح على السلالم المخفية. تجاوزت كل درجتين بخطوة، مرتدة عن كل هبوط بقفزة تالية، مع الألم الذي تشعر به من جرحها، نزلت عبر وهج الفلورسنت الذي يبدو الآن مشرقًا مثل كشاف مروحية الشرطة، من المؤكد أن وقتًا قليلًا سيمر قبل أن يزدحم السير أمام فار هوراينز عندما تطوق الشرطة المكان.

في الجزء السفلي من الدرج، فتحت الباب، ودخلت خزانة الصيانة التي فيها رفوف المنظفات، حيث وجدت المكناس كما تركتها.

توجهت من خلال باب آخر في المرأب بسرعة إلى سيارة هنري والدلوك البي أم دبليو، الذي ينتظر عودتها عاريًا ومغلق الفم ومربوطًا.

اعتقدت أنها فقدت المفاتيح، لكنها نسيت فقط في أي جيب وضعتها. بدا أن البوابة تستغرق وقتًا طويلاً حتى تنفصل من أقفالها الإلكترونية وتنزاح جانبًا. اتبعت الطريق المنحدر إلى الشارع، حيث شغلت مساحات الزجاج الأمامي، والمصابيح الأمامية، وهي تخشى عدد السيارات التي توقعت رؤيتها.

كان هناك عدد قليل من السيارات مكونة بجانب الرصيف على جانبي الشارع، وتباطأت حركة المرور مع تحرك السائقين. تجنبت النظر إلى الجسد المحطم على الدرجات، بعد أن شهدت بالفعل الكثير من حالات الانتحار والانتحار المزعوم. سمحت لها فجوة في حركة المرور بالخروج من الممر، وعبور الشارع القريب، والتوجه إلى الأسفل.

إذا لاحظ أحد الشهود أنها غادرت على عجل، فسيفكر في الحصول على رقم لوحة السيارة، وفي هذه الحالة يمكن أن تصدر عاجلاً أم آجلاً نشرة لجميع نقاط المرور. قادت السيارة بأقصى سرعة تجرؤ عليها، وابل من المطر قصف زجاج السيارة الأمامي عندما كانت تنطلق من مناطق انقطاع التيار الكهربائي إلى المناطق حيث توهجت الأضواء على النوافذ. هنا ظهرت الحياة وهي تسير بشكلها المعتاد، بالرغم من أن جميع الأشخاص المشغولين كانوا في الواقع معرضين للخطر لأنهم، بجهلهم، لا يمكنهم معرفة ذلك.

كانت العاصفة الحالية مجرد عائق بسيط، لكن عاصفة التغيير التي أطلقها ديفيد جيمس مايكل أوشكت على الدنو، وعندما تصل، ستجتاح كل رجل وامرأة وطفل. كما اجتاحت الملياردير بعينه.

30

في الوقت الذي عادت فيه جين إلى باسيفيكا، كانت الرياح العاتية قد سحبت المطر من الشمال الغربي ونفخت بالإبر والأقماع الميتة من الصنوبر، والزهور القرمزية من الأشجار، وبدلاً من المخاطرة بالقيادة إلى منزل هنري والدلوك، ركنت بالقرب من سيارتها إكسبلورر سبورت، وسارت إليها، واستخدمت هاتفًا مؤقتًا لإجراء مكالمة 911 وقالت إن مراقب التكاليف يحتاج إلى أن يتم فك أسره من حمامه

الرئيسي. خرجت من السيارة رباعية الدفع، ووجدت قناة صرف في الشارع ألقت فيها الهاتف.

مع جرح يحرق جانبها كما لو كان وسمًا، شرعت في رحلة سبعين ميلاً ستأخذها عبر جسر غولدن غيت إلى سانتا روزا في مقاطعة سونوما، إلى منزل الدكتور بورتر واتكينز الذي سبق له أن عالجهما وعالج حليفتها دوغال عندما أصيب إصابة بالغة، كان هو من ضمد جرحها الذي تسبب به حيوان القيوط، هو من بدأ في علاجها بالغلوبيولين المناعي لداء الكلب البشري ولقاح الخلايا ثنائية الصبغة البشرية.

عندما كان الدكتور واتكينز يثق ببراءة مريضه كان يداوي جرح عيار ناري من دون أن يقدم التقرير المطلوب للشرطة. لقد كان من الرجال الذي يستطيع أن يشاهد الأخبار ويفصل حبة الحقيقة الصغيرة - إن وجدت - من كتلة القش الكبيرة. لقد وثق بجين بعد الأحداث العنيفة في مزرعة شينيك في نابا، في وقت سابق، وظلت تأمل أنه لا يزال يثق بها.

تلى وفاة ديفيد جيمس مايكل عاصفة إعلامية.

في الوقت الذي وصلت فيه إلى الغولدن غيت، هطل بعض المطر من خلال الضباب الكثيف القادم من المحيط. وشكلت الرياح من الضباب أشكالاً شبيهة، حملتها من الغرب إلى الشرق، كما لو أن أشباح البحارة الذين غرقوا في البحر كانوا يعودون إلى الشاطئ. هجرة جماعية من عدة آلاف من القبور المائية فيما يشبه الأيام الأخيرة، تمثل تجربة الإنسان وحساب ديونها.

كانت حركة المرور عبر الجسر عادية، وبدت مصابيح السيارات القادمة في الاتجاه المعاكس وكأنها تحفر نفقاً عبر الضباب، وقد حجب الضباب رؤية المحيط الهادئ، والخليج، والمدينة التي تقع إلى يسارها. في النهاية، بدأت جين هوك مستعجلة لمعرفة حقيقة ما جرى مع د.ج. مايكل.

لم تتوقع أن يقدم ملياردير يحاصره مئة من رجال الشرطة الذين أرسلهم المدعون الذين حصلوا على دليل بشأن جرائمه ضد الإنسانية، سوى أن يستدعي محاميه ويضع بتصرفهم الملايين ليدافعوا عنه، فلم تتوقع أن يقدم نرجسي مثله على الاعتراف أو يقبل الهزيمة بسهولة، ومن المؤكد أنه ما كان ليأس وينتحر.

هل تسمعين القدر يهمس، يا جين؟

عندما تحدث عن القدر وغرفة الهمس، هل كان يشير عندما ضم أذنه أنه يسمع تعليمات موجات دقيقة في ركن من دماغه؟ أم أنه كان يقصد أن عالمًا كاملاً من الناس - في خدمة طبقة النخبة - سيصبح الوصول إليهم ممكنًا ذات يوم ليتم تنظيمهم في وقت واحد لأي مهمة يريد المتحكمون بهم أن يقوموا بها؟

وبغض النظر عما عناه ديفيد جيمس مايكل، بدا واضحًا أن فصليًا داخل الأركاديين قد تأمر على تخديره دون علمه، وحقنه بألية تحكم النانو التكنولوجية. في تاريخ الثورات، لم يذكر أن ملكًا خلع بطريقة أسوأ من هذه. أولئك الآلهة المحتملون الذين تصوروا هذا البائثون الجديد، يفكرون إلى قوة التوحيد، إنهم قاطنو أوليمبس الحديث الذين لم يحكموا بعضهم فقط بل تأمروا على بعضهم، وهذا يثبت أنهم لم يكونوا أكثر رقيًا من عصابات الشوارع التي تتنافس بالسكاكين والمسدسات للسيطرة على حي مهترئ أو مشروع سكني عام.

إلى الشمال من خليج سان بابلو، تلاشى الضباب، وخرجت جين من المطر، ظلت الغيوم منخفضة، وتتعبق الخرق الرمادية الرقيقة مثل ملابس القبر الممزقة التي ترتديها الأشباح المتجولة لبعض المتوفين الباردين والذابلين الذي لم تفارقهم روحهم. بالنسبة إليها، بدت لها هذه الأرض الآن خصبة للغاية، وبدت لها هذه المجتمعات التي كانت حيوية للغاية - نوفاتو وبيتالوما ورونرت بارك - قاتمة، مظلمة حتى في هذا اليوم الخالي من الشمس، لا يطاردها الموتى بل أشباح الأيام القادمة، بالقدر الذي هُمس فيه لديفيد جيمس مايكل.

لقد أدركت أن ما تشعر به، يعود لتراكمات تعود للأشهر الخمسة السابقة التي تلت وفاة نك. ولكنها تعرف أن هذه التراكمات هي سبب من بين أسباب كثيرة تترك عليها أبلغ التأثير.

ألا تسمعين الهمس يا جين؟ كل الهمس في غرفة الهمس؟ إذا لم تسمعيه بعد، فستفعلين قريبًا.

كان الملياردير واثقًا أن يوم تنصيب جين في جحافل المسيطر عليهم كان قريبًا، وعندها ستكون مثل مواطني أيرون فرنس.

وجدت نفسها تعود بالذاكرة إلى الليلة السابقة، عندما كانت في غرفة نوم هنري والدلوك حين مر مساءً من دون أن يعلم بوجودها، وشاهد بعض الأفلام الشهيرة عن الروبوتات العملاقة أو شيئاً من هذا القبيل. لقد أوصدت باب غرفة النوم بكرسي ذي مسند مستقيم قبل أن تتجراً وتنام عدة ساعات.

كان الباب موصداً عندما استيقظت، وذهبت إلى غرفة والدلوك لتخدره بالكلوروفورم وتربطه.

لم يكن هناك طريق إلى غرفة النوم الاحتياطية هذه إلا من خلال الباب المحصن. الحمام المجاور لغرف النزلاء لم يخدم غرفتي نوم. لم يستطع أحد الوصول إليها من خلال الحمام.

لكنها لم تتأكد إن كانت النوافذ مغلقة، كان يفترض بها أن تتأكد، ولكن كان من المضحك أن تفترض أن شريراً ما بمهارات لص متسلق قد وصل إليها من خلال نافذة. أياً يكن الأمر، كانت نائمة لأنها كانت مرهقة، وليس لأنها مخدرة.

المكان الوحيد الذي يمكن أن تخدر به من دون أن تعلم هو المطعم في باسيفيكا، حيث تناولت عشاء مبكراً قبل أن تذهب لرؤية والدلوك. ولكن أحداً لم يعلم أنها في البلدة، وما كان أحد ليتوقع المكان الذي ستأكل فيه.

بارانويا. مفهومة ولكنها خطيرة. لو أنها حُقت ما كانت لتلاحق ديفيد جيمس مايكل. بل كانت ستخضع للتحكم، ما لم يكن هناك جيل جديد من آلية التحكم، تلك التي استغرقت أكثر من بضع ساعات للتجميع الذاتي في الدماغ...

في سانتا روزا، توقفت في حي سكني، على بعد مبنى واحد من وجهتها، كان الشارع مغطى بأوراق الأشجار التي غطت الرصيف بفعل الرياح والأمطار، ولا تزال الأشجار تقطر.

كان دكتور بورتر أحد الأطباء المعاصرين القلائل الذين كانت عيادتهم في مكان إقامته، وهي تعرف أنه يتناول الغداء عند الساعة التي لا يكون لديه فيها مواعيد، ولكنها لا تعرف متى تبدأ ساعة استراحته تلك. أتبدأ عند ساعة الزوال أم بعدها بنصف ساعة.

جلست في سيارة الإكسبلورر لثلث ساعة، قبل أن تترجل وتتوجه إلى العنوان الذي أعطاها إياه عندما عالجهما من احتمال تعرضها لداء الكلب. الألم الذي خف

خلال القيادة من سان فرانسيسكو اشدت مجدداً مع تحركها. لقد شعرت بالارتياح عندما وصلت إلى منزل الطبيب من دون مواجهة أي شخص نظراً لمظهرها المتسخ وما لحق بتمويهها من ضرر عندما انتزع القرد شعرها المستعار. قصدت الجهة الخلفية من البيت الفيكتوري الأبيض، وصعدت درجات الشرفة، ورأت الطبيب من خلال نافذة المطبخ. كان بمفرده وبدأ أنه يجهز شطيرة. كانت الساعة 12:35 عندما طرقت الباب.

31

بالرغم من أنه لا يبلغ من العمر أكثر من خمسين عامًا، كان لدى بورتر شعور بالواجب الأخلاقي واحتقار للإيديولوجية التي كانت مناسبة لفترة ما قبل ثلاثة أرباع القرن من العصر الحالي، ارتدى ملابسه ليكمل شخصيته. رفعتان على مرفقي معطف التويد، قميص أبيض، وربطة عنق حقيقية. بنطال صوفي رمادي معلق بحمالين مخططين. كان لائقًا ومناسبًا، مع وجه مهموم ومهتم مستوحى من صورة نورمان روكويل لطبيب ريفي، كان دائمًا يتمتع بروح الدعابة. لكن كان هناك شيء عنه، ربما بعض جوانب عينيه البندقيتين الحذرتين، أشارت إلى أنه أخفى عن العالم حزنًا مستمرًا. مع انصراف موظف الاستقبال لتناول طعام الغداء، عالج جين في غرفة الجراحة. عندما تجردت من ملابسها الداخلية، بدا أنه لا يشعر بالقلق على الإطلاق من سلاحها، استلقت على طاولة الفحص بينما كان يقيم ويغسل الجرح الذي وجده أكثر خطورة مما فعلت. خدرها موضعياً، وأغلق اللحم الذي مزقته الرصاصة بالغرزات. قال: "ستدوب الغرزات بمرور الوقت لا حاجة لإزالتها".

في مناسبة سابقة، عندما سألتها لماذا يخاطر بمعالجة المرضى بشكل غير رسمي، الأمر الذي قد يؤدي إلى سحب ترخيص ممارسته الطب، قال: شاهدت الأخبار، آنسة هوك، لم يقصد بالأخبار قصتها على وجه التحديد، لكن أخبار عالم ينزلق في الظلام. سألتها: "هل أصبت الشخص جيداً مثلما أصبك؟".

"بل أفضل. لكن إصابته لم تكن كافية أبداً. إنني لا أزال عند سفح جبل شاهق، ولا يبدو أنني أصلح سوى للعدو على السهول".

"أنت تعانين من الإرهاق، وأعتقد أنك فقدت أكثر من نصف لتر من الدم".

"لقد تبرعت في كثير من الأحيان بنصف لتر. نصف لتر ليس بالكثير".

عندما جلست على حافة طاولة الفحص، رفع الطبيب حاجبًا واحدًا وقال بشكل حاد: "لقد قلت بالحرف أكثر من نصف لتر. يبدو أنك لا تبالين أنني متخصص وأعرف المقدار الذي قد يسبب ضررًا، أعتقد أنه من الحكمة أن لا تقومي بالتشخيص الذاتي. يجب أن تستريح لبضعة أيام في غرفة في الطابق العلوي، حيث يمكنني أن أطمئن عليك من وقت إلى آخر".

"أبقى في منزلك؟"

"أنا لا أقترح أن نتشارك السرير، آنسة هوك. قد أبدو مستهترًا منغمسًا في الملدات، لكنني أؤكد لك أن المظاهر في بعض الأحيان تكون خادعة".

"لا، أنا أسفة، ما أقصده أنك قد لا ترغب أن تأوي في منزلك أحد المجرمين الذي يتصدر قائمة المطلوبين للعدالة في هذا البلد".

"متصدر قائمة المطلوبين صحيح، ولكنني أشك أنك مجرمة".

"على أي حال، عدم المؤاخذه، ولكن إذا اضطرت لقسط من الراحة، فإنني أفضل أن أستريح حيث يمكنني أن أكون مع ابني".

مع حقنة تحت الجلد، قام واتكنز بثقب الغشاء على أمبولة من دواء ما واستخلص جرعة.

سألته: "ماذا تفعل؟"

حيره ذعرها: "إنه مضاد حيوي. بالنظر إلى مآثرك كما أعرفها، أنا متفاجئ أنك قد تجفلين من إبرة".

"إنها ليست الإبرة. ألا يمكنني تناول الحبوب بدلًا من ذلك؟"

"ستناولين الحبوب أيضًا، آنسة هوك. نظرًا لأنني تلقيت تعليمًا جيدًا في كلية الطب، وهو ما لم تحصلي عليه، أقترح عليك أن تقولي: نعم، دكتور، وتتجنبي احتمال الإصابة بتسمم الدم وإنثانه الذي قد يهدد حياتك، وأفترض أنك كنت تحقنين لقاح داء الكلب بنفسك وفقًا للجدول الزمني الذي أعطيته لك".

"نعم، بالطبع".

"بصدق، الآن؟".

كشرت: "نعم، أماه، لقد كنت أحقن لقاح داء الكلب بنفسي".
استخدم الشريط المطاطي كمزقاة، بالبحث عن وريد في ذراعها الأيمن، وقال إن لديها تكوينًا وريديًا ممتازًا، ومسح جلدها بالكحول، وحقنها.
بينما كانت جين تشاهد السوائل وهي تغادر الإبرة، قاومت إغماءً، وشعرت بالظلام يزحف على عينيها. عندما سحب الدكتور الإبرة، فقدت وعيها وكادت تسقط على طاولة الفحص التي جلست عليها، لو أنه لم يمسك ذراعها.
بعد أقل من دقيقة، عندما استعادت وعيها، اعترفت بمدى إرهاقها، وبمجرد أن ارتدت ملابسها، سمحت له بمرافقتها إلى غرفة في الطابق العلوي.

32

بعد خمسة أيام من نجاة جولي تيلمن من أن تحقن بألية التحكم بتكنولوجيا النانو من قبل والدتها وشقيقتها، أصبحت غير اجتماعية بشكل غير معهود، كما لو أن كل البشرية أصبحت الآن مشبوهة، أمضت معظم وقتها مع الخيول. قوية كما كانت، صرخت الفتاة ليومين، لكنها مع ذلك كانت حزينة ومكتئبة ولم يكن لوثر قادرًا على موااساتها.

لم يكن هناك شيء يواسيه، لم تكن خسارته أقل من خسارتها، بل كانت في بعض الأحيان أكثر منها، فريبيكا كانت وستظل دائمًا الحب الوحيد في حياته. علم أنه إذا وجد هو أو جولي وسيلة للمضي قدمًا، فسيتعين عليهما إيجادها معًا أو عدم إيجادها على الإطلاق. كانت ظروفيهما فريدة حيث إن الحبيين اللذين فقداها لا يزالان على قيد الحياة ولكنهما لم يعودا كما كانا من قبل، وكانا خارج نطاق الخلاص إلى الأبد.

لقد حلق شعر رأسه وأطلق لحيته، أصبحت بيضاء أكثر مما كانت عليه، بالرغم من أن شعره لم يكن أبيض. ومع ذلك، فإن التغيير في المظهر لم يفعل شيئًا لرفعه من هذه الحالة المتدنية أو منحه الأمل في المستقبل.

بعد ظهر الأربعاء، وجد لوثر جولي بالقرب من سياج وهي تراقب الخيول ترعى وتقفز. انحنى على السياج إلى جانبها ولم يقل شيئًا، لأنه ما شيء لم يقله من قبل، إلى

حدّ ما لامته جولي على لحق بها من خسارة. لو لم يكن مأمورًا، ما كان ليرتبط في كل هذا الجنون. لو لم يضع واجبه قبل العائلة، لما ذهب إلى أيرون فرينس بولاية كنتاكي. لو، لو، لو، لو، لو...

لم يلّمها على الإطلاق على عدائها. في الواقع، بالرغم من أنه علم أن ذلك لم يكن منطقيًا، إلا أنه لام نفسه. نعم، لو بقي في مينيسوتا ولم يفعل شيئًا، ربما ما كانت ربييكا وتويلا بين الأموات الأحياء الآن. لكنه تذكر أيضًا الرجل المتعجرف من وزارة العدل، بوث هندركسون. كان الأشخاص الأقوياء وراء هذا الكابوس ليعتبروه عاجلاً وليس آجلاً طرفًا سائبًا، وكانوا سيحددون له ولعائلته موعدًا للحقن. كانوا في زمن من التاريخ حيث لم يسمح بوجود أي مستنكفين واعين، عندما كان كل رجل وامرأة وطفل إما قاتلاً وإما ضحية.

كانت السماء واسعة وزرقاء، والهواء دافئًا، والخيول مفعمة بالحيوية، ولنصف ساعة رفضت الفتاة العزيزة والحزينة والصامتة الاعتراف بحضور والدها، قبل أن تضع يدها على ذراعه.

33

عندما استيقظت جين في السرير، كانت الساعة الرقمية على المنضدة تشير إلى 5:40 مساءً رأت حقائبها عند باب خزانة الملابس. نقل الدكتور واتكنز سيارتها إلى مرآب منزله، وجلب حقائبها إلى الغرفة في الأعلى.

أبعدت الأغطية وجلست على حافة السرير. غطت ضمادة النقطة التي أعطاها فيها الحقنة. أزال الضمادة، ورأت بقعة صغيرة من الدم على الشاش. بالكاد كان المكان الذي وخزته الإبرة مرئيًا.

كان الجرح في جانبها مؤلمًا، ولكنها استطاعت تحمل الألم. لم تستطع حساب عدد الغرز لأنها كانت مغطاة بشريط عريض مقاوم للماء.

كان سلاحها على المنضدة، ولا يزال المسدسان في القراب. فتحت إحدى الحقائب، وأخرجت ملابس جديدة ووضعتها على السرير.

قال الدكتور واتكنز إنه سيعد العشاء لشخصين في الساعة السابعة.

ذهبت إلى الحمام المجاور، وشعرت برغبة ملحة لحمام ساخن، نظرت في المرأة إلى انعكاسها لمدة دقيقة قبل أن تقول: "شغل المانشوري معي".
بعد دقيقة أخرى، شغلت الماء الساخن في الحمام، واستنشقت البخار المتصاعد بسرور.

34

سلطة الطماطم الطازجة والخس مع جبنة البارميزان. وعاء من صلصة السباغيتي على سطح الموقد، ذابت كرات اللحم المجمدة وغلت في صلصة الراغو. خبز محمص بالثوم من المتجر تحت الشواية. رطل من معكرونة باريللا يسلق في الماء المغلي.

لم يكن بورتر واتكنز واحدًا من العازبين المسنين الذين طوروا شغفًا بالطهو. بالرغم من بساطة الوجبة، فقد وجدت أنها لذيذة، حيث لا شك أن أي رجل محكوم عليه أنقذ من حكم الإعدام بحلول منتصف الليل من قبل الحاكم سيجد وجبته الأولى، بعد وجبته الأخيرة، لذيدة.

في وقت سابق من هذا الشهر، بعد الأحداث في مزرعة بريتولد شينيك في وادي نابا، تعامل بورتر واتكنز مع دوغال تراهون وجين من دون أي علم بتفاصيل حقيقة سبب ملاحقتها من قبل مكتب التحقيقات الفدرالي وكل وكالات تنفيذ القانون في البلد. الآن، على النيذ ثم على العشاء، عندما شرحت له، سأل أسئلة ذكية ومثيرة للتحقيق لكنه لم يجد ما أخبرته به رائعًا لغاية التمعن به.

لقد علمت منه أن لوثر تيلمن أصبح الآن جزءًا من ملحمة جين هوك، خبر ثابت في كل بث إخباري عبر الكابل. تبين لزوجته وابنته تويلا، لدى عودتهما إلى مينيسوتا من عطلة قصيرة، أن منزلهما قد نُهب، كما عثرا على جثة العميل هوي دارنيل، وقد أطلق على مؤخرة رأسه رصاصتان من مسدس تعود ملكيته للوثر، وأفادت السلطات أن لوثر كان متحالفًا مع جين فيما يتعلق ببيع أسرار الأمن القومي، بالرغم من عدم وضوح كيفية ارتباط مأمور ريف بها. ابنة تيلمن الأخرى، جولي، كانت مفقودة ويعتقد أنها في خطر مميت. لم يتم ذكر أيرون فرنس.

من الواضح أن بورتر رأى الحزن الذي استقر على ملامح جين عندما سمعت بهذا الخبر: "ما الخطر المميت الذي يقصدونه؟".
قالت: "ابنته جولي ليست في خطر، لا بد أنها معه. الطريقة الوحيدة لتفسير هذا... أن زوجته وابنته الأخرى حُقتتا. لقد رحلتا".

35

يمكن تشغيل التسجيل بواسطة كاميرا الجسد التي ارتدتها جين على أي جهاز حاسوب. بعد العشاء، وضع بورتر واتكنز الحاسوب المحمول الخاص به على طاولة المطبخ، وشاهد الدقائق الأخيرة من حياة ديفيد جيمس مايكل مجدداً.
كان الفيديو أقل قيمة مما توقعت كدليل. كانت المرئيات عالية الوضوح رائعة. ولكن لم يتم التقاط أي شيء مما قالته هي وديفيد جيمس مايكل بدلاً من أصواتهما، كان هناك فقط تذبذبات مترابطة لنغمات إلكترونية متعددة تمامًا مثل الطنين الذي كانت على علم به بين الحين والآخر عندما كانت في شقته الكبرى.
قالت جين: "كان لدى الوغد طريقة ما للتأثير على نظام التسجيل ليعبث مع التسجيل الصوتي، ربما لا فائدة من كراهية رجل ميت، لكنني أكره هذا المتغطرس أكثر مما فعلت قبل أن يقفز".
سكب الطبيب مزيداً من النييد، لم يكن علاجاً لما أزعجها، ولكنه كان موضع ترحيب على أي حال.

36

كانت غرفة نوم الطبيب الإضافية تحتوي على تلفاز، واكتشفت جين صباح الخميس أن انتحار ديفيد جيمس مايكل كان خبراً كبيراً، بعد تحديد هويته. لم تتوقع أن تكون على صلة بموته؛ ولم تكن كذلك. لم يربطوها علانيةً بمقتل الدكتور بريتلد شينيك وزوجته أيضاً على الإطلاق، لأن ذلك سيؤدي إلى تركيز اهتمام وسائل الإعلام على شينيك للتكنولوجيا وفار هورايزنز. الحمقى الذين يطلقون على أنفسهم أركاديين لم يرغبوا في هذا الاهتمام، لأن الجمهور قد يبدأ في التساؤل عما إذا كان كل الحديث

عن بيع أسرار الأمن القومي غطاء للسبب الحقيقي وراء السعي خلف جين بالسرعة القصوى.

لقد أخطأت في ترك التلفاز لفترة طويلة، حيث شاهدت مقابلة مع والدها، عازف البيانو الشهير والقاتل الذي لم يتم الكشف عنه بعد. كان يلغي جولته الموسيقية الحالية لأن عار ابنته كان يجذب بما أسماه "النوع الخاطئ من الجماهير"، ولأنه لم يعتقد أنه من المناسب الاستفادة من الأعمال السيئة "لهذه المرأة المضطربة". على الأرجح، كان يشعر بالقلق لأنها قد تتقم لأمرها، وتضعه في مرمى بندقية قناص، قبل أن يقبض عليها.

أخذت سنة من النوم قرابة الظهر، بينما عالج بورتر واتكنز المرضى. ولكن في الوقت الذي تشارك فيه عشاء آخر في مطبخه، قررت أنها لا تستطيع البقاء الليلة أخرى. عندما جلسا لتناول حساء الخضار وشطائر الجبن، قالت: "مات شينيك، مات ديفيد جيمس مايكل. كان هذا الشيء برمته ثعباناً برأسين، وكان كل واحد منهما ثعباناً. أو هذا ما ظننته. من خلال تخلصهم من ديفيد جيمس بالطريقة التي تخلصوا منه وفقها، يعتقدون أنهم قد أتوا إلى زقاق أعمى، ولا يوجد مكان أذهب إليه من هنا. لكن كل ما فعلوه هو أنهم أروني أن هذا الثعبان لديه أكثر من رأسين. وكلما طالت فترة اعتكافي عن الصيد، قل احتمال تتبع هوية الثالث".

بعد العشاء، في مرأب بورتر واتكنز، عندما ساعدها في حمل أمتعتها، حيث كانا يقفان عند باب السائق لسيارتها الإكسبلورر، قال: "سأشعر بخيبة أمل إذا سمعت ذات يوم أنه أطلق عليك الرصاص وقُتلت بعد أن قدمت لك أفضل علاج طبي".

"عندها سيخيب أمني أيضاً".

عانقته، وتمسك بها لفترة طويلة.

عندما تركها، لمحت الكآبة فيه التي اعتقدت أنها تخيلتها سابقاً.

قال: "إذا وجدت نفسك في أي وقت بحاجة لمساعدة طبية وكنت بعيدة جداً عن سانتا روزا، اتصل بي على أي حال. سوف آتي إليك أينما كنت، أو إذا استطعت، سأطلب خدمة من شخص قريب منك. أتفهمين؟".

"نعم، أفهم".

قال عابسًا: أعني ذلك. لا تقولي نعم فقط لتأييدي، يا صغيرتي". عندما رأى أن الكلمة فاجأتها، قال: "أنا عجوز أحقق كان شابًا أحقق فيما مضى. على الأقل هناك ثبات في ذلك. لم أتزوج قط، بالرغم من بعض الفرص الرائعة التي سنحت لي. نظرت إلى العالم وهو يذهب إلى الجحيم، وظننت أنني لن أرغب أبدًا في أن أكون مسؤولًا عن جلب طفل إلى هذا العالم. يمضي الوقت، وأنا هنا، لا طفل ولا زوجة ولا آفاق تشجعني، ولكن لو عشت حياة مختلفة، أعتقد أنني كنت سأفعل أفضل ما يمكن لأي رجل فعله من خلال جلب شخص مثلك إلى العالم".

لم يسبق أن شعرت بعجزها عن الكلام، ربما لم يسبق وأن كانت في مثل تلك اللحظة التي عرفت فيها أن أي كلام قد تقوله لن يفعل شيئًا سوى أن يقلل من قوة ما قيل للتو. عانقته مرة أخرى، وتشبثت به بشراسة كما تشبثت بها.

ثم صعدت خلف مقود سيارة الإكسبلورر، وعندما رفع باب المرأب لها، قادت مبتعدة.

مكتبة ياسمين

t.me/yasmeenbook

37

مساء الخميس، عندما وصلت إلى جسر غولدن غيت، لم يكن هناك ضباب يلف هذا الهيكل الرائع. قبع البحر الشاسع في السواد إلى يمينها، باستثناء أضواء السفن التي تعبر على بعد شاسع، وأضواء بيركلي وأوكلاند الواقعتين بعيدًا إلى الشرق، خلف خليج ستوريد، التلال المضيئة مثل الأراضي الخرافية. في تلك اللحظة، وجدت جين صعوبة في تصديق أن أولئك الذين يحتقرون أعمال الإنسانية وحتى الإنسانية نفسها - ليس فقط الأركاديين ولكن العديد من الآخرين - الذين يتوقون في سوء تصرفهم إلى التراجع عن كل ما بني خلال آلاف السنوات من النضال والكفاح الإنساني، يعتقدون أن العالم سيكون مكانًا أفضل لو لم تكن البشرية موجودة أبدًا.

لو كان واحد منهم معها الآن، لقاتل، اللعنة، لا يوجد عالم إذا لم تكن هناك عين بشرية لرؤيته، لا يوجد عالم ذو أي غرض أو معنى، لا يوجد عالم أهم من أي كوكب قاحل يدور الآن حول شمس محترقة. لا يستطيع العالم أن يرى نفسه ويتعجب من عجائبه. إن سر الوعي يصنع الواقع، ولا يوجد واقع دون وجود كائنات واعية تمامًا

لفهمه. تعتقد أن العالم ثمين لأنك هنا لرؤيته. نحن العالم والعالم نحن، ولا يمكن أن يكون سوى حلم لا أهمية له دون الآخر.

لكن، قد لا تقول شيئاً من هذا القبيل، لأن الحياة بدت وكأنها تلقنها أنه لا يفترض أن تغير العالم بالكلمات، بل من المفترض أن تتصرف، أن تكافح، طالما أنها تتذكر ما كانت تقاتل من أجله.

فكرت في لوثر وجولي، في دوغال تراهون، في أنسيل وكليير، في نادين وليلاند ساكيت. فكرت في أولاد أيرون فيرنس، في بيرني ريغويتز وصورة ميريام التي حملتها معها الآن. فكرت في ساندرا تيرمينديل وابنتها، هولبي ولورين، في سيارتهما السياحية، وأدركت لماذا يجب أن تستمر ولماذا، في الواقع، لم يكن أمامها خيار آخر أقل من الموت.

في وقت لاحق، ركنت سيارتها في محطة شاحنات جنوب ساليناس، وسط هذه المزرعة الغنية التي أطلق عليها اسم "صحن سلطة العالم". كانت متوقفة في زاوية بعيدة من ذلك المجمع الكبير على جانب الطريق، بعيداً عن معظم أضوائه الساطعة، حتى تتمكن من رؤية النجوم. خرجت من سيارتها. استخدمت هاتفاً مؤقتاً لتتصل بجيسيكا وغافين واشنطن، الوصيين على طفلها اللطيف، لتخبرهما أنها بعد أن نامت جزءاً من اليوم، ستقود طوال الليل للوصول إلى هناك.

بعد أن أغلقت الهاتف المحمول، وقفت تحديق إلى النجوم، ضوء شمس لا تحصي تدور حول بعض منها عوالم مجهولة، أربعة عشر مليار سنة من التوسع بعد الحدث الكبير، محيط الكون يتحرك صوب الخارج إلى فراغ باطني لا يمكن فهمه بالكامل، كل تريليونات النجوم هذه بعيدة جداً لدرجة أنه لا يمكن زيارة أي منها إلا في الخيال. ومع ذلك وقفت هنا، حياة صغيرة واحدة في هذا الكون العملاق، كائن واحد يفكر ويحب ويحتاج إلى أن يحب، يمكن تدميره ولكن لا يمكن هزيمته. بإمكانها أن تموت فقط لأنها كانت على قيد الحياة أولاً، وبالتالي كان الموت بمثابة هدية أيضاً. عادت إلى سيارة الأكسبلورر، وقادت باتجاه الجنوب إلى ابنها، إلى حياتها وإلى أي شيء قد تجلبه.